



الجمعية العلمية لكليات الآداب



اتحاد الجامعات العربية

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكمة

تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء
في اتحاد الجامعات العربية

رجب 1438هـ / نيسان 2017م

العدد الأول

المجلد الرابع عشر

© جميع الحقوق محفوظة للجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017

لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على
موافقة خطية مسبقة من رئيس التحرير

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي
هيئة التحرير أو سياسة الجمعية العلمية لكليات الآداب

تنفيذ وإخراج: مجدي الشناق

هيئة التحرير

رئيس التحرير:

أ. د. زياد صالح الزعبي، الأمين العام للجمعية العلمية لكليات الآداب، عميد كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الأعضاء

- أ. د. سوزان بينكني ستيتكيفيتش، جامعة جورج تاون، واشنطن.
أ. د. تلمان زايد نشتيكر، جامعة فريديخ شيلر، يانا، ألمانيا.
أ. د. سعاد عبد الوهاب، عميدة كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت.
أ. د. بدوي الطاهر، جامعة البحر الأحمر، السودان.
أ. د. حسن الملخ، عميد كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن.
أ. د. غيداء عادل "خزنة كاتبي"، عميدة كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.
أ. د. محمد ربيع، عميد كلية الآداب، جامعة جرش، الأردن.
أ. د. محمد العناني، عميد كلية الآداب، جامعة البترا، الأردن.
سكرتيرتنا المجلة: السيدة ريمة قزق والآنسة نداء بني عيسى.

أمين سر المجلة: د. محمد المزادة.

التدقيق اللغوي: د. خالد بني دومي.

اللجنة الاستشارية:

- أ. د. بربارا ميخالك – بيكولسكا، جامعة ياجيلونسكي، كراكوف، بولندا.
أ. د. محمد خان، جامعة ناشونال ديفنس، باكستان.
أ. د. فيليب لان، جامعة روان، فرنسا.
أ. د. جنلنج وانغ، جامعة نيوساوث ويلز، أستراليا.
أ. د. أولجا جالاتانو، جامعة نانت، فرنسا.
أ. د. ميمونة خليفة الصباح، جامعة الكويت، الكويت.
أ. د. إيمان مصطفى، جامعة قطر، قطر.
أ. د. فهمي الغزوي، جامعة اليرموك، الأردن.
أ. د. وفاء بري، الجامعة اللبنانية، لبنان.
أ. د. محمد أحمد غنيم، جامعة المنصورة، مصر.
أ. د. عبدالله اقديم، جامعة سيدي محمد، المغرب.
أ. د. شكري المبخوت، جامعة منوبة، تونس.
أ. د. عز الدين عمر موسى، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.
أ. د. يوسف عبد الله، جامعة صنعاء، اليمن.

- أ.د. فؤاد شهاب، جامعة البحرين، البحرين.
- أ.د. عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، السعودية / كرسي عبد العزيز مانع.
- أ.د. عید دحیات، الجامعة الأردنية، الأردن.
- أ.د. موسى جواد الموسوي، جامعة بغداد، العراق.
- أ.د. عدنان السيد، رئيس الجامعة اللبنانية. لبنان.
- أ.د. عبد السلام المسدي، تونس.
- أ.د. صلاح فضل، جامعة عين شمس، مصر.
- أ.د. جمال شقرة، جامعة عين شمس، مصر.
- أ.د. سعد مصلوح، جامعة الكويت، الكويت.
- أ.د. عمر المراكشي، المغرب.
- أ.د. عبد الحكيم الحسبان، عميد كلية الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك.
- أ.د. عبد الله الشرمان، عميد كلية السياحة والفنادق، جامعة اليرموك.
- د. حاتم العلاونة، عميد كلية الإعلام، جامعة اليرموك.
- أ.د. نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، الأردن.
- أ.د. موسى سمحة، الجامعة الأردنية، الأردن.
- أ.د. حسن سمور، الجامعة الأردنية، الأردن.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكمة

تصدر عن جمعية كليات الآداب الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية

شروط النشر:

- تنشر المجلة البحوث باللغات: العربية والإنجليزية والفرنسية، ويمكن نشر بحوث بلغات أخرى بعد موافقة هيئة التحرير.
- تنشر المجلة مراجعات المؤلفات العلمية، والتقارير الخاصة بالمؤتمرات الدولية والندوات العلمية المحكمة.
- يرفق بكل بحث ملخص باللغة العربية وآخر بالإنجليزية على ألا يزيد على 150 كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات الدالة .
- يجب أن تتوفر في البحوث العلمية المرسلّة للمجلة الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، ويجب أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة خالية من الأخطاء.
- يشترط في البحث ألا يكون قد قدم للنشر أو نشر في أي مكان آخر.
- تخضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم حسب الأصول العلمية.
- تصبح البحوث بعد قبولها للنشر حقاً محفوظاً للمجلة، ولا يجوز النقل منها إلّا بالإشارة إلى المجلة.
- لا يجوز للباحث إعادة نشر بحثه إلا بموافقة خطية من هيئة التحرير، وتجب الإشارة إلى المجلة حسب الأصول.
- يجب أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب باستخدام برنامج word، وبمسافة مزدوجة بين السطور، ويرسل بواسطة البريد الإلكتروني إلى عنوان المجلة: artsarabuni@gmail.com
- يكون حجم الخط (14) ونوعه (Arial). وهوامشه الجانبية (2.5) سم.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة (A4) ، عشرة آلاف كلمة حداً أقصى.
- يذكر الباحث في الصفحة الأولى من البحث اسمه ورتبته الأكاديمية والمؤسسة التي يعمل فيها.
- تحتفظ الهيئة بحقوقها في عدم نشر أي بحث وتعد قراراتها نهائية.
- لا تُردّ الأبحاث التي لم تقبل للنشر إلى أصحابها.
- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التحكيم في حال سحبه البحث أو رغبته في عدم متابعة إجراءات التقويم.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون خلال شهر من تاريخ تسلمه القرار.

- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو جمعية كليات الآداب في اتحاد الجامعات العربية.

التوثيق:

- * ترقيم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين ().
- * وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- في حال كان المصدر أو المرجع كتاباً:
اسم المؤلف كاملاً: المصدر أو المرجع، عدد الأجزاء، مكان النشر، الناشر، السنة، الصفحة.
مثال:
- ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، مصر، دار المعارف، 1966، ص24.
- في حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو الآتي:
اسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، اسم الدورية أو المجلة، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.
مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

- * وتثبت في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه وفق التسلسل الألفبائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً، ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك السنوي:

- أ) للأفراد: خمسة دنانير داخل الأردن، وعشرة دولارات أمريكية خارج الأردن.
- ب) للمؤسسات: عشرة دنانير داخل الأردن، وخمسة عشر دولاراً أمريكياً خارج الأردن.

المراسلات:

ترسل البحوث إلى العنوان الآتي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام الجمعية العلمية لكليات الآداب،

رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

عميد كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة اليرموك، إربد، الأردن

هاتف: 7211111 2 00962 فرعي 2900 أو 3555

فاكس: 7211137 2 00962

البريد الإلكتروني: artsarabuni@gmail.com / artsarabuni@yu.edu.jo

الموقع الإلكتروني: http://aauja.yu.edu.jo

محتويات العدد

أولاً: البحوث العلمية باللغة العربية

1	* انسجام أداء الإدغام في أصوات اللغة العربية: قراءة القرآن الكريم أنموذجاً فوزية على القضاة ومريم جبر فريحات
21	* لغة الصحافة مادة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هالة حسنى بيدس ومنى صالح العجرى
49	* فن المقالة عند محمد صبحي أبو غنيمة أحلام واصف مسعد
77	* تجليات لغة اللون في تشكيل فضاء رواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي: دراسة نقدية منتهى طه الحراشنة
111	* صيغ الأمر في الإعراب أو البناء - قراءة جديدة في البنية التركيبية والوظيفة الدلالية أحمد محمد بشارات
131	* مواقف القوى الدولية والإقليمية تجاه ثورات الربيع العربي وأثرها على النظام الإقليمي الشرق أوسطي (2010-2015) عمر ياسين خضيرات
165	* نمط التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى قاسم الدويكات وريم الخاروف وبيان الربيع
203	* التعدد اللغوي في الرواية العربية (قضايا ونماذج) منال بنت عبد العزيز العيسى
221	* التداولية مقدمة عامة خلف الله بن علي
239	* ظاهرة الحزن في شعر حادثة كف البصر عند سبط ابن التعاويذي سلامة هليل الغريب
263	* استراتيجيات الخطاب اللغوي في قصيدة "لا تصالح" لأمل دنقل حنان إسماعيل العميرة
283	* تغطية المواقع الإلكترونية الإخبارية الأردنية للعدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014 عزام على عنانزة
313	* محددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني عبد الباسط عبد الله العزام
349	* التشكيل الصوتي لبنية القفل في العربية عبد القادر مرعى بنى بكر
369	* مقاربتان في نقد نظرية النحو العربي: قراءة تحليلية في أطروحتي ابن رشد وابن مضاء أحمد محمد أبودلو
411	* المصطلح النحوي في شرح المفصل لابن يعيش (دراسة في أثر النص) أمجد طلافحة وخالد الكندي
	ثانياً: البحوث العلمية باللغة الإنجليزية
454	* أثر بعض خصائص أعضاء هيئة التدريس في جامعة البترا على خلطهم اللغوي في صفوف اللغة الإنجليزية جهينة الموسى وعقلة صمادي

انسجام أداء الإدغام في أصوات اللغة العربية: قراءة القرآن الكريم أنموذجا

فوزية علي القضاة ومريم جبر فريحات *

تاريخ الاستلام 2015/10/28

تاريخ القبول 2016/2/8

ملخص

يسعى هذا البحث للوقوف على ظاهرة من ظواهر اللغة العربية، هي ظاهرة الإدغام في أصوات هذه اللغة، من حيث اهتمامها بالأصوات وتأثيرها ببعضها بعضاً، وهذا تأثير نسبي يهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، فيزداد مع مجاورته قريبا في الصفات أو في المخارج، والتأثير بدوره يؤدي إلى الانسجام الصوتي بين أصوات اللغة. وقد بين هذا البحث أن الأصوات المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها فيما بينها، فقد لا يعدو أن يفقد صوت من الأصوات بعض صفاته ليتقارب أو يتجانس مع صفات أصوات مجاورة له، وقد يصل هذا التأثير إلى أن يفنى هذا الصوت بصوت مجاور له، فلا يترك له أثراً، وهذا الفناء هو ما اصطلح عليه العلماء بـ "الإدغام". ولقد مثلت قراءة القرآن الكريم الأنموذج الأمثل لإدغام الأصوات، فكان التمثيل من آيه هنا، مضافاً إليه أمثلة أخرى من الأصوات العربية.

وتبين من هذا البحث أن أصوات العربية كلها قابلة للإدغام في ما يماثلها، باستثناء ما ذكره بعضهم بشأن الهمزة، من حيث عدم إدغامها بمثلها. وقد عرج البحث، إلى ذلك، على مفهوم الإدغام، وشروطه، وحقيقته، وحروفه، والأسباب التي دعت إليه، وأخيراً ذكر أسباب امتناع الإدغام مع تحقق شروطه.

مقدمة:

إن اللغة حلقة الوصل الأساس في المجتمعات عامة، وهذه اللغة تتكون من رموز وأصوات، لا بدّ عند النطق بها أن يتأثر بعضها ببعض، ومن ثمّ فإنّ هذا التأثير يهدف إلى نوع من المشابهة والمماثلة، والمماثلة ظاهرة شائعة في اللغات كلها بصفة عامة، إلا أن اللغات تختلف في نسبة التأثير ونوعه، واللغة العربية كسائر اللغات تأثرت بهذه الظاهرة، وخاصة في تطورها إلى لهجات، لذا فإننا نلاحظ تشكل ظواهر مختلفة لتأثر الأصوات ببعضها، مما أدّى إلى تكوين قوانين خاصة

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، إربد، الأردن.

لضبط هذا التأثير المتسبب من المجاورة، الأمر الذي أدى إلى تطور في نطق بعض أصوات اللغة الفصحى، وبخاصة في اللهجات الحديثة.

وهذه الأصوات المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها فيما بينها، وبسبب هذا التأثير نتج ما يسمى بالإدغام، ولعل السبب المباشر في حصوله هو الالتقاء المباشر بين الصوتين، بحيث لا يفصل بينهما فاصل، حتى لو كان الفاصل حركة قصيرة، ولا يتم هذا إلا حين يكون الحرف الأول ساكناً.

والإدغام ظاهرة عامة شائعة في العربية -كما ذكرنا- تتخذ صوراً مختلفة قد يقع بينها الاختلاف بسبب اللهجات وبعد الأمكنة وتغير الأزمنة لكنها في القرآن الكريم يقل فيها الاختلاف بين القراء في تحقيق الإدغام؛ لأنها تستند إلى قراءة متواترة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

حد الإدغام:

هو "أن تضع لسانك للحرفين المتماثلين موضعاً واحداً لا يزول عنه"¹. وقد سمي سيبويه هذه الظاهرة بالمضارعة، فهذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارعه به ذلك الحرف وليس من موضعه². وهو أن تعتمد لهما باللسان اعتماداً واحدة؛ لأن المخرج واحد ولا فصل، وذلك قولك: قطع وكسر³. "والإدغام إدخال شيء في شيء، فمعنى: أدغمت الحرف في الحرف أدخلته فيه، فجعلت لفظه كلفظة الثاني فصاراً مثلين"⁴. وهو عند ابن جني تقريب صوت من صوت⁵. وعند السيوطي: اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً⁶. وهو رفعك اللسان بالحرفين دفعة واحدة ووضعك إياه موضعاً واحداً⁷.

والإدغام عند المحدثين من صور المماثلة أو صور المخالفة، والمماثلة عندهم تأثر الأصوات اللغوية المتجاورة بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات، ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها في المخارج، والشدة والرخاوة والجهر والهمس... فإذا التقى صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً، حدث بينهما شدّ وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو بعضها⁸. ومن صور المماثلة الكلية المدبرة المتصلة ممثلة لام التعريف للثلاثة عشر صوتاً المقاربة لها في المخرج، وتعرف هذه اللام في الاصطلاح باللام الشمسية، ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام⁹. وأحدثت المخالفة بين الحركات في بعض الصيغ الإدغام عندما يتوالى حرفان متماثلان قد فصلت بينهما الحركة فتحذف الحركة ثم يدغم الحرف الأول منها في الثاني¹⁰.

أما قانون المخالفة فيعتمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات فيغيّر أحدهما إلى صوت آخر¹¹.

"أما عندما تحدثوا عن ظاهرة المخالفة فقد تحدثوا عنها من خلال اصطلاحات عامة، كالاستثقال وكراهة تتابع صوتين، وعندما تحدّث عنها أبو علي الفارسي وصفها بالكراهة؛ قال في الحجة: وقد كرهوا من اجتماع المتقاربة ما كرهوا من اجتماع الأمثال فالقبيلان من الأمثال والمتقاربة إذا اجتمعت خفّت تارة بالإدغام وتارة بالقلب وتارة بالحذف"¹².

ولحصول الإدغام اشترط علماء اللغة شروطاً، ذكرها ابن يعيش بقوله: وهو أن يسكن الأول ويتحرك الثاني فيحصل الإدغام ضرورة سواء أريد أم لم يرد، إذ لا حاجز بينهما من حركة ولا غيرها، نحو: (لم يرخ حاتم، ولم أقل لك)، فالإدغام حصل بينهما ضرورة، لأن الأول اتصل بالثاني من غير إرادة لذلك ومن غير قصد، وذلك بأن اعتمد اللسان عليهما اعتماداً واحدة، لأن المخرج واحد ولا فصل، وأما أن يكون المثل الأول متحركاً والثاني ساكناً، نحو: (ظَلَلْتُ، ورسول الحسن)، فإن الإدغام يمتنع، لأن حركة الحرف الأول قد فصلت بين المتجانسين فتعذر الاتصال، وإذا كان المتماثلان متحركين معاً، وهما سواء في كلمة واحدة ولم يكن الحرف ملحاً قد جاوز الثلاثة، ولا البناء مخالفاً لبناء الفعل، فإنه يدغم بأن يسكن المتحرك الأول لتزول الحركة الحاجزة، فيرتفع اللسان بهما ارتفاعاً واحدة فيخف اللفظ، وليس فيه نقص معنى ولا لبس، وذلك نحو: ردّ يردّ، وشدّ يشدّ¹³.

مما سبق نتبين أنه حتى يتم الإدغام لا بدّ من المجاورة التامة للصوتين، سواء في كلمة واحدة أو كلمتين متجاورتين، لأن الإدغام لا يكون إلا عند وصل الكلمة بالكلمة التالية، وبينهما ترابط وثيق، وأن لا يكون بين الصوتين المدغمين حركة، لأن الحركة تعدّ فاصلة بين الحرفين أو الصوتين المراد إدغامهما، فلا تتحقق المجاورة المباشرة التي هي سبب الإدغام، وأن لا يكون بين الصوتين فاصل زمني عند النطق بهما، وأن يكون الحرفان متماثلين أو متقاربين أو متجانسين، أما أن يكونا متباعدين فليس بينهما إدغام¹⁴.

حقيقة الإدغام:

ذكر ابن جني أن الإدغام على ضربين "أحدهما أن يلتقي المثلان اللذان يكون عنهما الإدغام، فيدغم الأول في الآخر، والأول من الحرفين ساكن ومتحرك، فالمدغم الساكن الأصل، كطا (قطّع) وكاف (سكر)، والمتحرك نحو: دال (شدّ) ولام (معتلّ)، والآخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، وذلك مثل: (ودّ) في التميمية، وامحى، وامّاز، واصبر، وأثاقل عنه، والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت، وأوضح قوله بأن الغرض من الإدغام إنما هو تقريب الصوت من الصوت بأن الأول إذا كان ساكناً

وأدغمته في مثله فقد قرّبه منه، ونبا لسانك عنهما نبوة واحدة، وتجاوزت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه، فأما إذا كان الأول منهما متحركاً فأسكنته وأدغمته، فهذا أوضح من الأول في قصد التقريب، وذلك أنك أزلت عنه الحركة التي تكون حاجزا بينه وبين مثله لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامته ومماسة لفظه بلفظه، وأما إذا كان الحرفان مختلفين وقلبت أحدهما وأدغمت، فلا شك في أنك إنما فعلت ذلك إثارة لتقريب أحدهما من الآخر؛ لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير¹⁵. وإذا كان الإدغام بين صوتين متماثلين، وكان الأول ساكناً والثاني متحركاً، فليس إلا أن يدغم في الثاني منهما، وذلك نحو: (لهم ما)، فتلفظ: (لهمّا)، فالأول منهما قد ملك جميع مواصفات الثاني فأدغم فيه، أما أن يكون الإدغام بين صوتين مختلفين، فلا يقع الإدغام بينهما إلا بعد إقلاب أحدهما إلى نظيره، بحيث يملك جميع مواصفاته، وبعد أن يتم للصوت الأول ذلك يدغم في الثاني، فيقع هذا الإقلاب بين الصوتين اللذين يراد إدغامهما وفق قوانين الإقلاب الصوتية المقررة، حيث إن حقيقة الإدغام أن ينقلب الحرف أو الصوت الأول من جنس الثاني فيكمل التشديد، ولا يبقى للحرف الأول ولا لصفاته أثر، نحو قوله: (فمن يَمَل) فتقلب النون إلى ياء، ثم تدغم فيها فتلفظ بالإدغام (فمِيعمل)، وفي (من واق) تجعل النون واواً فتلفظ (مِواق)، فإذا حصل المثلان وجب إدغام الأول في الثاني حكماً جماعياً من غير وقف على الأول¹⁶.

أنواع الإدغام:

يقسم الإدغام من حيث الماهية إلى نوعين: الإدغام الكبير والإدغام الصغير، فالكبير ما كان في الأول من المثلين متحركاً، ثم يسكن ويدغم في الثاني، وهو أظهر أمراً، وأوضح حكماً، وإنما أسكنته لتخلطه بالثاني، وتجذبه إلى مضامته، ومماسة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزاً بينهما، وإما إن كانا مختلفين ثم قلبت وأدغمت، فلا إشكال في إثارة تقريب أحدهما من صاحبه؛ لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير¹⁷. وقد سُمي كبيراً لكثرة وقوعه، إذ الحركة أكثر من السكون، أو لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه أو لما فيه من الصعوبة أو لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين¹⁸، والإدغام الصغير ما كان الحرف الأول فيه ساكناً، وهو واجب وممتنع وجائز¹⁹، وسُمي صغيراً لقلة الأعمال فيه مقارنة بالكبير، فالحرف هنا ساكن لا يحتاج إلى كثير الجهد ليدغم²⁰.

الغاية من الإدغام:

بيّن اللغويون أن الإدغام جاء طلباً للخفة وتقليل الجهد العضلي، فأصل الإدغام إنما هو في الحرفين المثلين، وعلّة ذلك إرادة التخفيف، لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه ليلفظ بحرف مثله صعب ذلك، وشبهه النحويون بمشي المقيد²¹. إذن، الغرض من الإدغام هو التخفيف والتخلص من توالي الأمثال عن طريق فناء أحد المتماثلين في

الآخر، ولأن النطق بالمثلين ثقيل، لأنك تحتاج منهما إلى إعمال العضو الذي يخرج الحرف المضغف مرتين فيكثر العمل على العضو الواحد، ولأن التكرير ثقيل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر، ولأن النطق بذلك أسهل من الإظهار، كما يشهد فيه الحس والمشاهدة²².

وبعد، هل حروف العربية جميعها صالحة لأن يقع فيها الإدغام، يجب على هذا السؤال سيبيويه بقوله: "ومن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه كما لم يدغم في مثله، وذلك الحرف الهمزة، لأنها إنما أمرها في الاستثقال التغير والحذف، وذلك لازم لها وحدها كما يلزمها التحقيق، لأنها تستثقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها أو مع ما قرب منها أجريت عليه وحدها، لأن ذلك موضع استثقال. وكذلك الألف لا تدغم في الهاء ولا فيما تقاربه، لأن الألف لا تدغم في الألف، لأنهما لو فعل ذلك بهما فأجريتاً مجرى الدالين والتاءين تغيّرتا فكانتا غير ألفين، فلما لم يكن ذلك في الألفين لم يكن فيهما مع المتقاربة، فهي نحو من الهمزة في هذا، فلم يكن فيهما الإدغام كما لم يكن في الهمزتين. ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة، ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شي من المتقاربة، لأن فيهما ليناً ومدّاً، فلم تقوَ عليهما الجيم والياء، ولا ما لا يكون فيه مدّ ولا لين من الحروف، أن تجعلهما مدغمتين، لأنهما يخرجان ما فيه لين ومد إلى ما ليس فيه مدّ ولا لين...، وإذا كانت الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة فهو أبعد للإدغام، لأنهما حينئذ أشبه بالألف. وهذا ما يقوّي ترك الإدغام فيهما وما قبلهما مفتوح، لأنهما يكونان كالألف في المدّ والمطل، وذلك قولك: ظلموا مالكا، واطلمي جابراً"²³.

والهمزة "إذا كانت قد استثقلت والتقت همزتان في غير موضع العين فلا إدغام فيهما إلا أن تلين إلى الواو أو الياء، فتصادف ما تدغم الواو والياء فيه، وأما ما عينه همزة، نحو: (سأل ورأس وجأر) من الجوّار، وهو الصوت، ولو جمعت سائلاً وجائراً على فعل لأدغمت، وقلت: سؤل وجور، فإذا التقت همزتان في غير موضع العين فلا إدغام، فإذا قلت: قرأ أبوك. فقد اجتمع همزتان، وإن كان التخفيف لأحدهما لازماً. والألف لا تدغم في مثلها ولا فيما يقاربها، لأن الثاني من المدغم لا يكون إلا متحركاً، والألف لا تحرك، فالأول لا يكون إلا كالثاني وإن كان ساكناً فامتنع فيها مع ما قاربها ما امتنع فيها مع مثلها... ولا تدغم في مقارب؛ لئلا يزول ما فيها من زيادة المدّ والاستطالة"²⁴.

إن دراسة موضوع الإدغام في أصوات العربية يجعلنا نذكر أن القرآن يمثل الأنموذج الأمثل للعربية، على المستوى الصوتي الذي نظم به القرآن الكريم، لذا فإن موضوع الإدغام قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بقراءة القرآن الكريم، وبخاصة ما يتعلق بقواعد التجويد، لذا فإننا ذكرنا أمثلة وردت في القرآن الكريم على إدغام الحروف، ولو أن مجال البحث لا يتسع لأكثر من مثال واحد لكل حرف من الحروف، وهذه الأمثلة كما وردت، موضحة في الجدول الآتي: هي ما جاء في حرف

الباء، وحرف الثاء، وحرف الجيم، وحرف الحاء، وحرف الخاء، وحرف الدال، وحرف الذال، وحرف
الراء، وحرف الزاي، وحرف السين، وحرف الشين، وحرف الصاد، وحرف الضاد، وحرف الطاء،
وحرف الظاء، وحرف العين:

الحرف	الآية الكريمة	السورة	رقم الآية
الباء	"انْهَبْ بَكْتَابِي"	النمل	28
الثاء	"فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا"	الواقعة	6
الجيم	"يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ"	التوبة	3
الحاء	"قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ"	الشعراء	185
الخاء	"سَبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا"	الزخرف	13
الدال	"وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ"	المائدة	61
الذال	"وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا"	الحج	27
الراء	"وَإِذْكَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ"	الكهف	24
الزاي	"وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ"	المنافقون	8
السين	"وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرَّ"	يونس	12
الشين	"وَأَهْشَىٰ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي"	طه	18
الصاد	"وَطَعَامًا ذَا غَصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا"	المزمل	13
الضاد	"قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ"	النور	30
الطاء	"وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً"	البقرة	58
الظاء	"وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"	آل عمران	159
العين	"يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً"	الطور	13
الغين	"وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ"	آل عمران	85
الفاء	"أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ"	الأنبياء	67
القاف	"وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَ عَلَيْكَ"	القصص	27
الكاف	"أَفِي اللَّهِ شَكٌّ"	إبراهيم	10
اللام	"كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ"	الفجر	17
الميم	"عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ"	النبأ	1
النون	"إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ"	الكوثر	1
الهاء	"وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا"	المدثر	14
الواو	"يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ"	سبأ	10
الياء	"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"	الفاتحة	5

ما ورد في الجدول أعلاه أمثلة قليلة مما ورد في النص القرآني على الإدغام، ومن أجل تخطي الفاصل الزمني بين المقاطع الصوتية حتى يتم الإدغام على الوجه المشروط، فقد رأينا بعض صفات الحروف تضعف عند إدغامها مثل: القلقة والصفير والهمس وغير ذلك، لأن أكثر ما تظهر هذه الصفات عندما يكون الحرف ساكناً²⁵.

الأسباب التي دعت إلى الإدغام:

قسم اللغويون الأسباب التي دعت إلى الإدغام، من حيث درجة التشابه بين الصوتين المدغمين، ثلاثة أقسام هي: إدغام المتمثلين، وإدغام المتقاربين، وإدغام المتجانسين، وهي تقسيمات جاءت بناء على مخارج الحروف وصفاتها²⁶. والمخرج في اللغة نقيض المدخل، وقد يكون موضع الخروج، قال تعالى: "ذلك يوم الخروج" والخروج اسم من أسماء يوم القيامة²⁷، المخرج موضع الخروج، وجمعها مخارج، وعند القراء والصرفيين موضع خروج الحرف، وظهوره، وتمييزه عن غيره بوساطة الصوت²⁸. وهو في الاصطلاح: نقطة في مجرى الهواء يلتقي عندها عضوان من أعضاء النطق التقاء محكماً مع بعض الأصوات، وغير محكم مع أصوات أخرى²⁹. وهو محل خروج الحرف الذي ينقطع عنده صوت النطق فيتميز به عن غيره³⁰.

وأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والذال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو³¹. وهذا هو ترتيب الحروف العربية حسب مخارجها عند سيبويه وعند غيره، من أقصى الحلق وحتى الشفتين، ومخارج هذه الحروف مختلف فيها، فهي عند الخليل ثمانية، حيث ذكر الأزهري: "قال الخليل فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية، والقاف والكاف لهويان، والجيم والشين والضاد شجرية والشجر مفرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية، والتاء والذال والطاء نطعية لأن مبدأها من نطق الغار، والظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون نلقية، والفاء والباء والميم شفوية، والواو والألف والياء هوائية"³². وجعلها سيبويه ستة عشر مخرجاً، وكذا ابن جني وابن يعيش والسيوطي وغيرهم³³. ومذهب القراء وجماعة من أهل العربية أنها أربعة عشر مخرجاً، وأما ما عليه علماء التجويد واللغة، ورجحه الإمام ابن الجزري، فهو أنها سبعة عشر مخرجاً³⁴.

وبالعودة إلى أسباب الإدغام، والتماثل، والتقارب، والتجانس، فإن التماثل في اللغة من: مثل ومثل وشبه وشبه، بمعنى واحد، والمثل: الشبه والنظير³⁵. أما في الاصطلاح: فهو أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون فيهما الإدغام، فيدغم الأول في الآخر، والأول من الحرفين في ذلك على ضربين: ساكن ومتحرك، فالمدغم الساكن نحو: دال (شد) ولا م (معتل)³⁶. وهما الصوتان

أو الحرفان اللذان اتحدا مخرجاً وصفة واسماً ورسماً، كالميمين أو النونين والكافين، ويكون أولهما ساكناً والثاني متحركاً، فإذا التقيا يدغم الأول في الثاني، ليصبا حرفاً واحداً مشدداً، ويكون لإرادة الخفة في النطق، في مثل: "اضرب بعصاك البحر" الأعراف: 160، وتلفظ: (واضربْ عَصاك البحر)، وقوله: "ويجعل لك قصورا" الفرقان: 10، وتلفظ: (ويجعلُك قصورا)³⁷. وإدغام المثليين واجب بشروط: أن يسكن الأول نحو: (اضرب بَكرًا)، ولم يكن (هاء) سكت، بخلاف (ماليه هلك)، فإنها إذا وصلت ينوى الوقف عليها، ولا تبدأ بما بعدها، فيتعين الفك، ولهذا أظهرها القراء عند الوصل، ولم يدغموها، ورواية ورش بالإدغام، وهو ضعيف من جهة القياس³⁸. تتبين من هذا أن في (ماليه هلك) وجهين: الإدغام والإظهار، والإظهار مع السكت عندهم أرجح وأقرب، لأن أول المثليين هاء سكت، وبالإدغام تُقرأ (ما ليهلك)، وبالإظهار تُقرأ: (ماليه هلك)، ويوقف على الهاء الأولى وقفة خفيفة من غير قطع النفس بنية استئناف القراءة، والإظهار مع السكت هو المقدم في الأداء عند حفص³⁹.

أما السبب الثاني الذي دعا إلى الإدغام، فهو التقارب، وهو من القرب: نقيض البعد، والتقرب: التدني إلى الشيء، قَرَبَ الشيء أي دنا فهو قريب، قال تعالى: "ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب"، والقرب: الدنو والقربة، يقال: بيني وبينه قرب⁴⁰، والتقارب في الاصطلاح هو شيء من هذا القبيل، فالحروف المتقاربة مخرجها إذا أدغمت فإن حالها حال الحرفين اللذين هما سواء في حسن الإدغام، وفيما يزداد البيان فيه حسناً، وفيما لا يجوز فيه إلا الإخفاء وحده، وفيما يجوز فيه الإخفاء والإسكان⁴¹. والمتقاربان هما الحرفان اللذان تقاربا في المخرج والصفة أو في المخرج دون الصفة، وكان الأول منهما ساكناً، فوجب الإدغام من غير غنة، ومسوغه في الإدغام هو التجاور⁴².

واعلم أن غير المثليين إذا تقاربا في المخرج، وسكن الأول أشبه المثليين اللذين هما من مخرج واحد، فجاز فيهما الإدغام ما لم يمنع ذلك مانع، وهو يحسن في غير المثليين، ويتقوى إذا سكن الأول، وهو على ضربين: أحدهما إذا كان الحرفان متقاربين في المخرج، والحرف الأول أضعف من الثاني، فيصير بالإدغام إلى زيادة قوة، لأنك تبدل من الأول حرفاً من جنس الثاني، فإذا فعلت نقل لفظ الضعيف إلى لفظ القوة، فذاك حسن جيد، والضرب الثاني، أن يكون الحرفان المتقاربان في القوة سواء كالمثليين فيحسن الإدغام، إذ لا ينتقص الأول من قوته قبل الإدغام، وضرب ثالث من إدغام المتقاربين ضعيف قليل، وهو أن يكون الحرف الأول أقوى من الثاني، فيصير بالإدغام أضعف من حاله قبل الإدغام⁴³.

ومن الإدغام في المقاربة التي يدغم بعضها ببعض: الهاء مع الحاء، كقولك: (اجبه حملاً)، البيان أحسن لاختلاف المخرجين، والإدغام فيها عربي حسن لقرب المخرجين، والقاف مع الكاف، كقوله: (الْقَ كَلَدَة)، الإدغام حسن والبيان حسن، وإنما أدغمت لقرب المخرجين، وأنهما من

حروف اللسان، واللام مع الراء، نحو: (اشْغَلْ رَحْبَةً) لقرب المخرجين، ولأن فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجري الصوت سواء، والإدغام أحسن، والنون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهي مثلها في الشدة، وذلك قولك: مِنْ رَاشِدٍ، وَمَنْ رَأَيْتَ، وتدغم بغنة وبلا غنة، وتدغم في اللام، لأنها قريبة منها على طرف اللسان، وذلك قولك: مِنْ لَكْ، فإن شئت كان إدغاماً بلا غنة، فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإن شئت أدغمت بغنة، لأن لها صوتاً من الخياشيم فترك على حاله، لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيب فيغلب عليه الاتفاق، وتدغم النون مع الميم، لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى إنك تسمع النون كالميم، والميم كالنون، وإن كان المخرجان متباعدين، إلا أنهما اشتبها لخروجهما جميعاً في الخياشيم⁴⁴. ومن إدغام المتقاربين في مثل: (لهذمت صوامع)، حيث تتلاقى صفات الإطباق والاستعلاء بالصغير والهمس بين الصاد والتاء التي أدغمها نفر من القراء، فتؤلف صوتاً متشاكلاً يوحي بهما، تسمعها الأذن، ولا تتنافر فيما بينهما في النطق، ولا سيما إذا كانت القراءة درجاً أو تدويراً⁴⁵.

وقبل الحديث عن إدغام المتجانسين سوف نقف عند إدغام بعض الحروف المتقاربة، كما وقف عندها اللغويون، ففقدوا لهذه الحروف أبواباً خاصة، ومن هذه الحروف حرف (اللام)، حيث وقفوا عند إدغام اللام وقفة متأنية، معللين الأسباب التي دعت إلى إدغام حرف اللام مع كثير من الحروف ومفسرين لها، ومما ذكره سيبويه قوله: ولam المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً، لا يجوز منها معهن إلا الإدغام، لكثرة لام المعرفة في الكلام، وكثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان، وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان، فلما اجتمع فيهن هذا، وكثرتها في الكلام لم يجز إلا الإدغام⁴⁶. وعلل مكي القيسي مماثلة لام التعريف لهذه الأصوات، بقوله: وعلة إدغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم، فلما سكنت ولزمها السكون أشبهت اجتماع المثليين، والأول ساكن، وكثر الاستعمال لها، مع أن أكثر هذه الحروف أقوى من اللام، ليس منها ما ينقص عند قوة اللام، إلا التاء، فكان في إدغامها فيهن قوة لها، فأدغمت فيها لذلك، ولا تدغم في باقي حروف الفم لتباعدها عن مخرج الفم، فهن في الصفة أو في القوة⁴⁷. وقد علق فوزي الشايب على رأي مكي السابق: ومماثلة لام المعرفة لهذه الأصوات يرجع كما قال مكي إلى تقارب المخارج، فكان تتابع اللام لما بعدها لكون اللام هي الأضعف في مثل هذه الحال، لأن لام التعريف أبداً ساكنة، وسكونها يعني أنها في نهاية مقطع مغلق، بينما الأصوات التالية لها تمثل بداية مقطع قصير، ولهذا كانت هي الأقوى فأثرت في اللام، فجعلتها مثلها، والتاء كذلك بحسب موقعها، فليس كما قال مكي بأنها أضعف من اللام، بل هي الأقوى هنا، لأنها تمثل بداية مقطع قصير، كما كانت أقوى في (فَعَلَتْ) في مثل: (وجدت) (وجت)، و(أردت) (أرت)، ومما يؤكد هذه الحقيقة ما ذكره سيبويه في باب

إدغام المتقاربين، نحو: اسلخ غنمك، اسلغنمك، حين تغلبت الغين على الخاء ليس لكونها مجهورة، وإنما لكونها في بداية مقطع، فالتفاوت بينهما في القوة يرجع إلى موقع كل منهما في المقطع، هذا مبدأ عام، وقانون صوتي مطرد، فالصوتان المتقاربان متى اتصلا في النطق اتصالاً مباشراً، فالذي في نهاية المقطع لا بدّ من مماثلته لما بعده⁴⁸.

ما سبق كان في لام المعرفة، أما إذا كانت غير لام المعرفة، نحو: لام (هَلْ وَبَلْ) فإن الإدغام في بعضها أحسن، وذلك، قولك: هرايت، لأنها أقرب الحروف إلى اللام، وأشبهها بها، فصارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد، وإن لم تدغم فقلت: هل رأيت، فهي لغة أهل الحجاز، وهي عربية جائزة⁴⁹. وحجة من أدغم (هَلْ وَبَلْ) لما لزم لاهما السكون أشبهتا لام التعريف، فجاز فيهما من الإدغام معهن ما لا يجوز مع لام التعريف إلا هو، وحجة من أظهر أن لام (هَلْ وَبَلْ) منفصلتان من الكلمة التي بعدهما، ففارقنا لام التعريف المتصلة بما بعدها⁵⁰.

وعلق الفضلي على قول مكي بقوله: واختار ابن كثير ونافع -هما حجازيان- الإظهار متأثرين ببيئتهما، واختار الكسائي الإدغام - وهو عراقي- متأثراً ببيئته، من هنا ندرك علة اختيارات القراء بعيدين عن تكلف ما ذكره مكي من حجج غير ناهضة بالتعليل⁵¹. ونصر علماء القراءات على وجوب إدغام لام (هَلْ وَبَلْ) في الراء إذا اتصلت بها، بسبب قرب المخرج، ومن ثم فقد قرأ بعض القراء "بل ران على قلوبهم" المطففين:14، قرئ بإدغام اللام في الراء، وبالإظهار، والإدغام أجود⁵². واللام في الراء حسن، وهو قوله تعالى: "بل ران"، لأنك تبدل من اللام حرفاً أقوى من اللام بكثير، فذلك مما يقوي جواز الإدغام⁵³. والذين لا يدغمون اللام في الراء هنا وفي السياقات المماثلة، فإنهم يضطرون للوقوف على اللام قليلاً ثم يبدأون بعد ذلك بـ (ران) كي يكون الوقوف فاصلاً بين الصوتين، وهذا ما فعله نافع وحمزة وحفص، ولو وصلوا بين الصوتين لوجب مماثلة اللام للراء، ولكنهم فصلوا بينهما كي لا تلتبس بـ (فعال) أي حتى لا يظل السامع أنهما كلمة واحدة⁵⁴. وهذا الحكم يسري على اللام في (هَلْ وَبَلْ وَقُلْ) في جميع السياقات المماثلة، وذلك في مثل قوله تعالى: "بل رفعه الله إليه" النساء:158، قال العكبري: الجيد إدغام اللام في الراء، لأن مخرجهما واحد، ولا نقول الجيد بل الواجب هنا، وذلك إذا ما وصلنا في القراءة بينهما، ولم نقف قليلاً على اللام، وقد أجمعت القراء على مماثلة اللام للراء في مثل: "قل ربي أعلم" الكهف:22، "وقل ربّ زدني علماً" طه:114، نظراً للقرب الشديد بينهما في المخرج، وفي الكلام العادي نقول: (هرايت) في (هَلْ رأيت)، وقد قرأ أبو عمرو "هَثُوب الكفار" المطففين:36، يريد هل هَثُوب⁵⁵.

أما السبب الثالث الذي دعا إلى الإدغام فهو التجانس، والتجانس في اللغة من جانسه: شاكله، والحد في جنسه، وتجانساً: اتحدا في الجنس⁵⁶. وفي الاصطلاح: هما حرفان اتحدا مخرجاً واختلفا صفة أو في بعض الصفات، والتجانس أحد أسباب الإدغام، ولكن هذا لا يعني

بالضرورة أن يدغم كل متجانسين، فالقراء أدغموا حروفاً معينة من المتجانسين عندما يتجاوران مجاورة مباشرة، حيث أدغموا الباء الساكنة في الميم بعدها مع مراعاة غنة الميم في قوله تعالى: "يا بني اركب معنا" هود:42، وتقرأ (اركمعنا)⁵⁷. فإدغام الباء في الميم يسوغه من الناحية الصوتية أن مخرج كل منهما الشفتان، وأنه لا فرق بين الباء والميم إلا في أن الهواء مع الأولى يتخذ مجراه من الفم، ومع الثانية يتخذ مجراه من الأنف، فعملية الإدغام هنا هي مجرد انتقال الصوت الأول من بين أصوات الفم إلى نظير له بين أصوات الأنف⁵⁸. وفي الآية السابقة "يا بني اركب معنا" عللها أحد المحدثين بقوله: إنه لا يوجد هنا مماثلة بين الباء والميم، فالباء لم تقلب ميماً بتأثير الميم فيها، ولم تدغم الباء في الميم لمجاورتها لما هو مدغم قبلها أو بعدها، والأمر ما هو إلا حذف وتعويض، وهو عملية اختيارية، فإذا أردنا الحذف عوضاً عن هذا الحذف، وإذا لم نرد أبقينا كل شيء على ما هو عليه، أما الآيات، فهي تحكمها الرواية، فما ورد فيها من حذف وتعويض نجعله كذلك، وما ورد على الأصل نجعله أيضاً كذلك، وقد مثل ذلك بالكتابة الصوتية في الآية الكريمة: "يا بني اركب معنا" والتي تقرأ عند الحذف والتعويض (اركمعنا) وهذا التطور الذي جرى عليها هو:

الصورة الأولى: > ir/ kab/ ma / >ana

الصورة الثانية: >a/ na- / ma / -ir/ka

الصورة الثالثة: >a/ na- / ma / ir/ kam

فالصيغة الأولى هي الأصل، عندما جرى عليها التطور إلى غير هذه الصيغة، حذف منها حرف الباء الذي هو حد إغلاق للمقطع الصوتي الثاني، مما أدى إلى إحداث فجوة في الصيغة، وهذا ما تمثله الصيغة الثانية، وهنا لا بدّ من تعويض موقعي تغلق المقطع الذي زال حدّ إغلاقه، إذ تمّ تعويض ذلك بتضعيف الصوت الذي ابتدئ به في المقطع الذي يليه، وهذا الصوت هو صوت الميم، وهذا ما تمثله الصيغة الثالثة⁵⁹. وهكذا يمضي الباحث مع حروف الإدغام، فهي عنده عبارة عن حذف وتعويض، سواء أكان ذلك في المماثلة أم في المخالفة.

لا تتفق مع الباحث فيما ذهب إليه من أن الباء والميم لا يوجد بينهما مماثلة، وأن الأمر لا يعدو أن يكون عملية حذف وتعويض، وجعلها عملية اختيارية، لأن قوانين اللغة لا تستند إلى اختيارنا متى أردنا، فالإدغام حدث فيهما لقوة حرف الميم من الغنة التي فيها، والجهر والشدة كذلك، وعند إدغامها بالباء تنقل الباء إلى حرف أقوى منها، لأننا نبدل من الباء عند الإدغام ميماً، هذا من ناحية، والناحية الثانية، أنهما اشتركا في المخرج فمخرجهما من الشفتين.

وفي قوله تعالى: "يلهث ذلك" الأعراف 176 ، أدغموا الثاء في الذال، والإدغام هنا واضح، لأنه لا فرق بين الثاء والذال، إلا أن الأولى مهموسة والثانية مجهورة، فعندما يجهر بالثاء تصبح ذالاً، وبذلك يكون الإدغام قد حصل بين صوتين متماثلين كل المماثلة⁶⁰.

ومن صور الإدغام التي اعتنى بها اللغويون عناية خاصة، إدغام النون الساكنة والتنوين، وقد أفرد لهما العلماء أبواباً، لكثرة ورودهما، ولتأثرهما بما يجاورهما من أصوات، فتدغم النون الساكنة بلا غنة في الراء واللام، وبها في مثلها، والميم والواو والياء، وتظهر عند الحلقية، وتقلب ميماً عند الياء، وتخفى عند البواقي⁶¹، والنون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهي مثلها في الشدة، وذلك قولك: مِنْ رَأْشِدٍ، ومن رأيت، وتدغم بغنة وبلا غنة، وتدغم في اللام، لأنها قريبة منها على طرف اللسان، وذلك قولك: مَنْ لَكَ، فَإِنْ شئتَ كان إدغاماً بلا غنة، فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإن شئتَ أدغمت بغنة، لأن لها صوتاً من الخياشيم فترك على حاله، لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيب، فيغلب عليه الاتفاق، وتدغم النون مع الميم، لأن صوتها واحد، وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى إنك تسمع النون كالميم، والميم كالنون، فصارتا بمنزلة اللام والراء في القرب، وإن كان المخرجان متباعدين، إلا أنهما اشتبهتا لخروجهما جميعاً من الخياشيم، وتقلب النون مع الباء ميماً، لأنها من موضع تعتل فيه النون، ولم يجعلوا النون باءً لبعدها في المخرج، وليس فيها غنة، ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم، وذلك، قولهم: مَمْبِكُ، يريدون: مَنْ بَكَ، وشَمْبَاءُ، وعَمْبَرُ، يريدون: شنباء، وعنبراً، وتدغم النون مع الواو بغنة وبلا غنة، لأن الياء أخت الواو، وهي مع الراء واللام والياء والواو، إذا أدغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشيم، ولكن صوت الفم أُشرب غنة، ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها فيهن، حتى تصير مثلهن في كل شيء⁶².

ومن صور المماثلة الكلية المدبرة المتصلة مماثلة النون الساكنة لكل من اللام والميم والراء والياء عندما تتصل بها، وهو ما يعرف في الاصطلاح بـ (إدغام النون)⁶³، فالصوت المطبق إذا اتصل بنظيره المرقق كانت النتيجة الحتمية صوتاً واحداً طويلاً، والمجهور مع نظيره المهموس سيفرز حتماً صوتاً واحداً طويلاً، إما مجهوراً، وإما مهموساً، بحسب الموقع الذي يحتله كل منهما في السياق، والنون المشكلة بالسكون يجب أن تنطق ميماً متى وقعت قبل الباء، ويجب أن تفنى في الميم واللام والراء والواو والياء إذا اتصلت بها، فأما إذا ما وجدناها تظهر قبل هذه الأصوات في بعض السياقات، نحو: شاة زَنَماء، وَغَنَمَ زُنَمَ وَغَنَمَ... فلا يعد مثل هذا خرقاً لهذه القاعدة المطردة، ولا تخلفاً للقانون الصوتي، فالذي عطل عمل القانون الصوتي هنا هو عمل قانون آخر، وهو خشية اللبس بين الأبنية، حتى لا يلتبس المشدّد بغير المشدّد، ولهذا توقف عمل القانون الصوتي هنا، منعاً لحدوث اللبس، فإذا لم يكن هناك مجال للبس أخذ القانون الصوتي مجراه، وعمل عمله بشكل حاسم، ولهذا نجد النون تحولت إلى ميم في كل من: أَمَّاز

وامْحَى، فالأصل فيهما: انماز، وانمحي، قال سيبويه: ألا تراهم قالوا امْحَى حيث لم يخافوا التباساً؛ لأن هذا المثال لا تضاعف فيه الميم⁶⁴.

ومن أمثله كذلك مماثلة النون في: عَنَ، وَمِنْ، وَأَنْ، وَإِنْ، الأصوات المتوسطة بعدها، وذلك مثل (عَمَ) ف قوله تعالى: "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ"، وهي في الأصل: عَن + ما، وقد موثلت لكل من اللام والراء في قولنا: مَلِيَ بِذَلِكَ؟ أي مَنْ لِي بِذَلِكَ، ومَرَأَيْت؟ أي مَنْ رَأَيْت؟ ومما جاء مثله في القرآن الكريم "إلا تنصروه" فهذه أصلها: إِنْ + لا، وفي المثل العربي: (إلا خطية فلا آلية) أي: إِنْ لا، وبالنسبة لـ (أَنْ) المفتوحة فقد موثلت للام بعدها في قوله تعالى: "أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ"، وكذلك في قوله تعالى: "ما منعك ألا تسجد"، ومثله: "أشهد ألا إله إلا الله"، فألاً = أَنْ + لا، ففي جميع هذه الأمثلة موثلت النون للام، وقد موثلت النون في (أَنْ) للراء بعدها، وذلك في قوله تعالى: "أَنْ رَأه استغنى" حيث تنطق (أَرَاه)⁶⁵.

امتناع الإدغام:

قد تجتمع في الحروف التي تدغم الشروط التي اشترطت للإدغام، ولكن يُعدل عن الإدغام، وإن كان هو القياس، لأمر عدة: أولها: الالتباس، أي: التباس الأصول بعضها ببعض، فقد تركوا الإدغام في كلمات جاءت فيهن النون ساكنة قبل الميم، وتكون ساكنة مع الميم إذا كانت من نفس الحرف بيّنة، وذلك قولك: شاة زُئما، وَعَنَمُ زُئم، وقنواء وقنيّة، وكنيّة ومنيّة، وإنما حملهم على البيان كراهية الالتباس، فيصير كأنه من المضاعف، ألا تراهم قالوا: امْحَى، حيث لم يخافوا إلباساً، لأن هذا المثال لا تضاعف فيه الميم⁶⁶، وإذا كانت القوانين الصوتية تقضي بالحذف، أو التخلص من تكرير صوت واحد مرتين، نحو: شدد- شدد، وأكرم - أكرم، فإن هذا القانون الصوتي لا ينقصه وجود مثل: طَلَل، وشَرَر، وسُرُر، وحِلَل، ولا مثل: قَرَدَد، ومَهْدَد، ورَمَدَد، فليس الإبقاء على المثليين متتابعين لأجل خفة الثلاثي، أو لأجل أن (فَعَل) من الأبنية المختصة بالأسماء، ولا الإبقاء على المثليين في الأمثلة الثانية، لأجل الإلحاق، إنما العلة في ذلك هو خشية اللبس فيما لو حذفنا أو وصلنا المثليين ببعضهما، ففي الحالة الأولى، سيلتبس: طَلَل بطل، والشَرَر بشر، والسُرُر بسر، والحَلَل بحل... كما أننا لو وصلنا بين المثليين في الأمثلة الأخرى، حدث لبس بين (فَعَلَل) وبين (فَعَل) نحو: معدّ، وبين (فَعِلَل) و(فَعِل)، نحو: فلنر، وبين (فَعَل)، نحو: مُمَد⁶⁷. وذكر العلماء سبباً آخر لم يدغموا لأجله، وهو أن يكون الحرف الثاني من المثليين مزيداً للإلحاق نحو: جلبب، وشملل، لأنه لو أدغم للزم أن يكون (جَلَبَب، وشَمَلَل) والزيادة كانت للإلحاق ببناء درج، وعند الإدغام يخرج عن كونه موازناً للفعل درج، وإذا ضاعفت اللام وكان فعلاً ملحَقاً ببنيات الأربعة، لم تدغم، لأنك إنما أردت أن تضاعف لتلحقه بما زدت بدرجة ومجلدت، وذلك قولك: جلببته فهو مجلبب، وتجللب ويتجللب أجريته مجرى تدحرج ويتدحرج في الزنة⁶⁸.

وآخر سبب ذكر لترك الإدغام هو التخفيف، وقد أسلفنا أن الإدغام يجاء به لضرب من التخفيف، فإذا أدى الإدغام إلى فساد عدل عنه إلى الأصل، وكان احتمال التثقيب مع عدم الفساد أسهل من الإدغام مع الفساد، واختصار الجهد المبذول في النطق وتقريب الأصوات بعضها من بعض⁶⁹.

خاتمة:

إن كل الأصناف التي تناولتها ظاهرة الإدغام، إنما تمثل تناسقاً إيقاعياً في تلاوة القرآن الكريم بخاصة، وفي اللغة العربية بعامة، لا تؤديه ظاهرة أخرى على هذا النحو من التنوع في أصوات الألفاظ، خاصة في التركيب القرآني، فإن ظاهرة الإدغام في القرآن الكريم ظاهرة قوية لاتصالها بأكثر أصوات اللغة، وفي الإدغام يتم تلاقي صفات متضادة فيما بينها، لتكون جمالاً من نوع جديد، فتلاقي صفات الإطباق والاستعلاء بالصفير والهمس، إنما تؤلف صوتاً متشاكلاً يوحي بهما تسمعها الأذن بكل قبول وانسجام، بحيث لا تلمس فيها أي نشاز أو نفور، ولعل التنوع بين أنواع الإدغام عند النون الساكنة والتنوين، وتفاوت مراتب الغنة عند ظهورها أحياناً أخرى، والجمال المسموع الذي تلقى عليها صفات الحروف، والجمال الذي اتصفت به هي على انفرادها، زادها على جمالها جمالاً، وعلى حسناتها حسناً، فهي بمثابة التنوع الموسيقي بين درجات السلم الموسيقي التلقائي⁷⁰. ولذا فإن مجال هذا البحث، اقتصر على جوانب محددة بيّنت بعض جماليات الإدغام، فيما عرض له من إشرطات اللغويين، وتبيان حدّه وغاياته وأسبابه وتجليات تمثّلاته في أصوات العربية في الاستخدام وفيما ورد في القرآن الكريم.

Harmony in Sound Assimilation in Arabic: the Quranic Recitation as a Model

Fawziyah Ali Al-Qudah and Mariam Jabr Freihat, *Department of Arabic Language, Irbid University College, Al- Balqa' Applied University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The research investigates one of the aspects of Arabic, namely, the aspect of assimilation in the sound of this language. It is an aspect related to sound and their interaction. This influence is relative which aims at sort of analogy or similarity between them. Added to their proximity is their closeness in characteristics or in articulations. This influence, in its turn, leads to phonetic harmony between the sounds of language.

The research showed that these neighboring sounds differ in their impact on each other. A sound may lose some of its characteristics in order to be close or in harmony with the characteristics of other neighboring sounds. However, this influence may lead to the nonexistence of this sound by the effect of a neighboring one in a way that it disappears. Scholar called this sound disappearance assimilation. The recitation of the Holy Quran has represented the perfect model of assimilating sounds. Therefore, most of the instances have been derived from verses of the Holy Quran as well as from other instances of Arabic sounds.

The research has revealed that all similar Arabic sounds are likely to be assimilated, except for what scholars mentioned concerning referred to in regard to Al-Hamzah which cannot be assimilated with its like.

The research clarified the concept of assimilation, its conditions, reality, letters and its reasons. Finally, the reasons for refraining from assimilation, in spite of its due conditions, were mentioned.

الهوامش

- (1) سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 395هـ- 1975م، 437/4.
- (2) السابق نفسه، 4/ 477.
- (3) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، 1399هـ، 333/1.
- (4) القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط2، 143/1.
- (5) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد النجار، دار الهدى، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 139/2.
- (6) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 204/1.
- (7) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 280/6.
- (8) عبد التواب، رمضان، التطور الصوتي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، 22.
- (9) الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، 2004، 214.
- (10) بني حمد، أحمد سالم، المماثلة والمخالفة بين ابن جني والدراسات الصوتية الحديثة، مؤسسة حمادة، 65.
- (11) عبد التواب، رمضان، التطور الصوتي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، 37.
- (12) الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، 2004، 69.
- (13) ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بيروت، 122-121/10.
- (14) البغدادي، الشيخ جلال الحنفي، قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، بغداد، 1987، 223-220.
- (15) ابن جني، الخصائص، 139/2 - 140.
- (16) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، 223-222.
- (17) ابن جني، الخصائص، 139/2.
- (18) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 204/1.
- (19) السابق نفسه، 206/1.

- (20) شكري وآخرون، خالد وأحمد مفلح، المنير في أحكام التجويد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، المطابع المركزية، عمان، 2005، 160.
- (21) القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، 134/1، وشرح ابن يعيش، 131/10.
- (22) عتيق، عبد العزيز، المدخل إلى علم الصرف، دار النهضة العربية، بيروت، 20، الخليل، عبد القادر مرعي، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، بحوث ودراسات، عمان، ط1، 2002، 160، وقواعد التجويد، 113.
- (23) سيبويه، الكتاب، 446/4 – 447.
- (24) ابن يعيش، شرح المفصل، 134/10 – 135.
- (25) قواعد التجويد، 223-224.
- (26) المنير، 159، وعلم التجويد، 63-64.
- (27) تهذيب اللغة، باب الخاء والجيم، ولسان العرب، باب الخاء فصل الميم.
- (28) أنيس، إبراهيم، وزملاؤه، المعجم الوسيط، قام بإخراجه ط2، دار الفكر، 225/1.
- (29) السابق نفسه، 225/1.
- (30) المنير، 103.
- (31) سيبويه، الكتاب، 431/4.
- (32) الأزهرى أبو منصور، تهذيب اللغة، حققه وقدم له عبد السلام هارون، راجعه محمد علي النجار، 48/1.
- (33) سيبويه، الكتاب، 433/4، ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، إدارة إحياء التراث القديم، 52/1، وشرح المفصل، 123/10، وهمع الهوامع، 288/6.
- (34) المنير، 104-105.
- (35) تهذيب اللغة، حرف الميم، والمعجم الوسيط، 854/2.
- (36) ابن جني، الخصائص، 140/2.
- (37) المنير، 163، ووجوه الإعجاز الموسيقي، 90، عثمان، حسني شيخ، حق التلاوة، ط9، مكتبة المنار، الزرقاء، 1990، 54.
- (38) السيوطي، همع الهوامع، 281/6.
- (39) المنير، 164، وعلم التجويد، 124.
- (40) تهذيب اللغة، حرف القاف، لسان العرب، باب القاف، فصل الباء، مدكور، إبراهيم، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، رئيس المجمع، ضيف، شوقي، 1990، باب القاف، 495، والمعجم الوسيط، 723.

- (41) سيبويه، الكتاب، 446-445/4.
- (42) المنير، 166-165، وحق التلاوة، 155.
- (43) الكشف عن وجوه القراءات السبع، 135-134/1.
- (44) سيبويه، الكتاب، 453-449/4.
- (45) وجوه من الإعجاز الموسيقي، 92.
- (46) سيبويه، الكتاب، 457/4.
- (47) الكشف عن وجوه القراءات السبع، 141/1.
- (48) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، 215-214.
- (49) سيبويه، الكتاب، 457/4.
- (50) الكشف عن وجوه القراءات السبع، 154-153/1.
- (51) الفضلي، عبد الهادي، اللامات، دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية، دار القلم، بيروت، 1980، 21.
- (52) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 722/42، والبحر المحيط، 617-616/8.
- (53) الكشف عن وجوه القراءات السبع، 158/1.
- (54) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، 216-215.
- (55) السابق نفسه، 216.
- (56) المعجم الوسيط، 140/1.
- (57) المنير، 164، وعلم التجويد، 125-124، وحق التلاوة، 166-157.
- (58) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979، 189.
- (59) المماثلة والمخالفة بين ابن جني والدراسات الصوتية الحديثة، 30-29.
- (60) المنير 164، وعلم التجويد، 125-124، وحق التلاوة، 161-157.
- (61) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حققه وقدم له محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، 1967، 323.
- (62) سيبويه، الكتاب، 454-452/4، وانظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، 167-161/1، وشرح المفصل، 145-144/10.
- (63) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، 216.
- (64) السابق نفسه، 31-30.

- (65) السابق نفسه، 216-217.
- (66) سيبويه، الكتاب، 4/455، وانظر: النعيمي، حسام سعيد، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، 352.
- (67) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة.
- (68) المدخل إلى علم الصرف، 22، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية، 161.
- (69) التشكيل الصوتي في اللغة العربية، 161.
- (70) وجوه من الإعجاز الموسيقي، 90-95.

المصادر والمراجع:

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد النجار، دار الهدى، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، إدارة إحياء التراث القديم.
- ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حققه وقدم له محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي.
- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.
- ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بيروت.
- الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، حققه وقدم له عبد السلام هارون، راجعه محمد علي النجار. أنيس، إبراهيم، وزملاؤه، المعجم الوسيط، ط2، دار الفكر.
- البغدادي، الشيخ جلال الحنفي، قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، بغداد، 1987.
- بني حمد، أحمد سالم، المماثلة والمخالفة بين ابن جني والدراسات الصوتية الحديثة، مؤسسة حمادة.
- الخليل، عبد القادر مرعي، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، بحوث ودراسات، عمان، ط1، 2002.

الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سيبويه، **الكتاب**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 395هـ-1975م.

السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطي، جلال الدين، **همع الهوامع**، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.

الشايب، فوزي، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة**، عالم الكتب الحديث، إربد، 2004.

شكري، خالد، أحمد، وآخرون، **المنير في أحكام التجويد**، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، المطابع المركزية، عمان، 2005.

عبد التواب، رمضان، **التطور الصوتي مظاهره وعلله وقوانينه**، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي.

عتيق، عبد العزيز، **المدخل إلى علم الصرف**، دار النهضة العربية، بيروت.

الفضلي، عبد الهادي، **اللامات**، دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية، دار القلم، بيروت، 1980.

القيسي، مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط2.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، 1399هـ.

مدكور، إبراهيم، **المعجم الوجيز**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، رئيس المجمع، ضيف، شوقي، 1990.

النعمي، حسام سعيد، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.

لغة الصحافة مادة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

هالة حسني بيدس ومنى صالح العجومي*

تاريخ الاستلام 2015/12/14

تاريخ القبول 2016/1/19

ملخص

الصحافة ركيزة مهمة في تعليم العربية للناطقين بغيرها، حيث إنها وسيلة جوهريّة قادرة على المنافسة إذا ما أحسن استخدامها وتوجيهها إلى تحقيق الهدف، وثمة صلة متناغمة بين العربية والصحافة، إن وسائل الإعلام كافة ثمرة للعلوم جميعها، فهي تمتد المتعلم بمخزون لغوي غني يستأهل الطرح، وعليه فإن هذه الدراسة تسعى جاهدة إلى تبيان بعض القضايا اللغوية في الصحف اليومية الأردنية، وأهميتها في تعليم العربية للناطقين بغيرها.

تقوم الدراسة برصد لغوي للصحف اليومية الأردنية (الإعلام المقروء) وتحليل بياناتها وتفسيرها، وهي صحف: (الرأي، والدستور، والعرب اليوم، والغد)، بعرض نماذج لغوية وقعت فيها أخطاء، وتهتم بإبراز أسباب الأخطاء بمستوياتها اللغوية: الصرفية، والنحوية، والدلالية، والمعجمية، والإملائية.

تنحو الدراسة منحيتين: أولهما: الصحافة باعتبارها مادة حيّة لتعليم العربية للناطقين بغيرها، وثانيهما: رصد الأخطاء اللغوية بأثلة دالة من الصحف الأربع في مجالات شتى، ومن ثم تحليل تلك الأخطاء وتصويبها، والتعرّف إلى أسبابها، وتقديم مقترحات لعلاجها.

أما منهج الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي.

الكلمات المفتاحية: الصحافة، أخطاء لغوية، تعليم العربية للناطقين بغيرها.

مقدمة:

الصحافة مصدر صحف، وقد جاء في لسان العرب الصحيفَةُ التي يكتب بها، والجمع صحائف، وقد تجمّع الصحيفَةُ على صحفٍ، كما في قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}، وتعني الصحف في الآية الكريمة الكتب المنزلة عليهما، والمصحفُ والصحفيُّ الذي

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

يروى الخطأ عن قراءة الصّحف بأشبه الحروف مولدة، وفي القاموس: الصّحفيّ الذي يخطئ في قراءة الصّحف⁽¹⁾.

وأول من استعمل مصطلح الصّحافة نجيب حدّاد منشئ صحيفة لسان العرب في الإسكندرية في أواخر القرن التاسع عشر⁽²⁾.

إنّ لغة الصّحافة نثر وسيط بين النثر الفنيّ، أي لغة الأدب، والنثر العادي الذي يمثل لغة التّخاطب اليوميّ، يستقي من لغة الحياة اليوميّة سهولة فهمها للقراء، ومن النثر الفنيّ دقّة اختيار كلماته للتعبير عن المعاني المقصودة⁽³⁾.

والصحافة وسيلة إعلامية تمثّل لسان الأُمّة، وتسعى إلى نشر الأخبار، وتكمن أهميتها في المحافظة على حصانة اللغة بسلامة تراكيبيها وجودة سبكها والدقّة في اختيار الألفاظ للتعبير عن المعاني المراد إيصالها إلى جمهور المتلقين، وللصحيفة أثر كبير في تقويم الأسنة وتنقيف أبناء المجتمع ورفع سويتهم اللغويّة⁽⁴⁾.

إنّ الفرد يندمج في المجتمع بالّغة، وبها وحدها يتلقّى كلّ التّراث الفكريّ والشعوريّ والأخلاقيّ للأُمّة⁽⁵⁾، فالّغة وسيلتنا لإدراك العالم، وواسطتنا التي تحدّد المسافة بيننا وبين واقعنا⁽⁶⁾، وكما يقول أهل النّسيبة اللغويّة: "لغتي عالمي، وحدود لغتي هي حدود عالمي"⁽⁷⁾. وينبغي لنا ونحن نتكلّم عن الصّحف اليوميّة المقروءة أن ننّه إلى أنّ الصّحافة المكتوبة المقروءة موجّهة في الأصل إلى جمهور يتّصف بقدرته على القراءة والكتابة، وهو في ذلك يختلف عن الجمهور المتلقّي لوسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتلفاز وفصانيات⁽⁸⁾.

اختارت الدّراسة لغة الصّحافة مادة لتعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها لكونها تعكس الواقع الحضاريّ الاجتماعيّ المعيش، كما تقدّم صورة صادقة للتطور الأدبيّ واللغويّ في شتّى الفترات الزّمنية، بالإضافة إلى سرعة تأثيرها في المتعلّم، علاوة على سعيها دوماً إلى ابتكار تراكيب توائم الحياة المعاصرة، كما حصرت الدّراسة في الصّحافة المطبوعة لميزتها في منح القارئ الزمن المناسب لقراءتها والاطّلاع بتمهّل على محتواها⁽⁹⁾.

تمثّلت حدود الدّراسة في الصّحف اليوميّة: (الرأي، والدستور، والعرب اليوم، والغد) بوصفها أهمّ الصّحف الأردنيّة المقروءة التي تتابع المستجدّات على السّاحة المحليّة والإقليميّة والعالميّة، وتمكّن متعلّم العربيّة من غير أهلها من الاطّلاع على القضايا كافّة.

ثمّ كانت نظرة إلى المصطلحات والتراكيب المستخدمة في لغة الصّحافة الأردنيّة متمثلة بعيّنات من الصّحف الأربع ودورها في زيادة ذخيرة المتعلّم اللغويّة.

من جانب آخر رصدت بعض الأخطاء التي يجترحها الصحفيون في كتاباتهم، ثم حلّلتها تحليلًا منهجيًا وفق مستوياتها اللغوية، وحاولت استجلاء الأسباب الكامنة وراء تلك الأخطاء، مؤيدة ذلك بالأمثلة الدالة التي تحفل بها الصحف اليومية، وقد اتّكأت الدّراسة على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي.

لقد أثرت الدّراسة أن تشمل المستويات اللغوية لغة الخبر الصحفي بشتي أنواعه: الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والثقافي، والعلمي، والرياضي، والإعلاني، فلكل من هذه الأجناس الإعلامية خصائصه ومتطلباته المعرفية، ومفرداته، ومصطلحاته اللغوية والعلمية، مستثنية التراكيب المكررة في تلك الصحف ما أمكن ذلك.

وقد تناولت بعض المراجع الحديثة، ومنها "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال"⁽¹⁰⁾.

ثمة تساؤلات حاولت الدّراسة الإجابة عنها:

- ما آلية اختيار النصّ الصحفي لتعليم العربية للناطقين بغيرها؟
- كيف تُستخدم لغة النصّ الصحفي المقروء في تعليم العربية للناطقين بغيرها؟
- هل ثمة أخطاء لغوية تقع في صحف (الرأي، والدستور، والعرب اليوم، والغد) في مستوياتها (الصرفية، والنحوية، والإملائية والدلالية)؟ وما أسباب وقوعها؟
- ما الأساليب الحديثة التي يتبّعها المدرس في تصويب الخطأ ومعالجته؟

حدّدت الدّراسة فترة زمنية لتمثّل تلك العينة، (كانون الثاني وشباط من العام 2015). وكان الهدف أن تكون الأخبار الصحفية المنشورة حيّة وتمثّل نبض الشارع. ثمّ صنّفت المصطلحات والأخطاء في جداول، يشتمل كلّ منها على الخطأ، والصواب، والصحيفة، وتاريخ النشر، متبعة ذلك بالتحليل والتفسير.

الدّراسات السابقة:

يحظى تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها باهتمام كبير، لا سيّما في الآونة الأخيرة، وقد تعدّدت الدّراسات التي تبحث في المناهج وطرائق التدريس في هذا المجال، لكنّ القليل منها اهتم بلغة الصحافة، ودورها الحيويّ المؤثر في تعليم العربية لغير الناطقين بها، كونها تبحث في مختلف القضايا الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية، والسياسية المعاصرة، بأسلوب شائق بعيد عن الرتابة والملل، ومن الدّراسات التي يجدر الإشارة إليها:

- دراسة يوسلينا محمد (2004) التي عالجت التراكيب الاسمية العربية لأغراض الصحافة لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها، وأجرت دراسة تقابلية بين العربية والماليزية في مفهوم التراكيب الاسمية وقواعد ترتيبها، موضحة التركيب الإضافي، والنعتي، والموصولي، والإشاري، والعددي، والتمييزي، في كلتا اللغتين، ثم ناقشت أهداف الطلبة الماليزيين من دراسة العربية، ووقفت على الصعوبات ذات العلاقة بالتراكيب اللغوية التي يواجهها المتعلم في أثناء قراءته الصحف الأردنية، مع تحديد رغبات المتعلم في تعليم العربية لأغراض خاصة.

وقد خلصت إلى أن التراكيب الاسمية المستخدمة في الصحف العربية أكثر منها في الصحف الماليزية، بالإضافة إلى اعتماد الصحف العربية على التراكيب الاسمية أكثر من الفعلية، كما ذكرت أن الصحافة العربية تساعد الطلبة على تنمية المهارات اللغوية الأربع لديهم، وانتهت باقتراح وضع مساق دراسي لتعليم العربية لأغراض الصحافة⁽¹¹⁾.

- أما دراسة تشن جي (2011) فقد اجتهد الباحث في وضع أنموذج لاستخدام لغة الصحافة العربية مواد تدريسية رئيسة في عملية تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، موضحة أهمية لغة الصحافة العربية: فهي وثيقة عصرية متجددة المضامين، عدا عن ذلك فهي تشمل ميادين الحياة كلها التي يهتم بها الطلاب ويمارسونها بلغة فصيحة ميسرة.

كما بينت الدراسة كيفية انتقاء المواد اللغوية الصالحة من الصحف عارضة بعض النماذج من الأخبار الصحفية وكيفية تدريسها للناطقين بغير العربية، موضحة بعض الأخطاء اللغوية في الصحف كالخطأ في العدد، وصلة الموصول، وجواب الشرط، والصفة. وفي الخاتمة أوصى بتغيير نمط التعليم التقليدي من خلال إدخال لغة الصحافة في مقررات التدريس⁽¹²⁾.

- تناولت دراسة عمر محمد ورسمه (2014) تجربة معهد البخاري في الصومال في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بطريقة تواصلية واقعية سهلة، من خلال ربط مادة تعليم مهارتي الحديث والاستماع بالعربية المعاصرة التي تستخدم في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والصحف والمجلات والحوارات والمقابلات الصحفية.

اعتمدت المنهج الوصفي، كما رصدت طريقة تعليم العربية من خلال استعمال وسائل الإعلام كافة، حيث يدرس المتعلم تقارير صحفية، وحوارات حية تمس واقع الطلبة، يدور أغلبها حول الأحداث السياسية محلياً ودولياً وإقليمياً.

ثم وضحت طريقة استخدام لغة الصحافة باعتبارها مادة للتعليم الحي، إذ يمر الطلبة بثلاث مراحل: الأولى يتعلم الطالب فيها لغة الأخبار التي لا تتجاوز سطراً من مختلف الموضوعات؛ السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعلمية ضمن جمل وعبارات بسيطة، وفي المرحلة

الثانية يدرس تقارير صحفية، أما في المرحلة الثالثة فيتعلّم الطالب العربية من خلال تقارير صحفية طويلة. ويطلب منه كتابة تقارير عن الأحداث المحلية مبيناً وجهة نظره، ورابطاً خبرات التعلّم السابقة بالمعلومات الجديدة في النصّ.

إنّ ممارسة العربية من خلال حوارات وسجلات عن الحياة المعيشة بكلّ دقائقها يغني اللغة، ويغرس الثقة في نفوس المتعلّمين. فالمعلّم وإن كان دوره الظاهر في الصفّ يقتصر على قيادة الأوكسترا، فإنّ دوره في النهاية هو أساس العملية التعليمية كلّها⁽¹³⁾، فلفة الأخبار والصحف مرتكزات رئيسة في تعليم العربية للناطقين بغيرها. ويمكن توظيفها بشكل فاعل في تعرّف معاني المفردات والتراكيب الجديدة التي تمثّل مخزوناً لغوياً يتجدّد يومياً.

تعنى دراسة عودة أبو عودة (2014) بمشروع وطني أردنيّ للنهوض بالعربية نحو مجتمع معرفي، يقدم المشروع رؤية شاملة حول ماهية لغة الإعلام، ضمن فريق رصد لغويّ إعلامي يعي تماماً الصلة الوثيقة بين اللغة والإعلام ووسائل الاتصال كافة، تمّ رصد الأخطاء اللغوية في وسائل الإعلام ضمن مستوياتها (الإملائية، والنحوية، والصرفية، والمعجمية، والدلالية).

توصّلت الدّراسة إلى أنّ غياب الوعي الاجتماعيّ بأهمية اللغة الأم، وعدم وجود التشريعات التي تلزم الجهات المعنية بتطبيق الدّقة اللغوية بكلّ معاييرها⁽¹⁴⁾، من أهمّ الأسباب لوقوع الأخطاء اللغوية.

لغة الصحافة مادة لتعليم العربية للناطقين بغيرها:

يزخر العالم بآلاف اللغات، وكلّ لغة تحمل العالم في جوفها "واللغة هي الهواء الذي نتنفسه"⁽¹⁵⁾، وهي وسيلتنا إلى إدراك العالم الذي حولنا. ونظراً إلى شمولية اللغة وانتشارها فهي مسؤولية المجمع والجامع ومؤسسات التربية، وأجهزة الإعلام، فهي الأم التي ترعى كلّ ناطق بها⁽¹⁶⁾. فاللغة هي الذات وهي الهوية. فيرى العالم اللغويّ (إرنست رينان) إنّ اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وأنّ هذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب تفسيره، وقد انتشرت هذه اللغة سلسلة أيّ سلاسة، غنية أيّ غنى، فليس لها طفولة ولا شيخوخة⁽¹⁷⁾.

وعلى صعيد السياسة والاقتصاد فاللغة أشدّ الأسلحة الأيديولوجية ضراوة وفتكاً، بخاصة عندما فرضت القوى السياسية وقوى المال سيطرتها على أجهزة الإعلام كلّها. وممّا يمثّل صرخة تهزّنا لنحافظ على لغتنا العربية ونحميها من كلّ ما يكرّرها ونذود عنها، قول شاعر صقلية "أوجنازيو بوتينا" بحقّ اللغة: "إنّ الشعوب يمكن أن تكبّل بالسلاسل، وتسبّد أفواهها، وتشردّ من بيوتها، لكنها تبقى غنية، فالشعب يفتقر ويستعبد ما إن يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، عندئذ يضيع إلى الأبد"⁽¹⁸⁾. وتزداد يوماً عن يوم أهمية اللغة ودورها في الواقع المعيش، فقد

استحدثت اللغة لنفسها أدواتاً جديدة بعد أن تداخلت مع التكنولوجيا الجديدة من خلال الشائكة، فكان لا بد لها أن تؤدي دورها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي. وقد نبه بعض الباحثين بقولهم: "إننا لسنا بحاجة إلى اختراع لغة عربية جديدة، بل إلى تحسين طرق تدريسها وإلى تطوير أداء الناطقين بها"⁽¹⁹⁾.

على صعيد آخر، إن الصحافة تدخل كل بيت بنوعيتها: المقروء والمسموع، وتشكل مصدراً رئيساً لكثافة المعلومات اليومية وغزارتها وتمددتها، وهذه نقلة نوعية في عالم المعلومات، وفي الوقت نفسه تمثل اللغة أداة الصحافة ووعاءها⁽²⁰⁾، فممارسة اللغة يومياً في ميادين حياة تزود الطالب بالمصطلحات المختلفة، والعبارات، والتواصل الفكري الذي يطمح إليه في برنامج تعليم العربية للناطقين بغيرها. فالإعلام تعليم دائم ومستمر لكل الأجيال، كما يعد أهم مؤسسات التشكيل الثقافي.

أما ممارسة مهارة القراءة بمستوياتها المختلفة، فتشتمل على:

- القراءة المتجولة Skimming Reading

- القراءة الانتقائية Skipping Reading

- القراءة العادية Normal Reading

- القراءة المتعمقة In-depth Reading⁽²¹⁾

فالخطوة المثلى للوصول إلى القراءة الصحفية التي نريدها؛ "قراءة قاصدة، واضحة الأهداف، منضبطة المقاصد، مستندة إلى اجتهاد العقل وإعمال الفكر فيما يُقرأ. أضف إلى ذلك أن أفضل طريقة لتعليم اللغة وأيسرها إلى مسaire الطبيعة هي خلق بيئة سماعية تنطق فيها العربية الفصيحة بمفرداتها وتراكيبها وعبارات الثرية المضامين والدلالات"⁽²²⁾.

ومن الطرائق الجيدة لتعلم اللغة بسهولة الاستماع إليها، ومحاولة التحدث بها، ومحاكاتها، لما في ذلك من أهمية في تطوير اللغة⁽²³⁾.

فمادة الصحافة المطبوعة بلغتها العربية الميسرة، السليمة من الأخطاء، قوية السبك، مدرسة لتعليم العربية. فقد أرست همنغواي نصيحة للصحفي قائلًا: "استخدم جملاً قصيرة، فقرات قصيرة، ولغة ثرة، ولا تنس أن تبذل قصارى جهدك من أجل شفافية العبارة"⁽²⁴⁾.

تمثل لغة الصحافة نبض الشارع والحياة بنواحيها كافة، وهي جاذبة للتعلم، وأكثر استقطاباً من الكتب المؤلفة التي يدرسها الطالب في يومه الدراسي.

يقول تشين جي: "لكي نختار مادة لغوية تدريسية من الصحف ثمة معايير علمية دقيقة لانتقائها منها⁽²⁵⁾:"

- أن نختار مادة لغوية من الصحف الأكثر شهرة وذيوعاً.
- أن نختار المواد وفقاً لمستويات المتعلمين التي تتواءم مع اهتماماتهم، وتكون شائعة محبة لديهم.
- أن تشتمل على مفردات وتراكيب جديدة تزيد من مخزون المتعلم اللغوي، وتفيده في التعامل مع البيئة. وهكذا تمثل تحدياً في اللغة والمعرفة، فلغة الإعلام لغة وظيفية، توصف بأنها "تواصل خاص في المجتمع الإنساني، وتتميز بخاصية التراكم والاستمرار والقدرة على الانتقال"⁽²⁶⁾.

التطبيق:

أولاً: نموذج لدرس تطبيقي في مهارة القراءة لطلاب المستوى المتقدم
العنوان موسوم "ظريف: العالم لم يعد يدق طبول الحرب ضد إيران".

ظريف: العالم لم يعد «يدق طبول الحرب» ضد إيران

التي يشككون في نواياها نشاطاتها النووية دون اتفاق مع الغرب. وأكد ظريف أن الاحترام لايران ازداد منذ استئناف المحادثات رسمياً في ٢٠١٣، إلا أن عملية التفاوض اعاقها «وجود مفهوم خاطئ عند الغرب بشأن الكيفية التي يتفاوض فيها المسؤولون الإيرانيون». وأوضح «كانوا يعتقدون أن الإيرانيين.. يقتلون الوقت ويتفاوضون كتجار سجاد، ويقدمون تنازلات في اللحظات الأخيرة». وقال إن «هذا المفهوم الخاطئ لطريقة تصرفنا أدى إلى عدم تحقيقنا لأهدافنا في المفاوضات».

من جهة أخرى، أكد الرئيس حسن روحاني تصريحات ظريف بشأن المحادثات النووية وقال إن التحدي الحقيقي هو تحسين الاقتصاد الإيراني بعد سنوات من العقوبات.

وقال إن «المسار المستقبلي للبلاد هو مسار التنمية والتقدم والامل». وأضاف في تصريحات في مدينة جرجان الشمالية حيث سيفتتح اليوم خط للسكك الحديدية يربط بين كازاخستان وتركمانستان «لقد قبل العالم حقيقة أن الوقت قد حان لانتهاء هذه العقوبات الجائرة. واليوم يحتاج العالم إيران لامن المنطقة والعالم، وكذلك للازدهار الاقتصادي العالمي والاقليمي».

طهران - أ ف ب - قال وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف أن العالم لم يعد «يدق طبول الحرب» ضد إيران، عازياً ذلك إلى المحادثات النووية التي تجريها طهران مع الغرب.

وقال الوزير إن قرار استئناف المفاوضات التي تهدف إلى التوصل إلى اتفاق بشأن برنامج إيران النووي المثير للجدل خفف من التوتر ولن تتم العودة عنه.

إلا أن ظريف الذي قاد وفد بلاده في المحادثات مع القوى الكبرى الشهر الماضي وتم خلالها تمديد المهلة للتوصل إلى اتفاق نهائي حتى ٣٠ حزيران المقبل، نفى أن يكون فريقه يفاوض «مثل باعة السجاد، للحصول على اتفاق أفضل».

وقال في كلمة لطلاب في طهران نقلها التلفزيون مباشرة «يفضل هذه المفاوضات فقد أصبحت الجمهورية الإسلامية في إيران أكثر اماناً.. وأقل عرضة من السابق».

وأضاف «لم يعد أحد يستطيع بعد الآن دق طبول الحرب.. وقد اختفى الجو العدواني ضدنا. وأدرك العالم أن التفاهم المتبادل والمصالح المشتركة يمكن أن تؤدي إلى اتفاق».

وكانت إسرائيل والولايات المتحدة قالتا إن جميع الخيارات بما فيها الخيار العسكري لا تزال مطروحة إذا واصلت إيران

يتناول النصّ المقروء "المحادثات النووية التي تجريها طهران مع الغرب"⁽²⁷⁾، وهو نصّ سياسي، يعدّ مادة حية، وشائقة للطلبة الدبلوماسيين الناطقين بغير العربية، ويمثّل مشكلة مثيرة للجدل في الأوساط الدولية ضمن برنامج إيران النوويّ.

- الكلمات المفتاحية:

- استئناف المفاوضات - اتفاق / اتفاقية
- البرنامج النوويّ المثير للجدل - الوقت قد حان = أزف = آن
- تمديد المهلة - العقوبات الجائرة
- التفاهم المتبادل

يجب اتباع الخطوات الآتية لفهم الدرس المقروء:

أولاً: التمهيد للقراءة Pre-reading

- مناقشة الأفكار ذات العلاقة بالنصّ: (Brain Storming)

ثانياً: قراءة الفهم

قراءة الدرس قراءة واضحة متأنية.

الأفكار الرئيسة: Reading For main ideas

- دون المعلومات المطلوبة بعد قراءة هذا النصّ.
- 1- عمّ يتحدّث هذا النصّ؟
 - أ- ب- ج- د-
- 2- ما الشخصية الرئيسة في النصّ؟
 - أ- ب- ج- د-
- 3- ما وجهة نظر ظريف بشأن المباحثات حول البرنامج النوويّ؟
 - أ- ب- ج- د-
- 4- هل توافق رأي ظريف أنّ الجوّ العدوانيّ ضدّ الإيرانيين قد اختفى؟
 - أ- ب- ج- د-
- 5- من حسن روحانيّ؟ هو:
 - أ- ب- ج- د-
- 6- ما وجهة نظر حسن روحاني "بشأن المحادثات النووية؟
 - أ- ب- ج- د-

ثالثاً: اقرأ النصّ قراءة سريعة ثمّ ضع عنواناً يعبر عن الفكرة الرئيسيّة:

7 - ما العنوان الأكثر ملاءمة للنصّ المقروء؟

- أ- ب- ج- د-

رابعاً: تنمية المفردات: Vocabulary Building

8- ما مفرد الجموع الآتية الواردة في النصّ؟

- أ- الخيارات ب- العقوبات ج- باعة د- التجار

9- ما الضبط الصرفيّ الصّحيح لمصدر الفعل أعاق؟

- أ- ب- ج- د-

10- ما مفرد الكلمات الآتية التي وردت في النصّ المقروء؟

- أ- طبول ب- الخيارات ج- مصالح د- مسؤولون

11- تحت أي مادة نبحت عن كلمة جائرة في المعجم؟

- أ- ب- ج- د-

12- نكشف في المعجم عن كلمة يدقّ من مادة؟

- أ- ب- ج- د-

13- ما معنى كلمة يدقّ في جملة "يدقّ طبول الحرب"؟

- أ- ب- ج- د-

14- ما معنى كلمة الجائرة كما وردت في جملة "إنهاء هذه العقوبات الجائرة"؟

- أ- ب- ج- د-

15- ماذا يعني ظريف بقوله: "العالم لم يعد يدقّ طبول الحرب"؟

- أ- ب- ج- د-

16- ماذا تعني عبارة (باعة السّجاد) التي وردت في جملة "فريقه لا يفاوض مثل باعة السّجاد"؟

- أ- ب- ج- د-

17- ما معنى عبارة (الوقت قد حان لإنهاء العقوبات)؟

- أ- ب- ج- د-

خامساً: القراءة الناقدة: Critical Reading

18 - ماذا تريد إيران اليوم؟

أ- ب- ج- د-

19- ما وجهة نظر المسؤولين الإيرانيين عن سبب الاختلاف بين إيران والغرب؟

أ- ب- ج- د-

20- ما الحقيقة التي قبلها العالم بشأن إيران؟

21- ما الجمل الثلاث الفضلى لإعطاء موجز للنص؟

1- 4-

2- 5-

3- 6-

ثانياً: نصّ إعلانيّ

إعلان صادر عن مؤسسة الاتصالات

يتوجّب على المشتركين الذين يرغبون في الاستفادة من العرض التشجيعيّ أن يبادروا إلى دفع المبالغ المالية المترتبة عليهم.

- استُخدم الفعل (يتوجّب) في الإعلان استخداماً خاطئاً، وضّح ذلك؟

- اذكر الفعل الذي يجب استخدامه في هذا الموطن؟ (استعن بالمعجم).

ثالثاً: عُدّ إلى إحدى الصّفح اليومية المقروءة الأربع التي تصدر في الأردنّ (الدستور، والرأي، والغد، والعرب اليوم) واختر إعلاناً، واقرأه بإمعان، ثمّ حاول تحديد الأخطاء اللغوية الواردة، وصحّحها.

رابعاً: صحّح الأخطاء اللغوية التي تحتها خطّ في ما يأتي⁽²⁸⁾:

1- لا تسافر لوحـدك بالمرة.

2- وأداؤنا رغم بعض الملحوظات.

3- وبالتالي فإنّ رجال الأمن قاموا بواجبهم.

4- حيث أشاد الجانبان.

5- نحن لنا هويّة ونعتزّ بها.

6- وفي نهاية الأمر أوصى المشاركون وضع خطط.

- 7- حاولت الدراسة الإجابة على أمثلة.
- 8- وفي ذات السياق، ذكر المسؤول.
- 9- استمر المشروع ثلاث أشهر ونصف تقريباً.
- 10- كلما توغل في الوقت كلما ازدادت الإنجازات ألقاً.
- 11- ونقف هنا عند بعض المطالب والتي دعا مروجوها.
- 12- أن نتعاون مع بعضنا البعض.
- 13- مطلوب للعمل مدربين تربية خاصة.
- 14- هم لا يصلحوا لهذه المرحلة.
- 15- الذين يستحقوا الانضمام للنادي
- 16- لا تبكي يا حبيب العمر.

قراءات في الصحف الأردنية اليومية:

أخطاء اللغة في الصحف الأردنية رصدت في المجالات كافة، وصنفت وفقاً لمستوياتها اللغوية: (المستوى النحوي، والإملائي، والصرفي، والمعجمي والدلالي). وأشارت إلى الخطأ اللغوي وقومته انسجاماً مع اللغة الفصيحة، ثم حللته وردته إلى معياره الفصح. يذكر نهاد الموسى أن التصدي المنهجي للخطأ ينبغي أن يقوم على استقراء الأخطاء، ومحاولة تفسيرها، ووضع الترتيب المناسبة لتلافيها بواسطة وسائل الإعلام والتعليم التي تكفل لنا تعميم الصواب وإشاعته في الناس.⁽²⁹⁾

ولا يفوتنا أن نذكر أن إحصاء الخطأ ومشكلته والرؤية التشخيصية له يعدّ أول الطريق للعلاج والتصويب.

المستويات اللغوية:

أولاً: التراكيب النحوية:

تخفي أخطاء التراكيب النحوية في لغة الصحافة؛ لأنها تكتب غير مشكولة، لكن الدراسة رصدت العديد منها، ثم صنفت نوعيتها إلى أخطاء وقعت في العلامة الإعرابية، ثم أخطاء الإسناد والرتبة في الجملة الفعلية، كذلك في الجملة الاسمية، علاوة على أخطاء التوابع: كالنعت والتوكيد، بالإضافة إلى الأخطاء التي وقعت في القرائن وأدوات الربط وحروف الجر والإضافة⁽³⁰⁾، ومن هذه الأخطاء ما يأتي:

العدد:

جدول رقم (1)

الصَّحِيفَة/ التاريخ	الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
الرأي (2015-1-17)	وستشهد أربعة منصات للبيع	وستشهد أربع منصات للبيع	الخطأ في العدد

وردت في جريدة الرأي جملة (وستشهد أربعة منصات للبيع) وهذا التركيب يدل على ضعف في استعمال العدد، والجهل بقواعد كتابته، (ستشهد أربع منصات للبيع)، فالعدد المفرد من (3-9)، حكمه أن يخالف معدوده في الجنس، فإذا كان المعدود مؤنثاً تسقط تاء التأنيث من العدد، أما إذا كان المعدود مذكراً فتلحق تاء التأنيث بالعدد⁽³¹⁾.

التوايح:

جدول رقم (2)

الصَّحِيفَة/ التاريخ	الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
الدستور (2015/1/22)	وأضاف أن <u>نفس الإرهاب</u> يحاول استهداف اليهود في باريس	الإرهاب نفسه	أسلوب التوكيد المعنوي، (تقديم التوكيد على المؤكد)
الرأي (2015/2/7)	نكتب عن ذات <u>الملاحظات</u>	نكتب عن الملحوظات ذاتها	تقديم التوكيد على المؤكد
الرأي (2015/1/19)	أعاني من <u>نفس الشيء</u>	من الشيء نفسه	تقديم التوكيد على المؤكد
الغد (2015/1/22)	<u>ألحق بهم ضرراً كبيراً</u>	ضرراً كبيراً	النعته

أسلوب التوكيد:

ورد في لغة الصحافة بعض الأخطاء في أسلوب التوكيد ومنها جملة (وأضاف أن نفس الإرهاب يحاول استهداف اليهود في باريس) فالقاعدة النحوية تنص أن التوكيد المعنوي له ألفاظ معنوية منها: النفس والعين.. ويجب اتصالها بضمير مطابق للمؤكد⁽³²⁾.

فالكاتب هنا قدّم لفظ التوكيد نفس على المؤكد، وهذا يعدّ خطأ نحويًا، والصواب (وأضاف أن الإرهاب نفسه يحاول استهداف اليهود في باريس)، مما يؤدي إلى فساد المعنى المقصود.

أسلوب النعت:

لقد رُصدت في الصحافة الأردنية بعض التراكيب التي خرجت عن قواعد النعت، منها جملة (أَلْحَقْ بهم ضرراً كبيراً). فالنعت يتبع منعوته في التأنيث والتذكير⁽³³⁾، والمنعوت في الجملة السابقة مذكر، وهذا من باب عدم المطابقة بين النعت والمنعوت تذكيراً وتأنيثاً.

العلامة الإعرابية

جدول رقم (3)

الصحيفة/ التاريخ	الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
الغد (2015/1/17)	وعمل فيه شيء لخدمة المجتمع	وعمل فيه شيئاً لخدمة المجتمع	(حالة النصب)

وردت في لغة الصحافة الأردنية ممثلة بصحيفة (الغد) أخطاء في استعمال العلامة الإعرابية التي تختص بحالة النصب للمفعول به كما في (وعمل فيه شيء لخدمة المجتمع)، فحق المفعول به في كلمة شيء النصب⁽³⁴⁾ بتنوين الفتح: (شيئاً). وقد يفسر أن الكاتب وقع في خطأ قاعدة نصب الكلمة التي تنتهي بالهمزة المتطرفة، ومن الصواب كتابتها على نبرة ثم إضافة ألف مد إليها، ووضع التنوين فوق الهمزة، وقع الكاتب في خطأ إملائي بالإضافة إلى الخطأ النحوي.

استعمال حرف الجر غير المناسب، مثال ذلك:

جدول رقم (4)

الصحيفة/ التاريخ	الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
العرب اليوم (2015/1/17)	حركات اللجوء <u>للأردن</u>	إلى الأردن	استعمال حروف الجر
الدستور (2015/1/17)	كل الجهود التي تبذل <u>من أجل</u> تطوير المواقع	لأجل	استعمال حروف الجر
العرب اليوم (2015/1/17)	الرجل العنكبوت يعود <u>يدون</u> أندرو جارفيلد	دون	زيادة حرف الجر الباء مع دون
العرب اليوم (2015/1/17)	أوصيت بإقراره <u>برغم</u> تحفظهم	على الرغم من، بالرغم من، على رغم	استعمال حروف الجر مع رغم
الغد (2015/2/9)	نعمة الحباشنة ترحل <u>يدون</u> الحصول على المزايا	دون	زيادة حرف الجر الياء مع دون
الدستور (1/7/2015)	رئيس الأركان <u>يُوَعز</u> للجيش لمساعدة المواطنين	يُوَعز إلى	استعمال حروف الجر

لكل حرف من حروف الجر دلالة ووظيفة، ولو تتبعنا لغة الصحافة الأردنية لوجدنا استخدامات حروف الجر في غير سياقاتها ومعانيها والشواهد على ذلك كثيرة.

استخدم حرف الجر (اللام) بدلاً من (إلى) في التركيب (حركات اللجوء للأردن) مع أن السياق يستدعي استعمال حرف الجر (إلى) الذي يفيد انتهاء الغاية المكانية⁽³⁵⁾، ويقال لجأ الشخص إلى المكان أي قصده واحتّمى به⁽³⁶⁾، (لجأ إلى الخارج)، (لجأ الشخص إليه)، (لجأ المتضرر إلى القاضي).

وقد ورد في جريدة الدستور قول الكاتب (التي تبذل من أجل) بينما يذكر في معجم معاني الألفاظ الجامع أن بذل تستعمل مع حرف الجر اللام⁽³⁷⁾ فالصواب الجهود التي تبذل لأجل تطوير الموقع.

وفي السياق (الرجل العنكبوت يعود بدون أندرو جارفيلد)، استعمال حرف الجر الباء مع (دون)، والصواب قوله (دون) أو (من دون) ومن الشواهد على ذلك من آي الذكر الحكيم قوله عز وجل: "فاعبدوا ما شئتم من دونه"⁽³⁸⁾. وقال تعالى: "وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير"⁽³⁹⁾.

واستعمل حرف الجر (الباء) مكان (على) في السياق (أوصيت بإقراره برغم تحفظهم)، والصحيح: على الرغم من تحفظهم؛ ويقال فعل الشيء على الرغم منه⁽⁴⁰⁾ وقد جاء هذا الأسلوب من التأثير بالأعجية.

أما استعمال حرف الجر اللام مع الفعل يوعز، فالأعلى (يوعز إلى) أي تقدم إليه وأمره أن يفعله، وأوعز إليه بالأمر: أشار إليه أن يفعله⁽⁴¹⁾.

التعدية واللزوم:

جدول رقم (5)

نوع الخطأ	الصواب	الخطأ	الصحيحة/ التاريخ
الخلط بين المتعدي واللازم	من تسوّل له نفسه	من تسول نفسه الإساءة إلى الإسلام	الرأي 2015/1/17
الخلط بين المتعدي واللازم	يصل إلى عمان	رئيس الوزراء الياباني يصل عمان اليوم	الدستور 2015/1/17
الخلط بين المتعدي واللازم	عدم اختيار إدارة المدرسة الأوقات	عدم اختيار إدارة المدرسة للأوقات المناسبة للاجتماعات	الغد 2015/1/18

لقد رُصدت بعض الأخطاء اللغوية في التعديّة تتعلّق بقضيتين: الأولى في الأفعال التي تتعدّى بنفسها والخطأ في تعديتها بحروف الجر، وأمثلة هذا كثيرة منها: جملة (عدم اختيار إدارة المدرسة للأوقات المناسبة للاجتماعات) وهذا شاهد على المصدر الذي يقوم مقام فعله المتعدي بنفسه، جاء متعدياً إلى مفعوله بحرف الجر اللام.

أما القضية الثانية فهي الأفعال التي تتعدّى بحروف الجر، والخطأ تعديتها بنفسها ومن أمثلة ذلك قول الكاتب (رئيس الوزراء الياباني يصل إلى عمان اليوم) فقد ورد الفعل وصل متعدياً بنفسه مع أنه فعل يصل إلى مفعوله بحرف الجر (إلى)، وقد جاء في معجم الأفعال المتعدية بحرف: (وصل يصل، ووصولاً إليه) بمعنى بلغه وانتهى إليه⁽⁴²⁾ وقد ورد هذا الفعل في القرآن الكريم متعدياً بحرف الجر (إلى) كما في قوله تعالى: "فلا يصلون إليكما بآياتنا"⁽⁴³⁾ أما الفعل تسوّّل فهو فعل يتعدّى إلى مفعوله بحرف الجر (اللام) فسوّلت له نفسه أمراً أي زينته له⁽⁴⁴⁾ وعلى الرّغم من ذلك فقد عدّاه الكاتب بنفسه. قال تعالى: (قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل)⁽⁴⁵⁾، إن تعديّة الفعل إلى مفعوله لها علاقة وثيقة بالمعنى، فالمعنى هو الذي يحدد حرف الجر الذي يعدّى به الفعل، ومجانبة الصواب في التعديّة لا بد أن يؤثر في اختلاف المعنى⁽⁴⁶⁾.

ثانياً: الأخطاء الاملائية:

جدول رقم (6)

الصحيحة/ التاريخ	الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
الرأي (2015/1/17)	وأدانوا <u>إساءات</u> المجلة تحت حجة حرية الرأي	إساءات	إسقاط همزة القطع المقطوع في أول الاسم المجموع
الرأي (2015/1/17)	واعتبروا <u>إن</u> المسيرة ردّ شعبيّ	أنّ	إسقاط الهمزة من حرف التوكيد أنّ
الرأي (2015/1 /17)	الارتقاء بالصناعات <u>والابتكار</u> يعززان تنافسية الاقتصاد الوطني	الابتكار الابتكارية	الهمزة في مصدر الخماسيّ هي همزة وصل (افتعل افتعال)
الرأي (2015/1/17)	<u>أختلال</u>	اختلال	الهمزة في مصدر الخماسيّ هي همزة وصل (افتعل، افتعال)
الغد (2015/1/26)	بعد أن انهار كامل سقف المنزل الذي <u>يؤويها</u>	يأويها	وضع الهمزة على واو وقد أتت ساكنة سبقها حرف مفتوح

الصَحيفة/ التاريخ	الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
الرأي (2015/1/24)	وقدّم تيري <u>أداء</u> استثنائياً	أداءً	إضافة ألف تنوين النصب دون ضرورة
الرأي (2015/2/15)	<u>أبو حسين، أولاده، وإخوانه، وعائلته</u>	أبو، أولاده، إخوانه	وصل ما حقّه القطع
الرأي (2015/1/15)	<u>إنشاء</u> هذه الوحدات، <u>وأجراء</u> المسوحات	إنشاء، إجراء	وصل ما حقّه القطع
الغد (2015/2/9)	نظراً لأنّه في رؤيّا القيادة	رؤية	الخلط بين المتشابهات

وهكذا، فالأخطاء الإملائية هي أكثر الأخطاء شيوعاً في الصحف الأردنية، وتعود تلك الأخطاء الكتابية إلى الصورة النطقية في أثناء كتابة النص⁽⁴⁷⁾، كما قد يكون الخطأ بسبب الخلط بين المتشابهات، فالرؤيا خاصة بما يرى في المنام ، أمّا الرؤية فللنظر بالعين أو القلب.⁽⁴⁸⁾

ثالثاً:- الأخطاء الصرفية:

يعالج هذا المستوى التغيرات الطارئة على بنية الكلمة، كما يمدّن بالخاصية الاشتقاقية التي تميّز بها صرفنا العربيّ. الوقف على الاسم المنقوص. مثال ذلك قولهم: هذا محام، أو هذا محامي ولكنّ لغة الصحافة الأردنية اليوم تغاير في ذلك حيث يثبت بعضهم ياء الاسم المنقوص النكرة في غير الوقف، كما جاء في قولهم: (مدعوماً برعايةٍ واهتمامٍ عالي من الملك عبدالله الثاني).

جدول رقم (7)

الصَحيفة /التاريخ	الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
الرأي (2015/2/15)	أمر <u>هَام</u> للملايين	أمر <u>مُهَم</u>	استعمال اسم الفاعل من الثلاثي
العرب اليوم (2015/1/14)	تقديم الدور <u>المناط به</u>	المنوط به أو عليه	استعمال اسم المفعول من الرباعي، بإبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وفتح الحرف قبل الأخير
الغد (2015/2/24)	<u>ميروك</u> للربّاحين في السّحوبات الشّهريّة	مُبَارَك	استعمال اسم المفعول من الرباعي

الصحيفة / التاريخ	الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
الدستور (2015/2/5)	مدعوًا برعاية <u>واهتمام عالي</u> من الملك عبد الله	اهتمام عالٍ	إثبات ياء الاسم المنقوص في غير الوقف.
الغد (2015/2/15)	أوعز إلى <u>مدراء</u> المناطق	أوعز إلى مديري المناطق	لأن فعلاء جمع فاعيل ووزن مدير هو مفعِل
الدستور (2015/2/4)	الشخص <u>تنوَّع</u> <u>قضاياها</u>	تنوَّعت قضاياها	مطابقة الاسم الفعل تذكيرًا وتأنيثًا

رابعًا:- الأخطاء المعجمية:

المعجم واحد من مكونات النظام اللغوي، يتناول معاني الألفاظ في اللغة، وقد دخله تطور كبير متمثلًا بانتقال ألفاظ جمّة من دلالاتها التاريخية. "أما الألفاظ في المعجم الإعلامي فقد وجّهت معانيها لأغراض إعلامية مقصودة، ويتميّز المعجم في العربية بأنه أقلّ مكونات النظام اللغوي ثبوتًا"⁽⁴⁹⁾.

فالتعبير الاصطلاحيّ: عاصفة من الانتقادات (الغد، 2015) استحدثته لغة الصحافة ليتواءم والاستخدام المعاصر، علاوة على دلالاته القديمة. فقديماً وصفت الريح بالعاصفة، أما في التعبير الاصطلاحي المذكور، فقد وُظِّفت العاصفة مع الانتقادات في صورة بلاغية قائمة على التشبيه، ويقصد بذلك (الانتقادات الشديدة). فالمصاحبات اللفظية في لغة الصحافة تخرج الكلمة عن أصل الوضع، كما ورد في جملة: تركيا مستعدة "لدفع الثمن" إذا ثبت أنها ارتكبت مجازر الأرمن (الرأي، 2015/1/31)، فالدلالة القديمة ل(دفع الثمن) تعني: (أعطى نقوداً بدل شراء شيء معين)، لكن الدلالة الجديدة بمعنى تتحمل المسؤولية، كما أن كلمة (الربيع) في لغة الصحافة (الربيع العربي) خرجت عن أصل الوضع، من حيث إنّ الربيع فصل من فصول السنة، لتعطي دلالة جديدة هي الثورات العربية للإصلاح.

وغير ذلك الكثير ممّا ورد في لغة الصحافة، حيث تصوير اللغة فيها ملعباً للمجاز دون احتراز، كما في التعبير: باءت بالنجاح (الدستور، 2009/5/6)، فالفعل باء لا يرد إلّا مع الفشل (باء بالفشل الذريع). هذه المزوجة اللفظية بين باء والنجاح عملت على بناء رابطة غير مسبوقة بين الكلمتين في سياق الجملة. فالمزوجة اللفظية القائمة بين باء ونجح مزوجة قد يجد متعلّم اللغة العربية صعوبة في فهمها، فالمعروف باءت جهوده بالفشل أي لم يحالفه النجاح (قاموس المعاني، بوء)، فلا بدّ من توضيحها بإشعاره أن المستخدم لمثل تلك المزوجة ربما كان يريد وصف

النجاح بالمحدودية، وبذلك يقترب من الفشل في إحراز المبتغى. وحسبنا أن نشير هنا إلى أن الصّحف نفسها فارقت معانيها التي عرّفها لها الأوائل. كما في مصطلح "تحديد الأسعار" الذي يمثّل تمويهاً لتخفيف وقع رفع الأسعار⁽⁵⁰⁾.

خامساً- الأخطاء الدلالية:

المستوى الدلالي يدلّ على مقدرة المتكلّم باللغة الفصيحة أداءً وبلاغة، والأخطاء فيه تتركز باستخدام الألفاظ في غير دلالتها السياقية، وهو يستقبل آثار المستويات السابقة كلّها ويتأثر بالأخطاء التي تنتقل إليه منها⁽⁵¹⁾.

جدول رقم (8)

الصّحيفة/التاريخ	الخطأ	الصواب	سبب الخطأ
الرأي (2015/1/27)	رغم تمكنه من <u>التّواجد</u> في جميع المناطق السّوريّة	رغم تمكنه من الحضور	لأنّ التّواجد هو إظهار الوجد والشّوق
الدستور (2015/2/1)	<u>اعتبرت</u> حماس أن القرار لا يخدم إلا الاحتلال	عدّت حماس	معنى اعتبر في المعجم من الاعتبار (العبرة والموعظة)
الدستور (2015/2/28)	<u>ونوه</u> حدّادين إلى أن الانتاج من غور الصّافي	أشار حدّادين إلى	نوه بالشّيء: امتدحه وذكر فضائله
الدستور (2015/2/28)	<u>ما</u> ألحق بهم خسائر ماليّة	مما ألحق بهم	استخدام ما بدلالة تفسيرية.

النتائج:

إنّ رجوع النّظر في المشهد الصّحفيّ يفضي إلى أن أسباب اجترار الأخطاء في لغة الصّحافة ما يأتي:

1. السّرعة في نقل الأخبار دون تدقيقها لغويّاً.⁽⁵²⁾ أو عدم إتقان بعض كتّاب الصّحافة لقواعد اللغة العربيّة.
2. غياب أهميّة اللغة العربيّة باعتبارها هويّة العربيّ.
3. ضعف المراجع اللغويّة والتّدقيق اللغويّ.
4. نقل الخبر من مصادره العربيّة، وإفساح المجال لانتشار كثير من المصطلحات الأجنبيّة مع وجود ما يقابلها في العربيّة.

5. ضعف التأهيل اللغوي للصحفيين والكتاب.
6. عدم تواصل الصحف مع جهات أخرى لها أهميتها في الحفاظ على نقاء العربية وصونها من الاختلال، مثال ذلك؛ مجمع اللغة العربية الأردني، وكنيات الآداب في الجامعات المختلفة الرسمية والخاصة.

التوصيات:

توصي الدراسة بجملة من التوصيات لتكون لغة الصحافة مادة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أهمها:

1. اختيار موضوعات صحفية شائعة، ألفاظها سهلة، وتراكيبها ميسرة؛ ليتمكن متعلمو اللغة العربية من الناطقين بغيرها من قراءتها ثمّ توظيف ألفاظها وتراكيبها بيسر، وتكون جسراً للتواصل اللغوي.
2. عقد دورات تأهيلية في لغة الصحافة المعاصرة لمدّري اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ ليسهل عليهم تدريسها بطريقة ممتعة ترغب المتعلم في اللغة العربية.
3. إعادة النظر في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها في ضوء طغيان العولمة، التي هي نظام فكري يشمل جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، ويسعى لتهميش ثقافات الشعوب وسيادة ثقافة عالمية واحدة، فهي فرصة لنظهر ثقافتنا العربية، حتى لا يتحقق للعولمة ما تسعى إليه من سيطرة فكرية⁽⁵³⁾، وتصميم برامج لمتعلمي العربية من غير أهلها من خلال محتوى ثقافي يعرّفهم بالنواحي التراثية والحضارية في مجتمعنا الأردني، وإدخال الصحافة المعاصرة كلغة في تعليم العربية للناطقين بغيرها، ليطلع المتعلم على مختلف القضايا الوطنية والدولية، ووجهة نظر المفكرين في ذلك من خلال أبواب، وحوارات، وآراء في بعض القضايا: كالتسامح الديني، وحقوق الإنسان، ونبذ الإرهاب، والعلاقات الدولية السياسية والقانون الدولي.
4. إمكانية الاستفادة من الدراسة في تدريب مدّري اللغة العربية على كيفية تدريس مادة الصحافة لتعلم العربية للناطقين بغيرها، عن طريق إمدادهم بالصيغ الأكثر شيوعاً في لغة الصحافة؛ ليركّزوا عليها في أثناء التعليم.
5. ثمة علاقة تأثر وتأثير بين اللغة العربية ولغة الصحافة، فالعمل على النهوض باللغة العربية. يعدّ نهضة للغة العربية؛ بإغنائها بالمصطلحات والأساليب اللغوية الجديدة، سعياً إلى تمكينها من مواجهة تحديات العصر في مجال عولمة الإعلام⁽⁵⁴⁾، لذلك على المؤسسات الحكومية أن تبذل جهوداً طيبة لخدمة لغة الصحافة والنهوض بها.

6. الاهتمام بتأليف معاجم معاصرة⁽⁵⁵⁾، تتضمن المفردات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بلغة الصحافة. كمعجم الألفاظ للحياة العامة، ووضع بنوك للمصطلحات اللغوية الخاصة بمجال الصحافة⁽⁵⁶⁾.
7. إجراء مسح شامل لأهم الأخطاء اللغوية التي يجترحها الصحفيون مع مقابلها الصحيح⁽⁵⁷⁾. وإيلاء النتائج الاهتمام، وإيصالها إلى المؤسسات الصحفية كافة، ليطلعوا على نماذج الأخطاء اللغوية التي تمّ رصدها.
8. توجيه الجهود من أجل نشر جوّ لغويّ صحيح فصيح، يكون عاملاً مؤثراً في تعليم العربية وتعليمها؛ ذلك أنّ أيّ لغة من اللغات يتمّ تعلّمها أولاً عن طريق مهارة الاستماع، والقاعدة الأساس: "اللغة اسمع وأسمع"⁽⁵⁸⁾ والتعليم يجب أن يعتمد على الاستماع المستمرّ من خلال محتوى دراسيّ جاذب للمتعلمين.

خاتمة:

وبعد، فقد حاولت الدراسة تقديم رؤى في تحليل نماذج من الأخطاء التي يجترحها الصحفيون، فعملية تحليل الأخطاء في شتى مستوياتها لها جل الفائدة في اختيار المدرّس للنصوص الصحفية الصالحة للتعليم، وتتطلب من المعلم الكفي أن يبذل جهداً في تصويبها للمتعلمين، إن وجدت على أرض الواقع، كذلك من الضرورة إعداد الصحفي والمدرّس إعداداً جيّداً، والتخلّي عن فكرة أنّ كلّ من يتكلّم العربية يستطيع أن يكتبها أو يدرّسها بكفاية.

Using Journalism to Teach Arabic for Speakers of Other Languages (ASOL)

Hala Beedes and Muna Al-Ajrami, *Language Center, Amman, Jordan.*

Abstract

Using the language of newspapers and magazines is important in teaching ASOL. It is an intrinsic instrument that, if used properly and directed well, can be as good as or better than other comparable means of teaching Arabic.

Most people are aware of the harmonious link between Arabic and journalism. The language of newspapers apparently supplies the learner of Arabic with a rich and vivid linguistic repertoire.

This study aims at displaying some language issues used in four Jordanian newspapers (Al-Rai, Ad-Dustur, Al-Arab Alyaom, and Al-Gad). It closely analyzes Arabic used in these papers and tries to show incorrect language patterns (morphological, syntactic, indicative, lexical or spelling), corrects them and tries to pinpoint the reasons behind these mistakes. Moreover, it recommends suggestions for avoiding these errors.

The study follows the descriptive, analytic inductive approach.

Key words: Journalism, language mistakes, teaching ASOL.

الهوامش

1. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، م9، ص186.
2. مروة، أديب. الصحافة العربية، بيروت، دار الحياة، 1961، صص12-13.
3. الشريف، سامي. ندا منصور أيمن. اللغة الإعلامية (المفاهيم، الأسس، التطبيقات)، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 2004، صص123-124.
4. فريق العمل في مشروع الرصد اللغوي الإعلامي، صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، ط1، مجمع اللغة العربية، 2014، ص19.
5. شرف، عبد العزيز. اللغة الإعلامية، ط1، بيروت، دار الجبل للطباعة والنشر، 1991، ص30.
6. أبو عودة، عودة. "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال" بحث مقدّم إلى الموسم الثقافي الثاني والثلاثين الذي يعقده مجمع اللغة العربية الأردني، بعنوان "دراسات أنجزتها اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية نحو مجتمع المعرفة"، مجمع اللغة العربية، عمان، الأردن، 2014، ص16.

7. علي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي الأدبي)، الكويت، عالم المعرفة ع265، 2001، ص288.
8. الجبر، خالد عبد الرؤوف. اللغة العربية في الصحف اليومية والأسبوعية في الأردن، بحث مقدّم إلى ندوة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، 2009، ص14
9. شرف، عبد العزيز، العربية لغة الإعلام، ط1، الرباط، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، 1983، ص 43
10. فريق العمل في مشروع الرصد اللغوي الإعلامي، صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، 2014، ص 19
11. محمد، يوسلينا، التراكمات الاسمية العربية اللازمة لأغراض الصحافة للناطقين بغيرها دراسة تطبيقية على مقاصد الطلبة الماليزيين في جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2011.
12. جي، بشار تشن، إيلاء اهتمام كافٍ للغة الصحافة في عملية تدريس اللغة العربية، المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات، ماليزيا والصين، UKM، 2012.
13. محمد، عمر ورسمه، تجربة المعاهد الحاضنة في تعليم العربية في الصومال، تجربة معهد البخاري أنموذجاً، ورقة بحث مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية بدبي 7-10 مايو، 2014.
14. أبو عودة، عودة، "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال"، 2014.
15. علي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي الأدبي)، 2001، ص 231.
16. المرجع نفسه، ص 232.
17. بلليل، نور الدين، الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام الكتابي، سلسلة الأمة، ع84، مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، 2001، ص22.
18. علي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي الأدبي)، 2001، ص233.
19. الجبر، خالد عبد الرؤوف. اللغة العربية في الصحف اليومية والأسبوعية في الأردن، 2009، ص3
20. علي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي الأدبي)، 2001، ص 238.
21. Alaa Elgiball, Nevenka Korica(2007), media Arabic.
22. بلليل، نور الدين، الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام الكتابي، سلسلة الأمة، ع84، مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، 2001، ص14
23. المرجع نفسه، ص 14.
24. الجبر، خالد عبد الرؤوف. اللغة العربية في الصحف اليومية والأسبوعية في الأردن، 2009، ص3

25. جي، بشار تشن، إيلاء اهتمام كافٍ للغة الصحافة في عملية تدريس اللغة العربية، 2012.
26. فريق العمل في مشروع الرصد اللغوي الإعلامي، صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، 2014، ص 40
27. جريدة العرب اليوم.
28. أبو عودة، عودة، "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال"، 2014، ص 41
29. الموسى، نهاد، الأخطاء المعجمية والصرفية والنحوية، في كتاب ندوة اللغة العربية ووسائل الإعلام، دار المناهج للنشر والتوزيع المنعقد في عمان (جامعة البتراء) 29-30/5/2000، 2001، ص 107.
30. هزايمة، محمد عبد الله، أخطاء التراكيب النحوية في لغة الصحافة مادة وتحليلاً (دراسة تطبيقية في صحيفة الرأي الأردنية)، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2004، ص 201.
31. عبد الحميد، محمد محيي الدين. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ط6، م3، بيروت، دار الندوة، 1966، ص 214.
32. عبد الحميد، محمد محيي الدين. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1999، ج3، ص 207
33. المرجع نفسه ج3، ص193.
34. عبد الحميد، محيي الدين. شرح قطر الندى وبل الصدى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1963، ص 201
35. الحمد، علي توفيق، والزعيبي، يوسف، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ط1، إربد، دار الأمل، 1993، ص 58
36. الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، لبنان، دار الكتاب العربي، 2004، ص 278.
37. الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، بيروت، دار صادر، 1979، ج3، ص33.
38. سورة الزمر، 15
39. سورة التوبة 116
40. مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، طهران، المكتبة العلمية، د.ط، ص358.
41. مجموعة من العلماء، المعجم العربي الأساسي لاروس، ص 1320.
42. الأحمد، موسى بن محمد بن الملياني. معجم الأفعال المتعدية بحرف، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1979، ص 433
43. سورة القصص، آية 35.
44. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، 2004، ص 163.

45. سورة يوسف، آية 83.
46. هزايمة، محمد عبد الله، أخطاء التراكيب النحوية في لغة الصحافة مادة وتحليلاً (دراسة تطبيقية في صحيفة الرأي الأردنية)، 2004، ص 201.
47. أبو عودة، عودة، "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال"، 2014، ص 14.
48. عمر، أحمد مختار، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، ط2، القاهرة، عالم الكتب، 1993، ص 219.
49. الموسى، نهاد، الأخطاء المعجمية والصرفية والنحوية، 2001، ص 109.
50. المرجع نفسه ص 110.
51. أبو عودة، عودة، "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال"، 2014، ص 10.
52. أبو عرجة، تيسير، تقويم لغة الصحافة العربية اليوم، في كتاب ندوة اللغة العربية ووسائل الإعلام، المنعقدة في جامعة البتراء، كلية الآداب، 29-30 أيار عام 2000، الأردن، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2001، ص 27.
53. طعيمه، رشدي (2005)، تعليم العربية لغير لناطقين بها في المجتمع المعاصر اتجاهات جديدة وتطبيقات لازمة، ضمن كتاب اللغة العربية إلى أين، صادر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ضمن أعمال ندوة عالمية عقدتها المنظمة في الرباط من 1-3 / 11 / 2002 بعنوان اللغة العربية إلى أين، 2005، ص 249.
54. الفهري، عبد القادر الفاسي، عربية الصحافة، الرباط، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، 1998، ص 79.
55. ابن لطرش، عاشور، ترقية لغة الصحافة N6. Revue Campus، 2007، ص 55.
56. بلعيد، صالح (2004) (مقالات لغوية)، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، 2004، ص 97.
57. الفهري، عبد القادر الفاسي، عربية الصحافة، 1998، ص 13-77.
58. أبو عودة، عودة، "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال"، 2014، ص 41.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المصادر:

- الأنصاري، ابن هشام. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط6، م3، بيروت، دار الندوة، 1996
- الأنصاري، ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1963.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، لبنان، دار الكتاب العربي، 2004.
- الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، ج1، بيروت، دار صادر، 1979.
- ابن عقيل، عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج3، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1999.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت.

المراجع:

- الأحمدي، موسى بن محمد الملياني. معجم الأفعال المتعدية بحرف، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1979.
- بلعيد، صالح. (مقالات لغوية)، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، 2004.
- بليبل، نور الدين. الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام الكتابي، سلسلة الأمة، ع84، مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، 2001.
- الحمد، علي توفيق، والزعبي، يوسف. المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ط1، إربد، دار الأمل، 1993.
- شرف، عبد العزيز، العربية لغة الإعلام، ط1، الرباط، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، 1983.
- شرف، عبد العزيز، اللغة الإعلامية، ط1، بيروت، دار الجيل للطباعة والنشر، 1991.

الشريف، سامي. ندا منصور أيمن. اللغة الإعلامية (المفاهيم، الأسس، التطبيقات)، جامعة القاهرة، كلية الإعلام.

عمر، أحمد مختار. أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، ط2، القاهرة، عالم الكتب، 1993.

فريق العمل في مشروع الرصد اللغوي الإعلامي. صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، ط1، مجمع اللغة العربية، 2014.

الفهري، عبد القادر الفاسي. عربية الصحافة، الرباط، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، 1998.

مجموعة من العلماء. المعجم العربي الأساسي لاروس، 2014.

مروة، أديب. الصحافة العربية، بيروت، دار الحياة، 1961.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، طهران، المكتبة العلمية، د.ت.

Elgiball, Alaa, and Nevenka Korica, media Arabic, (2007)

الدوريات والصحف:

بن لطرش، عاشور. ترقية لغة الصحافة N6. Revue Campus, 2007.

صحف الدستور، الرأي، العرب اليوم، الغد.

علي، نبيل. الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي الأدبي)، الكويت، عالم المعرفة ع265، 2001.

مؤتمرات وندوات:

أبو عرجة، تيسير. تقويم لغة الصحافة العربية اليوم، في كتاب ندوة اللغة العربية ووسائل الإعلام، المنعقدة في جامعة البتراء، كلية الآداب، 29-30 أيار عام 2000، الأردن، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2001.

أبو عودة، عودة. "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال" بحث مقدّم إلى الموسم الثقافي الثاني والثلاثين الذي يعقده مجمع اللغة العربية الأردني، بعنوان "دراسات أنجزتها اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية نحو مجتمع المعرفة"، مجمع اللغة العربية، عمان، الأردن، 2014.

الجبر، خالد عبد الرؤوف. اللغة العربية في الصحف اليومية والأسبوعية في الأردن، بحث مقدّم إلى ندوة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، 2009.

جي، بشار تشن. إيلاء اهتمام كافٍ للغة الصحافة في عملية تدريس اللغة العربية، المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات، ماليزيا والصين، UKM، 2012.

طعميه، رشدي. تعليم العربية لغير لناطقين بها في المجتمع المعاصر اتجاهات جديدة وتطبيقات لازمة، ضمن كتاب اللغة العربية إلى أين، صادر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ضمن أعمال ندوة عالمية عقدتها المنظمة في الرباط من 1-3 / 11 / 2002 بعنوان اللغة العربية إلى أين، 2005.

محمد، عمر ورسمه. تجربة المعاهد الحاضنة في تعليم العربية في الصومال، تجربة معهد البخاري أنموذجاً، ورقة بحث مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية بدبي 7-10 مايو، 2014.

الموسى، نهاد. الأخطاء المعجمية والصرفية والنحوية، في كتاب ندوة اللغة العربية ووسائل الإعلام، دار المناهج للنشر والتوزيع المنعقد في عمان (جامعة البترا) 29-30/5/2000، 2001.

الرسائل الجامعية:

محمد، يوسيلينا. التراكيب الاسمية العربية اللازمة لأغراض الصحافة للناطقين بغيرها دراسة تطبيقية على مقاصد الطلبة الماليزيين في جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2011.

هزايمة، محمد عبد الله. أخطاء التراكيب النحوية في لغة الصحافة مادة وتحليلاً (دراسة تطبيقية في صحيفة الرأي الأردنية)، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2004.

فن المقالة عند محمد صبحي أبو غنيمة

أحلام واصف مسعد *

تاريخ الاستلام 2016/1/24

تاريخ القبول 2016/3/20

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة فن المقالة عند محمد صبحي أبو غنيمة، والكشف عن المرجعيات الثقافية والفكرية التي شكلت مضامينها، كما يقف على أنواعها ويتبين خصائصها وأبعادها الفنية والموضوعية، ومن ثم ينظر في الكيفية التي يبني بها الكاتب مقالته، حيث يلتزم خطة ثابتة في كتابة المقالة لا يكاد يحيد عنها. وتوقف البحث عند أهم السمات الموضوعية والفنية التي تميزت بها هذه المقالات. وقد اتخذت الباحثة من كتابه "من الأيام" الذي يضم اثنتين وأربعين مقالة نموذجاً للدراسة، متبعة المنهج الوصفي التحليلي في قراءة المقالات وتحليلها.

ولد محمد صبحي أبو غنيمة في مطلع القرن الماضي "حوالي 1901" في إربد وتلقى تعليمه الأساسي فيها، ثم انتقل إلى مكتب عنبر في دمشق عام 1912، حيث برز نشاطه الأدبي والوطني، وفي صيف عام 1916 عاد إلى إربد لقضاء العطلة الصيفية، وانقطع عن الدراسة في مكتب عنبر بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، لكنه قرر وصديقه مصطفى وهبي التل مغادرتها قاصدين إستانبول، وغادراها في 20-6-1917، وصل أبو غنيمة إستانبول، والتحق بمدرسة الهندسة العليا فيها لمدة نصف عام، عاد بعدها إلى إربد، والتقى مجدداً بصديقه عرار، ومرة أخرى عاد الاثنان إلى "عنبر"، لكن عودتهما شهدت قيام حركات طلابية شاركا فيها، فكان أن نقلتهما السلطات إلى المدرسة السلطانية في حلب حيث أنهيا تعليمهما فيها عام 1920¹.

وفي أواخر عام 1922 توجه إلى ألمانيا لدراسة الطب في جامعة برلين، حيث قضى فيها حوالي سبع سنوات كانت زاخرة بالنشاط العلمي والأدبي والسياسي. عاد بعد تخرجه أواخر عام 1928 إلى إربد حيث افتتح عيادته الخاصة، ثم انتقل إلى عمان ليفتح عيادة هي الأولى من نوعها

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* مركز اللغات، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

في الأردن وجهزها بأحدث الأجهزة والمعدات في حفل كبير حضره الأمير "الملك عبد الله"، وولي عهده، وكبار أجهزة الإمارة حينذاك.²

مارس أبو غنيمة السياسة إلى جانب الطب، وفي عيادته تشكلت مجموعة من النشطاء السياسيين الذين أسهموا في مواجهة الاستعمار البريطاني، والانتصار للقضايا القومية وأبرزها القضية الفلسطينية، والتصدي للخطر الصهيوني. ونتيجة لنشاطه السياسي ضيق عليه فاضطر إلى مغادرة الأردن إلى دمشق وأقام فيها حتى توفي في 1971/10/21، ودفن في تل إربد كما وصى:

إذا مت فادفني على التل كي ترى على سفحه روعي روائع سفحه³

تصفه هدى أبو غنيمة في سيرة منفية قائلة:

"كانت شخصيته مزيجاً عجباً من السياسي والأديب والطبيب، مارس الطب بعقل العالم ودقة ملاحظته، وروح الأديب الإنسان الذي أحب الناس فعالجهم بإحساسه وشفافيته قبل أن يعالجهم بمشرطه، ولم يكن ليبرز ذلك بتجهم أو عبوس، بل كان ذا روح مرحة، ونكتة لاذعة، ورؤية عميقة متميزة للحياة"⁴. وقد تجلت هذه الصفات في كتاباته. تحدث شفيق جبري عن ميزة "صحي أبو غنيمة" على غيره من كتاب المقالة، من حيث قدرته على الجمع بين العلم والأدب، والأكثر أهمية من ذلك هو براعته في استنباط الصورة الحية من الظاهرة العلمية الجافة؛ "فالدكتور قد استخرج من العلم الذي أحاط به عبيراً في الحياة أو صوراً مختلفة تتصل بهذه الحياة على نحو ما يفعله الأدباء المحيطون بالعلم"⁵ فتجده يفتح المقالة بفكرة معرفية، لكنه لا يلبث أن يبت فيها الحياة مستنبطاً منها صورة حية جذابة تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي المعيش. وهي ميزة جذبت إليه جمهوراً واسعاً من القراء، حتى غدا واحداً من كتاب المقالة المحترفين والدائمين في الصحف السورية والعربية المشهورة، فقد كتب في جريدة "الأيام الدمشقية" لصاحبها نصح باييل سلسلة مقالات أسبوعية بعنوان "حديث الجمعة"، كما كتب سلسلة أخرى في جريدة العمل القومي بعنوان "حقائق مرة"، وكان يوقعها باسم مستعار هو نزار. ونشر مقالات في جريدة "المضحك المبكي" بعنوان "حديث الأسبوع" ناهيك عن عدد غير قليل من المقالات التي نشرها في صحف عديدة، منها جريدة "الجامعة العربية" و"ألف باء" الدمشقية، وجريدة "النصر"، ومجلة "الصيد"، وجريدة "العلم" ... وغيرها من الصحف. ورصد هذه المقالات ومصدرها وتصنيفها يحتاج عملاً مستقلاً⁶.

مصادره العلمية والأدبية:

إن التنوع المعرفي والمضموني في المقالة الواحدة عند "أبو غنيمة" هو الذي حفظ لها قيمتها الأدبية والفكرية حتى يومنا هذا، وهو ما جعله يقف في طليعة كتاب المقالة الصحفية، ليس في الأردن حسب، بل في المنطقة العربية، فمن الأمور التي تستوقف القارئ اعتماده الواضح على

مصادر علمية متخصصة في حقل الطب وعلم النفس؛ حيث كان لتخصصه في حقل الطب وأطروحاته لشهادة الدكتوراه عن الجراح العربي أبي القاسم الزهراوي دور مهم في اطلاعه على التراث العربي وهو ما عبر عنه بقوله:

"وكان يحزنني ألا أسمع عن عباقرة قومي شيئا، فقد كان يُعتبر كل فضلهم بأنهم كانوا حراسا على التراث اليوناني، وأذكر أنني جادلت يوما في هذا بما أسمعه من هنا وهناك، ولكن الأستاذ أفحمني بالكثير مما يعرفه، ولم يكتف بهذا بل سألني باستخفاف أمام رفاقي: ماذا يسمى الحارس إذا سرق شيئا مما أؤتمن عليه؟ وضحك رفاقي وخجلت أنا كثيرا كثيرا، وشعرت أنني جرحت في كبريائي القومي، ومنذ ذلك اليوم بدأت أنقب في تراثنا القديم"⁷.

ويعد كتابه "نظرة في أعماق الإنسان" الصادر عام 1958 مرجعا أساسيا لكثير من مقالاته اليومية؛ فقد يقتبس أو يستعيد قصة أو حادثة أو معلومة علمية سبق له أن عرضها في كتابه هذا، ومن ثم يوظفها على نحو جديد في مقالاته. ففي مقالته "قصة الإسراء" يورد حادثة لغولنسكي يبرهن بها على كثير من الظواهر الميتافيزيقية التي عجز العلم الحديث عن تفسيرها، وكان قد أوردها في خاتمة فصل "في النفس" من كتابه المذكور⁸. وفي موضع من مقالته "فن الملقط" نجده يذكر كلمة شكسبير في الفراسة، وهي حادثة أشار إليها في كتابه "نظرة في أعماق الإنسان" حين تحدث عن الحتمية الحياتية، ودور الخصائص النفسية والجسمية في تشخيص حالة الإنسان النفسية والمرضية⁹. فلا يكاد قارئ "من الأيام" أن يقف على قضية طبية أو نفسية أو حادثة إلا ويجد لها أصلا في كتابه "نظرة في أعماق الإنسان".

ومن خلال مراجعة قائمة المصادر والمراجع التي أدرجت في هذا الكتاب نستطيع الوقوف على المصادر العلمية التي استند إليها أبو غنيمة في كتاباته، حيث يورد فيه مئة وتسعة وخمسين مصدرا باللغة الألمانية معظمها في حقل علم النفس والطب، ومن أشهرها كتب: فرويد، ويونغ. وثمة تركيز كبير على القوى النفسية والأحلام ودورها في حياة البشر، ناهيك عن اقتباساته من مؤلفات كرتشمير، وزيبنتال، وشولزهنكه، وليك وآخرين يطول المقام بذكرهم¹⁰.

أما عن مرجعياته في حقل الأدب، فإن استقراء المقالات والنصوص التي كتبها أبو غنيمة تظهر اطلاعه الواسع على الأدب العربي القديم، شعره ونثره، وكذلك على الأدب العربي الحديث ويبدو أنه كان على صلة بعدد من كبار الشعراء العرب آنذاك، وهو ما يتبدى من وصف "هدى أبو غنيمة" لمجالس والدها:

"يبدد حضور (صبحي أبو غنيمة) في روعي والمشع بالأنس، وحشة الكآبة وتفرقر نارجيلته ممتزجة بخير المياه المتدفقة من بركة صغيرة في رفة البيت فتنتال من الذاكرة أحاديث الأمسيات الشعرية والفكرية والسياسية، مندية جفاف الروح، إن كنت كثيرا ما أرهف سمعي لأحاديث الضيوف

الزائرين دون أن أعرف من هم، فأسمع أحاديث ممتعة وثرية وأعرف فيما بعد أن أحد المتحدثين كان عمر أبو ريشة أو شكري القوتلي، أو بدوي الجبل... أو شخصية مهمة من الأردن أو فلسطين أو لبنان أو مصر أو العراق، لكن أحلى تلك الأمسيات وأبعدها أثراً في وجداني هي تلك التي كنت أصغي فيها لوالدي ووالدتي وهما يتذاكران في الشعر أو الأدب فقد كانت أمي سيدة مثقفة وأديبة، وإن لم تمارس الكتابة"¹¹.

يعد "أبو غنيمة" من طليعة كتاب القصة القصيرة في الأردن، فقد أصدر في عام 1922 مجموعته القصصية "أغاني الليل"، وهي وإن كانت لا تمثل القصة القصيرة بالمعنى الحقيقي إلا أن أهميتها تكمن في ريادتها، ولأنه "حقق بمقطوعاته جسر الاتصال بين قصص ما قبل الحرب وما بعدها... كما أنها مهدت لظهور القصة وانفصالها النهائي عن المقالة"¹².

ويبدو أنه كان على معرفة واضحة بالأدب الغربي، الألماني بخاصة، فقد ترجم عددا من نصوص الشاعر الألماني هاينرش هاينه الشعرية إلى العربية شعرا. كما كتب الشعر وإن لم يحترفه، حيث نجد له مجموعة قصائد موزعة في غير مصدر، منها ما نشرته هدى أبو غنيمة في "سيرة منفية"، وما أورده الناعوري في حديثه عنه وعن دوره في الحركة الشعرية في الأردن حيث قال: "كما أن له بضع قصائد ومقطوعات تنم عن شاعرية حقة، وكان يحب تعريف نفسه بـ "الطبيب الشاعر"، وله قصائد عديدة مشتركة مع عرار"¹³.

وقد بدأ نشاطه الثقافي والأدبي أثناء دراسته في ألمانيا، حيث عمل بالتعاون مع مجموعة من الشباب على إصدار مجلة "الحمامة"، وهي مجلة علمية أدبية مصورة "تنقل ما يحدث في أوروبا من اختراعات فنية وعلمية وتصور الانقلابات الفكرية والأدبية، وتكون صلة بين الناشئة في الوطن وبين المغتربين"¹⁴؛ يقول في ذلك:

"فكان أن صدرت المجلة بشوق ورغبة، وآمال كبرى، الصديق كمال عياد منهمك قي ترجمة شبنغلر في "سقوط الغرب" وأنا انقل "تين" الإفرنسي"¹⁵.

كما كان "أبو غنيمة" مولعا بالفنون فيقول: "لم أترك متحفا من متاحف البلاد التي زرتها في أوروبا بدون زيارة"¹⁶ وهو ما أكسبه ثقافة فنية لا يخفى أثرها في مقالاته الأدبية.

- المقالة عند (أبو غنيمة):

يعرف الدوس هكسلي المقالة بأنها "أداة أدبية تقول كل شيء عن أي شيء"، ولا بد للمقالة برأيه أن تشتمل على:

- المنحى الشخصي ذات الطابع السيري

- المنحى الموضوعي: وفيه يركز الكاتب على موضوع أدبي، أو سياسي، أو علمي حيث يعرض الموضوع ويصل إلى نتيجة عامة من المادة التي يعرضها.
 - المنحى التجريدي: وفيه يعالج الكاتب موضوعات ذات أبعاد تجريدية بعيدا عن الذات، أو عن الإطار الموضوعي الذي يعيش فيه.
- ويرى هكسلي أن أفضل المقالات هي التي تجمع هذه المناحي الثلاثة معا في مقالة واحدة¹⁷.
- ومن يطلع على مقالات (أبو غنيمة) يتبين قدرته الفائقة على الجمع بين هذه المناحي في المقالة الواحدة، حيث كانت تعبر عن القضايا السياسية والاجتماعية بصورة تتسم بالوضوح والطرافة والجرأة، وتجمع بين الفكر والأدب والتاريخ والعلم، وهو ما جعلها تترك أثرا جميلا لدى قرائه. وقد جهدنا في تصنيف هذه المقالات وفق مضامينها، فارتأينا اعتماد الغاية المنشودة من المقالة مدخلا للتصنيف، الذي جاء على النحو الآتي:

1- المقالة التأملية:

وهي مقالة "تعرض لمشكلات الحياة والكون، والنفوس الإنسانية، وتحاول أن تدرسها درساً لا يتقيد بمنهج الفلسفة ونظامها المنطقي الخاص، بل تكتفي بوجهة نظر الكاتب، وتفسيره الخاص للظواهر التي تحيط به"¹⁸.

ومقالات "أبو غنيمة" في هذا الإطار تعرض مشكلات الحياة والإنسان من وجهة نظره الخاصة، وهي مقالات تبين عن فكر ثاقب وإحساس مرهف، وقدرة على استبطان الظواهر، واستنطاق الحكمة منها. كما في مقالاته "تأدب" و"أحلام العلماء" و"تأملات في يوم واحد".

ففي مقالاته الموسومة بـ "تأدب" نجده يتحدث عن ظاهرة كونية تبين حجم كوكب الأرض ومكانته في هذا الكون الواسع:

"في المكان الذي يسمونه الكون والذي تشكل أرضنا نجما صغيرا من نجومه يؤكد العلماء رؤية ألف وخمسمائة مليون نجم ويسجلون بمراصدهم وحساباتهم أن هذا الرقم لا يشمل إلا سديما واحدا من سدم هذا الفضاء... هناك سدم تحتوي على ألفي مليون نجم! في هذا المكان الذي هو الكون يقرر أولئك العلماء أنفسهم وجود مليونين من هذه السدم! إذا ضربت هذه الملايين من السدم بآلاف الملايين من النجوم الموجودة فيها ظهر لك العدد الذي لا يحصى لمجموعة النجوم التي في الكون"¹⁹.

فهو في هذه المقدمة يتحدث عن قضية علمية بحتة تبين حجم كوكب الأرض في هذا الكون الواسع، ثم يسترسل في تأكيد فكرة اتساع الكون على الرغم من كثرة النجوم فيه بلغة سهلة، محاولاً تقريب المعلومة وتبسيطها من خلال ضرب المثل:

"هذا الكون هو من السعة والامتداد بحيث لا تشغل هذه الأرقام الفلكية من النجوم الفلكية إلا ما تشغله عشر نحات موزعة على فضاء الأربع أنحاء من الكرة الأرضية"²⁰.

ثم ينتقل للحديث عن ضالة وزن وصغر المساحة التي يشغلها الإنسان في هذا الكون، والتي لا تتجاوز المتر وبعض المتر ويزن جزءاً من عشرة آلاف مليون مليون جزء من أي كوكب صغير فيه، لكنه يفاجئ القارئ في خاتمة المقال بالكلمة المفتاح التي تضيء النص كله، وتكشف الغاية منه، وذلك في عبارة واحدة موجزة تقول: "أيها الإنسان: تأدب!!"²¹.

2- مقالة النقد الاجتماعي:

"وقوامها نقد العادات النادرة والتقاليد البالية التي ترسبت في المجتمع، على مدى الدهور. ولا تعفي الأزياء الطارئة والبدع المستحدثة من سخريتها وعبثها"²²، وكثيراً ما تستوقفه أخلاقيات المجتمع فيقف عندها مفسراً ومحاكماً، وفي محاولة للإصلاح تجده يقارب ويقارن بينها وبين أخلاق الرجال في الماضي، أو بينها وبين أخلاق الغرب. كما في "نحو أمنية عذبة"، و"في مدينة الموتى"، و"عبد الغني في القمر".

فمقالته "الحياة صناعة" يبدؤها برسالة بعثها أحد أصدقائه يشكو له فيها من الشكوى من تسريحة الطربوش التي اعتلت رأس إحدى قريباته، مما جعله يأسف على الحال التي وصلوا إليها، فيرد عليه ليطمئنه بأن هذا شأن الفنانين في تقلب أمزجتهم. ويسوق على ذلك عدة شواهد شعرية. ثم يختتم جولته السريعة في الفلسفة والأدب ليصل إلى خاتمة المقالة هامساً في أذن صاحبه الشاكي:

"أيها الصديق العزيز: ليست تسريحة قريبتك هي البضاعة الأجنبية الوحيدة التي تكتسح أسواقنا وبيوتنا، وليس أنطون الحلاق هو المسيطر علينا بها، فهناك بضاعات لا بضاعة واحدة من عقائد ومذاهب وشعارات أجنبية تملأ أسواقنا وبيوتنا... ونفوسنا أيضاً، وهذا ما أريد معالجته معك... واطمئن فسوف لا نخرج عن هذا الصدد؛ فالحياة نفسها صناعة ولكنها صناعة لا ترسم بالدراسات ولا تبحث في الجامعات، وإنما تستلهم من نفوس الأفراد وماضي الأمة، ولن أطيل عليك، فأقرب مثال هو أمتنا وشعوبها الكثيرة... إن بعضها ما زال يرزح بشكل من الأشكال تحت نير الاستعمار، وفي هذه الشعوب نفسها تروج البضاعات إياها، ويسيطر عمال هذا الاستعمار تارة باسم الحلاق، وتارة بألقاب فخمة كلقب ملك ورئيس وزعيم خطير على أذواقنا

ومقدراتنا... شعب واحد من شعوبنا هذه ازدرى بكل هذه السفايف ونظر إلى صناعة الحياة من زاوية أخرى وهي تتسربل بالحكمة الذهبية "اطلب الموت توهب لك الحياة" و"صناعة الحياة هي قبل كل شيء صناعة الموت"²³.

ولا تكاد تخلو مقالة لـ "أبو غنيمة" من بحث في الجانب الأخلاقي للإنسان، كما في "علم الصالحين" و"درب السلطان" و"قرأت وحفظت ورأيت" و"فن الملقط" و"شكوى" وغيرها. وهو إذ يهتم بهذا الجانب تجده يقتنص الحادثة البسيطة لوصف وعلاج قضية أخلاقية غاية في الخطورة. في مقالته الموسومة بـ "الشكوى" يفتتحها برسالة تلقاها من صديق يشكو فيها نباح الكلاب الذي حرمة لذيذ النوم، ويطالبه بشن حملة صحفية للقضاء على الكلاب الشاردة، فإذا به يتحول ليكون نصيرا لتلك الكلاب:

"المطلوب في هذه الشكوى هو القضاء على الكلاب بحملة، ولكن بالله عليك ما الذي تصنعه هذه الحيوانات الضعيفة المسكينة لتستحق منا السم أو الرصاص؟ إنها تقلق الناس بنباحها وهذا صحيح، ولكن هذا النباح لا يختلف عن صراخ طفل جارنا الذي يقلقني طوال الليل، والطفل عندما يصرخ إنما يفعل ذلك إما عن جوع أو عطش وإما عن ألم، ونحن نعرف ذلك عنه، فلماذا نتجاهل ذلك في الحيوان المسكين ونطلب تسميمه في الحال؟! هذا ظلم صارخ وأكثر منه ظلما هو نظرنا البشعة إلى هذا المخلوق منذ الأزل فهي نظرة ليس فيها ذرة من الحق والعدل"²⁴.

ثم ينتقل ليكشف طبيعة كل من هذا الحيوان والإنسان من خلال قصة حقيقة وقعت في اليابان تظهر وفاء وصدق كلب قتل صاحبه في حادثة تدهور القطار ولم يعد، فبقي كلبه ينتظره في محطة القطار عشرة أعوام إلى أن نفق. ثم يعرض في المقابل قصة حقيقية يعرف شخوصها، ويكشف فيها نذالة وخيانة فتى كان قد أحسن إليه أحد الأثرياء فعلمه ورعاه وأنفق عليه بسخاء، حتى إذا ما اشتد ساعد الفتى وصار من أهل السلطة في البلاد، أصدر قانونا يجيز له ولمن معه الاستيلاء على أموال البعض وأموالهم، وكان أول رجل طبق عليه هذا القرار هو السيد النبيل الذي أحسن إليه، فجرده من كل ما يملك. ثم يختم مقالته قائلا:

"من المقارنة بين هاتين الحادثتين تستطيع أن تدرك الكثير... ومن هاتين القصتين أيضا يمكن الحكم بأن صديقنا المحترم صاحب الشكوى لم يهدف في شكواه إلى الكلب الذي صرح عنه، بل أراد تنبيهنا إلى أمثال هذه الحوادث التي يعرف من أمثالها الكثير. وهدفه من ذلك أن يشير إلى أننا في بعض الأحيان نكون مدينين بالاعتذار إلى الكلاب من بعض الناس، ومنهم بعض أصحاب الألقاب الفخمة، فهؤلاء على الرغم من ألقابهم فإنهم لا يصلون إلى مرتبة الشرف التي يصل إليها وفاء الكلب"²⁵.

3- مقالة السيرة:

وفي هذا النوع من المقالات يسلط الضوء على جانب من الشخصية التي يتحدث عنها، ويقدمها من منظوره الخاص " فيعكس لنا تأثيره بها وانطباعاته الخاصة عنها، ويحاول أن يخطط معالمها الإنسانية تخطيطاً فنياً واضحاً، معتمداً على التنسيق والاختيار"²⁶. ومن أمثلة هذا النوع مقالة "أبو عثمان .. وقميص عثمان"، و"قبر صديقي"، و"الرمال التي تغني"، و"رأيتهم فلم أنسهم"، و"الدهر خفيف"، و"طه الهاشمي: الفارس الذي ترحل".

ففي مقالته "الرمال التي تغني" يوقفنا عند العالم والرحالة والسياسي "فيلبي" مسلطاً الضوء على ما جانب من شخصية هذا الرجل الذي يتمتع بحس عال بالمسؤولية يندر أن تجده عند الكثير:

"لقد كنت دون شك أمام طراز قل مثيله بين الرجال، ويكفي أن نصغي إلى وصفه للأهوال التي لقيها في حله وترحاله لتعلم كيف يدعوك هذا إلى احترامه وتقدير مزاياه، فلقد قضى أكبر مدة من حياته الطويلة في البراري والقفار محتملاً شظف العيش وعناء السفر ومتاعب الحر والقر"²⁷.

ويروي لنا شيئاً من عجائب أسفاره، وما قدمه من اكتشافات علمية لها قيمتها الكبرى في تاريخ الإنسانية، وهو إن يعرض هذه الشخصية الإنجليزية يقارنها برجال الأمة العربية متسانلاً عما قدموه:

"وقد حدثته يوماً عن فيلبي فأخبرني بأنه يعرف عنه الكثير وقال لي: يا دكتور إن فيلبي يعمل لوطنه قبل كل شيء، ويعد نفسه مسؤولاً عن كل ما يحدث فيه، وأمثال هذا الرجل قلانل، لا في بلد واحد، بل في الدنيا بأسرها، ومن كانت هذه تصرفاته فهو جدير بالإجلال:

"ومن الحق أن نقول إن هذا الرجل نصب نفسه سفيراً لأمته، فكان السفير بلا سفارة، ومع ذلك فقد عمل لها ما لم يصنعه غيره من المسؤولين... إن شعوره بالمسؤولية هو شعور الرجل الذي يحاسب نفسه على الكبيرة والصغيرة. وقل لي الآن كم من الذين انتدبتهم الأمة العربية لتمثيلها صنعوا عشر معشار ما صنعه فيلبي لأمته؟! "²⁸.

4- مقالة الصورة الشخصية:

وفيهما يكشف الكاتب عن جانب من حياته الشخصية، وعلاقته الحميمة بوالدته، ولكنه لا يصرح بذلك في بداية المقالة، فيوهم القارئ أنه بصد سماع قصة واقعية لا صلة له بأحداثها، ويروي له حكاية أم مع ابنها المسافر الذي يبعث لها برسالة تفيض شوقاً وحنيناً ويختتمها بقوله:

"آه يا أماه لو تعلمين كم أحن إليك وإلى أقراص السمن بالعجوة والكعك اللذيذ الذي تصنعيه بيديك الطيبتين، وإلى الكبة الممتازة التي حرمتنا منها هنا وأصبحنا نعيش على الترمس"²⁹.

فما كان من الأم إلا أن قررت السفر برا إلى ابنها الغائب محملة بالكعك والكبة التي اشتهاها، وتعاني ما تعاني في طريق سفرها بعد أن تمت مصادرة ما كانت تحمله من الأطعمة. ولكنها تصر على استعادة ما أخذ منها. وكانت هذه المعاناة الطويلة سببا في إصابتها بداء الجنب. وشفيت الأم ورجعت إلى ريفها ولكن المرض لم يتركها فكان يعاودها من حين لآخر.. وكان الذي عرف هذا بالتأكيد هو ابنها نفسه بعد أن أصبح طبيبا فكان يفحصها ويقول وهو يرفع السماعة عن ظهرها بحزن مشيرا إلى تلك الرحلة: ماما... لماذا جئت؟ وتجيبه هي أيضا... يا خبيث أما جئتك بالكعك والأقراص والكبة؟"³⁰.

وكعادته يدخر عنصر المفاجأة إلى خاتمة المقالة ليكتشف القارئ أن هذه الأم هي أم "أبو غنيمة" حين يقول: "هذه هي القصة، وكنت أضم أوراقها إلى بعضها لإرسالها للجريدة وقد لاحظت أن السطور الأخيرة منها قد محيت، وقد عرفت السبب الآن فقد كنت أنظر إليها زاهلا ولم أشعر أن قطرات من دموعي كانت تتساقط على الكلمات، ولا تعجب من هذا أيها القارئ العزيز فقد كانت تلك الأم هي أمي!"³¹.

5- المقالة السياسية:

تحمل الكثير من مقالات "أبو غنيمة" هما سياسيا وانشغالا قويا بقضايا الوطن والأمة، ومع ذلك تجدها لا تخلو من الطرافة وخفة الروح على الرغم من غلبة الهم السياسي عليها، إلا أنه لا يعرض هذه القضايا بصورة مباشرة، بل تجده يوظف الواقعة الحاضرة أو الطرفة الأدبية أو الحكاية البسيطة لإثبات الغرض السياسي الذي يتناوله. في مقالته "أبو عثمان وقميص عثمان" يقدم لها بترجمة بسيطة للشاعر (أبو سلمى) ومن ثم يعقب بذكر مجموعة من طرائف إسعاف النشاشيبي الذي كان متعلقا بامرأة يسأل عنها كل قادم رابطا هذه الطرائف بحكاية أبي نواس مع غانية تسمى جنان، وهو يريد بذلك تصوير حالة الانتهازيين الذين يدعون حب الوطن، وفي كل حين يرفعون شعارات وطنية تتناسب ومصالحهم الخاصة:

"كان يحب غانية تسمى جنان، من حكمان، وكان ينتظر قدوم المسافرين كل يوم ليسأل.. لا عن جنان، بل للتمويه عن أبي عثمان، ولكن أمره كان مفضوحا، ولذا فإن الركب كان يعامله على قاعدة- اطلع من دول- فيقول له: دعك من عثمان وسل عن جنان يا ألبان.. هذه القصة يضعها صاحبها الخبيث أبو نواس بهذين البيتين:

اسأل القادمين من حِكمَانِ كيف خلفتُم أبا عثمانِ
 فيقولون لي جنان كما سرَّك في حالها فسل عن جنانِ
 إن الانتهازيين الذين احتكروا الوطنية لأنفسهم فأتقنوا اللف والدوران للوصول إلى أهدافهم
 الصغيرة لا يختلفون عن أبي نواس إلا بفارق بسيط جدا:

أبو نواس قلق على أبي عثمان، وهم يبكون على قميص عثمان، وقميص عثمان هذا يختلف باختلاف الطقس والبورصة، فتارة يكون المثالية والقومية، وتارة يكون فلسطين، أو الجزائر أو شعب عمان الباسل³².

- بنية المقالة

على الرغم من وجاهة المادة الفكرية والمعرفية في هذه المقالات وقيمتها، إلا أن جانباً آخر لا يمكن إهماله يتعلق بطريقة تصميم المقالة عند "أبو غنيمة"، التي يعرفها والتر باتر بأنها: "ذلك التصور البنائي للموضوع الذي يرهص بالنهاية منذ البداية، ولا يرفع عينه عنها. وهو في أي جزء من الأجزاء، يلتفت إلى الأجزاء الأخرى، إلى أن تكشف العبارة الأخيرة عن كنه العبارة الأولى وتبرر وجودها دون أن تحس بأي فتور"³³.

لقد كان أحد أهم أسباب نجاح مقالات "أبو غنيمة" هو تلك الطريقة التي يعرض بها مادته العلمية والأدبية؛ ذلك أن فرقاً بين العلم الذي هو معرفة العلة، وبين الأداء والمهنة التي هي فن معرفة الوسيلة. لقد تمكن أبو غنيمة بما يتمتع به من شخصية مثقفة، جمعت بين حدة ذكاء وخفة ظل، من جذب القارئ وإمتاعه حتى آخر كلمة في المقالة؛ تجده أحياناً يتحدث عن قضية فلسفية عميقة وحساسة جداً، أو نظرية علمية شديدة الاختصاص، إلا أن خفة روحه، وسلاسة لغته، وبساطة التركيب، تجعلها قريبة من القارئ فلا يشعر بثقل الجانب المعرفي فيها. وهو ما يدفعنا للوقوف عند طريقة بناء هذه المقالات بدءاً بالعنوان ومن ثم العرض وانتهاءً بالخاتمة.

1- العنوان:

لا يمكن إغفال أهمية فن المقالة وخطورة هذا النوع الأدبي من حيث تأثيره على الرأي العام، بوصفه وسيلة اتصال جماهيري وليس شخصياً، "المتلقي ليس شخصاً أو عدة أشخاص أو حتى آلاف الأشخاص، وإنما جمهور حاشد قوامه ملايين المستمعين والمشاهدين والقراء، بحيث لا يتسنى للقائم بالاتصال أن يبلغ رسالته إليهم من خلال الاتصال المواجهي، ويتعامل القائم بالاتصال مع الجمهور باعتباره جماعات وليس أفراداً كما هو الحال في الاتصال الشخصي"³⁴. ويعد العنوان أشد المكونات خطراً في بناء المقالة باعتباره العتبة الأولى التي ستقف عليها جماهير غفيرة وغير

متجانسة ثقافيا واجتماعيا، ويقع على عاتق كاتب المقال أن يؤثر على متلقيه معرفيا ونفسيا وسلوكيا، وهو ما يجعل العنوان الشبكة التي يصطاد بها القارئ الذي سيعمل بدوره على تأويل العمل من خلاله، باعتبار أن العنوان "نتاج تفاعل علاماتي بين المرسل والعمل، أما المستقبل فإنه يدخل إلى العمل من بوابة العنوان متأولا له، وموظفا خلفيته المعرفية في استنتاج دواله الفقيرة عددا وقواعد تركيب وسياقا، وكثيرا ما كانت دلالية العمل هي ناتج تأويل عنوانه، أو يمكن اعتبارها كذلك دون إطلاق"³⁵.

ومن يطلع على مقالات "أبو غنيمه" يجد هذا التفاعل العلاماتي بين العنوان والنص المرسل، فأحيانا يأتي العنوان مختزلا المقالة في كلمة واحدة، هي خلاصة المقالة ومفتاحها؛ كما في "تأدب" و"شكوى" و"أم" و"مالاستا" و"كوفاديس" لا شك أن كل مفردة تخلق لدى المتلقي توترا مرده تلك التعمية المقصودة من خلال تنكير اسم، أو توظيف لفظ، أو اسم علم أجنبي مجهول بالنسبة للقارئ العربي على الأقل. فكثير من مقالاته جاءت موسومة بأسماء غريبة من مثل "أنا مع شيلمان" و"دنيا فيتيناو" و"مالاستا" و"أيام مع هوسرل" و"كوفاديس". وهو ما يوفر عنصر جذب في المقالة من جهة، ويوسع من أفق التوقع لدى المتلقي من جهة أخرى، مما يضمن تحقق عنصر المفاجأة في القراءة، ففي مقالة "شكوى" على سبيل المثال يظن القارئ أن الشكوى التي تدور حولها المقالة مردها الكلاب الضالة. لكنه يفاجأ في نهاية المقال بأن الشكوى الحقيقية والمقصودة تتعلق بالكلاب من البشر الذين لا يحفظون ودا ولا معروفا.

أما في "مالاستا" فالكاتب يبدأ مقالة تدور حول محاضرة موضوعها "الموسيقى في خدمة السلام" حيث لاحظ الكاتب قلة عدد الحضور، على الرغم من أهمية الموضوع، وهنا تدور في رأسه قصتان يتمنى لو يستطيع نقلهما إلى المحاضر ليواسيه إذ لاحظ غياب الجمهور. فيأخذ بسرد حكاية عجائبية لرجل من كبار مفكري الطليان في القرن التاسع عشر، اسمه "مالاستا" أدين لقدرته على تغيير أخلاق الرجال وإصلاحهم، وهو ما يستدعي توقف المحاكم عن العمل. فكان أن حوكم، وسجن، لكنه خرج بعد ذلك ليصير رمزا يضرب به المثل.

والأمر ذاته في "كوفاديس" وهي لفظة أجنبية يتبعها ترجمة لها في عنوان فرعي صغير "إلى أين" هذه اللفظة ستكون منطلقه في المقالة التي تحدث فيها عن أصل هذه الكلمة وسياقها المستخدم فيه، وهو ما قاده للحديث عن سلوك العباقر، وأهل الهمم الذين شغلوا بالعمل حتى آخر ساعة في حياتهم. منهي المقالة بمقارنة يعقدها بين هؤلاء الرواد من أهل الهمم الذين وهبوا حياتهم خدمة للوطن، وبين المجرمين من تجار الحروب والوطنية الذين استغلوا مناصبهم وعملوا لمصالحهم الخاصة:

"إن هؤلاء هم جرائيم البشرية والأمم، وهؤلاء هم الضالون المضللون، وهؤلاء هم الذين يجب أن توجه إليهم كلمة السيد المسيح فلعلها أن تردعهم...إني لا أجد حرجا في أن أقف وإياك أمام هذا الثالوث من تجار الحرب، وتجار الوطنية، ومحترفي السياسة لنصرخ في وجههم القدر ونقول: أيها المجرمون! كوفاديس! كوفاديس!"³⁶.

وقد يأتي العنوان مركبا من كلمتين فقط كما في "علم الصالحين" أو "أيام زمان" أو "شلال أبو رسول" أو "فن الملقط" أو "إنسان الأسيرين" أو "درب السلطان" أو "دنيا فتيناو" أو "أحلام العلماء" أو "قصة الإسراء" أو "صديقنا الشيخ" أو "علم الفراسة". وقد يكون مركباً من وصف وموصوف من مثل: "جندي مجهول" أو "حقائق مرة"، وعلى الرغم من أن العنوان، في المجموعة الأولى، جاء مركبا من مضاف ومضاف إليه، وهو ما يفترض أن يقدم تعريفا للقارئ، إلا أنه لا يستطيع أن يبتني في ذهنه تصورا واضحا لما هو مقدم عليه، خاصة أن بعض هذه التراكيب جاءت مجازية، وهو ما أتاح للكاتب الانتقال بسهولة من حقل إلى حقل؛ كما في "إنسان الأسيرين" و"درب السلطان". حيث ينتقل بقارئة من حقل إلى آخر بسلاسة، دون أن يشعره بالانقطاع أو بتطفل حقل على آخر.

أما العنوانات التي يفترض بها الوضوح من مثل "شلال أبو رسول" و"قصة الإسراء" و"علم الفراسة" فقد كان وضوحها سر جاذبيتها؛ إذ تدفع القارئ للبحث عن الجديد الذي سيقع عليه الكاتب في أمر مألوف ومعلوم لدى العامة؛ كما في مقالته "قصة الإسراء" حيث يتفاجأ المتلقي بهذا الربط العجيب لحادثة الإسراء بمواضيع ونظريات علمية ما زالت تبحث عن إجابات واضحة لها.

أما بقية المقالات فعنواناتها جاءت في أغلبها جملا اسمية، وهي جمل لا تخلو من الطرافة من مثل "الدهر خفيف" و"أنا مع شبيلمان" و"أيام مع هوسرل" و"عبد الغني في القمر" ومثل هذه العنوانات لا تكشف للقارئ أية تفاصيل، مع أنها مقتبسة من النص نفسه؛ ولكنها تلقي بشباكها على القارئ الذي يجد نفسه مشدوداً إلى النص لفك شيفرة العنوان الذي يعد بالنسبة له خبرة جديدة لا عهد له بها، وهو ما يؤكد مقولة أن "العنوان الجيد هو أحسن سمسار للكاتب"³⁷؛ في مقالة "أنا مع شبيلمان" يتناول الكاتب موضوعه الحب في الأدب والطب. ومن ثم يقص على القارئ حكايتين من وحي تجربته الخاصة؛ إحداهما مع رجل تعرف إليه اسمه مصطفى عبد الخالق، وهو مخلص شديد الوطنية، قاده حبه هذا إلى محاولة اغتيال "سعد زغلول"، والأخرى مع رجل ألماني، كان قد التقاه في أحد الفنادق، وهو فنان معروف يعد من نجوم السينما والمسرح، وكان قد صرح له بأنه يكره هتلر وموسوليني، على الرغم من الانتصارات التي حققها

بسبب دكتاتوريتهما، لكنه اختار أن يعبر عن مقاومته لهما بطريقة مختلفة، وبعبارة عن القتل، لذلك يقول له:

"اسمع يا صديقي ! أنا أكره هؤلاء الناس أيا كانوا وأينما كانوا، ولا أكون جديرا بلقب إنسان إن لم أحاربهم بكل ما أملك من قوة"³⁸.

وانطلاقا من هاتين التجريبتين جاءت الخاتمة متفقة مع عنوان المقالة.

"من حق أي إنسان أن يحب وطنه كما يريد وبقدر ما يريد، ولكن ليس له أبدا أن يصبح بهذا الحب مجرما! إن المثالية السامية في الحقد - نعم في الحقد، ليست هي التي أعلنت عن نفسها برصاصات مصطفى عبد الخالق ولكنها في الصمت والتصميم الذي سنراه عند صديقنا شبيلمان"³⁹ ثم يؤكد موقفه هذا إذ يقول: "أيها القارئ العزيز: بصراحة أنا مع شبيلمان"⁴⁰.

2- العرض:

وهو الجزء الأساسي في المقالة، الذي يحاول فيه الكاتب إقناع القارئ بفكرته من خلال عرض الأدلة والبيانات، ولكن دون إطالة تخل بطبيعة المقالة. وعادة ما يتكون جسم المقالة عند أبو غنيمة من عدة فقرات قد تطول أو تقصر حسب طبيعة القضية المطروحة. والطريف في مقالة "أبو غنيمة" أنه لا يدع قارئه يطمئن إلى فكرة تنتمي إلى حقل ما، حتى ينتقل به إلى فكرة جديدة في حقل آخر لا ينتمي إلى سابقه، وهو ما يجعل القارئ في حالة توتر تمنعه الملالة أو الركون إلى النتيجة الأولية قبل أن يفرغ الكاتب كل ما في جعبته في ذهن متلقيه. في مقالته الموسومة بـ "فن الملقط" مقدمة تعرف بالتبكي صاحب تعبير " فن الملقط":

"صاحب التعبير هو أبو سعيد... التبكي في مقهى الربوة وأنصح ألا تستخف به" فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها" وكل إنسان يفوقني بشيء يجب أن أتعلمه منه " وكل هذه القواعد الذهنية لها أساس علمي، فالمعرفة بحر... بل هي البحر الوحيد الذي لا نهاية له، وإنك وأنت على الشاطئ قد لا تقر هذا ولكنك إذا ركبت زورقا توغلت في البحر أمنت به، وسيزداد إيمانك كلما توغلت في لجه. وهناك وسط تلك الأنواء الصاخبة، إذا ما أحسست بالهول فسوف لا تستخف بأي صعلوك من الصيادين إذا ما أسرع لإنجارك وأنت حائر منهوك القوى"⁴¹.

وأبو سعيد رجل بسيط يهوى النرجيلة لزبائنه في المقهى وكان أحد أصدقاء "أبو غنيمة" قد نبهه إلى بعض ملامح هذا الرجل التي توحى بنباهته. ويجعل من ذلك التنبيه مدخلا للحديث عن علم الفراسة الذي يساعد المرء على معرفة دلائل الناس من خلال ملامحهم الخلقية مما يسهل على المرء بلوغ النجاح، ويعرض في سبيل ذلك آراء الأقدمين والمحدثين في هذا العلم، فيتوقف عند ابن عربي وماريتيني وكرتشمير. ثم يعود بالقارئ للحديث عن مهارة "أبو سعيد" الذي يبرهن

وبصورة عملية على صدق فراسة الصديق فيه؛ فنباهته واضحة في عمله في المقهى وإتقانه، وهو يعلم صبي القهوة كيف يلتقط الجمرة لإشعالها، لينتهي به المطاف إلى قضية أخلاقية اجتماعية هي في غاية الأهمية، وهي ضرورة إتقان العمل⁴².

وهذا شأنه في كل مقالة تجده ينتقل من حقل إلى حقل بسلاسة فائقة لا تشعر القارئ بالانقطاع أو عدم الانسجام، لينتهي إلى الخاتمة التي تضيء النص كله.

وفي مقالته درب السلطان، يبتدئ الحديث بتوضيح المعنى اللغوي لدرب السلطان:

"الدرب السلطاني هو عادة الدرب الممهد والمعبود"⁴³. ثم ينتقل إلى علم النفس الفرويدي، حيث يوضح المعنى النفسي له "ودرب السلطان تعبير أطلقه فرويد على الأحلام، فالأحلام في رأيه هي أقصر طريق للوصول إلى النفس"⁴⁴.

ثم يتحول إلى الأدب موضحا معناه الاجتماعي الذي رسمه الشعراء من قبل:

"ولكن أصعب هذه الدروب في الحياة الاجتماعية هي درب الوصول إلى القلوب! هذا الدرب رسمه لنا الشعراء، فقال أحدهم: إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاج كسرها لا يجبر.

لكنه يعود فيخطئ هذه المقولة ليؤكد أن هناك طريقا يمكن به جمع المتنافرات، وفي سبيل برهنة هذه النتيجة يلجأ إلى الرياضيات والكيمياء ليثبت بصورة علمية بحتة إمكانية الجمع بين المتنافرات:

"هذه العناصر قد يتنافر بعضها مع بعضها الآخر، ولكن لا يوجد عنصر واحد لا يمكن التآليف بينه وبين العنصر الذي ينفر منه بشرط أن يكون هناك الوسيط البارع، ويسمى في الكيمياء كاتاليزاتور"⁴⁵.

ومن ثم يختم مقالته بباب الأخلاق: "هذا الباب أرشدتنا إليه الأديان السماوية كلها، وبشر به الرسل الكرام جميعا. وقد عبر عنه القرآن الكريم بأجمل ألفاظ وأروع بيان فقال: "ادفع بالحسنة السيئة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"⁴⁶ فالإعجاز في الوصف وفي تقرير الواقع بكلمة "كأنه" ظاهر للعيان ولا يحتاج إلى وصف. ودفع السيئة بالحسنة هو أعظم شأننا من الإحسان المحض... وهذا هو الحق في سبيل الوصول إلى القلوب... إنه درب السلطان"⁴⁷.

إن هذا الانتقال من موضوع إلى آخر في العرض، الذي يكون مؤيدا بالبراهين والأدلة، يضمن التنوع المعرفي الممتع، الذي يحمل القارئ على التسليم والإيمان بفكرة الكاتب، إذ يشعر أنه في رحلة ممتعة يتزود فيها بالمعلومة الطريفة، والفكرة العميقة كلما تقدم في القراءة، دون إحساس بثقل المادة المعروضة، أو تزامم الأدلة والبراهين المؤيدة لفكرة الكاتب.

3- الخاتمة:

لـ "أبو غنيمة" في بناء مقالاته الصحفية خطة لا يخطئها، وطريقة لا يحيد عنها، إن تمتاز خاتمة المقالة عنده بقدرتها على كسر أفق التوقع عند القارئ ومفاجأته على نحو طريف؛ فهو عادة ما يستهل المقالة بفكرة عامة أو حادثة أو قصة يقيم عليها بناء المقالة، ثم يعمل على مناقشتها وإثباتها من خلال الانتقال السريع من حقل معرفي إلى آخر. وهو ما يكسب قارئه متعة معرفية وجمالية تنأى به عن السأم أو الملالة، لكنها في الوقت نفسه تبقى في حالة مستمرة من الترقب، والتفكر في النتيجة التي سيصل إليها، حتى إذا ما انتهى إلى الخاتمة يفاجئ قارئه بكلمة أو جملة تضيء النص كله، وتدفعه لإعادة ترتيب أفكاره، وتعديل تصوراتهِ حول الموضوع برمته. كما في مقالته "نحو أمنية عذبة" حيث يبدأ حديثه بمقدمة علمية، يتحدث فيها عن الكشوفات العلمية وما أنجزه العلماء من اختراعات مكنت الإنسان من السيطرة على المادة سيطرة تامة، ومن ثم رغبتهم في السيطرة على الزمان كما سيطروا على المكان، في زمن أصبح المستحيل فيه ممكناً بسبب التقدم العلمي.

إلا أن الغاية من هذه المقالة تكشفها الخاتمة حيث يربط هذا الموضوع بقضية أخلاقية، فهو يرغب في السيطرة على الزمان باعتباره أداة تمكنه من كشف الكذب، وهي فكرة طريفة ما كانت لتخطر على ذهن القارئ، الذي تفاجئه هذه الخاتمة:

"إن السيطرة على الزمن معناه الوصول إلى وسيلة يوضع بها ميزان الكذب والدجل والتهرج، وذلك لأن هذه كلها أمور لا بُدَّ من أن يفضح أمرها مع الزمن تأييدا لقول الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فكل كذاب وكل دجال وكل مهرج - وما أكثر هؤلاء في دنيا العرب - سيكشف عنه القناع بين إغماض العين وفتح العين. ولعل القارئ يدرك مثلي بمزيد من الألم والحسرة أن الوصول إلى هذا الهدف ما يزال بعيداً... ولكن: ماذا يمنع؟ إنها والله أمنية عذبة"⁴⁸. أو كما في مقالته "في مدينة الموتى" التي يستهلها بمشهد التقطه عند زيارة قبر أحد أصدقائه صباح العيد، حيث آلاف البشر يقفون على قبور أحبائهم يناجونهم وكأنهم أحياء، ومن ثم يقدم التفسير العلمي لهذه الظاهرة، مؤكداً هذا التفسير بشواهد يستقيها من الأدب العربي القديم، لينتقل فجأة إلى عالم الأسطورة، وحكاية المصطبة في الخرافات البابلية:

"كان عندهم "مصطبة" لها خاصية سحرية؛ إذ إن الإنسان إذا جلس عليها استحال عليه أن يخفي شيئاً مما يضمرة، فكان الحكام يجلسون عليها من يتهمونه بالخيانة وغيرها... وبعض الحكماء يرى أن هذه المصطبة ليست خرافة وليس فيها أي سحر، وهي موجودة دوماً وفي كل

أن!! إنها موجودة في كرسي الحكم فهذا الكرسي محك تستطيع أن تعرف فيه الجوهر من الناس والزائف منهم. إلا أن الثابت في أبحاث العلماء هو أن الإنسان لا يستطيع في موقف واحد أن يلبس قناع الرياء، وذلك الموقف هو الذي يسيطر فيه الجلال والهيبة على كل رجل أمام الموت! فأمام الموت وحده يذوب الدجل والكذب والفجور"⁴⁹.

حتى إذا ما وصل خاتمة المقال انتقل إلى نقد محترفي السياسة والمنافقين لتضيء النص كله، إذ يقول:

"هؤلاء يتخفون بأقنعة الرياء والكذب على الله والناس، وليس بالإمكان أن نأتيهم بالمصطبة السحرية البابلية. كما أنه ليس في وسعي ووسعك أن نجعلهم على الكراسي الساحرة، لنبين للناس الزائف منهم، ولا نستطيع إلا شيئاً واحداً: هذا الشيء أن نحجب إليهم الذهاب إلى مدينة الموتى"⁵⁰.

سمات المقالة عند "أبو غنيمة":

يقف "أبو غنيمة" في طليعة كتاب المقالة، ليس في الأردن حسب، بل في المنطقة العربية، "فمقالاته تبين عن أسلوب متميز في الكتابة، أسلوب يجمع بين العمق الفكري والسعة المعرفية، والبناء الفني الرفيع الذي يجعل القارئ مشدوداً إلى النص بما يجتمع فيه من عناصر الجذب والتشويق: العنونة، والمادة غير المألوفة، والفكاهة والسخرية السوداء"⁵¹. كما تظهر جرأة في تناولها قضايا معقدة وإشكالية؛ من مثل حرية الرأي، وعقلانية التفكير، ورفض الاستبداد، والإعلاء من القيم الوطنية والأخلاقية، وضرورة التجديد والتطور، حيث يسيطر عليه هاجس النقد والمقارنة بين الشرق والغرب. ولعل من أبرز سمات المقالة عند "أبو غنيمة" ما اتصفت به كتاباته من مطابقة للواقع، وسبر مشاكل أمته الاجتماعية والسياسية. على الرغم من جدية هذه المقالات إلا أنها لم تخل من الطرافة والسخرية التي تعري هذا الواقع، وتفضح عوارده.

1- مطابقة الواقع:

تكتسب هذه المقالات قيمتها من خلال صدقها وارتباطها بواقع المتلقي، وملاستها لهمومه وأوجاعه، "فالخطاب الذي له مضمون مطابق للواقع، ويستعرض مشكلاته استعراضاً دقيقاً، ويشخص أمراضه بدقة، ويضع الحلول الناجحة بأمانة، خطاب صادق. وعلى النقيض من ذلك، فإن كل خطاب لا يطابق الواقع ولا يشخص أمراضه، ولا يعمل على حل مشكلاته، خطاب ليس له مضمون صادق"⁵² وقد استطاع الكاتب معاينة واقعه بدقة، متأملاً في كثير من مشاكله، وموظفاً المشاهد اليومية البسيطة في خدمة قضايا أخلاقية واجتماعية وسياسية، هي في غاية الخطورة.

وهو في سبيل ذلك يميل إلى استخدام أسلوب الحكاية بعيدا عن التلقين إلا فيما ندر، فغالبا ما يضمن مقالته قصة تبسط الموضوع وتوضحه.

2- السخرية:

تعد السمة الأكثر إثارة في أسلوب "أبو غنيمة" هي قدرته على إثارة ضحك القارئ من خلال السخرية التي تعد عنصرا مهما للجذب والتشويق، وهو إذ يفعل ذلك لا يضحكه لمجرد الضحك، ولكنه يوظفها بوصفها خطة لإقناع المتلقي بمقاصده، بحيث تصبح "السخرية إستراتيجية خطابية حجاجية وأسلوبية تترنح بين لغة مضاعفة ونظرة مكررة هازلة جادة توحى بالحقيقة، وتنتصر لها".⁵³ وهو ما يسمى بالسخرية السوداء، التي تعد أحد فنون الكتابة التي تحتاج إلى مهارات استثنائية في توظيف السخرية بنوعيتها: اللفظي والموقفى لخدمة القضايا الإنسانية والاجتماعية والسياسية. وقد ظهر هذا النوع من الكتابة الساخرة مع صدور صحيفة "The Tatler" عام 1709م، حين "نوه محررها رتشارد ستيل، وصديقه جوزف أديسون بغاية المجلة الإصلاحية، وبأنهما إنما وقفا قلميها على خدمة المجتمع، ومكافحة الآفات الصارة، والخرافات الشائعة بين الناس، وكانت موضوعات الصحيفة مستمدة من الأحداث اليومية ومن التطورات الاجتماعية، فكان أديسون يعرض مقالته عرضا يضحج بالسخرية والنقد اللاذع بقصد إصلاح ما فسد، وتقويم ما اعوج من أخلاق الناس"⁵⁴ وهو ما جعل السخرية سمة واضحة في كتابة المقالة الحديثة إن لم تكن شرطا أساسيا باعتبارها سلاحا ذا حدين، يجمع بين المتعة والفائدة. ووسيلة مقاومة علنية تعبر عن حالة من الرفض لواقع مغلوط ولأخلاقي، يتم بها الدفاع عن الذات الإنسانية وما يقع عليها من ظلم وقهر، وهي بهذا المعنى لا تثير الضحك لمجرد الضحك "السخرية لا تعني مجرد الاستهزاء والانتقاص من اللامرغوب فيه والمبتذل. إنها بديل أخلاقي وأيديولوجي للأخلاقي الرديء. فهي تقدم الزمان والمكان البديلين للزمن والفضاء الموبوتين، لأنها وعي انتقادي أو انتقاد واع لا يصلح"⁵⁵.

والناظر في مقالات "أبو غنيمة" يلمس هذا الحس الإصلاحي الذي كان يسيطر عليه، وانشغاله بقضايا أمته الفكرية والاجتماعية والسياسية في أشد مراحلها حرجا وحساسية، وهو ما يتطلب مزيدا من الحنكة والذكاء في عرض واقع مهترئ، يضحج بالمفاسد والمعائب جاعلا من هذه العيوب والمفاسد مادة لمقالته الصحفية، فتجده يرويه في قالب ساخر، خالقا من حالة التناقض بين الواقع التراجمي والطريقة الساخرة التي ينقل بها هذا الواقع الكثير من الأسئلة المحيرة والمربكة لدى القارئ. هذا الاهتمام الإنساني بمصالح الأمة أكسب مقالاته بعدا إنسانيا وأخلاقيا كان سببا وراء نجاح مقالاته الساخرة؛ إذ خرجت عن الهمم الذاتي إلى الهمم الجمعي، و"في مثل هذه الأعمال يؤدي الاستهزاء رسالة قومية وإنسانية، لأنه يخرج عن كونه تعبيراً عن سخط

الإنسان لإنسان آخر وكراهيته له، إلى كونه تعبيراً عن القيم القومية والإنسانية. يخرج عن كونه نقمة إلى كونه توجيهاً مهما بلغت حدته"⁵⁶.

والسخرية عند "أبو غنيمة" تتشكل من خلال اللغة واللفظ، أومن خلال الحادثة والموقف.

1: السخرية اللفظية:

"إن السخرية اللفظية في الأساس سخرية لعبية تسخر من المعنى بعثها بالأصوات وعلامات الترقيم والتكرار وآلية القلب الدلالي وتحريف ترتيب الكلمات والحروف كما تعارفها الناس. وهي بهذا تفصح إلى حد ما عن عدوانية مبررة من طرف المبدع اتجاه فاشية اللغة. كما تضرع نزعاً تدميرية عند المبدع عله يرد الاعتبار لنفسه من خلال إنتاج متواليات لسانية جديدة..."⁵⁷ وأحياناً يوظف الكاتب اللفظة المفردة في إثارة معان هي في غاية العمق والحساسية، ويظهر هذا الملمح في إحدى المقالات الموسومة بـ "الدهر خفيف" ويقصد بثخيف سخي، وقد اقتبسها الكاتب من كلمة ألقاها الأديب إسعاف النشاشيبي في حفل تأبين الحسين عام 1931 الذي دعي إليه كبار الشخصيات العربية، وكان النشاشيبي يلثغ بالسين، وكانت الخمر قد لعبت برأسه، فلما قام يلقي كلمته قبل بالتصفيق الاعتيادي، ثم لم يزد على أن قال: "الدهر خفيف" وسكت برهة ثم أعادها الثانية وهو يترنح وكاد يسقط، وبدأت الأصوات تتعالى تطالب بإزالة شفقة عليه، لكنه أسكت الجميع حين أطلقها بصوت قوي كالرعد "الدهر خفيف" لينطلق من بعد بفكرته التي جاء بها من تاريخ الأمة العربية:

"هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس- أمة قارعت الخطوب والأهوال وصارعت الكوارث والأخطار وفي مرات ومرات ضعفت وهزلت وتفشى فيها ما يتفشى في الأمم البائدة من ملق ودجل وتهريج حتى ليكاد اليأس يستولي على نفوس العقلاء من أبنائها، ولكنها في كل مرة وفي كل كارثة مهدت لليأس وقطع الرجاء، كان يطل على الأمة وجه البطل المنقذ، فإذا بالشمس تشرق، وإذا بالنفوس تتفتح، وإذا بالنصر المبين يحققه الله على يد أحد المخلصين من "محمد" إلى صلاح الدين " إلى.. إلى الحسين... أيها الدهر الذي يحاول إذلال أمة محمد... أنت خفيف!".

تبدو سخرية هذه الكلمة بوصفها جاءت ملحونة ضعيفة، ونطقها بتلك الطريقة يثير الضحك ولكنها في الوقت نفسه جاءت منتقدة ومحتجة على أكبر قوى الطبيعة وأكثرها جدية، وهو الدهر، هذا التناقض بين حالة الضعف والقوة من شأنه أن يزعزع أشد الثوابت لدى المتلقي، ويدفعه إلى محاولة إعادة ترتيب أفكاره بالمسلمات "لا محرّمات أمام السخرية السوداء، سواء أكانت دينية أو اجتماعية أو سياسية... لكنها في كسرهما التابوهات لا تتخلى عن الهزء لئلا تتحول إلى فعل إنهاك أو سحق في المعنى المجازي"⁵⁸.

وفي أحيان أخرى تأتي اللغة العامية البسيطة التي يتلفظ بها التنبكجي "أبو سعيد" في مقالة "فن الملقط" مؤسسة لعالم جديد أكثر صدقا وشفافية من عالم مدّعي الحكمة والثقافة، حيث يبيدي الكاتب إعجابه بـ "أبو سعيد" ويورد شعره العامي:

"يا صاحبي لو قلت أنا عبد...إلك

لا تبيعني تخلي العوازل تشتفي

وإن قلت لك تقبر عامي يا قمر

ما هو حلال تحمل قوام المجرفة"⁵⁹

هذه اللغة البسيطة لم تمنع الكاتب من وصفه بالشاعر والحكيم الذي تلتقط منه الحكمة:

"بيك كار الملقط كار...مو حيا الله... وتمعنت في قول أبي سعيد فبدا لي أنه صادق وأن هذا... الكار... مو حي الله... وكل منا بحاجة إلى إتقان فن الملقط: الحاكم ليعرف كيف يلتقط المنافقين فيرمي بهم وبدسائسهم إلى الخارج، المثقف، ليعرف كيف يلتقط موضوعاته وكتبه. الاجتماعي، ليحسن انتخاب أصدقائه ومعارفه وخلصائه. وحتى القارئ بحاجة إلى فن الملقط ليعرف كيف يميز الكاتب المؤمن...من الخبيث التافه... والزفت"⁶⁰.

هذا الانتقال من الفصحى إلى العامية، يعري زيف الواقع المعيش، ويحتج على حالة النفاق التي تعيشها طبقة المثقفين في المجتمع. كما يعمل على توسيع الدلالة على نحو فيه تعميق لأبعاد استعمالها، بعيدا عن دلالتها العامية الساذجة، المرتبطة بمهنة صاحب المقهى.

- سخرية الموقف:

تتأسس سخرية الموقف على مفارقات الأحداث والوقائع وتنافر عنصرين سياقيين وتعارض فعلين متلازمين"⁶¹ وكثيرا ما تؤسس مقالة "أبو غنيمه" على المفارقة المضحكة المبكية؛ وهو يفعل ذلك في لغة تهكمية تدفع القارئ إلى الضحك المرير الذي يدعو إلى التأمل. والعمل على إعادة النظر في ما هو متوقع ومألوف، وتغريه برفض هذا الواقع ومقاومته. في مقالته "دنيا فيتيناو" يكتب لنا عن مدينة "فيتيناو" القريبة من برلين، حيث يعيش فيها المجانين الذين انسحبوا من دنيا الناس إلى دنيا الأعماق في نفوسهم، فكل ما يفعلونه ويقولونه من وحي الأعماق وتفكيرها دون أي مانع أو قيد على أقوالهم وأفعالهم، وهو ما يضمن لهم السعادة التي تقرّبهم من الشفاء على الرغم مما هم فيه من شقاء. وهم في ذلك يشبهون الشعراء الذين يحق لهم ما لا يحق لغيرهم؛ فتجدهم يخاطبون الحجر والشجر دون أن ينكر أحد عليهم تلك الهلوسات، فتجد الحزين يرثي الطفل، ويتوسل الأثافي، ويحدث البرق، وعلى الرغم مما هم فيه من حزن لكنهم في

هلوستهم تلك تراهم أسعد السعداء. حتى اللحظة تبدو المقالة طريفة لا تعدو أن تكون عرضا لحالات يتسامى فيها الإنسان على الألم محققا سعادته، إلا أنه سرعان ما تتجلى المفارقة في حديثه عن دنيا العقلاء حيث لا يسمح للعاقل أن يتحدث إلى الحجر أو الشجر، ولا يستطيع الفرار من دنيا الناس إلى دنيا الأعماق، ولا يتمكن من إفراغ مشاعره وعواطفه كما يشاء بما يشاء فالعيب والحرام واللياقة تمنعه من كل هذا، فيكون بين أمرين: إما الكذب أو الرياء، وإما أن يدفع الثمن من أعصابه وقلبه، وهو ما اختبره بنفسه حين أراد أن يروح عن نفسه بالاستماع إلى المذياع، فسمع من النفاق والدجل والتهريج ما زاد صدره ضيقا واكتئابا، وكاد أن يقوم فيفرغ غيظه وغليله في مقالة الجمعة، لولا - عيب- وأخواتها، ومراعاة حق العروبة والجوار، وكان بين أمرين كما يقول:

"إما أن أخادع نفسي فأكذب عليها، وهذا ما لم أفعله، وإما أن أضغط على قلبي فأقول- أيها الحزن في فؤادي اسكت- وهذا ما حدث بالفعل! من هنا ندرك، لماذا يتمنى بعض الناس أن يعيش ولو للحظات في... دنيا فيتيناو"⁶².

فالمفارقة في "دنيا فيتيناو" ضحيتها هو الإنسان العاقل، "وهي بما هي كذلك فلا مندوحة من أن يكون أثرها مزيجا من الألم والتسلية يعقبه تحديد الموقف من الأشياء"⁶³ حيث يعقد الكاتب هذه المقارنة بين عالم المجانين الذي ينظر إليه العقلاء بشفقة واستخفاف، حيث يطلق المجانين فيه العنان لمشاعرهم وانفعالاتهم مخترقين كل التابوهات، ودون أدنى التفتات للآخر، وعالم العقلاء الذي يضطر فيه المرء أن يكبت مشاعره وأحاسيسه مراعاة للتابوهات، والدوق العام. ومن خلال هذه المقارنة نجد أن العقلاء يشقون بعقولهم، والمجانين في جنونهم يسعدون.

وفي مقالة "عبد الغني في القمر" يروي الكاتب حكايته مع طلبته الذين طلب منهم كتابة موضوع حر، فإذا بأحدهم "عبد الغني" يكتب عن رغبته في الهجرة إلى القمر، وهو ما أثار ضحك زملائه، وحين سألته كيف سيتمكن من العيش وحده هناك أجابه: "بدبر حالي"، وكأنه وجد في القمر ملاذه الوحيد الذي سينقذه من شرور الأرض وفسادها. وصار كلما سأل الأستاذ طلابه أين عبد الغني؟ أجابوه هو في القمر. وتدور الأيام ويتولى عبد الغني وظيفة جيدة، وصار كلما لقي الأستاذ طالبه يسأله مما زحأ: كيف أحوالكم هناك؟" فيجيبه عبد الغني: "ننتظر تشريفكم، فأشكره على دعوته".

هذه الحكاية الطريفة ما هي في حقيقتها إلا تعبير عن رغبة الكاتب في استبدال عالمه الفاسد بآخر مثالي، وهي فكرة تتكرر مع الكاتب في مقالة "إنسان الأسبرين" التي يتحدث فيها عن هذا العالم المريض، وخطر المرض الذي ينتاب إنسانه القلق، ويقدم في سبيل ذلك عدة حوادث يقارن فيها بين إنسان الماضي الذي يملك أعصابه ويظل سيدها في المواقف الصعبة، وإنسان الحاضر

الذي كثيرا ما يفقد السيطرة على نفسه في المواقف الصعبة. ويضرب لذلك مثلا بقوى العالم المسيطرة، ويشبهها برجل يحمل في إحدى يديه شعاراته التي يؤمن بها ويدعو الناس للإيمان بها، وفي اليد الأخرى يحمل كل وسائل الدمار والفناء يهدد بها كل من لا يقبل بشعاراته، ومن ثم يزعم أنه إنما يفعل ذلك حبا للإنسانية والخير. وتأتي الخاتمة ليطلعنا على الخبر التالي:

"في طوكيو قام المدعو "أبشي ساكاي" بتأليف حكومة عالمية مؤقتة من عشرين عضوا هدفها مفاوضة حكومتي المريخ وزهرة باسم حكومة الأرض، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده في طوكيو وتناقلت أخباره صحف العالم دعا الحكومات إلى الاشتراك معه في هذا..."⁶⁴.

ولا يجد "أبو غنيمة" في الأمر، على الرغم من غرابته، ما يضحك أو يدعو إلى السخرية، كما أنه لا يستبعد وقوعه مستقبلا، ويتعامل مع الحكاية بمنتهى الجدية، ولكن المفارقة تكمن في قوله: "ولكن الذي استبعده هو أن يسمح لرجل من عالم موبوء بالدخول إلى عالم سليم...إنني لا أستبعد أن يقرأ صاحبنا ورفاقه في طريقهم إلى عالم الكواكب على الحزام اللازوردي الفاصل بين السماء والأرض هذه الكلمات بأحرف من نور:

يمنع من الدخول إلى عالمنا النظيف: هذا المحترم... أبشي ساكاي"⁶⁵

ومن المفارقات أن من شخوص مقالاته الذين يصفهم بالحكمة وسداد الرأي هم من طبقة المهمشين وهي شخصيات بائسة، مشوهة، لا يلتفت إليها، أمثال "أبو سعيد التنبكجي"، والبويجي أديب، و"أبو جاسم الجليلاتي" ويبدو هؤلاء في مقالات "أبو غنيمة" مصدر الحكمة المنشودة، وهو إعلان صريح من الكاتب عن حالة الانحطاط والتأزم في مناحي الحياة عامة. في مقالته "فن الملقط" يتوقف عند هذه القضية قائلاً:

"فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها" وكل إنسان يفوقني بشيء يجب أن أتعلمه منه"⁶⁶ وكرد صارخ على حالة التردي والانحطاط يروي لنا في مقالته "رأيتهم فلم أنسهم" حكاية "أبو جاسم الجليلاتي" الذي يفخر بأنه أقدر من صنع برزعة، وهو حين يصفه يقدمه باعتباره أحد الأشخاص الذين لم ينسهم على الرغم من قبح صورته، وبساطة مهنته، فيقدمه بوصفه فيلسوفا لا يشق له غبار:

"فأبو جاسم أحول أعرج وقبيح الصورة حقا، غير أنه إلى جانب هذا فيلسوف، وفلسفته من النوع المقبول والساحر أحيانا، فكل شيء له عنده قصة، وكل قصة فيها درس، والقصة والدرس يلفهما دوما بقالب ظريف وفكه"⁶⁷.

"أثقل عليه أحدهم - وهو يحمل لقب باشا- وسأله: "أبو جاسم دخلك شو قصة اللبطة على فكك وشو درسها؟ فأجابه في الحال قصتي قصة، يا سيد كان لي صاحب عزيز مثل فضلك،

وله حمار، أوصاني على طقم له فأكملته بكل اعتناء ولما جاء القياس حرن... معلومك الحمار حمار ولو صار مستشار، فكنت أدور للشمال، يدور لليمين، أدور لليمين يدور للشمال حتى نرفزت ونخشته وقلت له: حمار، وإذا به يلبطني... ومن يومها توبة، صرت إذا أردت معاملة الحمار، لا أثيره ولا أهيجيه ولا أقول له يا حمار، وإنما أدله وأناديه: يا باشا..⁶⁸.

هذه المقابلة الطريفة بين الجليلاتي صانع البرزعة، بما يتمتع به من خفة ظل وحدة في الذكاء، والباشا صاحب الظل الثقيل، والفهم البليد، تكشف هزالة الألقاب، وزيف هذا المجتمع الذي يضطر معه الحكيم إلى المداينة والمداراة طلبا للسلامة، والنجاة من الأذى.

أما البويجي "أديب"، فهو فتى صغير من الجبل يمسح الأحذية وكان ملهمه في مقالة يتحدث فيها عن لصوص المجد: "لقد كانت الفرشاة ترقص بين يديه وهو يقذفها من يد إلى يد، وهو في كل هذا يبتسم ويدمدم، ويشعرك بأنه مملوء بهجة ونشاطا وحيوية، وقال لي إنه يحصل على ليرتين أو ثلاث في النهار وهو ممتن لهذا، واسترعى انتباهي مرة أخرى عندما قال:... والمهنة شرف يا أستاذ... موضوع المهنة الذي يتحدث عنه هذا الصغير كفيلسوف، تحدث عنه قبل أيام قليلة صديقي"⁶⁹.

والمفارقة في هذه المقالة أنها تعتمد التضاد الصارخ بين شخصية صبي صغير في مقتبل العمر، يعيش على عتبة الحياة، معتمدا على إخلاصه وإتقان مهنته في تلميع أحذية المارة، وبين أولئك الكبار الذين يسرقون المجد سرقة، ويتشددون بالوطن والوطنية ليل نهار، دون أن يكون لهم أدنى فضل. وهي مقابلة مؤلمة تثير في القارئ الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى حلول إصلاحية جذرية.

إن تعرية الواقع، وكشف سوءته من خلال الكتابة، عملية صعبة تحتاج إلى تجميل هذا الفعل من خلال الطرفة والحكاية القائمة على المفارقة الساخرة، وهو ما يضمن قبول فعل التعرية عند المتلقي. ولا شك أن تمكن "أبو غنيمة" في هذا النوع من الكتابة هو الذي ضمن لمقالاته النجاح، إذ يجد القارئ نفسه في كل أسبوع على موعد مع المعلومة العلمية والطرفة السياسية والفكرة الفلسفية واللمسة الأدبية، وذلك في لغة جمعت بين العلو والسلاسة، وبين العمق والوضوح.

Mohammad Subhi Abu-Ghaneimeh and the Art of Essay

Ahlam Masad, Langauge Center, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Abstract

This research aims at studying the art of essay writing in the works of Mohammad Subhi Abu Ghaneimeh. The study reveals the cultural and intellectual contexts that shape his essays. Moreover, this study shows the characteristics and aesthetic and objective dimensions of Abu Ghaneimeh's essays. While considering the techniques Abu Ghaneimeh used to construct and develop his writing style, the researcher finds out that Abu Ghaneimeh is committed to a fixed plan when writing his essays. The research mainly focuses on the most important objective and technical features that have characterized these essays. Abu Ghaneimeh's book, *Of these Days*, which includes forty two articles, will be the particular focus of this study. The researcher will follow the descriptive and analytical approach when reading and analyzing these essays.

الهوامش

- 1 انظر زياد الزعبي: عشيات وادي اليابس ص 27-29، ومقدمة أبو غنيمة لكتاب "عرار شاعر الأردن" للبدوي المثلث ص 20-25. وقد وردت في كتاب سيرة منفية، ومعجم أدباء الأردن معلومات مغلوطة حول المدة التي قضاها في مكتب عنبر، وحول مراحل تعليمه.
- 2 انظر جريدة الأردن، 21/ مارس/ 1931، الصفحة الأولى خبر افتتاح مستوصف الدكتور أبو غنيمة.
- 3 انظر هدى أبو غنيمة: سيرة منفية، ج1، ص 58.
- 4 سيرة منفية: ص ص 18، 19.
- 5 صبحي أبو غنيمة: من الأيام، ص 9.
- 6 انظر سيرة منفية، الفهرس أ- وفي نهاية الجزء الأول الذي يتضمن 142 مقالة منشورة في صحف مختلفة.
- 7 سيرة منفية: ج1، ص 42.
- 8 نظرة في أعماق الإنسان، ص 154.
- 9 نظرة في أعماق الإنسان، ص 75.
- 10 انظر قائمة المصادر في كتابه نظرة في أعماق الإنسان.
- 11 سيرة منفية: ص 17.

- 12 هاشم ياغي: القصة القصيرة في فلسطين والأردن، ص141. وانظر نبيل حداد: صبحي أبو غنيمة وأغاني الليل، مجلة أفكار، ع 2002، ص 63، 71. ومحمد أبو صوفة: في أغاني الليل محمد صبحي أبو غنيمة، المجلة الثقافية، ع 14-15-1988، ص 404-408. وقد أعادت وزارة الثقافة طباعة هذه المجموعة القصصية عام 1990.
- 13 انظر زياد الزعبي: قراءات - مقالات ونصوص، ص134.
- 14 هدى أبو غنيمة: سيرة منفية، ص39.
- 15 زياد الزعبي: قراءات مقالات ونصوص، ص 133.
- 16 هدى أبو غنيمة: سيرة منفية، ص330.
- 17 <https://en.wikipedia.org/wiki/Essay>
- 18 محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص 118.
- 19 أبو غنيمة: من الأيام، ص 11.
- 20 المرجع السابق: ص11.
- 21 المرجع السابق: ص 12.
- 22 محمد نجم: فن المقالة، ص107.
- 23 أبو غنيمة: من الأيام، ص 56، 57.
- 24 المرجع السابق: من الأيام، ص14.
- 25 أبو غنيمة: من الأيام، ص17.
- 26 محمد نجم: فن المقالة، ص 117.
- 27 أبو غنيمة: من الأيام، ص 86.
- 28 المرجع السابق: ص89.
- 29 أبو غنيمة: من الأيام، ص 222.
- 30 المرجع السابق، ص 224، 225.
- 31 المرجع السابق، ص 224، 225.
- 32 أبو غنيمة: من الأيام، ص35.
- 33 محمد نجم: فن المقالة، ص 120.
- 34 عبد الفتاح عبد النبي: تكنولوجيا الاتصال والثقافة - بين النظرية والتطبيق - ص25.
- 35 محمد فكري الجزار: العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، ص19. وانظر كتاب بسام قطوس: سيمياء العنوان، ص 50، ص53.

- 36 أبو غنيمة: من الأيام، ص 174.
- 37 بلعابد: عتبات جيران، ص 85.
- 38 أبو غنيمة: من الأيام، ص 68.
- 39 أبو غنيمة: من الأيام، ص 68.
- 40 المرجع السابق: ص 70.
- 41 المرجع السابق: ص 58.
- 42 أبو غنيمة: من الأيام، ص 61.
- 43 المرجع السابق: من الأيام، ص 91.
- 44 المرجع السابق، ص 91.
- 45 أبو غنيمة: من الأيام، ص 94.
- 46 هكذا وردت في النص، والصحيح قوله تعالى: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم".
- 47 أبو غنيمة: من الأيام، ص 49، 50.
- 48 أبو غنيمة: من الأيام، ص 26.
- 49 المرجع السابق، ص 79.
- 50 أبو غنيمة: من الأيام، ص 80.
- 51 زياد الزعبي: محمد صبحي الريادة المقصاة، صحيفة الرأي، 11/أيلول/ 2015، ص 22.
- 52 سمير استيتية، اللغة وسيكولوجية الخطاب، ص 36.
- 53 الولي، محمد: "بلاغة الحجاج"، علامات، ع 5 س 1996، ص 77.
- 54 محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص، ص 51، 52.
- 55 عبد النبي ذاكر: السخرية والحجاج <http://www.minculture.gov>
- 56 سمير استيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب، بين البلاغة والرسم الساخر، ص 84.
- 57 محمد رمصيص: شعرية السخرية <http://www.alittihad.press.ma>
- 58 عبده وازن: السخرية السوداء، مجلة الدوحة، ع 70، اغسطس 2013.
- 59 أبو غنيمة: من الأيام، ص 59.
- 60 أبو غنيمة: من الأيام، ص 61.
- 61 محمد رمصيص: شعرية السخرية <http://www.alittihad.press.ma>

- 62 أبو غنيمة: من الأيام، ص104.
 63 د.سي.ميويك: المفارقة وصفاتها، ص19.
 64 أبو غنيمة: من الأيام، ص75.
 65 أبو غنيمة: ص75.
 66 المرجع السابق: من الأيام، ص58.
 67 المرجع السابق: ص166.
 68 أبو غنيمة: ص 168.
 69 المرجع السابق: من الأيام، ص212.

ثبت المصادر والدوريات

- أبو صوفة محمد: في أغاني الليل محمد صبحي أبو غنيمة، المجلة الثقافية، ع 14-15-1988.
 أبو غنيمة، محمد صبحي: من الأيام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2003.
 أبو غنيمة، محمد صبحي: نظرة في أعماق الإنسان، مطبعة الأديب فادي الصيداوي، دمشق، 1958.
 أبو غنيمة، هدى: سيرة منفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2001.
 استيتية، سمير شريف: اللغة وسيكولوجية الخطاب، بين البلاغة والرسم الساخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2002.
 بلعابد، عبد الحق: عتبات جيرارجينيت - من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم - ناشرون، منشورات الاختلاف.
 الجزار، محمد فكري: العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
 حداد، نبيل: صبحي أبو غنيمة وأغاني الليل، مجلة أفكار، ع 164، 2002.
 الزعبي، زياد: قراءات مقالات ونصوص ثقافية، وزارة الثقافة، عمان، 2002.
 الزعبي، زياد: محمد صبحي الريادة المقصاة، صحيفة الرأي، 11/أيلول/ 2015.
 الزعبي، زياد: مقدمة عشيات وادي اليابس، ديوان مصطفى وهبي التل (عرار)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1998.

عبد النبي، عبد الفتاح: تكنولوجيا الاتصال والثقافة - بين النظرية والتطبيق، العربي للنشر، 1990.

العودات، يعقوب، البدوي المثلث: عرار شاعر الأردن، عمان، 1958.

قطوس، بسام: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2001.

محمد، لولي: "بلاغة الحجاج"، علامات، ع5، س 1996.

ميويك، د.سي: المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، بغداد 1977.

نجم، محمد يوسف: فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، 1966.

ياغي، هاشم: القصة القصيرة في فلسطين والأردن 1850-1965، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، 1966.

مواقع إلكترونية:

1- زاهر، عبد النبي: السخرية والحجاج <http://www.minculture.gov>

2- رمصيص، محمد: شعرية السخرية <http://www.alittihad.press.ma>

3- <https://en.wikipedia.org/wiki/Essay>

4- وازن، عبدة: السخرية السوداء: <http://www.aldohamagazine.com>

تجليات لغة اللون في تشكيل فضاء رواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي: دراسة نقدية*

منتهى طه الحراحشة**

تاريخ الاستلام 2016/2/10

تاريخ القبول 2016/5/22

ملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تجليات لغة اللون في تشكيل فضاء رواية "الأسود يليق بك" للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي، في ضوء المنهج البنيوي، ومفيداً من معطيات المنهج النفسي، فيكشف عن مكونات النص الروائي ومستوياته داخل نسيج الرواية، ويحلل عنوان الرواية تحليلاً سيميائياً، ويبين تجليات لغة اللون في الخطاب الروائي، ويكشف عن البعد الفكري والإيحائي في الرواية، ويوضح ملامح الرواية النسوية المعاصرة في الوقوف على بعض شذراتها في الرواية، ويحلل الفضاء النصي للرواية، ويبرز مهارة الأسلوب والسرد في إيضاح رؤية النص، كما يحلل الخطاطة السردية والنموذج العاملي للرواية كإجراء تطبيقي لتلخيص مضامين الرواية، والكشف عن الرؤية الجمالية فيها.

وتوصل البحث، في أهم نتائجه، إلى أنَّ الكاتبة، شكَّلت روايتها بلغة لونية زاوجت بين شاعرية ذوقها ومأساة حداثها، فصورت لغة اللون تجليات التوتر وصراع القيم والمهادنة، في علاقات الحب الجنونية المتمثلة في الإرهاب والنزف الدموي، ورسمت صورة مشعةً بكينونة الحب والغناء والموسيقى لمواجهة هذا العنف الذكوري، والإرهاب الدموي والخلاص منه. كما استطاعت رسم وعي فكري وجمالي لدى القارئ يدفعه إلى تطوير أدواته؛ لاستخلاص فكرة النص التي تشكل لغة السواد مرجعيتها الأولى.

الكلمات المفتاحية: أدب حديث، نقد، رواية، سرد، أحلام مستغانمي.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* أنجز هذا البحث أثناء إجازة التفرغ العلمي الممنوحة لي من جامعة آل البيت للعام الدراسي 2016/2015م.

** قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن (أستاذ زائر حالياً في جامعة السلطان قابوس/ سلطنة عُمان).

مقدمة:

لم تعد الرواية ذلك الجنس الأدبي الذي يقتات من ذاته، حسب ما تمليه عليه بعض القيود النقدية التي صارت عرفاً في الأدبيات الكلاسيكية للرواية العربية، بل أصبحت الرواية الحالية، هي التي تمنح العمل واقعته، وفق قالب لغوي مبني على رؤية تجريبية تناسب مرجعيات القارئ وتطلعاته، بالربط بين لغة الرواية وأحداثها المتواترة، وفق نسيج يخضع لسلطة التأويل، الذي يضيف على الرواية طابع الإبداع، والمتمثل في سميولوجيا الصورة المكتوبة في إنعاش خيال القارئ، وجعله عنصراً مشاركاً في استساغة الأحداث والمواقف، فنحن هنا نتحدث عن الرواية التي تعلم القارئ كيفية فهم التأويل المفضي إلى الحقيقة لا إلى الخيال، كما في رواية "الأسود يليق بك"⁽¹⁾، التي تضم ثلاثمائة واثنين وثلاثين صفحة من القطع المتوسط، والتي تجعلنا نعيش واقع الماضي برؤية الحاضر بموضوعاتها المتشعبة التي تجمعها لغة اللون، فعندما نتحدث بمفهوم لغة مباشرة نقصد لغة السواد التي تتعدد قراءتها بين الإعجاب والحداد، فتمكن الكاتبة الروائية من أدوات تحليلها، لا يقاس بمدى صعوبة ما تكتب، "وإنما القدرة على إيصال ما ينبغي إيصاله من أفكار تهدف في النهاية إلى التأثير الجمالي، وهو هدف كل فن"⁽²⁾.

استطاعت الكاتبة رسم روايتها بلغة لونية موحية ومعبرة عن رؤيتها في تشكيل بنيتها الفنية التي جاءت لتجسد هذه الرؤية، فكشفت في لغة اللون عبر مسيرة السرد عن تجليات الصراع الذي عاشته الشخصيات بسبب العنف الإرهابي الذي عاشته الجزائر، وما خلفه هذا الإرهاب من مأس وجرّاح عميقة، ونزف دموي، ورسمت صورة لمواجهة هذا العنف الذكوري، والإرهاب الدموي والخلّاص منه، بتحرر بطلة الرواية "هالة الوافي" من علاقة حب جنونية استنزفت فكرها وقلوبها في الموسيقى والغناء. فجاء كما بينت في التنظيم السرد للرواية، والحوارات السردية، واللغة الشعرية وأثر التنشئة الأسرية والعادات والتقاليد والقيم والبيئة المكانية والزمانية في مواجهة التحديات والصعوبات والتغلب عليها. فهل استطاعت الكاتبة في روايتها أن ترسم صورة لماضي الجزائر، وتستمد قوتها وصلابتها من قوة جبال الأوراس أم لا؟ أم إنها استسلمت لواقعها المرير فجعلت من نفسها مسودة لسيد المال، وفق علاقة لا ماضي لها في شرع من خلق الجنسين: الذكر والأنثى؟ وكيف ستتخلص من واقعها بقوة مستمدة من ماضيها، وبكينونة أساسية لوجودها هي كينونة الحب والموسيقى والغناء؟

كما تثير الرواية تساؤلات عديدة، لعل من أهمها: ما فكرة الرواية وقضيتها الأساسية؟ وهل شكّلت لغة اللون في الرواية فضاءها النصي؟ وهل أضفت على النص خصوصية الإبداع والتفنن في فهم قصصية الرواية والبعد الفكري والإيحائي في الرواية، واستطاعت معرفة أهم ملامح الرواية النسوية المعاصرة التي جسدتها؟ وكيف تشكل الفضاء النصي للرواية؟ وما الخصائص الأسلوبية

والسرديّة التي وظفتها الكاتبة في الرواية، وما منطقها وآلياتها الفنيّة في تشكيل روايتها؟ وهل لخصت الخطاطة السردية والنموذج العملي للرواية - كإجراء تطبيقي - مضامين الرواية، وكشفت عن الرؤية الجمالية فيها؟

كل هذا يستوقفني لتحليل مكونات النص ومستوياته، داخل نسيج الرواية الذي شكلته الكاتبة بلغة لونية؛ لاستخلاص الإجابة منها، بغية استخلاص مكونات الرواية، والكشف عن فكرتها وقضيتها وفق نسق لوني أساسي يخدم الثيمة الإيحائية للموضوع، سواء على مستوى الشكل أو المضمون بولوجه في الرواية، وليضفي على النص خصوصية الإبداع والتفنن في فهم قصديّة الرواية. وقد حاولت انتقاء العنوانات بدقة حسب التسلسل الكرونولوجي للرواية، وحسب البعد النقدي لها، وتعدد موضوعاتها، وبحكم كبر حجم الرواية، وبحكم رؤيتها، وطبيعة لغتها الفلسفية.

ومما دفعني - أيضاً - إلى اختيار رواية "الأسود يليق بك" مادة لهذا البحث أنها كتابة نسوية، تحمل في طياتها لمسة نسوية خاصة، تمزج بين الكينونة الأدبية والإيحاء الأنثوي. كما تتمتع هذه الرواية بخصوصية نوعية متميزة في مجال التجربة الروائية الجديدة، إضافة إلى الجرأة في الطرح والتقديم، بكل ما يحفها من معوقات في عالم يقيم العديد من الاعتبارات لقيم أخلاقية ودينية وسياسية واجتماعية، وعيش صراعات سياسية متناقضة. كما أنها جاءت تعزف على أنغام تلون الموضوعات المتجسدة بالتحدي والتحرر من المأساة، والاستسلام لقوى العنف والإرهاب الدموي، وعلاقات الحب الجنونية المتمثلة بالإرهاب وتملك الآخر، وتعدد الحوارات والتقنيات السردية التي تجمعها لغة لون شاعرية الذوق منغمسة بمأساة الحداد، بحكم طبيعة لغتها الفلسفية. إضافة إلى ما سبق، فإنّ مواقف النقاد من الرواية، وانطباعاتهم النقدية حولها لا ترقى إلى مستوى الدراسات النقدية المعمقة والجادة، وقد تكون المقالات الآتية أبرز ما قدّم في مجال دراسة هذه الرواية: "قراءة في رواية أحلام مستغانمي في رواية- الأسود يليق بك" (2007م)،⁽³⁾ لماري إسكندر عيسى، وتسرد فيها حكاية الفتاة والمعلمة الجزائرية هالة الوافي بطلّة الرواية ومعاناتها في فقد والدها المغني الذي قتل في الثورة الجزائرية، وعلاقتها العاطفية مع رجل الأعمال اللبناني الثري المقيم في البرازيل، لتنتهي بتحررها من ألمها وحبها، وتعود إلى الحياة والنجاح والسعادة بعد اكتشاف الحقيقة، فتخرج بواسطة الغناء من حدادها وحزنها. "مع أحلام مستغانمي في رواية الأسود يليق بك" (2013م)،⁽⁴⁾ لبطرس دلة، يبيّن فيها أنّ الرواية تعيد إلى الأذهان ما كانت قد أبدعته الكاتبة في ثلاثيتها، وأنّ الموضوع لا يتجاوز الجدلية بين الرجل والمرأة. و"رواية الأسود يليق بك.. بين أناقة الكلمات وتقليدية الرؤية" (2013م)،⁽⁵⁾ لطامي السميّري، وهي نقد سطحي ولاذع للرواية دون فهم عميق لرؤيتها وبنيتها الفنية، ويوضح فيها أنّ الكاتبة وضعت كل طاقاتها السردية في صنع حوارات رومانسية وبلغة باذخة، فوقعت في تناقضات كثيرة، وارتباكات فنية واضحة. و"حول رواية أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك": النص الروائي المؤجل"

(2013م)،⁽⁶⁾ لإبراهيم محمود، وتصف الرواية بأنها رواية عواصمية، ورواية العشاق، وأن الكاتبة تستمرى الكتابة ذات الصفة الإنشائية غالباً، مقلدة من أهمية الحدث لاكتساب المَعْلَم الجنسي الأنثوي، والخروج عن سلطة الرجل. و"الأسود يليق بك" (2014م)، لمحمد الحميدي⁽⁷⁾ وجاءت توصيفا للرواية، وسرداً لحياة بطلتها هالة المعلمة الجزائرية، وتقف على البناء الغنائي في الرواية والحب والتطهير وموسيقية الرواية. و"أنوثة الأرقام وذكورة الأنغام: أحلام مستغانمي في رواية "الأسود يليق بك" (2014م)، لرسول محمد رسول⁽⁸⁾، ويرى فيها أن الرواية تواصل خطابها ليس بعيداً عن عالم المرأة والعنف الذكوري والإرهاب الدموي، وسطوة المال والبراعماتية، وهجرة البشر عن الأمكنة بحثاً عن الأمان، وتحدد المقالة النهاية بانتصار البطلة هالة الوافي على معاناتها، وتحررها من علاقة الحب الجنونية المتمثلة بالإرهاب. و"منتقدو الرواية بين الحساسية وسوء التقدير: قراءة متأنية في رواية «الأسود يليق بك» للجزائرية أحلام مستغانمي (2014م) للجيلاني شرادة،⁽⁹⁾ ويفند فيها أسباب تعرض الرواية لهجوم نقدي من قبل النقاد، وعلى إبداع الكاتبة نفسه، وعدم الرضا النقدي عنها، وأن أغلب انتقاداتهم تعود لغايات شخصية، وللحملات الإشهارية والدعائية للمنتج الأدبي الجديد، التي لها تأثير سلبي عليه، ويعدّها رواية ناجحة في طرحها وأسلوبها، دون أن يتطرق لتحليلها. و"مأزق الشخص وتبريرات اللغة" (2013م) لفواز السبحاني⁽¹⁰⁾ ويرى فيها أن الرواية جاءت مجرد إعادة تكرار لأعمالها الروائية السابقة، وهو مأزق نتج عن محاولتها نقل المرأة من الهامش إلى المركز، وهو هدف الحركة النسوية في مجال الأدب في هذا الزمن.

منهج البحث.

يعتمد هذا البحث على المنهج البنيوي، في دراسة النص من الداخل، قصد معاينة التشكيل والبناء المعماري، والبنى الأسلوبية من أجل إيضاح الخصائص الفنية لهذا التنوع الأسلوبي، ومدى أثرها في تحقيق لحمة الانسجام بين الخصائص التركيبية للغة، وفق نظام رصين يعكس قيمة التنوع الأسلوبي في دراسة القضية الإنسانية بنوع من الإبانة والوضوح شكلاً ومضموناً. كما يفيد البحث من معطيات المنهج النفسي، الذي تتجلى أهميته في تمكينني من دراسة البعد النفسي للروائية في تسامي البطلة في الوقوع في المعصية، حيث يقول فرويد: "إن الميول الجنسية هي ميول مطاطية تشكيلية، إذ يمكن لها أن تنحرف في اتجاهات مختلفة تمام الاختلاف كما تجد إشباعها... في الإخلاص للآخرين"⁽¹¹⁾، لهذا فقد كان الجانب النفسي مكثفاً لدرجة جعلت القارئ يتعايش مع الأحداث بروح الشخصية المحورية.

عالم الرواية: رؤية لونية

جاءت رواية "الأسود يليق بك" للروائية الجزائرية أحلام مستغانمي، إجابة على مجموعة من الأسئلة التي يطرحها الواقع العربي، داخل قالب مهووس بالحب والحياة والإنسان والوطن والثورة، إنها تمثل الجدل القائم بين غربة الإنسان العربي وضياعه بين البحث عن الذات والصراع من أجل إعادة الهوية المستلبة، داخل غياهب ذكرى الألم وواقع المعاناة التي اتخذت عدة تجليات عكست أزمة الذات العربية في كل من الجزائر ولبنان والعراق وسوريا، إنها مشهد النكسة في بعد بانورامي لوني خاص تتخلله رغبة المد والجزر بين إكراهات الواقع وقناعات الذات المثخنة بالصمود، هكذا حاولت الكاتبة أن تنسج بمخيلتها عقدة صراع الحلم بالواقع في تجاذب درامي بين الرغبة واليأس، والنجاح والفشل العاطفي، الذي صاحب طيفه فكر الكاتبة في كل أجزاء الرواية، هذا الحب الذي جمع بين شموخ المرأة الريفية (هالة الوافي) بطلة الرواية وكبرائها؛ (هالة الوافي) مدرسة اللغة العربية بأجر زهيد، وصاحبة الصوت الغنائي الجميل، والمنحدرة من جبال الجزائر الشامخة، والهاربة من إرهاب الفكر الذي لم يرحم أحداً في بلادها بعد أن قتل الإرهاب والدها، المغني المعروف، وأخاها الشاب المثقف - والتي اكتسبت مناعة مبادئها من بيئة الأوراس بجبالها الشاهقة)، وبين الرجل الثري اللبناني المهاجر (طلال هاشم) رجل الأعمال المغترب في البرازيل الذي تعرض لهزات عاطفية حولته إلى رجل منتقم لنفسه من النساء، ولكنه رصين وهادئ ومحِب للنساء والموسيقي والاستمتاع في الحياة، فسخر ثروته ليدل نفسه ولم يحرمها من أي متعة يريد، والذي علمته الغربة داخل ترحال الحياة قدرة فهم الأنواق، بل النفاذ إلى قرارات الآخر لاستنطاق مكنوناته، " إذا اسمها هالة الوافي، تتمم الاسم ليتعرف على موسيقاه، ثم ترك عينيه تتأملانه بعض الوقت. شيء ما يؤكد له أنه سيكون له مع هذا الاسم قصة... إنه يحب الأسوار العvisية لأحرف اسمها"⁽¹²⁾. وقد سعى إلى استمالتها وجذبها بماله وغرائبية تصرفاته، على الرغم من تمسكها بقيمها ودفاعها عن كرامتها. رغم انهيارها بشخصية الرجل وبسخائه (المدرس) معها، كما يقول الراوي: " طلال اسم رجل يقيم في سماعتها، لكن كلماته تنتشر في حياتها مع الهواء"⁽¹³⁾. كل هذا، جعل الرواية تتخذ عقدة تصادم درامي بين دهاء التجربة وصلابة القناعة، اللذين أكسبها، سمة التطلع إلى الأفق المنتظر، في الأحداث المتتالية بين نفوذ السلطة ومبادئ القيم، في نزال يحتكم إلى العقل تارة وإلى العاطفة تارة أخرى. ومما زاد الرواية جمالا، قدرة الكاتبة على توظيف الرمز بجل أبعاده الدلالية المتوارية بين سطور الرواية، حيث تمكنت أن تجمع بين الإعجاب والحداد في لون واحد، ليصير الألم ذوقا يسلب للناظر قلبه، في لغة اللون التي جعلت الرواية تكتسي طابعاً من الإحياء والإبداع وجمالية البناء والتركيب، كل هذا عكس لنا ذلك التماسك البنيوي في انتقاء المشاهد وصياغة الأحداث، وفق إيقاع موسيقي ينبض بالحياة، في المقاطع الشعرية التي أضفت على الرواية طابعاً روحياً خاصاً، شد انتباهنا إلى التساوق الجمالي

بين دفقات شعورية حاملة بطاقة شاعرية يغلب عليها طابع الغموض، تجاه الواقع العربي المظلم والمتخبط في متاهات الوهم، إنها تبحث عن الغائب الحاضر، بقولها: "كل تذكرة سفر هي ورقة يانصيب، تشتريها ولا تدري ماذا باعك القدر. رقم الرحلة.. رقم البوابة.. رقم مقعدك.. تاريخ سفرك... ما هي إلا أرقام تلعب فيها المصادفة بأقدارك يمكن لرحلة لم تحسب لها حساباً أن تغير حياتك.. أن تفتح لك الأبواب أو توصلها، أن تعود منها غانماً أو مفلساً عاشقاً أو مفارقاً.."⁽¹⁴⁾، هذا ما يعكس لنا فلسفة الكاتبة في فهم الحياة، من زاوية ضيقة تُطل على أفق ممتد، على الحلم المنتظر، عن الإرادة المتجددة، خصوصاً أن الكاتبة اختارت لنهاية روايتها بعداً درامياً انتصرت فيه البطلة على أوهام الواقع وقوة السلطة ومغامرة الحب، لتخلص برسالة عامة مفادها الاستمرار في الحياة بنوع من الإصرار والصمود، والتمسك بالمبادئ الحقّة، وأنّ الحداد الحقيقي ليس في الثوب الأسود، وإنما في الأفكار المغلقة التي لا تستطيع معالجة الواقع بنوع من الإرادة والصمود.

والرواية قائمة برمتها على مجموعة من الحكايات، شكلت البناء السردى فيها، تنطلق من حكاية البطلة هالة الوافي، وطلال هاشم وهي الحكاية المحورية في الرواية، وحكاية الجزائر التي فتكت بالجزائر وأبنائها، وحكاية جبال الجزائر الشاهقة والصامدة التي استمد أبنائها منها الصلابة والقوة والكبرياء، وحكايات القتل والموت والفكر السياسي والقمع وحكاية الإرهاب، وحكاية الهجرة، وحكاية مأساة العراق وشعب العراق وحركة اللاجئين، وقد شكّلت هذه الحكايات فكرة الرواية ومقولاتها الرئيسية. وجمعت البطلة في تفاصيلها بين الحب والحياة متجاوزة ألم النزع والموت والفجعة والفرق والإرهاب، فجاءت غنية بالتفاصيل العاطفية حول المرأة والرجل، المرأة التي تعيش حياة الألم والحزن والفرق بفقدانها والدها وأخيها نتيجة إرهاب الفكر الدامي الذي حلّ بالجزائر ولم يرحم أحداً، وحزن حل بها نتيجة حب رجل اجتاحت حياتها وفكرها، وما رافقه من طقوس خالفت أعرافها والتقاليد التي تربّت وولدت وترعرعت على وجودها، لترفضها في النهاية وتتمرّد عليها، بعد أن تهزم مقابلها وتكشف أسرارها وتعري ما في داخله من حقد وقهر وزيف وخطورة، لتنتقل في نهاية السرد بما تملكه من فلسفة حب، فتغني في مدينة (ميونيخ) الألمانية بصوتها الجميل لنصرة الشعب العراقي، واللاجئين العراقيين، وتغني للإنسانية في حفل عالمي، وتتخلّى عن لونها الأسود الذي ترتديه أينما ذهبت، وكانت تجسد فيه حزنها وحدادها الطويل، وتستبدل به اللون اللازوردي الذي يجسد لون التمرد والعصيان ورفض الانكسارات؛ لتتحرر من حزنها القديم، وتبدأ حياة جديدة مليئة بالحب والسعادة وغنية بالنجاح والتغيير، رغم ما تحيطه بها الحياة بأسودها وحزنها وقهرها، وتعلن أنّ الحداد يكون فيما هو قابع في داخل الإنسان لا في مظهره، تقول الساردة: "حتى هو ما عاد يعينها أن يكون الآن يشاهدها في أحد بيوتها، وقد خلعت ما كان يسميه لونها"¹⁵.

لغة اللون في الخطاب الروائي.

يعدُّ اللون لغة، على الرغم من كونه موجات ضوئية، وعنصراً منتزِعاً إلى الحاسة البصرية، ونتاج الذات الإنسانية أكثر منه بنية موضوعية، فما إن يرتبط بالأشياء إلا وتصبح له معانٍ ورموز تستدعي فهماً عميقاً، خاصة في العلاقات الإنسانية، بعد أن ابتعد بولوجه عالم الرواية عن محوره البصري، ليلاصق المنظومة السردية التي تحكم هذه الرواية، في العنوان الذي يُعتبر اللون مفتاح بوابته، ومسوغاً للبحث في عالمه عن دلالة توظيفه، فهو يشكل الوعاء الذي حاولت الكاتبة، أن تفرغ فيه أحلامها، محاولة بذلك شد انتباه القارئ لرمزية اللون الأسود الذي يشكل الخيط الناظم للأحداث، أي ذلك الامتداد اللامتناهي، داخل فلك ظلمة الليل ووهج النهار، إنه الحمولة الأنثروبولوجية والثقافية التي زادت للرواية رونقها، فأكسبتها الطابع الإبداعي الذي يمكن اعتباره إبرة استطاعت من خلالها الكاتبة بخيطها الأسود، نسج أحداث الرواية بنوع من الدقة في الأداء والبراعة في الإتقان، فقد اعتبرت السواد حداً لفراق أبيها وأخيها، كما اعتبره الشعراء رمزا للتعبير عن أحزانهم ومعاناتهم، هذا ما يجعلنا نستشف أن توظيف اللون في الجنس الروائي شبيه بباقي الأشكال الأدبية الأخرى، باعتبار أن النسق اللوني يتقاسمه كل من الشعر والرواية والقصة والمسرح، فهو شخصية ثانوية تضيف على الشخصيات الرئيسة سمة خاصة يحكمها سياق النص، ومقوماً تعبيرياً يستخدم لتوصيل رؤية معينة إلى القارئ، فإذا كان يُنظر إلى اللون الأسود حسب العادات والأعراف والتقاليد، أنه رمز للشؤم والتطير والخراب والدمار والكفر والحزن والحداد، إلا أن هناك من ينظر إليه نظرة ذوق وجمال، حيث نجد أبا العلاء المعري يشبه سواد الليل بعروس زنجية سوداء ويشبه النجوم بقلائد من جمان، في قوله¹⁶:

ليلتي هذه عروس من الزنـ	ج عليها قلائد من جمانـ
هرب النوم عن جفوني فيها	هرب الأمن من فؤاد الجبانـ
رب ليل كأنه الصبح في الحسـ	ن وإن كان أسود الطيلسانـ
قد ركضنا فيه إلى اللهو لمـ	وقف النجم وقفة الحيرانـ
وكان الهلال يهوى الثرياـ	فهما للوداع معتنقانـ

والشأن نفسه مع شخصية العاشق (طلال) في الرواية، الرجل الثري الذي جاهد بشروته لاستدراج محبوبته قلبه (البطلة/هالة الوافي) التي عاش أسيرها من بعيد، فقد أحبَّ الأسود لأجلها، فصار اللون المفضل عنده، والرغبة في التواصل مع هذه الأنثى بدت أكثر إلحاحاً عنده، نظراً

لارتداء محبوبته له، فكان هذا اللون، هو الحجاب الذي يحفظ أسرارها، والرماد الذي يهدئ بركان آلامها، فهو اللون الذي كُبل الصياد لا غزالة الأوراس، مما جعله يعترف بفتنة هذا اللون وما خلفه من أثر في قلبه وعقله، عندما ترتديه البطلة بقوله: "الأسود يليق بك"¹⁷، فهذا الاعتراف كان نتيجة زوبعة عشقية، انطلقت من قلب طلال العاشق لتستقر على طرف لسانه، بواسطة رمزية اللون الملفوف بين أحضان باقة زهر التوليب، لم لا وهذا اللون يمثل في عالم الأزياء الرقي والتميز، حيث "يعتبره المصممون لون السهرات، وملكها الذي يجعل المرأة أميرة بارتدائها لباساً أسود، يمنحها بريقاً وفخامة بين بني جنسها"¹⁸، إلا أن البطلة كانت بحراً أسوداً يغموضها الذي أدي فيه اللون دوراً أساسياً في لف شخصية البطلة بنوع من التكتم الذي يستدعي نوعاً من التحليل لفهمها، إنه المعادل الموضوعي لقضية البطلة، والشخصية الظل التي أضفت على الرواية تيمة التشويق والفضول لمعرفة أسرار اللون الأسود، كرمز للسلطة والقيد، إنه الزمن الطاغى على المكان، لكونه يجسد هموم الليل ومعاناته التي تنسجها ضجة الألوان وصخبها في النهار، إنه سارق الأضواء، يقول العاشق طلال: "وحتى الفتاة تعنيه لأنه يدري ما تخفيه تحت حdadها من شهوة الحياة. من مكر الأسود قدرته على ارتداء عكس ما يضره"¹⁹. كما سرقت البطلة ضوء الرجل الثري الذي لم تسعفه تجربته الطويلة في البرازيل، ولا تعامله مع العديد من النساء الأخريات في امتهان تقنيات الإغراء، للخروج من شراك الظلام الذي أسدل ستار الحب على عينيه، حيث تحول اللون الأسود في خطاب النص، إلى قيمة تشكيلية ورؤيوية وتخيلية تشغل مرايا الرواية وبنيتها الهيكلية، من هنا أقول: إن تجليات اللون الأسود في صياغاته التجسدية الضاربة في عمق التاريخ والجغرافية والميثودولوجيا، يعكس على الدوام "وصفاً منفياً في أعماله اللونية داخل حقول التأثير"²⁰، فالكاتبة أجادت توظيف اللون الأسود في روايتها، ورسم دلالاته، إذ تدخلت في تحويله لإيجاد انسجام بينه وبين واقع الشخصية ومعاناتها في مجرى السرد، فشكل هذا الانسجام لدى القارئ صورة واضحة تجسد رؤية جمالية في الكشف عن جمال شخصية البطلة ومكوناتها العميقة، وإظهار محاسنها المغموسة في الحزن الشديد والألم العميق، وقضية الفراق التي تعانيتها وانعكاساتها بسبب الموت. فالشخصية تعبر عن حزنها العميق بارتدائها اللون الأسود فتلتف به فلا يفارقها، فاكسب اللون بذلك أهميته وتميزه على مستوى السرد والحوار، باعتباره رمزاً للحزن والحداد والجمال والأناقة في الرواية، بل والتألق، فتمتزج هذه العناصر مع مشكلة لغة لونية في الرواية تخدم فضاءها النصي والقيمة الإيحائية للموضوع، سواء على مستوى الشكل أو المضمون بولوجه عالم الرواية، لتضفي بالنهاية على النص خصوبة الإبداع والتفنن في فهم رؤية الرواية، ويجسد ذلك الحوار الآتي بين بطلة الرواية "هالة الوافي" ومقدم البرنامج:

"يسألها مقدّم البرنامج:

- لم تظهر يوماً إلا بثوبك الأسود.. إلى متى سترتدين الحداد؟
 - تجيب كمن يبعد شبهة:
 - الحداد ليس ما نرتديه بل ما نراه. إنه يكمن في نظرتنا للأشياء. بإمكان عيون قلبنا أن تكون في حداد.. ولا أحد يدري بذلك"²¹.
- فالبطلة ترى أنَّ الحداد لا يكون في ارتداء السواد كما هو العُرف عند الناس، بل إنَّ الحداد يكمن داخل العيون والقلوب ونظرة الناس غير المرئية للأشياء ورؤيتها للواقع؛ لأنَّ الحداد يكون في القلب، وللقلب عيون تعبّر عنه، دون أن يدري أحد بها.

البعد الفكري والإيحائي في الرواية

إنَّ تشكيل فضاء الرواية، كان نتاج تصور فكري، أكسب النص كينونته الروائية، بكل تجلياته الإيحائية، إنها الرؤية العميقة للأشياء، التي جعلت الرواية تمتاز بالتماسك، حسب الحركات الأربع التي اعتمدتها الروائية لفصل كل جزء على حدة، وفق رؤية جنبت الرواية شتات الأفكار والمضامين، كما أنَّ عمق التفكير أرغم النقد على أن يرتقي إلى مستواها؛ لأنَّ الأشياء الجاهزة لا تولد رغبة النقد في الغوص داخل أغوار مضامين الرواية، فالروائية قامت باختيار دقيق ودال على مستوى الشخص، فاختيارها لاسم علاء وجمال وعمار وعز الدين ونجلاء وهدى وفراس والجد في علاقته بالأب والأم، كلها عناصر ديناميكية منحت الرواية طابع الحركة والحياة، خصوصاً أننا نعلم أنَّ للتسمية حمولة دلالية في التراث العربي، هكذا برزت الشخصيات مرتبطة ارتباطاً مباشراً مع المواقف العامة التي تعالجها الرواية، وفق علاقة انتلاف واختلاف، كل هذا خلق داخل النص بعداً درامياً، حاولت الروائية في شد انتباه القارئ إلى أفق الانتظار، بواسطة استحضار فترات التوتر في الجزائر، وما عاشه الشعب من ويلات العناصر المتطرفة (الإرهابية) التي سلبت لكل عائلة ضحكتها، يتمت أطفالها ورملت نساءها،" تقول الساردة: "كان الموت ينتظرها في سيناريو آخر. هذه المرة ليس مع الجيش الذي يقتل الأبرياء بشبهة أحلامهم. بل الإرهابيون يقتلون الناس بذريعة أنهم أقل إسلاماً مما يجب.. كانت أمي امرأة منهكة، أكسبتها الفجائع حكمة الضحية"²².

لكن ما يجري داخل هذا الإطار من أحداث وشخصيات وعلاقات. فهي من إبداع الروائية التي حاولت أن تموضع كل شخصية، حسب الطبيعة التي تنسجم وسيرورة الأحداث التي تخدم فكرة أو رسالة الروائية، فمعمارية البناء الروائي تأسست على فكر أنثوي قادر على بسط الأحداث برؤية واقعية متجذرة في عمق الإبداع بعيدة عن الخيال الموهل في الغموض، ضاربة في عمق الحقيقة التي قد تصادف كل امرأة عربية، فغياب الأمن الداخلي وانعدام الإحساس بالوطنية قد يخلق

نماذج مناهضة لمفهوم الوطن، كما يخلق نساء ضحايا مخططات نفعية تجثم على شرف النساء والأطفال، فنموذج الروائية، ما هو إلا مثال بسيط لما تتعرض له النساء من استغلال وقهر، داخل مجتمع تستهويه الصورة واللون قبل الجوهر، فالبطلة تم عزلها من بيتها إكراهاً، كعزل السمكة من البحر، أو عزل الناي من الغابة، حيث تقول بلسان الناي: "إني قد قطعت من منبت الغاب، لم ينطفئ بي هذا النواح لذا ترى الناس رجالاً ونساء ييكون لبكائي، فكل إنسان أقام بعيداً عن أصله، يظل يبحث عن زمان وصله"²³.

فهذه الكفايات التعبيرية حققت جماليات نصية جديدة، في الاستعانة بآليات شاعرية إبداعية تمتح من ذاكرة التاريخ ومن فلسفة علم الكلام، كما تقول هالة الوافي: "قررت أن أؤدي الأغنية الأحب إلى قلبي، كي أنزل القتل بالغماء ليس أكثر.. إن واجهتهم بالدموع يكونوا قد قتلوني أيضاً"²⁴، وهذه رسالة تريد الكاتبة فيها خلق وشائج فنية مع مختلف الأجناس الأدبية، قصد خلق طابع الإبداع والتميز، حيث عمدت الكاتبة إلى خلق معادلات نفسية وبلاغية، مستعينة في ذلك بأدوات الشعر، من تكتيف في اللغة أو الصور البلاغية، مما يعمق الرؤية الفنية والفكرية لعالم الرواية وجعل الرؤية الإنسانية "مركزاً للوجود ومفسراً له، نتيجة الوعي الإنساني بالأشياء"²⁵. فقد استطاعت الكاتبة في مسيرة السرد في الرواية أن تجعل بطلة الرواية تتمثل واقع ما حل بالجزائر من قتل وتعذيب وتخريب، ولتواجه الألم والموت بالغماء، كما فعل أهل مروانة، تقول الساردة: "كانت مبتهجة كفراشة وسط حقول الزهور، شهية بفرح طازج، له عطر شجرة برتقال أزهرت في جنان الخوف، تمنى لو أنها غنت كي يرى دموع روحها تنداح غناءً، فقد أصبح له قرابة بكبرياء دمعها"²⁶. وكذلك في تشبيهها النساء العابرات لقلب الإنسان بالآلات الموسيقية، فتقول: "ثمة نساء يلامسن لوايح الروح، يعبرن حياتك كجملة موسيقية جميلة، يظل القلب يدندن لسنوات بعد فراقهن... ثم ثمة امرأة بسيطة كناي قريبة ككمنجة أنيقة في سوادها كيانو، حميمية كعود. هي كل الآلات الموسيقية في امرأة إنها أوركسترا فيلارمونية للرغبة. وبرغم ذلك لن يتسنى لك العزف على أية آلة فيها. تلك هي لحنك المستحيل"²⁷، بل تزيد من توظيف اللغة الشعرية في نهاية السرد؛ لتجسد للقارئ رؤيتها تجاه الوطن والحب والاعتراب، متجاوزة كل الأحزان، فتخرج من دائرة الحزن التي كانت تلفها، لتغني بصوتها لحريتها بلا قيود، وبلا خوف، فصوتها يصدح احتفاءً بها، فلا يحب سواها هذه الليلة، فهي لأول مرة تقع في حب نفسها تقول البطلة:

"أكون ذهبت لتسقي بدمك

شجرة الإنسانية

يا عاشقاً من حلمه ما عاد

لا تأبه بالموت تماسك

يسألني عنك نخيل بغداد

يسألني عنك

عسى تواسي صفائر الانتظار

وتخلع عن الصبايا الحداد"²⁸.

ملاحح الرواية النسوية المعاصرة

إنَّ السَّمة التي أصبحت تكسو الرواية العربية عامة والنسائية خاصة، تتجلى في قدرة انتقاء الموضوع، وعمق الرؤية، ودقة التحليل، وهذا الانطباع ناتج عن التراكبات المعرفية التي جعلت المرأة العربية تحتل موقع الصدارة، بفكر أنثوي متقد يفسر مفهوم الحياة في الأدبيات المعاصرة، بنظرة نقدية متعالية عن سفاسف الأمور، لقد استطاعت المرأة أن تضاهي شقيقها الرجل، في ركوب مغامرات النقد، والدخول في متاهات السرد دون خوف أو تردد، محاولة إعادة صياغة المعمار الروائي بثقافة أنثوية تسير وقع الفكر العربي وواقعه شكلاً ومضموناً، ولعل ما استوقفني لاتخاذ هذا التصور، هو العمل الروائي للكاتبة، وما يمتاز به عملها من ثقل في المضمون، وبراعة في الشكل ودقة في التعبير عن قضايا المجتمع، مستعيرة في ذلك بلاغة الرقة في الإيحاء ودلالة الإبداع في الرمز، لتشكيل فضاء الرواية بكل مكوناته الزمانية والمكانية، ولعل رواية (الأسود يليق بك) نموذج من بين النماذج الأنيقة التي أعادت للجنس الأدبي الروائي ديباجته الفنية في قالب إبداعي يعيد مد جسور التواصل مع المتلقي والقارئ، بابتكار آليات التجريب لأنماط التعبير المختلفة والمتنوعة حسب الرؤية الأنثوية، التي استطاعت فيها شد انتباه القارئ بنوع من الشره الإيحائي في أبعد تمثلاته الرمزية، ولعل تقنيات التجريب من بين الركائز الأساسية التي أكسبت تشكيل "أحلام" سر التآلق والصدارة في هذا اللون الروائي الجديد، الذي يعج بزخم فكري متضارب بين تيارات عدة يحكمها مبدأ التشكيل للأحداث وفق صياغة كرونولوجية تؤطر المكان والزمان، وهو ما أبانه الناقد صلاح فضل بقوله: "إنَّ التجريب في الرواية قرين الإبداع؛ لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة من أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو يتجاوز مع المؤلف ويغامر في قلب المستقبل لاستثارة الإيحاء باستثمار ما يسمى جماليات الاختلاف..."²⁹، فهذه الرواية لا تقف عند العالم الخاص للكاتبة، بل تمتد إلى فضاء التقاليد التي يؤطرها المخيال الجماعي، كل هذا خلص الرواية العربية من تلك النمطية التي سارت عليها بشكل عام، وفق منهج يعيد بناء معالم الرواية من الداخل، حتى تستجيب لتطلعات القارئ الوجدانية، في معالجة قضايا المجتمع، وهذا ما حاولت تشكيل إدراجه وفق تخطيط محكم نابع من وعي التجربة الإنسانية في

تعاملها مع الواقع، فأحلام مستغانمي تجسد الذاكرة الجمعية للمجتمع، تتنفس بإحساسهم تارة وتنسلخ عنهم تارة أخرى، بهدف انتشار الذات الفردية من برائن نسيان المجتمع لها، فقد حاولت في تشكيل الرواية أن تتقمص دور القوى المدافعة عن المجتمع الجريح الرازح لتبعية الظلم والاستعباد، لتتخذ لنفسها مرآة تعكس الواقع العربي عامة، والجزائري خاصة، عن طريق " تقنيات تطويع الرواية وفق استراتيجيات التفاعل النصي"³⁰ أي إدخال أو تجريب عناصر جديدة ضمن تشكيل المنظومة، قصد الخروج بغاية فنية تخدم رؤية المؤلف، من وراء تجريبه لهذه العناصر، حيث حاولت داخل الرواية نسج خيوط الحدث بدقة فائقة وموغلة في دلالات الرمز بقولها: "في الفندق تأملت بطاقات الورد المتواضعة التي قدمت لها، إنها الأبسط لكنها الأصدق، من مغتربين بسيطين يقولون الأشياء دون تنميق أو بهرجة، إحداها كتب عليها بالفرنسية (L'Algérie t'aime) بكت، هل حقا (الجزائر تحبني؟)...ثم ما جدوى نجاح تعيشه وحدها ما دامت الجزائر التي تحبها ما تركت لها رجلاً تقتسم معه فرحتها؟"³¹.

فهذه الرواية بتفاصيلها السردية وتشكيلاتها الفنية ترفض السائد وتخرج عن معايير الرواية التقليدية، محاولة في الآن نفسه أن "تؤسس معايير جديدة تضفي جمالية مختلفة وشعرية poétique بديلة"³²، وهذا النوع من الروايات الذي يحمل نبرة الأمل داخل الألم، كما عاشته البطلة في الرواية مع ذلك الرجل الثري، عرف نماذج مشابهة لدى الغربيين أمثال: كلود سيمون Cloud Simon، ناتالي ساروت Nathalie Sarraute، ومارسيل بروس Marcel Proust وآخرين، وهذا ما ميّز هذه الكتابة في تشكيلها من حيث السرد وطريقة الحكى، فالمتمعن في الرواية "الأسود يليق بك" بعين الناقد المتبصر، يدرك أنها لا تطرح حلولاً جاهزة لقضايا بارزة واضحة المعالم، وإنما تطرح ألغازاً وأسئلة تركز على التاريخ البعيد والقريب والثقافة والتعليم، وأسئلة تبحث عن الخيط الناظم لتلايب التلاعب بالوطن والأرض، ودم الشهداء وفلسفة الحب والإرهاب، فالرواية مزيج من القضايا تجمعها في نبرة إحساس أنثوي ثائر يختزل البكاء في سمفونية أغنية حاملة، تجعل الغناء في النهاية دموع الروح، ذلك مبدأ اختزال المسافة من بين أشكال التجريب التي عرفت الرواية المعاصرة في خلخلة قضايا الواقع، للخروج بعصارة الحقيقة الضائعة فيه، هو ما جعل تشكيل تخاطب الوعي واللاوعي وفق إيقاع مختلف ينم عن مدى حنكتها في فهم الحياة رغم صغر سنها.

الفضاء النصي للرواية

يعدّ الفضاء النصي عنصراً تخيلياً من العناصر الأساسية في الرواية، وهو الحاضن لكل عناصر الرواية، كما هو المحور الرئيس الذي تدور في فلكه الأحداث وتتحرك الشخصيات. "والمقصود بالفضاء في القصص الفضاء التخيلي والمعطيات التي لها بالأعمال المتخيلة

صلة"³³، واقترح "رولان بورنوف في إطار الخطة التي وضعها لدراسة الفضاء في الرواية، أن توصف طوبوغرافيا الفعل، وتفحص مظاهر الوصف، وتلاحظ وظائف الفضاء في علاقتها بالشخصيات وبالأوضاع وبالزمن، وأن تقاس درجة كثافة الفضاء أو سيولته وتُستنتج القيم الرمزية والأيدولوجية المتصلة بتمثيلها"³⁴. من هذا المنطلق يلحظ الدارس لرواية "الأسود يليق بك" أنها تميزت برسم فضاء واسع لأحداثها وشخصياتها، إذ اتسم فضاء الرواية بالتعدد والاختلاف، الأمر الذي يوضح اهتمام الكاتبة بتشكيل الفضاء النصي في روايتها عبر مجرى السرد؛ لأن روايتها ترتبط بشكل كبير بأحداث ووقائع حدثت في فضاءات خاصة استطاعت الكاتبة أن تلتقطها من التاريخ والذاكرة، ومن الأحداث اليومية التي عاشتها في أطر فضائية عديدة ومتنوعة، وأن تنسجها بخيالها لتجسد رؤيته الخاصة، وأضفت عليها أبعاداً فنية للإيهام بالواقعية فكشفت عن دلالات غنية وموحية، وحققت في الوقت نفسه متعة القراءة؛ لأن الرواية تتطلب من كاتبها "مكاناً معيناً يمكن من خلاله تقديم كل التفاصيل والمكونات الثقافية المحددة له"⁽³⁵⁾. وقد استعانت الكاتبة بالفضاء لرسم بيئة الرواية، كما استعانت بالعناصر الفنية الأخرى لسرد الأحداث أو رسم الشخصيات، فالروائي يلتقطها بالملاحظة والمشاهدة، أو ينسجها بخياله نسجاً؛ مسلطاً عليها قوة الاختراع والإبداع، معتمداً على ما يلتقطه أثناء تجاربه في الحياة.

أ- هوية المكان

إنّ المكان هو الذي تتضمنه الرواية، وهو الحاضن الفعلي لعناصرها الفنية، تتحرك فيه الأحداث وتمارس فيه الشخصيات أفعالها، ويكشف عن هويتها، "ويمثل باحة النص وفضاءه وساحة تحركاته القصصية، حقيقياً كان هذا المكان أم متخيلاً، حاضراً أم تاريخياً، كما يتضمن السياق النفسي للشخص" ⁽³⁶⁾. بل هو هوية العمل الأدبي "الذي إذا افتقد المكانية يفتقد خصوصيته وتالياً أصالته"⁽³⁷⁾.

إنّ ما ساعد تشكيل أحلام مستغانمي، في التنظير والتفكير الذي لازم الرواية بشكل عام، هو الجمع بين الكتابة الإبداعية التي تميل للغة الإيحاء الشعري والبعد الأسطوري وبين الكتابة النقدية، لذا نجدها عبر مسيرتها الإبداعية الروائية تنتقل من تجربة إلى تجربة أخرى، على مستوى التجديد والتجريب لأنماط جديدة في عالم الرواية، وهذا ما نجده في ثلاثياتها: "ذاكرة الجسد" (1993)، و"فوضى الحواس" (1997)، و"عابر سرير" (2009) التي تدخلنا بها إلى عالمها الإبداعي المتفرد، لتتحفنا بقطع فنية تتسم بمسحة تجريبية على مستوى المعمار الروائي، الذي يأخذنا إلى التمييز بين مستويين اثنين في رواية "الأسود يليق بك".

1. المستوى الداخلي: ويعمل هذا المستوى على استجلاء واقع الجزائر من الداخل، بناء على صيغ مختلفة تتحدث على عنفوان الأصول التي تشبعت بها البطلة وفق تزاوج جغرافية المكان

بتاريخه الذي تعكسه جبال الأوراس، المتمائلة مع عزف الناي الذي شكل قوة إلهام داخلي لأهل مروانة في تعايش الذات بالطبيعة، إنه العلاج الروحي الذي أكسب البطلة سر التألق كأغنية لا تنتهي أنغامها، والتي تعدّ بلسماً يضمند غربة الجراح، حيث يقول السارد: "لعل شجن مروانة جاءها من "القصبة" التي لم تعرف آلة سواها في النهاية، لكل قوم مزاج آلتهم الموسيقية، قل لي ماذا تعزف أقل لك من أنت، وأرو لك تاريخك وأقرأ لك طالع قومك... لاحقاً، أدركت أن غناء رجال مروانة كان امتداداً لأنين الناي، فـ "القصبة" آلة بوح لا تكف عن النواح، كالطفل تاه عن أمه، ويروي قصته لكل من يستمع إليه فيبيكه، لذا الناي صديق كل أهل الفراق؛ لأنه فارق منبته واقتلع من تربته... من ترى جدّها قد فارق، ليصاحب الناي؟⁽³⁸⁾. فقد كان جدّها يصعد إلى قمة الجبل ليقيم حواراً مع نفسه يعبر فيه عن وجع وحده يعرفه، وألم يمزقه لفقده رجولته، ويكشف ما يجول في نوازعه من ألم يعتصره، أو لعله يعود كلما استطاع، كي يختبر صوته، فهو يقيس بحنجرته ما بقي أمامه من عمر، "ففي عرفه، أن رجلاً فقد صوته فقد رجولته"⁽³⁹⁾. إنه الوجع الداخلي والشفاء الروحي الساكن في ذات جدّها الذي لا تذكر يوماً أنها سمعته يغني أغنية فرح، ورغم ذلك ما رآته يوماً حزيناً حقاً، وذوات أهل مروانة التي لم يعرف رجالها طعماً غير طعم الحزن، وقد أدركت حين كبرت أنهم يتجملون بالحزن. وهكذا استطاع السارد أن ينفذ إلى داخل الشخصيات؛ ليكشف للقارئ بأسلوب سردي متناغم عن معاناتها وهواجسها وأفكارها وأحلامها وارتباطها في المكان، وما ولده المكان من ألفة تعيشها الشخصية مع هذه الجبال الشامخة بشموخ ساكنها.

2. المستوى الخارجي: فهو يجسد تصوير حالة الداخل والانتقال بها إلى الخارج، لمواجهة الأزمات، فالحالة الثانية هي نتاج تراكمات المنظومة المصغرة لعرف رجال مروانة في تقاليدهم وعاداتهم العربية، هي الطاقة التي زودت البطلة بشرارة الصمود في وجه الدخلاء، وفي تشكيله غاصت في أعماق المجتمع الجزائري، لتظهر مختلف القضايا الجوهرية التي مرت بها الجزائر، عن طريق توظيف تقنيات السرد التي تجمع بين تقنيات التاريخي والتراثي، مثلما نجد ذلك في: (كتاب الأمير، وضمير الغائب، وحارسه الظلال)⁽⁴⁰⁾، وما بين الواقعي والاجتماعي، مثلما نجده في: (سيدة المقام، وأحلام مريم الوديعة، ووقع الأحذية الخشنة)⁽⁴¹⁾، فهذه المقاربة تظهر لنا طريقة الكاتبة، في سبر أغوار المجتمع الجزائري من جهة، وكذلك حرية المغامرات العاطفية التي تعرفها المرأة العربية في غياب سلطة العنصر الذكوري من جهة ثانية، بالإضافة إلى الجرأة في الاعتراف بالحياة الخاصة وتعرية "الأنا" من مسخ الفضيلة والمحرمات المزيقة، لخشونة الواقع وعنف تجربة الغرام في بحر لا امتداد له. ويجسد ذلك ما يرويه السارد عن مروانة فيقول: " في مروانة فقط يرفع الرجال إلى السماء ذلك الدعاء العجيب الذي لم يرفعه يوماً بشر إلى الله" يا رب

نَقص لي في القوت.. وزد لي في الصوت!". لزهـد الطلب استجاب الله لهم. مروانة يا لغوررها، بلدة تخال نفسها بلاداً، فهي تعتقد أنَّ مضاربها تصل حيث يصل صوتها"⁽⁴²⁾.

ب- هوية الزمان

يعكس النص الروائي تمثلاً واضحاً في خطاباته، التي تستمد مكوناتها من الطابع الكرونولوجي للزمن وفق ترتيب يخضع لمنطق الأحداث، فالانطلاق من الزمن الأحادي في الخطاب إلى الزمن المتعدد في التخييل، يرتبط بالانتقال المتداخل بين المقدمات القبلية والتطلعات البعدية، وما يعنيه ذلك من تداخل في الانتقال من معنى المفردة القبلي وبناء القرينة أو السياق، مروراً بالدلالات الممكنة، وأنماط وصولها إلى المعنى المفتوح على مساحة الإبداع الذي يلف مضمون الرواية، فيضفى عليها طابعاً تخييلياً يساعد تشكيله في معالجة الواقع واستغلال مسافة الزمن؛ سواء من حيث العودة إلى الماضي لبناء الحدث أو الاستشراف لتوقع الحدث، وفق بعد إيحائي يستقي مقوماته من خصائص اللغة الشاعرية التي وظفتها تشكيل أحلام مستغانمي، شيء جعل حركة الزمن، تنتقل من البعد الواحد إلى أبعاد متموجة تعطي للقارئ فرصة التأمل في سيرورة الأحداث المروية، مما جعل النص ينفّث على قدرة الفهم الناتج من وضوح الرؤية وبعدها عن التأويل المستغرق في الزمن الماضي؛ لأن تلك المقدمات التي اعتمدتها تشكيل في بداية النص وفي منتصفه، شكلت نتاجاً معرفياً بنائياً متكاملًا مؤطراً بالعرف الأنثروبولوجي الثقافي في نهايته، وأرضية خصبة لانطلاق الزمن من الماضي إلى الحاضر، وفق تناسق معرفي يربط علاقة التأثير والتأثر بين الذات الفاعلة (البطلة) في علاقتها بالموضوع (القضية الوطنية/ ركوب مغامرة العشق)، ومدى ارتباط ذلك بمقياس عامل الزمن الذي تتأرجح إبرة ميزانه تارة إلى الذاكرة الجمعية وبالمخيل الاجتماعي، وتارة إلى التجاذبات الذاتية وفق زمن مونولوجي مرتبط بالأبعاد النفسية للشخصية البطلة أثناء تجاذبات المد والجزر العشقي، أثناء صدامها مع الواقع، الذي خلف شقوقاً وتصدعات استدعت الرجوع إلى الماضي قصد الاقتباس من جذور موروث أجدادها؛ ليمنحها قوة الالتئام والاستمرارية لمواجهة موجات الحاضر العنيفة، كما كشفها قول الراوي: "كان جدها بسيطاً، منسوب حكمته أعلى من منسوب حصاده، زاهداً في بهارج الحياة وقشورها، يحيا في تعايش سلمي مع الطبيعة، يحضر الأعراس، يستمتع بالولائم، ينشد مع المنشدين ويغني مع المغنين ما يحفظ من التراث البربري الشاوي، لكنه لا يقبل مالا من أحد، ولا حتى من أبنائه... عاش متصوفاً على طريقته، لم يستهلك يوماً بدلات ولا ربطات عنق ولا أحذية جديدة، ولا حتى أدوية. عبّر الحياة ناصع البياض من برنسه الأبيض إلى كفته الأبيض"⁴³. فقد كان جدها نقياً عزيز النفس لا يقبل أن يمن عليه أحد، متواضعاً وبسيطاً وصاحب حكمة، وزاهداً في حياته، يعيش مع الطبيعة بسلم وأمان دون تكلف وبهجة، كائن اجتماعي، بينه وبين الناس ألفة، يشاركهم أفراحهم وأحزانهم وولائمهم، وينشد معهم، ويحفظ من التراث البربري، وهذا هو الإرث الذي

اكتسبته حفيدته منه، فصارت لا تقبل عطاءً مجانياً، مقلدة لجدها ومرتبطة بماضيها الذي تعثر به وتقلده، في عرض هذا الشريط الزمني الذي يكشف عن ذلك الترابط القيمي بين الأجداد والأحفاد رغم تغير الزمن؛ لأنَّ الزمن القيمي له دور في بقاء هذه الأسرة، التي تشكل جذوراً لا متناهية في الماضي الحاضر والمتجدد، وفق حركة دائرية، لمفهوم القيم التي تنهل منها البطلة كلما دعت الضرورة لذلك. وهنا نعود لنلحظ دور السياق المنتج وأهميته في صقل تلك المقدمات، إننا لا نستطيع تحديد المفاهيم القبلية التي بنيت عليها الرواية، دون الاعتماد على بوصلة الزمن، لتحديد منظومة السياقات المنتجة لهذه المفاهيم، كما يمكننا في أي حال من الأحوال أن نمدَّ خطوط المقاربة، إلى ما هو خارج النص المقروء، رغم الإحالات العديدة التي يحيلها النص إلينا، أو يحيلنا إليها. هذا معناه أن الفضاء الذي يتحرك فيه النص، مرتبط بلغته، وأنساقه السيمائية، وبدلالات النص، وبخطاب الثقافة التي يحملها معرفياً وثقافياً، رغم دخول التناس في دائرة التقاطع⁴⁴، كل هذا يخلق لنا نسيجاً لأبعاد زمنية متعددة بين الخطاب وفضاءاته، مما يسعفنا على فهم علاقة زمن الخطاب بزمن المُتخيل الإبداعي، في ارتباطه بزمن إنتاج وتلقي النص، وفق السياقات المنتجة لذلك، الشيء الذي يجعلنا نتساءل: هل توجد بنية تدرس النص خارج الزمن؟ أي خارج تأثير فعلها وسياق حركتها؟ فذلك ممكن فقط في حالة وحيدة، عندما تتواجد تلك البنية خارج اللغة، وخارج علاقات الفكر، وكذلك الشكل الذهني التجريدي، فما دام السياق التداولي يعتمد على علاقة اللغة بالمعنى وبالموضوع، فلا يمكن فصل النص وتجريده عن بنيته، فكلاهما مرتبط وفق خطية ميثولوجية تستدعي علاقة حضور بنية النص على قوائم الخطاب نفسه، مما يسعف القارئ في ملء الفراغ الزمني الذي قد يَستشكِل في ذهنه، شريطة تمكنه من كشف مقومات اللاوعي عن طريق أعمال النقد البناء الذي يسمح للغة أن تأخذ مسارها نحو التمييز والإبداع.

مهارة الأسلوب والسرد في وضوح رؤية النص الروائي

يقتضي النص الروائي خصائص أسلوبية وسردية، بها نستطيع الحكم على جمالية العمل ودرجته، هذا ما قامت به الكاتبة من تشكيل أثناء سرد مجموعة من الأحداث التي يحكمها رابط التناسق أثناء عرض الوقائع النابعة من وعي إدراك السارد لها، وفق أسلوب يخضع لحجة البرهنة والاستدلال، حيث نجد ذلك التنوع في المقاطع الحوارية باللهجة الجزائرية، والشامية، لتقريب مكان بيئة الحدث، ويرجع هذا التنوع في رواية للحمولة الدلالية التي ترى فيها تشكيل سندا أساساً لتوضيح الرؤية لدى المتلقي؛ لأنه لا يمكن في اعتبارها أن يفهم مضمون الرواية، إلا من خلال اللغة الأصلية التي أنتجت بها، ومن بين هذه المقاطع باللهجة الجزائرية نجد كلمة "لآلآ" كما ورد في قول شخصية عز الدين صديق البطلة: "وأشك يا لآلآ ما تسألش علينا..."⁴⁵ ففي الجزائر تنادى الحرائر بكلمة "لآلآ" عن حنين لزمن جميل ولّى، وقول الشخصية ندير في حوار

مع علاء شقيق البطلة: " ما اندير والو. راني اندور... " وقوله: " راني هاك ذاك ندور " ⁴⁶. ومعنى ذلك في اللهجة الجزائرية، أينما يدور يدور حول نفسه، وقال الرجل الجزائر الذي سلّم عليها في الفندق بلهجة جزائرية محبة إلى قلبها: " يعطيك العافية يا الفحلة متاعنا! " ⁴⁷، وقول صديقتها في اتصال هاتفي معها من الجزائر بعد ظهورها في برنامج تلفزيوني: " نصيرة تسلم عليك بزّاف"، وكلمة " بزّاف" وردت في اللهجة الجزائرية، وتعني كثيراً. ومدح والده البطلة باللهجة الشامية ولدها علاء عندما كانت تحاول إغراء ابنة أختها لتزويجها منه: " يقبرني شو طيّب وشو عاقل ها لولد " ⁴⁸. فلكل كاتب أسلوبه الخاص، هذا الأسلوب هو الذي يفرض شكل اللغة المستخدمة، ولا نلاحظ هذا الاختلاف بين كاتب وكاتب آخر فحسب، وإنما قد يظهر بين عمل وعمل آخر للكاتب نفسه، فهو حرّ في أن يختار أدواته الفنية القادرة على تشكيل مضمون روايته، كما أنّ بناء الرواية الفني والموضوعي، له دور كبير في طريقة استخدام الأدوات، إضافة إلى أنّ ثقافة تشكيلها ورؤيتها، يؤثّران كذلك وبشكل واضح في هذه الأدوات المستخدمة، فعند قراءتنا لرواية "الأسود يليق بك"، نجد أنها تعتمد في تشكيلها على العبارة الشعرية كوسيلة لسرد الأحداث، وفي تشكيلها الفني هذا؛ فإنّها تستقي أدواتها الفنية من الشعرية، فتستخدم صوراً بلاغية كالتشبيه والاستعارة والانزياحات التي منحت الرواية أبعاداً دلالية وجمالية عميقة، كما في حوار عز الدين العراقي مع بطلة الرواية، معلقاً بأسى عندما راحت تروي له قصتها منذ البداية: " كنا نريد وطناً نموت من أجله، وصار لنا وطن نموت على يده " ⁴⁹، فقد شبهت الوطن الذي كانوا يريدون الموت لأجله بالإنسان الذي يموتون على يده، وقول البطلة في حوارها مع نفسها: " كيف لها أن تتعري أمام رجل لم تجرؤ يوماً أن تعري أمامه صوتها " ⁵⁰، فقد شبهت صوتها بالإنسان الذي تخجل من التعري أمامه، " ولا تجرؤ أن تفعل ذلك رغم قوة شخصيتها، شعورها بالتححر والتفوق، ⁵¹، وكذلك في قولها: " عندما يفترق اثنان لا يكون آخر شجار بينهما هو سبب الفراق؛ الحقيقة يكتشفانها لاحقاً بين الحطام فالزلازل لا يدمر إلاّ القلوب المتصدعة " ⁵²، فهي شبهت الحب بحطام الزلازل الذي لا يصيب سوى القلوب المتصدعة. بالإضافة إلى مجموعة من الحكم والأمثال العربية والغربية، مثل المثل العربي الشعبي المشهور: " كما يحب القط خانقه " ⁵³ وقولها: " لكل طائر لون صيخته " ⁵⁴، والأمثال الغربية مثل قول مارسيل بروس: " لم أنلها مرة بكاملها، كانت تشبه الحياة " ⁵⁵ وقول الفيلسوف نيتشه: "الموسيقى ألغت احتمال أن تكون الحياة غلطة " ⁵⁶، كما تتضمن أسطر الرواية كثيراً من الرموز إضافة إلى المزاجية بين الكلمات واختيار العبارات المكثفة والألفاظ الموحية. وكذا التشكيل الشعري لكثير من فقرات النص الروائي، أثناء حديثها عن جبال الأوراس، حيث وحدها الجبال يمكنها تسلق الجبال، حتى يمتزج فيها صوت الصدى بصوت الشموخ والعنفوان، في قولها:

"نخيل بغداد يعتذر لك
أيها الراحل باكراً مع عصافير الوقت
ليس هذا الزمن لك
لم يحدث أن كنت أكثر حياة
كما يوم حلت ضيفاً على مدن الموت
يسأل عنك نخيل بغداد
يسألني عنك
عسى تواسيني صفائر الانتظار
وتخلع عن الصبايا الحداد" ⁵⁷.

من هنا نستشف أن تشكيل أحلام مستغانمي، جعلت النص يفيض شاعرية، ضاق بها الصدر، ليفرغها داخل قالب الرواية عبر تداخل الأجناس، التي جعلت من الشعر متنفس الرواية، وهذا ما يجسد حال توتر الذات الكاتبة، في نبرة الأسلوب وتفاوت الأسطر الشعرية الدالة على الدفقة الشعورية الدالة على ضياع الأحبة بين زمان التيه في مدن الموت، فهذه المأساة تم إفراغها داخل الرواية بطريقة إبداعية صيرت الألم أملاً في اللقاء، بأسلوب نسائي متمرس على فعل الكتابة، وتقسيم الكلام إلى وحدات إيقاعية متساوية، استطاعت تشكيل بفعولها، اقتحام تخوم الكتابة بواسطة أسلوب سردي وشعري لبق، يدخل "ضمن قلق الكتابة الإبداعية في الرواية التجريبية التي انفتحت على الأجناس الأدبية واخترقت حدودها، بتوظيف مقوماتها الجمالية في تشكيل متنها وصياغة شكله، ونحت لغتها، واشتقاق أسلوبها" ⁵⁸.

الخطاطة السردية والنموذج العاملي للرواية

أ- الخطاطة السردية:

إن المتأمل في السرد الروائي لرواية "الأسود يليق بك"، يدرك أنه يقوم على تعاقب الحالات والتحويلات، حيث يتحول السرد من الحالة البدئية التي بدت عليها الذات نحو حالة أخرى مغايرة، بحيث لا تستقر ذات البطلة (هالة الوافي) على حالة نهائية إلا عند انتهاء السرد؛ وذلك كونها تتحول من التعبير عن الحالة إلى التعبير عن الفعل، في علاقتهما بالموضوع المتأرجح بين الذات المرغوب فيها، وبين الذات المترددة بين الرغبة واللا رغبة، وذلك لما اتخذته ذات البطلة من مظاهر وخصائص سلوكية جعلتها عنصراً محركاً لحدث الموضوع المراد دراسته، ولا يتحقق هذا

إلا في حالتين اثنتين، وهما حالة الاتصال بالموضوع والعمل فيه، كما وقع بين الرجل الثري والبطلة، في تخطيط وتدبير ذات الرجل، (رجل أعمال) إلى الإيقاع بالبطلة في شراك حبه، أو الانفصال عنه نتيجة الظروف الطارئة التي باءت في الأخير بفشل الرجل الثري في تحقيق الموضوع وامتلاكه، يقول السارد على لسان البطلة: " كما يأكل القط صغاره، وتأكّل الثورة أبناءها، يأكل الحب عشاقه، يلتهمهم وهم جالسون إلى مائدته العامرة، فما أولمّ لهم إلا ليفترسهم " ⁵⁹.

ويمكن تلخيص الخطوات الإجرائية في الخطاطة السردية على الشكل الآتي:

1- **وضعية البداية:** وهي الاستهلال الذي يقدم العناصر والأخبار الأساسية للمحكي، وجعله قابلا للفهم في مشيرات دالة على الزمان والمكان والأحداث والشخصيات، وذلك بالإجابة على الأسئلة الآتية: من؟ أين؟ متى؟ ماذا؟ من هنا نجد أن السارد قدّم لنا منذ البداية الشخصية الرئيسة والمحورية في الرواية، التي حملت على كتفها فكرة الرواية وسارت فيها حتى النهاية، وهي البطلة هالة الوافي، التي كانت تحظى برعاية الأب وأنس الأخ وحنان الأم، كانت كفراشة تتراقص مع أزهار جبال الأوراس الشامخة، التي ربت فيها الإحساس بالكرامة والكبرياء والتعالي عن الأشياء الصغيرة، إنها أغنية الأوراس الخالدة التي تنبض بحب الحياة والأمن والسلام.

2- **العنصر المخل:** وهو القوة التي تقلب وضعية البداية، وتدخل تغييرا على حالة الشخصية أو الشخصيات الأساسية، وذلك بمساعدة أفعال وتصرفات تحدث تشويقا أو حزنا أو قلقا... إلخ، ويتحدد بالإجابة عما يلي: ما الذي حدث؟ من المهدّد أو المهدّد؟ أين كان التهديد؟ وفي الرواية يلحظ بروز العنصر المخل فيها من خلال حكايات الشخصيات، وأفعالها ومروياتها، فبطلة الرواية " هالة الوافي"، التي فجأة تكالبت المأساة عليها، مأساة مسكونة بالهم العربي في الجزائر وفي لبنان وسوريا والعراق، كل هذا سلب ضحكتها كأنتى، فقدت حُسن الأب ودفع الأخ، اللذين تم اغتيالهما من طرف الإرهابيين، خلال الاضطرابات التي شهدتها الجزائر، الأمر الذي جعلها تعلن راية الحُداد حزنا لفقدان دعامتين أساسيتين داخل أسرتها الصغيرة، مما شكل لها نزيفا نفسيا تجاه نفسها وتجاه الآخرين. إنّه وجع الوطن الذي يراودها، وكذلك كيفية إحقاق العدالة فيه، وأخذ الثأر من بني جلدتها، وليس من الفرنسيين، فالجزائر تقتل نفسها بنفسها. كل هذه العوامل تركت أثرا بارزا في نفسية البطلة وذاكرتها، أي اختلاط الهم الشخصي بالقضية الوطنية، كلها تراكمات أخذت من فتاة جبال الأوراس نضارتها، وهو ما جعل الأم تهرب من الجزائر حفاظا على ما بقي لها من فلذة كبدها، فوالدة البطلة هالة في الرواية حين تصر على خروجها من الجزائر إلى سورية بلد الأم، لحمايتها من موت ينتظرها، "ليس من الجيش الذي يقتل الأبرياء بشبهة إسلامهم. بل من الإرهابيين الذين يقتلون الناس بذريعة أنهم أقلّ إسلاماً مما

يجب⁶⁰. فواقع الحال في الجزائر كان مريراً كما يرويهِ الراوي العليم، إذ يقول: "في نوبة من نوبات العفة، تم إلقاء القبض ذات مرة في العاصمة على أربعين شاباً وصبية معظمهم من الجامعيين، وأودعوا السجن فيما كان الإرهابيون يغادرونه بالمئات مستفيدين من قانون العفو! كان زمناً من الأسلم فيه أن تكون قاتلاً على أن تكون عاشقاً"⁶¹.. فقد عانت الجزائر ممّا سمي بعشرية الدم، أي سنوات الإرهاب العشر وحل بالناس الغبن والظلم والأهوال..."⁶². فالعنصر المخل هنا كما بينته الساردة سنوات الدم التي حلت بالجزائر وقتل من أبنائها الكثير، والذين قتلوهم هم بنو جلدتهم من الإرهابيين، لكنهم نالوا العفو بسبب قانون العفو العام، وخرجوا من السجن دون عقاب على جرائمهم التي ارتكبوها بحق أبناء الجزائر الأحرار.

3- **وضعية الوسط:** هي مجموع الأحداث التي تشكل العقدة (الأزمة)، وتسمح بالانتقال من وضعية البداية إلى وضعية النهاية، وهي تنتج عن العنصر المخل، فتضع الشخصية الأساس في وضعية صعبة من الاختبارات والعواقب، تجبرها على فعل كل المحاولات والوسائل، وما يترتب عنها من نتائج، للتخلص من التهديد، وفيها يتم تعيين الشخصية، ووصف الأحداث انطلاقاً من السؤالين الآتيين: ماذا؟ وكيف؟. وغالباً ما يمهد لهذه الأحداث بروابط منطقية (تفيد التعارض أو الاستنتاج أو السببية) أو التسلسلية (تفيد التتابع). وقد شكلت لحظة انعطاف في مسار البطلة، إنّه وقع سمفونية الحب التي حاولت أن تضيء ذلك الشق المظلم من قلبها، عبر مقطوعة يجرف تيارها إلى شلال هادر يلقي نحو المصب، إن الحب الذي بدأ جنيناً ليعلن كينونته، عبر سفير باقة زهر التوليب، بلونها المستعصي الفهم، والذي لم يمتلك سره أحد، إنّها رقصة رومانية على وقع نبضات من كبرياء، كل هذا كان بلسماً ضمد نزيف الألم، وجعل زهرة الجبال تستعيد عطرها الفواح بنسيم الشموخ، قصة عشق بنيت على المغامرة التي اختزلت المكان، فصار العالم كقطرة ندى داخل باقة ورد تصاحب البطلة أينما ارتحلت، في باريس ومصر وفيينا، لقد كتب لها كبرياءها وصوتها الريفي الأخاذ أن تكون محط إعجاب الرجل الثري، الذي فتن بجمالها وقوة شخصيتها، فكانت نظرته إليها مخالفة لبنات حواء، لم تكن نجمة عنده، وإنما كائن ضوئي، ليست في حاجة للتبرج كي تكون أنثى، بل يكفي أن تتكلم، فقد عاشت في كنف مغامرات العشق معه حلماً واقعيّاً، تجاوز خيال أساطير الحب لدى الأميرة، إنها أميرة العشق، بل ذلك البركان الذي فجر قلب العاشق بحمم الشبق الجنوني، الذي سرعان ما أخمدت ناره التي لم تستطع إزابة صلابه جبل الأوراس، فالشره الزائد في الأشياء ينقلب سلماً على صاحبه، لقد اتخذت وضعية الوسط منحى التدحرج بالحب إلى الأسفل.

4- **عنصر الانفراج:** عبارة عن حدث جديد يظهر فجأة، يغيّر أحداث العقدة (العنصر المخل) واضعاً للأزمة نهاية، وقائداً إيها نحو وضعية ختامية. كل هذا جعلنا نستنتج أنّ سلطة المال والكبرياء لا يمكن أن تراود الحرائر اللواتي يمجدن القضية والشرف، ففرق بين من له قضية

وبين من أفقدته الغربية في البرازيل هذه القضية، فعنصر الانفراج تجلى في زوال تلك الغيمة السوداء التي لفت قلب البطلة بأوهام السراب المتمثلة في انتظار من لا يأتي، إن صفة أيقظت شحنة كبرياءها من جديد، كبريات العادات والتقاليد المحافظة التي تمتح من الذاكرة الجمعية للأجداد. لذا نجد أنَّ البطلة وبين تركيبها النفسية الأصيلة وزودها عن كرامتها، يظل محور الصراع قائماً إلى أن يسدل الستار على هذه العلاقة، نتيجة لسوء فهم حدث في أحد الفنادق.

5- **وضعية النهاية:** هي نتيجة المحكي وخاتمته، وقد تكون إعادة لبناء الوضعية الأولية أو وضعية جديدة، وفيها يمكن أن تحكى أو توصف حالة الشخصية الرئيسة مع أحداثها وأحاسيسها. وقد جاءت النهاية في الرواية سعيدة تنوحت في نجاة البطلة وتخلصها من ماضيها الحزين، إذ تبدأ النهاية بالتنام شخصية البطلة من تصدعات الماضي وشقوقه وآلامه وأحزانه، وكذا التخلص من اللباس الأسود واستبداله باللون اللازوردي الذي اختارته لها والدتها؛ ليبعد عنها العين لفرط بهائها كما قالت⁶³، ومن شريط الذكريات المحزن، كل هذا أكسبها الثقة في مواجهة الجمهور بصوت شجي وبقلب ثابت وقامة منتصبة، عندما غنت لنصرة العراق أمام جمهور كبير في مدينة ميونخ الألمانية، لتقول في الأخير إنَّ الصدمة لا تعالج إلا بالصدمة، كما جاء في قول أبي نواس:

"دع عنك لومي فإنَّ اللوم إغراء وداوني بالتني كانت هي الداء"⁶⁴

فالبطلة استطاعت التخلص من أحزانها وأوجاعها، والتأمت جراحها، وتجاوزت معاناتها التي رافقتها منذ زمن، فشكلت من ذاتها شخصية جديدة تجاوزت محنها، وتحررت من أحزانها؛ لتعود إلى حب الحياة بعد أن تذوقت طعم الحب والسعادة، بتجاوزها آلام حياها؛ ولتعيش حياتها، وتخوض تجربة الحب من جديد، وهنا تكمن المفارقة في أنَّ هالة الوافي التي ارتحلت إلى بيروت واستقرت مع حبيبها الذي يكبرها بعشرين سنة، لاقت أحداثاً شكلت نقطة تحول في حياتها ورؤيتها للحياة، فترى فيه إنساناً مغايراً لطبيعتها ولسلوكلها ورؤيتها الجديدة للحياة، فتتخذ قرارها بالانفصال عنه دون أن تبالي بسلطة عنفوانه وتمرده وسطوة ماله لتتركه يجتر خسارته، بعد أن فقد أول امرأة تخلت عنه وتزوجت غيره، ويقف مهزوماً أمام هالة الوافي، وتتخلى عن لونها الأسود الذي رافقها لفترات طويلة والتصق بجسدها كثوب توشح به، بل تتعمد أن تواجهه بشخصية اختلفت عن موقفها السابق، تاركة اللون الأسود، بعد أن كانت تعتبره رمزاً لهذا الحب، ومستبدلة به اللون اللازوردي الذي يجسد لون التمرد والعصيان ورفض الانكسارات، لتعلن رفضها ذاك الحب الذي قد يبقياها تعيش مأساته طيلة أيام حياتها وحتى بعد رحيله، فقد أدركت مسبقاً: "إنَّ الفقير ثري بدهشته، أما الغني فهو فقير لفرط اعتياده على ما يصنع دهشة الآخرين"⁶⁵. فتعود من جديد امرأة حرة كما هم "الشاوية"، "الرجال الأحرار" على أرض الجزائر الحرة، كما يصفها الرواي بقوله: "هي اليوم امرأة حرة كما هم "الشاوية": "الرجال الأحرار"⁶⁶.

وهي بذلك تحدد مصيرها وتبدأ حياة بعيدة عن التبعية والانقياد والسواد؛ لتظهر بقوة وتميز، مستفيدة من تجربتها المريرة بتجاوز ما قد تواجهه من إحباطات لأحلامها، قد تضعف كينونتها، بل ووجودها، وتنتهي بقولها: " كم من الأشياء تفعل هذا المساء لأول مرة أيتها الطيور، أيتها الجبال، أيتها الأمواج، أيتها الينابيع، أيتها الشلالات، يا كل الكائنات إنّي اسمع ناياتك تناديني. أيتها الحياة دعي كمنجاتك تطيل عزفها.. وهاتي يدك.

لمثل هذا الحزن الباذخ بهجة..

راقصيني"⁶⁷.

ب- النموذج العاملي⁶⁸:

إنّ طابع الرواية تؤطره عدة عوامل يمكن تحديدها حسب (غريماس) إلى ستة عوامل، قادرة على احتواء مختلف وقائع الرواية، فإذا لم يكن بإمكاننا القيام بوصف شامل لكل الإمكانات التأليفية للنشاط الإنساني في مستواه السطحي، فعلينا البحث - داخل الخطاب نفسه - "عن المبدأ الذي يمكن أن يقودنا إلى بناء النموذج في مستواه العميق"⁶⁹. وسنحاول فيما يلي أن نقدم تعريفاً لحدود هذا النموذج بتحديد الروابط الممكنة بين أطرافه، وذلك بإفراغ هذه الحدود في محاور دلالية محدودة العدد والطبيعة، وهي كالآتي:

1- محور الرغبة: وهذا المحور يرتبط بالذات والموضوع، ضمن النموذج العاملي مصدر الفعل ونهايته، فالذات التي هي البطلة (هالة الوافي) مصدر الفعل في هذه الرواية، التي يشكل موضوعها عنصراً أساساً يخدم الذات، في محاولة البطلة التغلب من قيود الماضي، ورسم ملامح واضحة لخدمة القضية الوطنية، كما يكتسي عنصر التحفيز دينامية تمنح محور الرغبة وجهاً توزيعياً في التحول من النفي إلى الإثبات، أو من الإثبات إلى النفي (اغتيال الأب والأخ ينتج عنه تدمير الأسرة، وهجرة الأم أرض الوطن؛ لضمان سلامة ابنتها وحمايتها من المصير الذي حل بزوجها وابنها)⁷⁰، وكلها آليات التحول والانتقال، الذي يقودنا إليها محور الرغبة في نفي حالة وإثبات حالة أخرى، وبذلك تعد الرغبة في الرواية تحقيقاً لعنصرين متقابلين: "اتصال" يخالف "انفصال".

2- محور الإبلاغ: يركز محور الإبلاغ أو التواصل في النموذج العاملي على عنصرين هما: المرسل: أي الباعث على الفعل المتمثل في حزن البطلة وحدادها لفقدان أبيها وأخيها، ثم تجربة حبها الأسطوري التي اتخذت منحدرًا فجائيًا أطفأ لهيب فتيلها، ثم المرسل إليه: المتمثل في الإيمان بمبدأ القضية والدفاع عنها، وكذلك الصمود في وجه رياح العشق، وعدم الانحناء لها،

ولما كانت علاقة الذات بالموضوع مبنية على التحول، فإن علاقة الإبلاغ بين المرسل والمرسل إليه تشكل علاقة ترابط تقوم بطرح الموضوع لتتبناه الذات وتتداوله وتقتنع به قصد بداية البحث عن مكن الخلل قصد معالجته، وهذا ما فعلته البطلة حين اكتشفت مواطن تداخل القيم المتناقضة (الخير والشر) التي كانت بمثابة حافز جعلها تكتشف قدرات ذاتها، التي مكنتها من تجاوز ظلمة العزلة والانطواء على النفس، والتحول من مرحلة انفصال إلى اتصال، أي استعادة ضحكها المسلوقة، يقول السارد: "كان يعتقد أنه يمتلك ثقافة البهجة، بينما تملك هي ثقافة الحزن، ولا أمل في انصهار النار بالماء. فكيف انقلبت الأدوار، وإن بها هي من يشتعل فرحاً، بينما شيء منه ينطفئ، وهو يتفرج عليها تغني"⁷¹.

3- محور الصراع (المعارض/المساعد): تحكم علاقة الصراع الفئة الثالثة في النموذج العاملي، وتتألف هذه الفئة من: عنصر معارض وآخر مساعد، فالعنصر المعارض في هذه الرواية، هو الاضطرابات التي عرفتها الجزائر، هذا بالإضافة إلى اغتيال الأب والأخ، ثم الفشل في تجربة الحب، أما العنصر المساعد فيمكن تحديده في إصرار الأم على التمسك بالحياة، والهروب بابتها من مستنقع الموت في الجزائر، كما أن المزج بين تجربة التعليم وموهبة الغناء منح البطلة قوة على البروز للدفاع عن القضية، والنيل من الأعداء عن طريق رسالة الحب، هذا بالإضافة إلى أن قوة الشخصية وجمالها مكنها من الإطاحة بأكبر رجال الأعمال الذي ظل أسير ظلها، فإذا كانت الحياة اليومية لا تخلو من صور مبسطة لهذين العنصرين: المعارض والمساعد، فإن مظهرهما يبدو أكثر تعقيداً في النصوص السردية الحديثة نظراً لطبيعتهما ونمط اشتغالهما، فالمعارض لم يعد في هذه النصوص مجرد صورة خارجية معطاة بشكل ضمني أو صريح في العلاقات الاجتماعية فحسب، بل غدا صورة داخلية، بحيث تكون البطلة معارضا أو معيقا لنفسها أثناء الإحساس بالذنب، الناتج عن سرقة لحظات عشقية مع رجل لم يعلن قرانه عليها بعد، إنها تعارض نفسها باللوم نظراً لمخالفتها أعراف قبائل مروانة التي لم تملك شيئاً سوى الكرامة والشرف، "لقد غدت يتيمة مرتين، ليس الحب وحده ما فقدت، بل تلك القوة الأبوية الرادعة التي كانت تطوقها بالأسئلة، وتحاصرها بالغيرة، اليتيم العاطفي هو أملك السري أمام كل خيار؛ لأنك في كل ما تفعلينه لا تقدمين حساباً لأحد سوى نفسك، كأن لا أحد يعنيه أمرك"⁷². فالبطلة غدت تعيش تجربة اليتيم مرتين، يتم الأب وبالتالي فقدتها قوة الأبوة الرادعة التي تستمد منها قوتها في مواجهة العالم القاسي والمتمثل في رجل الأعمال الذي حاول السيطرة عليها وامتلاك ذاتها، فتطوقها بالأسئلة التي لا تجد إجابة لها وتحاصرها بالغيرة والشعور بالقهر وألم الوحدة، ويتم الحب/ العاطفة التي شكلت ألمها السري الذي عجزت عن الجهر به والبوح به في مجتمع محافظ ومقيد في منظومة العادات والتقاليد، إلا أنها تتجاوز ذلك كله فتمارس ما تؤمن به من أفعال دون أن تحسب حساباً لأحد سوى نفسها، تقول الساردة: "هو يمجّد سوادها، كان يريد أن يُديم استعبادها، فأثناء ذلك

كان يخونها مع عشيقته الأزلية، تلك الشبهة التي لا ترتدي حداد أحد: الحياة. الرجل الذي لم يعطها شيئاً، وعلمها كل شيء، تناسى أن يعلمها درسه الأهم: الإخلاص للحياة فقط ⁷³. لذا عندما تسرد البطلة مسيرة حياتها بلغة لونية زاجت بين الفرح والحزن تشعنا بالتعاطف معها، وتجعلنا نتجاوز كل ممارساتها المخالفة لمنظومة مجتمعنا الذي نعيشه؛ لنجد لها مبررات لأفعالها التي مارستها عبر مسيرة حياتها، والتي كشفتها للسارد بلغة لونية مشعة، ومجسدة لرؤيتها بكل تفاصيلها.

الخاتمة

تناول هذا البحث رواية "الأسود يليق بك" بالدرس والتحليل، فحلل مكوناتها ومستوياتها والبعد الفكري والإيحائي فيها، وكشف عن تجليات لغة اللون فيها، ووضح ملامح الرواية النسوية المعاصرة في الوقوف على بعض شذراتها في الرواية، وبيّن الفضاء النصي فيها، وأبرز مقدرة الكاتبة السردية في توضيح رؤية النص، عن طريق تمحيص منطقها وآلياتها الفنية في تشكيل روايتها، وتحليل الخطاطة السردية والنموذج العملي للرواية، كإجراء تطبيقي لتلخيص مضامين الرواية، والكشف عن الرؤية الجمالية فيها.

وتوصل البحث، في أهم نتائجه، إلى أن الكاتبة، شكّلت روايتها "الأسود يليق بك" بلغة لونية انعكست على رؤيتها وبنيتها الفنية، وأسهمت في الكشف عن واقعها وأحلامها وأفكارها، وتطلعاتها، فقد مزجت الواقع بالخيال، والحب بالألم، وصوّرت بلغة اللون تجليات التوتر وصراع القيم والمهادنة، في علاقات الحب الجنونية المتمثلة في الإرهاب والنزف الدموي، وتمكّنت عن طريق الحب والغناء والموسيقى من التحرر من مظاهر العنف والإرهاب ونتائجه المتمثلة بالنزف الدموي والموت والتشرد والتحرر من علاقات الحب الجنونية، باعتبار أن اللون يشكل نسقاً من الأنساق الأساسية التي تخدم ثيمات هذه الرواية، سواء على مستوى الشكل أو المضمون بولوجه عالم الرواية، وقد أضفى على النص خصوصية الإبداع والتفنن في فهم قصيدة الرواية.

أما فضاء الرواية، فكان نتاج تصور فكري، انعكس على تشكيل الرواية من حيث شكلها ومضمونها، مما أكسب النص خصوصيته الروائية، بكل تجلياته الإيحائية، وهذا ما منح الرواية صفات التماسك والترابط والتناغم، والإيحاء، وقد امتازت بعمق رؤيتها، وجمال تشكيلها السردية؛ لأنها رواية ترفض السائد وتخرج عن معايير الرواية التقليدية، محاولة في الآن نفسه أن تؤسس معايير جديدة تضيف جمالية مختلفة وشعرية بديلة، فطوّعت الرواية برسم عناصر فنية متنوعة عبر مسيرة السرد، جسدت رؤيتها للواقع بلغة لونية نسقية موحية ودالة.

أجادت بمهارة أسلوبها وتناغم سردها التوغل داخل النص؛ لبث رؤيتها عبر أنغام اللغة اللونية التي تشكّل منها فضاء الرواية، وقد أسعفت تشكيل فضاءات الرواية الكاتبة في تحديد هوية

المكان بمستوياته الداخلية والخارجية، وهوية الزمان وفق ترتيب يخضع لمنطق الأحداث وحركة الشخصيات، منطلقة في الكشف عن هويته من الزمن الأحادي في الخطاب إلى الزمن المتعدد في التخيل.

كشفت الخطاطة السردية للرواية أن حركة السرد في الرواية تقوم على تعاقب الحالات والتحويلات التي عاشتها بطلّة الرواية، التي لم تستقر على حالة واحدة من بداية السرد حتى نهايته؛ لأنها تحولت من التعبير عن الحالة إلى التعبير عن الفعل، كما أن طابع الرواية أطرته عدة عوامل احتوت مختلف وقائعها، في محاورها الدلالية، كمحور الرغبة، ومحور الإبلاغ، ومحور الصراع، وكلها تسرد مسيرة حياة البطلّة بلغة لونية زاوجت بين الفرح والحزن، ليجد القارئ في النهاية مبررات لأفعالها التي مارسها عبر مسيرة حياتها.

من هنا يتضح لنا أن القلم النسائي له حضوره المتميز في الكتابات الروائية المعاصرة، ومن خلال تطرقنا لبعض التجارب السابقة، بدأنا نستشف نوعاً من التألق المتمثل في تطعيم أعمالهنّ بعناصر جديدة وبتقنيات حديثة، تستجيب لمتطلبات العصر وما يفرضه من متغيرات سريعة، وقد كان للرواية يد طولى في معالجتها وفق قالب أدبي، يمتح من معطيات النتاج الإنساني، في مختلف القضايا، الأمر الذي أهل الرواية العربية لمسيرة الرواية العالمية، شكلاً ومضموناً، وخير دليل على ذلك اكتساب الروائيين رؤية معاصرة تعيد تشكيل فضاء الرواية بلمسة إبداعية تكشف عن عالم يظل أبداً في حاجة إلى الكشف، وهذا ما لمسناه في رواية أحلام مستغانمي، التي أفرغت الكلمة من ثقلها المظلم السوداوي لتشحنها بدلالة جديدة أكثر ألفة وانسجاماً مع متطلبات العصر، فهذه الرواية تجعلنا ندخل بوابة الواقع التي تشد بزخرفتها ناصية القارئ، ففرق بين قراءة الرواية وممارسة فعل القراءة المنبثق من آليات تشدك بسلطتها، هذا ما حققته المؤلفة، نتيجة صدق سجيتها وجرأة قلمها وبعد نظرها، فالرواية الحقيقية هي التي لا تكون ملك كاتبها وإنما ملك الجميع، مرنة في التحليل سهلة في القراءة حرة في التعبير، واضحة القصد والهدف، بعيدة عن فوضى التأويل، هذه هي رواية "الأسود يليق بك"، فهي دفقة شعورية للفعل السردى، وتجريب ناجح في مقاسه الإبداعي.

The Manifestations of Color in Forming the Space in Ahlam Mosteghanemi's *Black Suits You*: A Critical Study

Muntaha T. Alharahsheh, *Dept. of Arabic Lang. & Literature, Al al-Bayt University, Jordan (Currently: A Visiting scholar, Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman).*

Abstract

This study aims to critically discuss the language of color in forming the space of Ahlam Mosteghanemi's *Black Suits You* using Structuralism, and Psychoanalysis in order to reveal the components of this fictional text and to semiotically analyze the novel's title. This article reveals the language of color, shows the semiotic and intellectual dimension in the novel, demonstrates some features of the contemporary feminist novel, and analyzes the textual space of the novel, the narrative skills, the narrative structure, and the aesthetic vision of the novel.

This study has concluded that the author shaped her novel using the language of color and pairing between her romantic taste and tragic mourning. She uses the language of color in a way that she depicts the ramifications of stress and conflicting values and reconciliations in mad love relations as represented in terrorism and bleeding situations. Moreover, this study has come to a conclusion that Mosteghanemi depicts a bright image of love, singing, and music to confront and challenge patriarchal violence and terrorism. Finally, she contributes to raising aesthetic and intellectual consciousness so a reader can develop his tools in order to understand the text and its implications as the language of blackness functions as its main reference.

Key words: Modern literature, Criticism, novel, narration, Ahlam Mosteghanemi.

الهوامش

- 1 أحلام، مستغانمي: الأسود يليق بك، دار نوفل (هاشيت أنطوان)، بيروت، لبنان، 2012م.
- 2 فتح الله أحمد، سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 2008م، ص23.
- 3 طامي، السميدي: رواية الأسود يليق بك.. بين أناقة الكلمات وتقليدية الرؤية، صحيفة الرياض، الرياض، السعودية، عدد الخميس، 22- 11- 2012م. www.Aliyadh.com.
- 4 بطرس، دلة: مع أحلام مستغانمي في رواية الأسود يليق بك، الوسط الإخباري، 16 / 1 / 2013م. www.alwasattoday.com.
- 5 ماري اسكندر، عيسى: قراءة في رواية أحلام مستغانمي- الأسود يليق بك، الحوار المتقدم، 24- 6- 2013م. www.mahwar.org.
- 6 إبراهيم، محمود: حول رواية أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك": النص الروائي المؤجل، مجلة القدس العربي، لندن، العدد 7548، الأربعاء 25 أيلول، 2013م. www.alquds.co.ku.
- 7 محمد، الحميدي: الأسود يليق بك، مدونة أحمد، طوسون، مصر، 3-4-2014م. www.ahmedtoson.blogspot.com.
- 8 محمد رسول، رسول: أنوثة الأرقام وذكرورة الأنغام: أحلام مستغانمي في رواية "الأسود يليق بك"، صحيفة العالم، دار العالم، العراق، العدد 1160- 21 ديسمبر- 2104م. www.editor@alaalem.com.
- 9 الجيلاني، شرادة: منتقدو الرواية بين الحساسية وسوء التقدير: قراءة متأنية في رواية «الأسود يليق بك» للجزائرية أحلام مستغانمي، صحيفة القدس العربي، لندن، العدد 7891، الخميس 9 تشرين الأول، 2014م. www.alquds.co.ku.
- 10 فواز، السبحاني: الأسود يليق بك أحلام مستغانمي.. مآزق الشخوص وتبريرات اللغة، صحيفة الرياض، السعودية، العدد 16282، 12 يناير 2013. www.aliyadh.com.
- 11 زيعور، علي: مذاهب علم النفس المعاصر، دار الأندلس، بيروت، 1971، ص:225. وانظر: محمد، سعيد أبو طالب: علم النفس الفني، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطابع جامعة بغداد، 1990، ص: 153.
- 12 مستغانمي: الأسود يليق بك، ص19.
- 13 المصدر نفسه، ص:53.
- 14 المصدر نفسه، ص: 289.
- 15 المصدر نفسه، ص: 330.

- 16 طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه، ط6، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ص37.
- 17 مستغانمي: الأسود يليق بك، مصدر سابق، ص:38.
- 18 فدوى حلمي: ألوانك دليل شخصيتك، دار اليازودي العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، عمان-الأردن، ص، 2007م، 17.
- 19 مستغانمي، الأسود يليق بك: ص 85..
- 20 محمد صابر عبيد: مرايا التخيل الشعري، جدارا للكتاب العالمي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2006، ص:228.
- 21 مستغانمي، الأسود يليق بك: ص42.
- 22 المصدر نفسه: ص 94، 95.
- 23 المصدر نفسه: ص15-16.
- 24 المصدر نفسه: ص16.
- 25 سعيد مصلح السريحي: دراسات في الشعر والقصة، الكتابة خارج الأقواس، ط1، نادي جازان الأدبي، جدة، 1968م، ص67.
- 26 أحلام مستغانمي: مصدر سابق، ص 18. وينظر ص: 23، 24، 25، 30، 66، 67، 68، 80، 81، 82، 83. وغيرها.
- 27 المصدر نفسه: ص 321.
- 28 المصدر نفسه: ص 330.
- 29 صلاح فضل: التجريب في الإبداع الروائي، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر حول(الرواية العربية...ممكنات السرد) من 11 إلى 13 دجنبر 2004م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008 م، ص103.
- 30 محمد الحارثي: خصوصيات الرواية العربية الحداثية بين نزعة التجريب واستراتيجيات التفاعل النصي، مجلة فكر ونقد، العدد53، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2003م، ص80-81.
- 31 مستغانمي: الأسود يليق بك، ص78.
- 32 خليفة غيلوفي: التجريب في الرواية العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، 2012م، ص179.
- 33 القاضي، محمد وآخرون: معجم السرديات، ط1، دار محمد للنشر، تونس، 2010م، ص: 306.
- 34 المرجع نفسه: ص: 306.
- 35 الضمور، عماد: وهج المكان وبوح الذاكرة، دراسة نقدية لصورة عمان في الشعر العربي المعاصر، ط1، الأردن، عمان، مطبعة الروزنا، أمانة عمان، 2006م، ص23.

- 36 الشيدي، فاطمة: المعنى خارج النص، دراسة تطبيقية في أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، 2011م، ص154.
- 37 باشلار، جاستون: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1982م، ص 5-6.
- 38 مستغانمي: الأسود يليق بك، ص64.
- 39 المصدر نفسه: ص64.
- 40 ينظر، المصدر نفسه: ص: 101، 103، 114، 117.
- 41 ينظر: المصدر نفسه: ص: 80، 79، 78، 77، 76، 66.
- 42 المصدر نفسه، ص 66، 65.
- 43 المصدر نفسه: ص61.
- 44 عبد العزيز بن عرفة: مدخل إلى نظرية السرد عند قريماس (ترجمة)، مجلة الحياة الثقافية، العدد 41، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 1968م، ص: 65.
- 45 مستغانمي: الأسود يليق بك: ص321.
- 46 المصدر نفسه ص: 93.
- 47 المصدر نفسه: ص: 257.
- 48 المصدر نفسه: ص: 68.
- 49 المصدر نفسه، ص: 321.
- 50 المصدر نفسه، 236.
- 51 المصدر نفسه، 237.
- 52 المصدر نفسه، ص265.
- 53 المصدر نفسه: ص: 308.
- 54 المصدر نفسه: ص: 328.
- 55 المصدر نفسه، ص265.
- 56 المصدر نفسه، ص317.
- 57 المصدر نفسه: ص331.
- 58 بن جمعة بوشوشة: التجريب وارتحالات السرد الروائي المغربي، المطبعة المغاربية، ط1، تونس، 2003م، ص75.
- 59 مستغانمي: الأسود يليق بك، ص11.

- 60 المصدر نفسه، ص165.
- 61 المصدر نفسه، ص26.
- 62 ينظر: المصدر نفسه، ص26.
- 63 ينظر المصدر نفسه، ص328.
- 64 علي شلق: أبو نواس، بين التخطي والالتزام، ط1، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ص115.
- 65 مستغانمي: الأسود يليق بك: ص250.
- 66 المصدر نفسه، ص328.
- 67 المصدر نفسه، ص331.
- 68 ينظر: بنكراد، سعيد: مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003م، ص:22، وبوطاجين، سعيد: الاشتغال العملي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000م، ص14. ولحمداني، حميد: بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1990م، ط3، ص34. وبوطيب، عبد العالي بوطيب: مستويات دراسة النص الروائي، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، 1999م، ص:65. نقلاً عن:
- A.J.Grimas et J. Courté Dictionnaire raisonné de la théorie du langage.Hachette.paris, 1979,p65
- 69 بوطاجين، سعيد: الاشتغال العملي، مرجع سابق، ص: 19، 20، 21، 22. نقلاً عن A.J. Griemas: Du sens 2^{éd} seuil collection poétique, 1983, Paris, p28
- 70 مستغانمي: الأسود يليق بك، ص:152، 153، 154.
- 71 المصدر نفسه، ص326.
- 72 المصدر نفسه، ص303.
- 73 المصدر نفسه، ص330.

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: المصادر:

مستغانمي، أحلام: الأسود يليق بك، دار نوفل (هاشيت أنطوان)، بيروت، لبنان، 2012م.

ثانياً: المراجع:

باشلار، جاستون: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1982م.

بن عرفة، عبد العزيز: مدخل إلى نظرية السرد عند قريماس (ترجمة)، مجلة الحياة الثقافية، العدد 41، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 1986م.

بنكراد، سعيد: مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003م.

بوشوشة، بن جمعة: التجريب وارتحالات السرد الروائي المغربي، المطبعة المغربية، ط1، تونس، 2003م.

بوطاجين، سعيد: الاشتغال العاملي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000م.

بوطيب، عبد العالي بوطيب: مستويات دراسة النص الروائي، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، 1999م.

الحاري، محمد: خصوصيات الرواية العربية الحداثية بين نزعة التجريب واستراتيجيات التفاعل النصي، مجلة فكر ونقد، العدد 53، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2003م.

حسين، طه: مع أبي العلاء في سجنه، ط6، دار المعارف، القاهرة، 1963م.

حلمي، فدوى: ألوانك دليل شخصيتك، دار اليازودي العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، عمان، الأردن، 2007م.

الحميدي، محمد: الأسود يليق بك، مدونة أحمد، طوسون، مصر. 2014م.

www.ahmedtoson.blogspot.com

دلة، بطرس: مع أحلام مستغانمي في رواية الأسود يليق بك، الوسط الإخباري، 2013/1/16م.
www.alwasattoday.com

رسول، محمد رسول: أنوثة الأرقام وذكرورة الأنغام: أحلام مستغانمي في رواية "الأسود يليق بك"، جريدة العالم، دار العالم، العراق، العدد 1160- 21 ديسمبر- 2104م.
www.editor@alaalem.com

زيعور، علي: مذاهب علم النفس المعاصر، دار الأندلس، بيروت، 1971م.

السريحي، سعيد مصلح: دراسات في الشعر والقصة، الكتابة خارج الأقواس، ط1، نادي جازان الأدبي، جدة، السعودية، 1986م.

سليمان، فتح الله أحمد: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 2008م.

السميري، طامي: رواية الأسود يليق بك.. بين أناقة الكلمات وتقليدية الرؤية، صحيفة الرياض، الرياض، السعودية، عدد الخميس، 22- 11- 2012م. www.Aliyadh.com

السيحاني، فواز: الأسود يليق بك أحلام مستغانمي.. مآزق الشخوص وتبريرات اللغة، جريدة الرياض، السعودية، العدد 16282، 12 يناير 2013. www.aliyadh.com

شرادة، الجيلاني: منتقدو الرواية بين الحساسية وسوء التقدير: قراءة متأنية في رواية «الأسود يليق بك» للجزائرية أحلام مستغانمي، جريدة القدس العربي، لندن، العدد 7891، الخميس 9 تشرين الأول، 2014م. www.alquds.co.ku

شلق، علي: أبو نواس، بين التخطي والالتزام، ط1، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.

الشيدي، فاطمة: المعنى خارج النص، دراسة تطبيقية في أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، 2011م.

عيسى، ماري اسكندر: قراءة في رواية أحلام مستغانمي- الأسود يليق بك، الحوار المتدمن، 24- 6- 2013م. www.mahwar.org

عبيد، محمد صابر: مرايا التخيل الشعري، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2007م.

غيلوفي، خليفة: *التجريب في الرواية العربية*، الدار التونسية للنشر، 2012م.

فضل، صلاح: *التجريب في الإبداع الروائي*، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر حول (الرواية العربية...ممكنات السرد) من 11 إلى 13 دجنبر 2004، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008م.

القاضي، محمد وآخرون: *معجم السرديات*، ط1، دار محمد للنشر، تونس، 2010م.

لحمداني، حميد: *بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي*، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1990م.

محمد، سعيد أبو طالب: *علم النفس الفني*، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطابع جامعة بغداد، 1990م.

محمود، إبراهيم: *حول رواية أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"*: النص الروائي المؤجل، مجلة القدس العربي، لندن، العدد 7548، الأربعاء 25 أيلول، 2013م. www.alquds.co.ku.

ثالثاً: المراجع باللغة الأجنبية:

A.J.Grimas et J. Courté: *Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*.Hachette.paris, 1979,p65

Griemas (A,J): *Du sens 2éd seuil collection poétique*, 1983 ,Paris,p28.

صيغ الأمر في الإعراب أو البناء قراءة جديدة في البنية التركيبية والوظيفة الدلالية

أحمد محمد بشارات*

تاريخ الاستلام 2016/2/17

تاريخ القبول 2016/4/24

ملخص

تعدّ بنية التركيب "افعل" واحدة من المسائل الخلافية في النحو العربي، فهي مبنية عند البصريين، ومعربة عند الكوفيين؛ ويقوم الخلاف بين النحويين على وجهتي نظر في قراءة العلاقات الشكلية بين مكونات التركيب والوظيفة الإعرابية، فالبصريون يعلّلون البناء بخلو "افعل" من مكوّن العامل النحوي (= لام الأمر) قياساً على "لتفعل"؛ والكوفيون يعلّلون الإعراب بتقدير العامل؛ فد "افعل" وفق الكوفيين أصله "لتفعل".

يسعى البحث إلى تقديم قراءة جديدة في البنية التركيبية والوظيفة الدلالية في أمثلة "افعل"، وسيقدم البحث مقاربات تركيبية ووظيفية بين أمثلة "افعل" و"لتفعل" في محاولة لتصنيف أمثلة "افعل" في البناء أو الإعراب؛ فالبنية العميقة في سياق طلب الفعل مستقبلاً تتشكل في إسنادين: إسناد طلب الفعل في المتكلم زمن التلفّظ، وإسناد تحقيق الفعل في المتلقي مستقبلاً، ويحاول البحث تقديم مقاربات وظيفية بين مكونات المعنى في البنية العميقة وحالة إعراب الآخر في الشكل المنجز "افعل" و"لتفعل"، فالمكوّن العاملي (ل = لام الأمر) لا يظهر في تركيب "افعل" غير أنه يقدم وظيفة طلب الفعل بسبب من تعالقات المعنى الإسنادي في المتكلم والمستمع في البنية العميقة، ومن المنطقي أن تكون حالة الآخر ذات علاقة بمكونات المعنى الإسنادي في التركيبين "افعل" و"لتفعل" على حدّ سواء.

1- "افعل" و"لتفعل" مقاربات في البنية والوظيفة

تستعمل العربية صيغتين أساسيتين⁽¹⁾ في سياق طلب الفعل مستقبلاً: صيغة "افعل" وصيغة "لتفعل"، ويعتور الصيغتين تغيّرات صوتية متماثلة في حالة الآخر:

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية والدراسات الإماراتية، كليات التقنية العليا، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة.

أ- افعَلْ: افعلا \ افعلي \ افعلوا \ افع \ افعَلن...

ب- لتفعَلْ: لتفعلا \ لتفعلي \ لتفعلوا \ لتفع \ لتفعَلن...

وبمقارنة (أ) مع (ب) يتضح أنهما صيغتان تسعملان في وظيفة واحدة (= طلب الفعل مستقبلًا)، وتقعان في حالة نحوية واحدة (= الحذف = الجزم)؛ غير أن للنحويين وجهتي نظر في أمثلة (أ) = "افعل"؛ فهي معربة عند الكوفيين، ومبنية Non Parsing عند البصريين، وقد أخذ جلّ النحاة بتعليل البصريين؛ فمكونات التركيب في أمثلة (ب) = "لتفعَلْ" يدخلها عامل نحويّ يجعل تفسير حالة الآخر أكثر انسجامًا مع منطق النحو العامليّ، ومع صحة الربط الوظيفي بين عامل النحو (= ل) وحالة الجزم، إذ يؤسس هذا الربط لإقامة علاقة - أيضًا - بين مكونات المعنى الإسنادي وحالة الجزم في "لتفعَلْ"، إلا أن هذا التعليل لا يُفسر العلاقة بين الوظيفة الدلالية (=وظيفة الإسناد) وحالة الآخر في أمثلة "افعل"؛ فمن غير المقنع أن تكون علامة الآخر (= الحذف) في "افعل" حالة بناء، وفي "لتفعَلْ" حالة إعراب، فهذه مفارقة تقلل من وظيفة المعنى النحوي⁽²⁾ في تركيبين يقدمان وظيفة واحدة. وعلى الرغم من أن الكوفيين قدموا مقاربات وظيفية دلالية بين "افعل" و"لتفعَلْ" إلا أنهم أبقوا مسألة العلاقة بين وظيفة الإسناد وحالة الآخر مدينة لسلطة العامل النحوي، فقدروا عاملاً نحويًا في أمثلة (أ)، وعندهم أن "افعل" معربة بعامل مقدر، و"لتفعَلْ" بعامل ظاهر.

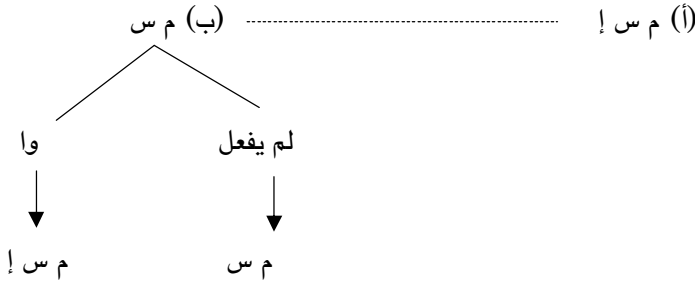
1-1- وجهتا نظر البصريين والكوفيين في صيغ الأمر، قياس "افعل" على "لم تفعَل"

1-1-1- ذهب البصريون إلى أن أمثلة "افعل" مبنية، من جهة أنها لم تستوف شرط الوقوع في تأثير العوامل النحوية؛ فهي أفعال تخلو من سوابق المضارعة⁽³⁾، وعلى الرغم من قولهم ببناء أمثلة "افعل" إلا أنهم فسروا التغيرات الصوتية في حالة الآخر نحويًا بحملها على الصحيح المجزوم كالآتي:



وفسروا الحذف -أيضًا- في آخر المعتل بحمله على الصحيح من الأفعال، وذلك "أنه لما استوى الفعل المجزوم الصحيح وفعل الأمر الصحيح، كقولك: لم يفعل وأفعَل يا فتى، وإن كان أحدهما مجزومًا والآخر ساكنًا، سُوِيَ بينهما في الفعل المعتل... فلما وجب حذف هذه الأحرف في المعتل للجزم، فكذلك يجب حذفها من المعتل للبناء، حملًا للمعتل على الصحيح"⁽⁴⁾، وذهب بعض الكوفيين مذهب البصريين في حمل "افعل" على "لم تفعَلْ"، ففسروا الحذف في "ادع وارم واخش" بحملها نحويًا على المجزوم من نحو "لم يدع ولم يرم ولم يخش"⁽⁵⁾، وهذا قياس غير

منطقيّ إنّ في المنجز وإنّ في التعليل، ذلك أنّ تركيب "لم يفعلوا" لا يقدّم وظيفة إسنادية بالمفهوم الفعليّ للإسناد Actual Prediction، إنّ لا علاقة واقعة بين المسند والمسند إليه إلا في شكل التركيب، وإذا كان هناك وظيفة إسنادية في تركيب "لم يفعلوا" فهي وظيفة إسناد الإخبار بعدم الفعل Didn't Do إلى فاعل التلفظ Speaker، كالآتي:



(م س إ = مسند إليه \ م س = مسند)

المكوّن (م س إ) في (أ) هو فاعل التلفظ "المسند إليه"، والمكوّن (م س) في (ب) هو المسند "لم يفعلوا"، ودينامية العلاقة الإسنادية متشكّلة في (أ) و(ب)، أمّا مكونات (ب) في تركيب "لم يفعلوا" فلا تحمل إسناداً دينامياً، لأنّها تقدّم معنى عدم الوقوع في الماضي، ومقابلاً لذلك فإنّ تركيب "افعلوا" يحمل إسناداً دينامياً، لأنّه معلق زمنياً على المستقبل Expected Prediction، مما يجعل قياس "افعل" على "لم تفعل" غير منطقيّ.

واشترط البصريون ظهور العامل النحوي (عامل غير مقدر) في بنية التركيب، فقدّموا تقابلات غير مقنعة في وظيفة العمل النحوي بين عامل الخفض وعامل الجزم، إذ يرى البصريون أنّ: "الجازم أضعف من الجار، والجار لا يعمل مضمرًا، فمن باب أولى أن لا يعمل الجازم وهو أضعف منه في العمل⁽⁶⁾" وهو ما يرفضه الكوفيون؛ فعامل الخفض "ربّ" يعمل مع الحذف بعد الواو والفاء، نحو قول ربيعة بن العجاج:

وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ⁽⁷⁾ (الرجز)

كما أنّ حرف الجزم يعمل مع الحذف، كقول أبي طالب عمّ الرسول صلى الله عليه وسلم:

مُحَمَّدٌ تَفَدَّى نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا⁽⁸⁾ (الوافر)

وإذا جاز أن يعمل حرف الجزم مع الحذف في هذه المواضع، جاز أن يعمل هاهنا مع الحذف لكثرة الاستعمال، وكذلك حرف الشرط يعمل مع الحذف في ستة مواضع، هي الأمر والنهي والدعاء

والاستفهام والتمني والعرض، فَعَمِلَ حرفُ الشرط مع الحذف في هذه المواضع كلها لتقديره فيها⁽⁹⁾.

1-1-2- ذهب الكوفيون إلى أن صيغ الأمر معربة Parsing؛ إذ يصح وقوعها في تأثير العوامل النحوية؛ فالأصل في "افعل" أن تقول "لِتَفْعَلْ"⁽¹⁰⁾، وعلى ذلك قوله تعالى: "فَبَذَلِكْ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ" (يونس/58)، وقرأ يعقوب وأبي وأنس -رضي الله عنهم-: "فَبَذَلِكْ فَلْتَفْرَحُوا"⁽¹¹⁾، وأورد النحويون شاهدين من أدلة الكوفيين نسبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، من ذلك أنه قال في بعض مغازيه: "لتأخذوا مصافكم"⁽¹²⁾ أي خذوا، وفي رواية أخرى "لتقوموا على مصافكم"؛ أي قوموا، وأنه قال في وجوب الصلاة بقميص واحد: "ولتزره ولو بشوكة"⁽¹³⁾؛ أي زره؛ غير أن هذين الشاهدين لم يردا بلفظيهما في كتب الحديث الشريف، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع: "لتأخذوا مناسككم"⁽¹⁴⁾، وفي وجوب الصلاة بقميص واحد ورد في البخاري بلفظ: "يزره ولو بشوكة"⁽¹⁵⁾ وفي سنن أبي داود: "وارزره ولو بشوكة"⁽¹⁶⁾، وفي سنن النسائي: "وزره عليك ولو بشوكة"⁽¹⁷⁾.

ومن أدلة الكوفيين - أيضاً - على أن الأمر للمواجهة على أصله يكون باللام، قول الشاعر وهو مجهول القائل:

لِتَقُمْ أَنْتَ يَا ابْنَ خَيْرٍ قُرَيْشٍ فَلْتَقْضَى حَوَائِجُ الْمُسْلِمِينَ⁽¹⁸⁾ (الخفيف)

وقال الآخر:

فَلْتَكُنْ أَبْعَدَ الْعِدَاةِ مِنَ الصُّلْدِ - حِمْيَرٍ النُّجْمِ جَارُهُ الْعَيُوقُ⁽¹⁹⁾ (الخفيف)

وقال الآخر:

لِتَبْعُدْ إِنَّ نَأَى جَدَوَاكَ عَنِّي فَلَا أَشَقَى عَلَيْكَ وَلَا أَبَالِي⁽²⁰⁾ (الوافر)

فثبت أن الأصل في الأمر للمواجهة في نحو "افعل" أن يكون باللام "لتفعل" كما لأمر الغائب، إلا أنه لما كثر استعمال الأمر للمواجهة في كلامهم، وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استعملوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال، فحذفوها مع حرف المضارعة طلباً للتخفيف⁽²¹⁾، ويقول ابن الحاجب إن صيغ الأمر تجري: "على طريقة المضارع في حال الجزم صحيحه ومعتله، ومذكره ومؤنثه، ومثناه ومجموعه"⁽²²⁾، فصيغة "افعل" ترجع إلى بنية عميقة هي "لتفعل".

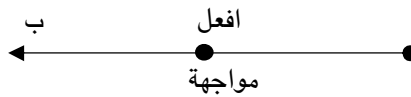
أما أمر الغائب والمتكلم، فإنه يلزمه دخول لام الأمر التي توجب أيضاً دخول السوابق الأربع، يقول الزمخشري: "وأما ما للفاعل، فإنه يؤمر بالحرف داخلاً على المضارع دخول (لا) و(لم)، كقولك: "لَتَضْرِبَ أَنْتَ" و"لَيَضْرِبَ زَيْدٌ" و"لَأَضْرِبَ أَنَا"، وكذلك ما هو للفاعل وليس بمخاطب،

كقولك: "لِيُضْرَبْ زيد" و"لَأُضْرَبَ أنا"؛ وعلى ضوء هذا النص يقول: الأصل في الأمر أن يدخل عليه اللام، وتلزمه إفادة معنى الأمر؛ إذ الحروف هي الموضوعات للمعاني ك (لا) في النهي و(لم) في النفي، إلا أنهم في أمر المخاطب حذفوا حرف المضارعة لما ذكرناه من الغنية عنه⁽²³⁾.

1-1-3- خلاصة

إن محاولة النحاة تفسير حالة الآخر في صيغ الأمر يدل على أنها صيغ ليست مبنية من الناحية الشكلية على الأقل، فالبناء لزوم آخر الكلم حالة واحدة⁽²⁴⁾، وصيغ "الأمر" لا تكون على حالة واحدة؛ غير أن البصريين اهتموا بمسألة الشكل Structure فاشتروا لإعراب الفعل بوجه عام أن تدخله السوابق الأربع (ن-أ-ت-ي)⁽²⁵⁾ فربطوا فكرة العمل بشكل البنية، إذ يصح إعراب "لتفعل" لما يدخلها من سوابق المضارعة، ولا يصح ذلك في صيغة "افعل" لخلوها من سوابق المضارعة؛ فكانت صيغة "افعل" محمولة نحوياً على صيغة "لم تفعل" بسبب من بنية الآخر صوتياً، ومبنية في تقابلها مع صيغة "لتفعل"، لخلو "افعل" من سوابق المضارعة.

أما الكوفيون فقد وسعوا اعتبارات التحليل الشكلي، فكان تركيب "افعل" مقيساً على تركيب "لتفعل"، فقدّموا تفسيراً يؤسس لإقامة علاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية في التركيب، وهو ما يقدم تفسيراً يربط الشكل (التركيب) بالمعنى Meaning، أي العلاقة بين الوظيفة البلاغية والتركيب، فعند الكوفيين أن حذف سوابق المضارعة يرجع إلى ظهور المخاطب⁽²⁶⁾ فعلياً Effective Listener زمن التلفظ بالأمر Pronouncement Time، فحضور المخاطب يغني عن كل الوظائف الشكلية التي من شأنها أن تشير إليه، كالآتي:



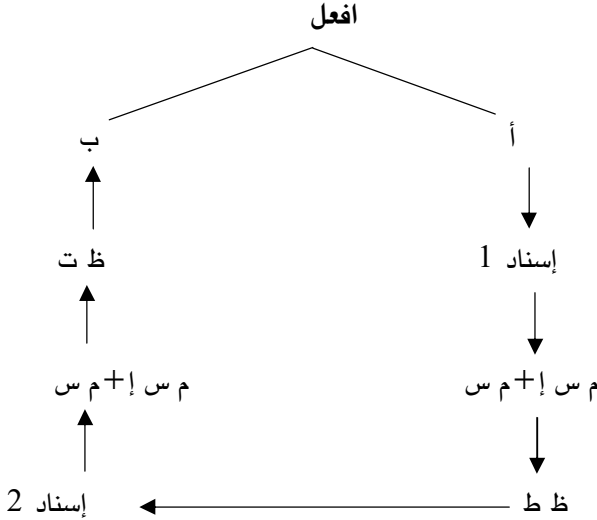
$$أ = \text{مرسل} / ب = \text{مستقبل}$$

وقد تجاوزت اللغات السامية في كثير من الاستعمالات مرحلة البنية الشكلية لذكر الضمائر إذا وُجد ما يغني عن الدلالة عليها⁽²⁷⁾.

ومع أهمية التحليلات التي قدمها الكوفيون في إقامة مقارنة بين بنية "افعل" وبنية "لتفعل"، إلا أن اهتمامهم كان منصباً في البحث عن تحليل شكلي يفسر حالة الآخر في "افعل"، وذلك بتقديرهم للعامل مضمراً، أما البحث في تفصيلات المعنى الإسنادي⁽²⁸⁾، فلم يكن ذا قيمة في تفسير حالة الآخر في "افعل".

2- "افعل" و"لتفعل" محاولة لتقديم تحليلات جديدة في البنية التركيبية والوظيفة الدلالية

1-2- إن أيّ عملية اتصال هي علاقة معنًى أو وظيفة إسنادٍ المعنى بين متكلم ومستمع⁽²⁹⁾، وعلى الرغم من أن مكونات الاتصال تظهر في الشكل المُنجز إلا أن بعض تفصيلات المعنى تقدم وظيفتها الاتصالية في مستوى البنية العميقة، بحيث تبقى العلاقة بين البنية السطحية والبنية العميقة مفتوحة على خيارات واسعة أسلوبياً ضمن مقدرة اللغة على إقامة علاقة بين الشكل والمعنى، وفي اللسانيات الوظيفية أصبح التركيز منصّباً على تحليل مكونات البنية العميقة في الوصول إلى المعنى، "فالبنية العميقة ذات علاقة أوثق بمعنى الجملة من البنية السطحية"⁽³⁰⁾، وفي سياق طلب الفعل مستقبلاً يكون أحد طرفي الاتصال غير مُنجزٍ في البنية التركيبية، إن يظهر المُستقبل Listener فقط في البنية السطحية، وهذا يوجب تحليل بنية "افعل" و"لتفعل" وفق منظور دلالي يهتم بمكونات المعنى الإسنادي في البنية العميقة؛ فالمعنى الوظيفي في سياق طلب الفعل يقوم على علاقة بين مرسل Speaker يقدم وظيفة إسناد طلب الفعل، ومُستقبل Listener يقدم وظيفة إسناد تحقيق الفعل achieving the goal. والشكل الآتي يوضح مكونات علاقة الاتصال في البنية العميقة في سياق طلب الفعل مستقبلاً:



(أ = مرسل / ب = مستقبل) (م س ! = مسند إليه / م س = مسند) (ظ ط = وظيفة طلب الفعل / ظ ت = وظيفة تحقيق الفعل) (الخط بين أ وب = المعنى أو عملية الاتصال).

تبدأ عملية الاتصال في (أ) = المرسل Sender فيتكون المعنى الإسنادي الأول (إسناد1) لتقديم وظيفة طلب الفعل زمن التلفظ؛ وفي (ب) يتشكل إسناد2، الذي يقدم وظيفة تحقيق الفعل في المستقبل Listener.

وإسناد1 يتكون من: م س إ + م س، فاعل التلفظ + معنى طلب الفعل، وإسناد2 يتكون من: م س إ + م س، الفاعل الحقيقي + تحقيق الفعل، أي الممارسة الفعلية لتحقيق الفعل.

ومن المهم معرفة أن حركة الأسهم ذات علاقة بالبنية التركيبية في سياق طلب الفعل، ففي (أ) تظهر حركة الأسم في اتجاه البنية العميقة، إذ يظل المرسل غير ظاهر في البنية السطحية إلا تلفظاً، وفي (ب) تظهر حركة الأسهم نحو البنية السطحية، فبنية "افعل" تسمح بظهور مكونات المعنى في المتلقي، إذ يمثل إسناد2 فاعلاً دينامياً في التركيب، أي الممارسة الدينامية لعملية الاتصال، ومن المهم جداً معرفة أن (إسناد1) مكون دلالي فعال في البنية العميقة على الرغم من أنه افتراض شكلي في الرسم السابق، فهو غير ظاهر في البنية السطحية "افعل"، إلا أن "المعنى التحتي منظم تماماً في صورة مفاهيم وعلاقات يمكن أن تخطط في صورة جمل أو تراكيب من أي نوع بطرق مختلفة"⁽³¹⁾، فالعلاقة بين (إسناد1) و(إسناد2) علاقة اتصالية تقدم في (أ) وظيفة طلب الفعل، وفي (ب) وظيفة تحقيق الفعل، وهذا تحليل يتجاوز منهجية النحو التحويلي والتوليدي الرياضي، فنظرية تشومسكي تهتم بتحليل البنية السطحية كمنطلق أساسي في محاولة تقديم تصورات شكلية في البنية العميقة⁽³²⁾، وهو منظور رياضي منطقي يُبقي مسألة العلاقة بين المعنى والتركيب قائمة في كل الاحتمالات الممكنة شكلياً⁽³³⁾.

إن العلاقة الوظيفية بين (أ) = إسناد1، و(ب) = إسناد2 يمكن أن تقدم ربطاً منطقياً بين الوظيفة الإسنادية وعلامة الآخر، فالبنية الدلالية في (أ) ذات أثر وظيفي في التركيبين "افعل" و"لتفعل" على حد سواء، وهذا يؤسس لتقديم تحليلات منطقية في محاولة تصنيف صيغ الأمر في الإعراب أو البناء وفق منظور وظيفي عاملي فوق شكلي، أي عامل وظيفي متمثل في وظيفة طلب الفعل في إسناد1، ولنتمكن من فهم العلاقة بين إسناد1 وعلامة الآخر (=الجزم) يحسن أن نحلل موقع العامل النحوي (ل) في تركيب سياق طلب الفعل، أيقع العامل في إسناد1 أم في إسناد2؟

موقع العامل النحوي (ل)، في إسناد1 أو إسناد2

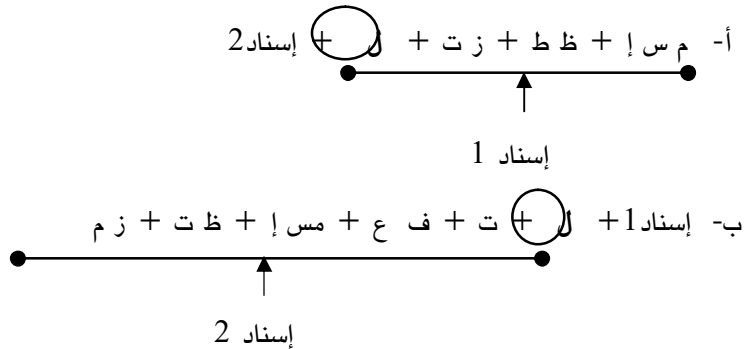
في محاولة تحديد موقع (ل) في بنية "افعل" و"لتفعل" يمكن الالتفات إلى العلاقة بين الصرف والتركيب في المستوى العميق لمكونات العلاقة الإسنادية في سياق طلب الفعل، وهو ما أسسه الكوفيون في تحليلات البنية العميقة؛ إذ قدرُوا (ل) في بنية "افعل"، وفقاً لإجراء تقابلات

وظيفية بين "افعل" و "لتفعل"، فالتركيبان يقدمان وظيفة واحدة مما يؤسس لأن تكون المكونات الصرفية في البنية العميقة واحدة أيضاً.

وفي اللسانيات الوظيفية يفترض ديك Simon Deck وجود علاقة بين صيغ المكونات الصرفية والمواقع التي تحتلها، ويفترض أن تطبيق قواعد الصرف يسبق تطبيق قواعد الموقعة⁽³⁴⁾، وعند تحليل العلاقة بين مكونات الصرف والمواقع التي تحتلها فإن (ل) سيشغل موقعاً واحداً في التركيبين "افعل" و "لتفعل"، وهذا الموقع يتعلق بالوظيفة التي يقدمها العامل في التركيبين.

غير أن افتراض ديك (والمتموكل أيضاً) يبقى التحليل في المستوى الصرفي المنجز في التركيب، أي مكونات الصرف المنجزة في البنية السطحية، وهو ما يصح تحليله في بنية "لتفعل"، ف (ل) مكون ظاهر في البنية السطحية، أما بنية "افعل" فتوجب افتراض مكونات الصرف في البنية العميقة لفهم العلاقة بين الإسنادين (= إسناد 1 وإسناد 2)، ولتحديد موقع العامل (ل) يمكن طرح السؤال: هل العامل النحوي (ل) من مكونات بنية إسناد 1 = إسناد التلفظ = إسناد طلب الفعل؟ أم من مكونات بنية إسناد 2 = إسناد تحقيق الفعل؟ ووفقاً لتحليلات النحويين فإن (ل) هو من مكونات إسناد 2، أي من مكونات بنية الإسناد في المستقبل Listener، وهذا الافتراض في تحليل القدماء يبقى إشكالاً في وظيفة العامل (ل) في بنية التركيب، إذ تقدم (ل) وظيفة طلب الفعل، وهي وظيفة قارة في إسناد 1 لا في إسناد 2، ووفقاً لتحليلات البصريين تكون (ل) في تركيب "لتفعل" فقط، وعند الكوفيين من مكونات التركيبين ظاهراً في "لتفعل" ومضمراً في "افعل". ولاختبار صحة تحليلات النحويين نفترض الشكلين الآتيين لبنية الجملة " لتفعل ":

لتفعل =



(م) ر = مرسل / ظ ط = وظيفة طلب الفعل / ز ت = زمن التلفظ / ل = عامل نحوي /
ت = سابقة المضارعة / ف ع = فعل / م س = مُستقبل / ز م = زمن مستقبل / ظ ت =
وظيفة تحقيق الفعل).

في الافتراض (أ) يكون العامل النحوي (ل) جزءاً من بنية الوظيفة النحوية = وظيفة طلب الفعل في إسناد 1، وسيكون هذا الافتراض مقبولاً منطقياً إذا تم ربط علاقة بنوية بين وظيفة طلب الفعل في إسناد 1، ووظيفة تحقيق الفعل في إسناد 2، وسيكون ذلك مقبولاً في بنية التركيبين "افعل" و"لتفعل"، ذلك أن وظيفة طلب الفعل متشكلة زمن التلفظ في إسناد 1، ومعلق تحقيقها في إسناد 2 مستقبلاً، أي أن الفاعل (= م س إ) في إسناد 2 لا يقدم وظيفة طلب الفعل، إنما يقوم بوظيفة تحقيق الفعل، ووفقاً لهذا الافتراض فإن العامل النحوي (ل) سيكون متشكلاً بنوياً في المستوى العميق للتركيب "افعل" و"لتفعل" في إسناد 1 إسناد طلب الفعل، وهذا يؤسس لأن تكون تحولات الآخر في تركيب "افعل" مقيسة على تركيب "لتفعل"، ويؤسس - أيضاً - لأن يكون التركيبان واقعين في حالة نحوية واحدة إعراباً أو بناءً.

أما الافتراض (ب) ففيه إشكال، من جهة أنه افتراض يلغي وظيفة طلب الفعل في إسناد 1، ويجعلها في إسناد 2 الذي يقدم وظيفة تحقيق الفعل، أي أن الافتراض: إسناد 1 + ل + إسناد 2 افتراض غير مقبول من وجهة المنطق الوظيفي في العلاقة بين المرسل والمستقبل، فالمرسل يقوم بوظيفة طلب الفعل، والمستقبل يقوم بوظيفة تحقيق الفعل.

إن محاولة افتراض موقع العامل في إسناد 1 تؤكد أن وظيفة (ل) هي وظيفة دلالية ونحوية في التركيبين: "افعل" و"لتفعل" على حد سواء، وهي وظيفة تؤسس لإقامة حالة نحوية واحدة (= جزم) في التركيبين، فالعلاقة بين الوظيفة الدلالية = وظيفة طلب الفعل في إسناد 1 وحالة الآخر في إسناد 2 هي علاقة توضح تفصيلات الإسناد في سياق طلب الفعل مستقبلاً، فالإسناد في سياق طلب الفعل إسناد معلق زمنياً على المستقبل Future، والعربية تميز بين نمطين إسناديين في الفعل بوجه عام (= الفعل Verb): إسناد مغلق (= منقوض / تام) Closing (Prediction)، وإسناد منفتح حر (Open Prediction). في الإسناد المغلق تنعدم علاقة الربط الوظيفي بين علامة الآخر ووظيفة الإسناد، بحيث يصبح الإسناد خلواً من أي دلالة نحوية دينامية، وتنحصر وظيفة الإسناد في إجراء علاقة ثابتة دلالية ونحوية بين مكونات التركيب، وهو ما يوجد في العربية في حالة الأفعال الماضية، حيث تمثل الأفعال الماضية حالة إسناد منقوض، وهي بذلك أفعال مبنية، أي أن إسنادها مبني ثابت.

وفي الإسناد المنفتح الحر تبقى وظيفة الإسناد ذات فعالية دينامية في العلاقة بين المرسل Sender والمستقبل Listener، ويكون الإسناد حاملاً لمؤثرات نحوية وزمنية (= وجهة الإسناد) تسهم في إقامة علامة الآخر في الفعل، وتتشكل هذه الحالة في الأفعال المضارعة، وأفعال الأمر، فالأفعال المضارعة، وكذا أفعال الأمر، تقدم إسناداً دينامياً في بنية التركيب، مما يلزم إيجاد وظيفة إعرابية تضبط حركة الإسناد في الفعل وتوجهها، ولعل فكرة الربط بين حالة الآخر وبنية

المعنى الإسنادي فكرة غير مقبولة في الفكر النحوي، فالفعل بوجه عام - وفق أغلب النحاة - معرب بالمشابهة لا بالأصالة، ويقدم الإعراب فيه وظيفة الكشف عن صحة التركيب نحويًا⁽³⁵⁾، أي خط العمل النحوي، فهو إعراب يتصل بالشكل دون البنية.

وقد حاول بعض المحدثين تقديم تحليلات وظيفية لفهم العلاقة بين وظيفة الإسناد وتحولات الآخر في الفعل المضارع، إذ يرى الكسار أن: "نصب المستمر (= المضارع) عائد إلى فكرة الشك التي تدخلها عليه بعض الحروف التي تسبقه، وأن رفعه ناجم عن تحقيقه وتأكيده وقوة فاعليته واستمرارها"⁽³⁶⁾، "وأن جزمه عائد إلى قطع الفعالية وضعفها،.... أو جعلها بمعنى الطلب"⁽³⁷⁾. غير أن الكسار يرى أن: "صيغة الأمر" لا يقصد منها الدلالة على حدث مقترن بزمن، أي أنه لا ينطبق عليها تعريف النحاة للفعل، وإنما هي صيغة فعلية يراد بها تنبيه المخاطب بالكلام إلى لزوم قيامه بالحدث"⁽³⁸⁾، ومع أهمية رأي الكسار والتنبيه إلى العلاقة بين المرسل والمستقبل إلا أن تحليل فكرة الإسناد في صيغ الأمر يدل على أنها صيغ فعلية، فرغبة المتكلم في تنبيه المخاطب هي عملية إسنادية تامة واقعة في زمن التلفظ، وهذا يدل على أن فكرة الحدث (= فعل) منجزة دلاليًا في زمن التلفظ، وأن وقوعها مطلوب في إسناد المخاطب = إسناد 2 مستقبلاً في الأغلب، وهي صورة مشابهة للمنجز اللغوي دلاليًا في بنية التعليق الشرطي، فجواب الشرط في المرسل يقدم وظيفية تنبيهية للقيام بفعل الشرط في المستقبل Listener مستقبلاً Future.

إن وظيفة الجزم في سياق طلب الفعل تدل على تعليق وقوع الإسناد مستقبلاً في إسناد 2، فالجزم علامة وظيفية تدل على دينامية التعليق الإسنادي بين مسند سيقع مستقبلاً، ومسند إليه سيقوم بالفعل (= الحدث)، وهذه الوظيفة الدلالية في إعراب الجزم تظهر في التركيبين "افعل" و"لتفعل" إذ العلاقة بين حالة الآخر وبنية المعنى الإسنادي متعلقة في إسناد 1، مما يجعل القول بإعراب "افعل" مقبولا من وجهة التحليل الوظيفي للعلاقة بين مكونات المعنى الإسنادي ومعنى الإعراب في حالة الآخر.

أما ظهور (ل) في "لتفعل" وعدم ظهورها في "افعل" فيرجع إلى منطق بنيوي شكلي يتعلق بدخول سوابق المضارعة (= ن، أ، ت، ي)، وما تقدمه هذه السوابق من دلالة على المخاطب غائباً أو حاضراً، إذ بنية المنجز "ل + افعل" غير مقبولة شكلياً في اللغة العربية، وتسمح العربية بالتركيب: "ل + ت + فعل".

The Imperative Verbs into Declinable or Indeclinable New Reading in the Structure and Semanticfunction of These Verbs

Ahmad Bsharat, *Department of Arabic Language, Higher Colleges of
Technology, Abu Dhabi, United Arab Emirates.*

Abstract

The imperative verbs such as “do it” (= If^{al}) or “to do it”(=Litaf^{al}) are considered to be one of the controversial issues in Arabic grammar. According to al Basra Grammarians, these verbs are indeclinable whereas al Kufa Grammarians considered these verbs as declinable. This salient difference between the grammarians may be attributed to the difference of their approach in reading the relations between the verbs structure and the Parsing function. Al Basra Grammarians showed that these verbs are indeclinable because these verbs do not contain one of the prefixes which should be in the constituents of these verbs. They should contain the governor (= Grammatical Governor). But Al Kufa Grammarians think that these verbs contain the prefixes and governor in the deep structure. This research seeks to present a new reading in the structure and in prediction function of the imperative verbs in order to classify these verbs into declinable or indeclinable, and to establish the relation between the predication function in the deep structure and the sign of the end in these verbs.

الهوامش

- (1) وتستعمل العربية أساليب كثيرة لتقديم وظيفة طلب الفعل مستقبلاً، فالاستفهام يقدم أحياناً معنى طلب الفعل، وكذا أسلوب التحضيض وغيره، غير أنّ موضوع البحث هو مسألة أمثلة الأمر وقضايا التركيب والدلالة فيها، غاية الوصول إلى تصنيف هذه الصيغ في الإعراب أو البناء.
- (2) المهيري، عبد القادر، لم أعرب الفعل المضارع؟ ص 11.
- (3) الأنباري، الإنصاف، تحقيق، جودة مبروك محمد مبروك، ورمضان عبدالنواب، القاهرة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1، 2002م، ص 425.
- (4) الأنباري، الإنصاف، ص 427.
- (5) الأنباري، الإنصاف، ص 426.
- (6) السيوطي، الأشباه والنظائر، ج 2 / ص 147.
- (7) ديوان رؤية بن العجاج، دراسة وتحقيق، راضي محمد عيد نواصرة، الأردن، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، ط 2010م، ص 197؛ وورد الشاهد بلا نسبة في: الإنصاف، 417؛ وفي المغني ج 2 ص 695 الشاهد رقم 940 لرؤية بن العجاج برواية: ومهمه مغيرة أرجاؤه... كأن لون أرضه سماؤه؛ ونسب إلى رؤية بن العجاج في شرح شذور الذهب ص 320.
- (8) ديوان أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، جمعه وشرحه محمد التونجي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1994م، ص 61.
- (9) انظر: الإنصاف، ص 418 وما بعدها، وأسرار العربية، الصفحات 318-325؛ وابن يعيش، شرح المفصل، قدم له وضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط 1، 2001م، ج 4 ص 293؛ وابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، ج 2 / الصفحات 534-540.
- (10) الأنباري، الإنصاف ص 414.
- (11) قرأ الجمهور بالياء على أمر الغائب: "فلتفرحوا" انظر: أبو عمرو الداني، جامع البيان في القراءات السبع، ج 2 / ص 307؛ وانظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه، زكريا عبد المجير النوتي، وأحمد النجولي الجمل، وقرظه، عبد الحي الفرماوي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج 5، ص 170؛ وعن النبي صلى الله عليه وسلم: "فلتفرحوا"، والكسائي في رواية زكريا بن وردان، وقرأ زيد بن ثابت "فلتفرحوا" وأبو جعفر المدني وأبو التناج؛ انظر: ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، القراءات الشاذة، إربد، الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط 2002م، ص 57؛ وروى رويس والمطوعي عن الأعمش بالتاء: "فبذلك فلتفرحوا" انظر: البغدادي، سبط الخياط البغدادي، المبهج في القراءات السبع، ج 2 / ص 346. وقرأ يعقوب في رواية رويس "فلتفرحوا" انظر: أبي زرعة، عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، حققه وعلق حواشيه سعيد الأفغاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1979م، ص 333؛ وأبو علي الفارسي، الحجة للقراءات السبع، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2001م، ص 367؛ وروى عن ابن عامر أنه قرأ "فلتفرحوا"

- بالتاء على الخطاب للكفار، انظر: مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق أحمد مهدي، بيروت، لبنان، كتاب ناشرون، ط1، 2011، ص 369.
- (12) ينسب النحاة هذا الشاهد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، غير أنه لم يرد في كتب الحديث الشريف، انظر الشاهد عند: الأنباري، الإنصاف، ص 415؛ والأنباري، أسرار العربية، ص 318؛ والسيوطي جلال الدين، همع الهوامع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، الكويت، دار البحوث العلمية، ط 1979م، ج 4 ص 308؛ وابن يعيش، شرح المفصل، ج 4 ص 293؛ وابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، ط 1996م، ج 4 ص 182؛ وابن هشام، مغني اللبيب، ج 1 ص 227.
- (13) ورد الشاهد في الإنصاف ص 415، ولم يرد في كتب الحديث بلفظ الأمر (باللام)، بل ورد بلفظ: "زره"، "ازرره"، "يزره".
- (14) الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت، دار ابن حزم، ومكتبة المعارف، ط1، 1995، ج2، ص769، حديث رقم (1297) (باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا) حدثنا إسحاق بن إبراهيم وعلي بن خشرم. جميعا عن عيسى بن يونس. قال ابن خشرم: أخبرنا عيسى عن ابن جريج. أخبرني أبو الزبير؛ أنه سمع جابرا يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي على راحته يوم النحر، ويقول "لتأخذوا مناسككم. فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه".
- (15) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، اعتنى به، عز الدين ضلي، وعماد الطيار، ويأسر حسن، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 2008م؛ (كتاب الصلاة - باب وجوب الصلاة في الثياب) (عن سلمة بن الأكوع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يزره ولو بشوكة").
- (16) أبو داود، سنن أبي داود، المسمى بالسنن، رقم كتبه وصنع فهرسه، هيثم بن نزار تميم، بيروت، لبنان، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1999م، (باب في الرجل يصلي في قميص واحد) حدثنا القعنبي، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - عن موسى بن إبراهيم، عن سلمة بن الأكوع، قال: "قلت يا رسول الله إني رجل أصيد أفأصلي في القميص الواحد؟ قال: نعم، وازرره ولو بشوكة" حديث 81/80 (632) ص152.
- (17) مختصر سنن النسائي، اختصره وشرح جملة وألفاظه وعلق عليه، مصطفى ديب البغا، دمشق - بيروت، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997م؛ حديث رقم 756، (كتاب القبلة، باب الصلاة في قميص واحد).
- (18) البيت بلا نسبة ولم أعثر على قائل له، انظر: الأنباري في الإنصاف، ص 415؛ والأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ج1/ص55؛ والبغداد، خزنة الأدب، ج9/ص14؛ وفي المغني "كي لتقضي حوائج المسلمين؛ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1/ص227؛ ويعقوب، إميل

- بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، ط1، ج 8/ص93؛ والسيوطي، جلال الدين، شرح شواهد المغني، ج 2/ص602.
- (19) البيت بلا نسبة مجهول القائل، الإنصاف، ص 415.
- (20) البيت بلا نسبة، مجهول القائل، الإنصاف، ص 415.
- (21) الأنباري، الإنصاف، ص 415-416؛ وأسرار العربية، الصفحات 317-320.
- (22) ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، ج 2/ص46.
- (23) ابن يعيش، شرح المفصل، ج 4/ص293؛ وانظر: ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، ص4 و ص47.
- (24) سيبويه، الكتاب، ج 1/ص13؛ وابن السراج، الأصول في النحو، ج 1/ص46؛ وابن الخشاب، المرتجل، ص 35؛ وابن جني، الخصائص، ج 1/ص37.
- (25) الأنباري، الإنصاف، ص 425.
- (26) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج 4/ص290.
- (27) انظر: عمايرة، إسماعيل، مقطع المضاربة بين العربية واللغات السامية، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة الآداب واللغويات، مجلد 12، العدد 2، ص 122.
- (28) انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 527؛ وانظر: السكاكي، مفتاح العلوم، الصفحات 205، 209، 240.
- (29) انظر: فاطمة البطال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، دراسة ونصوص، ص 40، وانظر: ممدوح عبدالرحمن الرمالي، الألسنية والتحليل الوظيفي للغة، عرض ونقد، ص19.
- (30) جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، مراجعة يوثيل عزيز، ص 167؛ وانظر: المتوكل أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 23.
- (31) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص 121.
- (32) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، ص 15.
- (33) انظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، ص 31، و ص 103 وما بعدها.
- (34) أحمد المتوكل، التراكيب الوظيفية، قضايا ومقاربات، ص18.
- (35) انظر: الرضي، شرح الكافية، ج 2/ص227، وابن يعيش، شرح المفصل، ج 7/ص11، وانظر: عمايرة، خليل، في التحليل اللغوي، ص 186، وريمون طحان، الألسنية العربية، ص16.
- (36) الكسار، المفتاح، ص 208؛ وانظر: الجواري، نحو الفعل، ص 24؛ والجواري، نحو التيسير، ص 217؛ والعقاد، اللغة الشاعرة، ص84.
- (37) انظر: الكسار، المفتاح، الصفحات 196، 197.
- (38) الكسار، المفتاح، ص217.

المصادر والمراجع

ابن الحاجب النحوي المالكي، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق وتقديم موسى بناي العليلي، بغداد، مطبعة العاني.

ابن الحاجب النحوي المالكي، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر، الكافية في النحو، شرح الأسترباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.

ابن الخشاب، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد، المرتجل في شرح الجمل، تحقيق، علي حيدر، دمشق، مكتبة مجمع اللغة العربية، ط1، 1972م.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق، عبدالحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1988م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن حني، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار.

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، القراءات الشاذة، إربد، الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط 2002م.

ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، ط 1996م.

ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه كتاب منتهى الأرب، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد.

ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، والقاهرة، مطبعة المدني.

ابن يعيش، موقف الدين أبو البقاء الموصلي، شرح المفصل، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2001م.

أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد، أسرار العربية، تحقيق، محمد بهجة البيطار، دمشق، مطبعة الترقى، 1957م.

أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق، جودة مبروك محمد مبروك، ورمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 2002م.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه، زكريا عبد المجير النوتي، وأحمد النجولي الجمل، وقرظه، عبد الحي الفرماوي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

أبو داوود، سنن أبي داوود، المسمى بالسنن، رقم كتبه وصنع فهرسه، هيثم بن نزار تميم، بيروت، لبنان، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1999م.

أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، حققه وعلق حواشيه سعيد الأفغاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1979م.

أبو علي الفارسي، الحجة للقراءات السبعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2001م.

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمرو الداني، جامع البيان في القراءات السبع، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، ويحي مراد، القاهرة، دار الحديث، ط2006م.

الأزهري، الشيخ خالد، شرح التصريح على التوضيح، القاهرة، دار إحياء الكتب.

الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت، دار ابن حزم، ومكتبة المعارف، ط1، 1995م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، اعتنى به، عز الدين ضلي، وعماد الطيار، وياسر حسن، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 2008م.

البغدادي، سبط الخياط البغدادي، عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله، المبهج في القراءات السبع، تحقيق، سيد كسروي حسن، بيروت، صيدا، دار الكتب العلمية، ط1، 2006م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مصر، مكتبة الخانجي، 1981م.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط5، 2004م.

جمال الدين، مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات (228).

الجواري، أحمد عبد الستار، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م.

حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1985م.

ديوان أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، جمعه وشرحه محمد التونجي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1994م.

ديوان رؤية بن العجاج، دراسة وتحقيق: راضي محمد عيد نواصرة، الأردن، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، ط2010م.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، بيروت، عالم الكتاب، ط3، 1983م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد، الأشباه والنظائر في النحو، بيروت - لبنان، دار المعارف، ط1، 1984م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد، شرح شواهد المغني، تصحيح وتعلقات العلامة محمد محمود الشنقيطي، لجنة التراث العربي، (د.ت).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد، همع الهوامع، تحقيق وشرح عبدالعال سالم مكرم، الكويت، دار البحوث العلمية، ط1979م.

العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، مكتبة غريب، 1900م.

عمامرة، خليل أحمد، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، تقديم سلمان حسن المعاني، الزرقاء- الأردن، مكتبة المنار، ط1، 1987م.

- فاطمة البطل بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، دراسة ونصوص، بيروت، الحمراء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993م.
- الكسار، محمد، المفتاح لتعريب النحو، المكتب العربي للإعلان، 1976م.
- المتوكل، أحمد، التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، الرباط، مكتبة دار الأمان، ط1، 2005،
- المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، الرباط، دار الأمان، الجزائر- الجزائر، وبيروت لبنان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، ط1، 2013م.
- مختصر سنن النسائي، اختصره وشرح جملة وألفاظه وعلق عليه، مصطفى ديب البغا، دمشق - بيروت، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997م.
- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق أحمد مهدي، بيروت، لبنان، كتاب ناشرون، ط1، 2011م.
- ممدوح عبد الرحمن الرمالي، الألسنية والتحليل الوظيفي للغة، عرض ونقد.
- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، بيروت - الحمراء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986م.
- يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، ط1، دار الكتب العلمية، 1996م.

الكتب المترجمة

- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، مراجعة يوثيل عزيز، العراق- بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987م.
- جون لاينز، نظرية تشكوميكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، ط1 1985م.
- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998م.

البحوث والرسائل الجامعية:

بلعكي: رمزي، نحو الفعل المضارع ومكانته في التراكيب الإسنادية، رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الأدب، أيار، 1975م.

عميرة إسماعيل، مقطع المضارعة بين العربية واللغات السامية، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة الآداب واللغويات، مجلد 12، العدد 2، ص 122.

المهيري: عبد القادر، لِمَ أعرب الفعل المضارع، حوليات الجامعة التونسية، العدد السادس عشر، 1978م.

مواقف القوى الدولية والإقليمية من ثورات الربيع العربي وأثرها على النظام الإقليمي الشرق أوسطي (2010-2015)

عمر ياسين خضيرات *

تاريخ الاستلام 2016/2/18

تاريخ القبول 2016/5/22

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مواقف القوى التقليدية الدولية ممثلة بالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وروسيا والصين، ومواقف القوى الإقليمية ممثلة بإيران وتركيا وإسرائيل من ثورات الربيع العربي التي انطلقت أواخر 2010 وما زالت المنطقة تعيش تفاعلات هذه الثورات وارتدادها ولم تتوضح صورة المشهد حتى هذه اللحظة.

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي والمنهج المقارن عبر جمع المعلومات عن الحقائق والوقائع السياسية، ومن ثم تحليل تلك الحقائق والمعلومات وتفسيرها بهدف الوصول إلى استنتاجات تساعد في فهم مواقف القوى الدولية والإقليمية تجاه الثورات العربية.

خلصت الدراسة إلى أن التغيرات التي شهدتها وما زالت تشهدها بلدان الربيع العربي لن تقتصر على عملية التحول الديمقراطي لكل دولة على حدة، بل إن منطقة الشرق الأوسط لا تزال محط اهتمام القوى التقليدية الدولية والقوى الإقليمية البارزة، التي تسعى من خلال مواقفها من هذه الثورات للمشاركة في ترتيبات هذا النظام الإقليمي الجديد الذي ما زال في طور التشكيل.

كما خلصت هذه الدراسة إلى أن مواقف القوى الدولية التقليدية والقوى الإقليمية تجاه ثورات الربيع العربي تتوقف على مصالح هذه الدول، وليس وفق مصالح شعوب دول ثورات الربيع العربي، كما أن دخول دول ثورات الربيع العربي في مرحلة عدم الاستقرار والتراجع والصراعات لأسباب داخلية وخارجية سيجعل دور النظام العربي في النفوذ والهيمنة محدود الأثر لصالح الدول الإقليمية الأخرى المتمثلة في إيران وتركيا وإسرائيل.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم العلوم السياسية، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، إربد، الأردن.

مقدمة:

شهد النظام الإقليمي الشرق أوسطي بعد ثورات الربيع العربي مرحلة غير مسبقة من مظاهر التفكك والتجزئة التي تشهدها العديد من دول النظام. ولقد مثلت ثورات الربيع العربي تغييرا واضحا في الخريطة والمنظومة العربية والشرق أوسطية ككل، حيث دخلت منطقة النظام منذ بداية ثورات الربيع العربي وحتى اللحظة مرحلة تغيير إستراتيجية، وما زالت المنطقة تعيش تفاعلات الثورات العربية وارتداداتها، سواء على الصعيد السياسي أم على الصعيد الجغرافي والديمقراطي⁽¹⁾، وهو ما ينبئ بحتمية تغير هيكلية النظام الإقليمي للشرق الأوسط، وأدوار القوى الكبرى الفاعلة فيه، إيران وتركيا وإسرائيل والسعودية، التي تشكل الآن قلب أو محور هذا النظام. وخرائط التحالفات والصراعات التي تربط بين هذه القوى والدول العربية، وكذلك أنماط العلاقات والتفاعلات المحتملة بين النظام الفرعي العربي بداخله.

وقد تنامت علاقات مضطربة بين الأقاليم الفرعية للنظام الإقليمي الشرق أوسطي تشير إلى تحولات عميقة بجوهر النظام، وظهور ملامح تحول إستراتيجي في بنية الإقليم، عنوانه العريض، بداية معركة الاستقطاب المذهبي الإقليمي المسلح، وبداية حقبة من الصراعات الدولية على أرض الإقليم، واختفاء مبدأ حرمة التدخل في الشؤون الداخلية للدول، حيث بدأ التدخل العسكري رسمياً وفعلياً في سوريا واليمن. كما عمدت دول المحور المركزي في النظام الإقليمي الشرق أوسطي على استغلال وضع الثورات وسقوط أنظمة الحكم، في السعي لبناء علاقات أقوى مع النظم الجديدة، والتدخل من أجل دعم أطراف داخلية محددة.

وسوف يتوقف مستقبل الوضع بالنظام الإقليمي الشرق أوسطي على المسارات التي سيأخذها التحول السياسي الجاري في النظام الإقليمي العربي بعد الثورات، والفترة التي تأخذها حقبة عدم الاستقرار السياسي، وإمكانية انتقال دول ثورات الربيع العربي إلى الديمقراطية في حالة توافر شروط وقواعد الانتقال الديمقراطي وفي ظل صراعات الاستقطاب الحادة بين الأطراف والتيارات المختلفة المكونة للنظام الإقليمي الشرق أوسطي.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من خلال كونها:

- 1- تساهم عملياً في تعميق الفهم لدى المهتمين بالشأن السياسي وصناع القرار في دول النظام الإقليمي العربي في التعرف على مدى ارتباط ثورات الربيع العربي بالنظام الإقليمي الشرق أوسطي والنظام الدولي تأثيراً وتأثراً، كون نجاح، أو فشل، هذه الثورات وطبيعة التطورات

الحاصلة واتجاهات تطورها مستقبلياً سيكون له تأثير في إعادة بناء وهيكل النظام الدولي الجديد.

2- توفر فرصة للمهتمين والمتابعين للشأن المحلي والإقليمي والدولي للاطلاع على الوصف التحليلي لمواقف القوى التقليدية والقوى الإقليمية من ثورات الربيع العربي للفترة (2010 - 2015)، في هذه المرحلة البالغة التعقيد والأهمية.

3- تبين حقيقة حجم التفاعلات الدولية في المنطقة العربية، المرشحة لإنتاج وقائع جديدة في الوضع الإقليمي الشرق أوسطي، وأثر ذلك على التوازن الإقليمي في النظام الشرق أوسطي، في حالة استمرار منظومة التفاعلات على حالها، كما تبين الدراسة الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط، بالرغم مما قيل عن فقدان هذه الأهمية لصالح مناطق أخرى.

أهداف الدراسة:

1. رصد ملامح التغير في النظام الإقليمي الشرق أوسطي نتيجة ثورات الربيع العربي.
2. استعراض مواقف القوى الفاعلة في النظام الإقليمي الشرق أوسطي، وهي الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي، روسيا، الصين، تركيا، إيران، إسرائيل، من ثورات الربيع العربي.
3. رصد طبيعة العلاقات بين القوى الإقليمية داخل النظام الشرق أوسطي بسبب تأثير ثورات الربيع العربي.
4. مقارنة مواقف القوى الفاعلة في النظام الإقليمي الشرق أوسطي تجاه ثورات الربيع العربي.
5. قياس أثر القوى الدولية على ثورات الربيع العربي، وعلى منظومة النظام الإقليمي الشرق أوسطي.

فرضيات الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من فرضية أن مواقف القوى الإقليمية والدولية "كمتغير مستقل" تجاه ثورات الربيع العربي "كمتغير وسيط"، أثرت في بنية النظام الإقليمي الشرق أوسطي "كمتغير تابع".

واستناداً إلى تلك الفرضية تسعى الدراسة إلى الفرضيات الفرعية التالية:

- 1- يعد النظام الإقليمي العربي نظاماً فرعياً في النظام الإقليمي الشرق أوسطي، وقد امتلك قدرة أكبر على التأثير في تفاعلات النظام الإقليم الشرق أوسطي بسبب ثورات الربيع العربي. وهو ما يجعل وجود علاقة طردية موجبة بين تفاعلات النظام الإقليمي العربي ودرجة تأثيرها في النظام الإقليمي الشرق أوسطي

2- وجود علاقة طردية موجبة بين ثورات الربيع العربي وضعف التماسك السياسي للنظام الإقليمي الشرق أوسطي، بسبب اختلال توزيع عناصر القوة داخل النظام الإقليمي الشرق أوسطي.

حدود الدراسة:

تم تحديد الفترة الزمنية للدراسة من عام 2010 - 2015 للأسباب التالية:

- 1- يعتبر عام 2010 نقطة تحول مهمة في تاريخ منطقة الشرق الأوسط، حيث شهد نهاية هذا العام وبداية عام 2011 تغييرات نوعية أدت إلى سقوط أنظمة حكم في ثلاث دول عربية هي تونس ومصر وليبيا، واليمن
- 2- ما زالت المنطقة تعيش تفاعلات الثورات العربية وارتداداتها، التي ظهرت بشكل مباشر في الحرب الأهلية في سوريا واليمن وليبيا، والانقلاب على الشرعية في مصر.
- 3- يعتبر عام 2015 نقطة تحول مهمة في تطور ثورات الربيع العربي، وتدخل القوى الدولية والإقليمية بشكل مباشر في رسم مسار الأحداث وخصوصا في سوريا واليمن.

منهجية الدراسة:

للتحقق من صحة فرضيات الدراسة، وللتعرف على أهمية الدراسة وأهدافها، تم استخدام المناهج التالية:

منهج تحليل النظم الإقليمية: يكتسب المنهج أهميته من كونه يهدف إلى الكشف عن الطبيعة الداخلية للعلاقات الدولية الإقليمية في النظام الشرق أوسطي، والتفاعلات التي تتم داخل بنية الإقليم، وسلوك القوى الدولية والإقليمية تجاه تلك التفاعلات.

المنهج المقارن: يكتسب المنهج أهميته من كونه يبين مواقف القوى الدولية والإقليمية تجاه الثورات العربية وأثرها على النظام الإقليمي الشرق أوسطي، والمقارنة بين تلك المواقف.

مفاهيم الدراسة:

النظام الإقليمي الشرق أوسطي: يتألف النظام الإقليمي الشرق أوسطي بصفة أساسية من مجمل الرقعة الجغرافية الفسيحة التي يقع فيها معظم الوطن العربي، وقسم من الجوار الإسلامي الشمالي والشرقي الممتد من الأناضول إلى حدود باكستان.

ثورات الربيع العربي: أطلق مصطلح الربيع بالمفهوم السياسي من جانب الدول الغربية على الثورات المناهضة للرؤساء وللحكومات العربية⁽²⁾.

المبحث الأول: النظام الإقليمي الشرق أوسطي

المطلب الأول: مفهوم النظام الإقليمي الشرق أوسطي:

يمكن القول أن النظام الإقليمي يشير إلى نوعية من العلاقات والتفاعلات بين مجموعة من الدول التي تقع داخل إقليم جغرافي واحد شريطة أن لا تقل عن ثلاث دول، وأن لا يكون لأي من الدولتين العظميين وجود بين الوحدات المكونة له⁽³⁾.

أما مفهوم الشرق أوسطي، فهو تعبير يراد به مجمل الرقعة الجغرافية الفسيحة التي يقع فيها معظم الوطن العربي، وقسم من الجوار الإسلامي الشمالي والشرقي الممتد من الأناضول إلى حدود باكستان، والتعبير في صورته الخارجية وصف جغرافي محايد ينتمي إلى ترسانة التعاريف الجغرافية الأوروبية (البريطانية تحديداً) التي تتخذ من أوروبا مركزاً ونقطة إطلاقاً لتعيين المواقع والاتجاهات الجغرافية⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: وحدات النظام الإقليمي الشرق أوسطي وحدوده:

يتكون النظام الإقليمي الشرق أوسطي من عدد من النظم الإقليمية الفرعية، هي، النظام الإقليمي العربي، والنظام الإقليمي الخليجي العربي- الفارسي، ونظام البحر الأحمر، وأخيراً النزاع العربي- الإسرائيلي⁽⁵⁾، فيما يرى آخرون أن النظام الإقليمي العربي أحد أبرز النظم الفرعية للنظام الشرق أوسطي، وينطبق الأمر على إيران التي تقع على طرف النظام الشرق أوسطي وفقاً لتصوير لونارد بايندر⁽⁶⁾.

وتتباين المعايير التي تستخدم من جانب الباحثين لتحديد عضوية النظام الإقليمي الشرق أوسطي وحدوده بين مؤيد ومعارض، الأمر الذي يؤدي إلى إدخال، أو إخراج، دولة أو أكثر من عضوية النظام الإقليمي الشرق أوسطي⁽⁷⁾. وإذا كانت هناك بعض التحفظات على عضوية إيران وإسرائيل، وإلى حد ما تركيا، في هذا النظام، نظراً إلى انخفاض التجانس بينها وبين باقي فواعل النظام، يرى البعض أن النظام الشرق أوسطي هو، تصور أمريكي لخدمة مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، وكذلك النظر إلى المشروع على أنه محاولة لتمزيق المنطقة العربية، وفصل مشرقها عن مغربها وتفتيت النظام العربي، لا سيما أن فكرة النظام كانت من (شيمون بيريس) أحد أعمدة السياسة الإسرائيلية، حيث يرى أن الظروف مواتية لبناء شرق أوسط جديد خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والبدء في العملية السلمية، ويرى في طرحه للمشروع تحقيق أربعة أهداف جوهرية: الاستقرار السياسي، والأمن القومي، وإشاعة أجواء الديمقراطية، والتعاون الاقتصادي⁽⁸⁾.

وقد خلصت الأدبيات المتعلقة بدراسة النظم الإقليمية، إلى تحديد خمسة معايير يمكن الاستناد إليها في تحديد عضوية النظام الإقليمي وحدوده ، هي⁽⁹⁾:

1. وجود أكثر من ثلاث دول تشارك في عضوية النظام.
2. وجود درجة ملحوظة من التجانس الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.
3. تعلق النظام بمنطقة جغرافية معينة "الجوار الجغرافي".
4. دخول وحدات النظام في شبكة معقدة من التفاعلات السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية بين الدول أعضاء النظام.
5. عدم وجود أي من الدولتين العظميين بين الوحدات المكونة له، إذ إن وجود إحدهما يربطه بالنظام الدولي مباشرة.

المطلب الثالث: هيكلية النظام الإقليمي الشرق أوسطي:

المقصود بهيكلية النظام الإقليمي الشرق أوسطي هو التعرف على خصائص هذه الهيكلية باعتبارها محددا رئيسا في تفاعلاته. فدرجة الاستقطاب داخل النظام وطبيعة عملية الحراك بين قطاعاته وداخلها تؤثر بدرجة كبيرة في تفاعلاته. وتكشف درجة الاستقطاب داخل النظام طبيعة أنماط القوة داخله، وهل هي علاقات صراعية، أم تنافسية أم تعاونية. واستنادا إلى معياري القوة والتفاعل، يتكون النظام الإقليمي الشرق أوسطي من محورين رئيسيين هما⁽¹⁰⁾:

المحور المركزي: يتكون من الدول التي تملك مقاليد النفوذ والسيطرة داخل النظام وهي الدول التي تملك أكبر قوة عسكرية واقتصادية، وأكبر وزن سياسي، هذه الدول هي، المملكة العربية السعودية، تركيا، إيران، إسرائيل.

وتصنف دول المحور المركزي حسب مستويات القوة إلى ثلاثة مستويات هي، دول القوة الساعية للهيمنة وتأخذ إيران هذا الدور، أما تركيا وإسرائيل فتأخذ دور المنافسة لإيران في الهيمنة الإقليمية، فيما تأخذ السعودية دور الموازن والمناوئ الإقليمي بين تلك القوى.

المحور الطرفي: ويضم الدول الصغرى والصغيرة في داخل النظام وهي باقي الدول العربية. وهذه الدول لم تعدم وسائل وفرص المساومة والموازنة مع قوى المحور المركزي داخل النظام، بل وامتلاك القدرة على التأثير في ميزان القوى داخل النظام.

المبحث الثاني: مواقف القوى الدولية من ثورات الربيع العربي

المطلب الأول: الموقف الأمريكي من الثورات العربية:

في مقال لهنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق بعنوان "تعريف دور الولايات المتحدة في الربيع العربي" في صحيفة هيرالد تريبيون 2012/4/2 تعرض فيه للمبدئين الرئيسيين الحاكمين للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وهما: أمن النفط وأمن إسرائيل، وكشف بوضوح المبدأ الأهم الذي يقف وراء هذه السياسة، وهو منع ظهور أي قوة إقليمية تستطيع أن تجمع دول المنطقة حولها⁽¹¹⁾، وعليه، فإن التحليل العلمي والواقعي للمواقف الأمريكية تجاه الثورات العربية لا بد أن يأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار⁽¹²⁾.

أولاً: الموقف الأمريكي من الثورة التونسية

انتهجت إدارة الرئيس الأمريكي أوباما سياسة حذرة من ثورات الربيع العربي، منذ بداية اندلاعها في تونس، وقد أعلن الرئيس أوباما أن المبادئ التي ستقوم عليها السياسة الأمريكية في المنطقة ستكون العمل على تعزيز الإصلاحات، ودعم عمليات التحول نحو الديمقراطية من خلال برامج المساعدات التي ستقدمها الولايات المتحدة إلى بلدان الربيع العربي⁽¹³⁾.

وأكد أوباما على الإصلاح الاقتصادي، من خلال الأسواق الحرة والشركات التجارية؛ حيث قرر أن يمنح تونس مساعدات مالية، وأن يسقط قدراً من الديون المتراكمة عليها، البالغة 14.8 مليار دولار عام 2009م⁽¹⁴⁾.

ثانياً: الموقف الأمريكي من الثورة المصرية

مر الموقف الأمريكي من الثورة المصرية بثلاث محطات رئيسية هي⁽¹⁵⁾:

- أ- تفاجأت الإدارة الأمريكية من الأحداث والتطورات المتسارعة، وطالبت فيها النظام المصري والمتظاهرين بإبداء أكبر قدر من ضبط النفس، حيث طالبت النظام بعدم استخدام وسائل القمع تجاه المتظاهرين، مع مطالبة المتظاهرين بالالتزام بالتظاهر السلمي.
- ب- طالبت النظام المصري بقيادة عملية إصلاح سياسي واجتماعي خلال فترة انتقالية، بهدف الحفاظ على استقرار النظام في مصر لمنع التغيير السياسي المفاجئ داخل المنطقة العربية.
- ج- المطالبة بتأمين انتقال آمن ومنظم للسلطة من الرئيس مبارك لنائبه عمر سليمان، ولكن هذا الأمر لم يفلح حتى إعلان مبارك تخليه عن منصبه، وتولي المجلس الأعلى للقوات المسلحة إدارة شؤون البلاد.

وعملت الولايات المتحدة بعد ذلك على تشجيع النخبة العسكرية على السير في تبني نظام برلماني يتيح تداول السلطة بين الأحزاب، بشرط عدم المساس بواقع الجيش، والتزاماته تجاه الغرب والولايات المتحدة خصوصاً، وبالنسبة لمصر استمرار الالتزام بكامب ديفيد.

وقدم السيناتور جون كيري مشروع قانون تحت اسم "قانون التنمية والانتقال في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" إلى الكونجرس يحدد شروط المساعدات والقروض الأمريكية لمصر خلال الفترة القادمة، والتي سترمي إلى تقوية القطاع الخاص ورجال الأعمال في البلدين، ومحاسبة الحكومات في الفترة الانتقالية التي تمر بها البلاد، على أن يكون التمويل مشروطاً بأن تلتزم الدولتان باقتصاد السوق ومبادئ الرأسمالية الغربية، وبمبادئ حقوق الإنسان، واحترام الديمقراطية والتعددية⁽¹⁶⁾. وقد أيدت الولايات المتحدة الرئيس الإسلامي محمد مرسي بعد انتخابه، وطالبته بالمحافظة على التزامات مصر الدولية.

لكن الانقلاب على الرئيس محمد مرسي، جعل علاقات مصر بالولايات المتحدة الأمريكية تتسم ببعض البرود والتوتر، إلا أن كلا الطرفين حرص على تأكيد الطبيعة الإستراتيجية للعلاقة، واستمرار التعاون الأمني بينهما⁽¹⁷⁾.

ثالثاً: الموقف الأمريكي من الثورة الليبية

قامت الولايات المتحدة في بداية الثورة بالضغط على مجلس الأمن لصدور القرارات 1970 و1973 بشأن الحالة الليبية، ومضمونهما: إحالة الوضع في ليبيا إلى المحكمة الجنائية الدولية، وحظر الأسلحة والسفر، وتجميد الأصول الليبية في الدول الغربية، وإقامة منطقة حظر طيران جوي في الأجواء الليبية. وقامت بترؤس حلف عسكري ضم عدداً من الدول لمساعدة ثوار ليبيا للتخلص من القذافي، فقام حلف الناتو بضربات جوية على أهداف عسكرية لقوات القذافي⁽¹⁸⁾.

وبعد مقتل القذافي وانتصار الثورة الليبية بعد أشهر على انطلاقها، حاولت الولايات المتحدة الأمريكية احتواء الثورة في ليبيا، فاستخدمت الأسلوب غير المباشر في السيطرة على مخرجات الثورة الليبية، بسبب خوفها من أن يكون تنظيم القاعدة في بلاد المغرب وسط الثوار الليبيين، وقد أثر ذلك على رغبة واشنطن في دعم الثوار الليبيين عسكرياً، فقد رفضت بعض الدوائر الرسمية الأمريكية تسليح الثوار؛ خوفاً من وصول هذه الأسلحة إلى يد تنظيم القاعدة، وإلى حين التعرف على المعارضة الليبية جيداً⁽¹⁹⁾.

رابعاً: الموقف الأمريكي من الثورة السورية

في بداية الثورة السورية، طالبت الولايات المتحدة الأمريكية النظام السوري بإجراء إصلاحات تلبي مطالب المحتجين، ووقف العنف. وبعد ذلك، انتقلت إدارة الرئيس أوباما إلى

ممارسة ضغوط على النظام السوري، تمثلت بفرض حزمة من العقوبات المالية والاقتصادية في 18 أيار / مايو 2011 شملت الرئيس بشار الأسد وعدداً من المسؤولين السياسيين والأمنيين في نظامه، ثم فيما بعد اعتبرت الولايات المتحدة الرئيس السوري فاقداً للشرعية لعجزه عن إنجاز التحول الديمقراطي". وقد تطور الموقف الأمريكي بعد ذلك، إذ هدد النظام السوري باستخدام القوة المسلحة ضد النظام بعد ثبوت استعمال النظام السوري للأسلحة الكيماوية ضد المعارضة السورية المسلحة، لكن الاتفاق الروسي الأمريكي على تجريد النظام من الأسلحة الكيماوية، وخشية انهيار مفاجئ للنظام السوري، جعلاً الموقف الأمريكي يتراجع⁽²⁰⁾.

وتنظر الولايات المتحدة بريبة إلى واقع الثورة السورية ومسارها المسلح، وما قد يخلفه الحسم العسكري لقوات المعارضة من نتائج محتملة، أبرزها فوضى السلاح، وانتشار الجماعات المتشددة، وغياب سلطة مركزية قوية. وتنذر مثل هذه النتائج بتداعيات سلبية على أمن المنطقة وبخاصة على إسرائيل، نظراً لتشرذم المعارضة السورية، وبخاصة العسكرية منها، وغياب بديل ذي توجهات معقولة بالنسبة إلى الأميركيين ليحل محل النظام الحالي، لذلك اعتبرت الولايات المتحدة أن التنسيق مع روسيا في حل الأزمة السورية هو أقل الشرور⁽²¹⁾.

خامساً: الموقف الأمريكي من الثورة اليمنية

منذ بداية الثورة اليمنية، دعا الرئيس الأمريكي أوباما نظام الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح إلى التفاوض مع مطالب الثورة، ووقف العنف والأساليب القمعية، ومحاسبة مرتكبيها، واعتبرت واشنطن نظام صالح حليفاً إستراتيجياً لها في حربها على تنظيم القاعدة، فيما طالبت بعد ذلك بالبداية في نقل السلطة بعد وعد الثوار بمساعدة واشنطن في حربها على تنظيم القاعدة بعد تنحي صالح. وقد دعمت الولايات المتحدة المبادرة الخليجية التي تتضمن تنحي الرئيس اليمني واستلام نائبه للسلطة، وكانت إحدى الدول العشر الراعية للمبادرة الخليجية والمراقبة لتنفيذها.

وبعد الانقلاب المسلح على السلطة في سبتمبر/أيلول من العام 2014، الذي نفذته الحوثيون بالتحالف مع الرئيس المخلوع علي عبد الله صالح في اليمن. أيدت قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2216، والذي يساند الحكومة الشرعية. وقامت الولايات المتحدة بتأييد المملكة العربية السعودية في قيادة عاصفة الحزم ضد الانقلابيين لإعادة الشرعية والاستقرار لليمن. وهو ما زاد حدة التوتر في الشرق الأوسط، حيث انقسمت ردود أفعال دول مهمة على مستوى الإقليم والعالم؛ فدول مجلس التعاون الخليجي بقيادة السعودية، باستثناء عُمان، وبدعم من الولايات المتحدة الأميركية بادرت إلى تدخل عسكري من خلال توجيه ضربات عسكرية ضد الحوثيين، كما دعمت دول أخرى مثل مصر والأردن والمغرب والسودان الضربات الجوية بقيادة السعودية. بينما

عارض كل من إيران وروسيا التدخل العسكري ودعنا إلى حل سلمي عبر مفاوضات متعددة الأطراف.

وقد تعاملت الولايات المتحدة مع ثورات الربيع العربي وفقاً لإستراتيجية متدرجة بدأت بمحاولة احتواء الثورات العربية، ومسايرة تطلعات الشعوب العربية، وتقديم المساعدة إلى المجتمع المدني، ولتحقيق هذه الغاية ضاعفت ميزانية حماية مؤسسات المجتمع المدني من 1.5 مليون دولار إلى 3.4 مليون دولار.⁽²²⁾

كما قامت بدعم العناصر الليبرالية التقليدية، والجديدة من الناشطين الذين قادوا حركات الاحتجاج، بهدف تجريد القوى الصاعدة من معارضتهم للهيمنة الأيديولوجية للولايات المتحدة، وتحويلها إلى برامجياتية متكاملة تماماً مع النظام الدولي القائم الذي تقوده الولايات المتحدة؛ وذلك باحتواء هذه النظم الديمقراطية الوليدة، وعدم السماح بتغيير كبير في السياسات، والاكتفاء بتغيير بعض رموز نظم الحكم. لكنها بعد أن شعرت بأنه من الصعب احتواء الثورات العربية بشكل كامل، بدأت تنتهج إستراتيجية جديدة تقوم على الإفشال الإيجابي للثورات، على أساس دعم ثورات مضادة في العديد من الدول التي تقع ضمن محور الممانعة والمقاومة، من أجل تغيير أنظمة الحكم فيها إلى أنظمة أكثر اعتدالاً وانسجاماً مع الرؤية الأمريكية للشرق الأوسط، بطرق إيجابية تعتمد على التظاهر السلمي، وتتبنى مطالب عادلة⁽²³⁾.

المطلب الثاني: مواقف الاتحاد الأوروبي من الثورات العربية

تباينت مواقف دول الاتحاد الأوروبي من ثورات الربيع العربي، بتباين أهدافها ومصالحها الإستراتيجية، وبينما يأتي الملف الأمني على قمة أولويات فرنسا وبريطانيا في المنطقة العربية، تنصدر قضية الهجرة أولويات إسبانيا وإيطاليا، بينما يحتل التحول الديمقراطي الحيز الأكبر من اهتمام دول كالسويد وهولندا⁽²⁴⁾.

أولاً: موقف الاتحاد الأوروبي من الثورة التونسية

خلال بدايات الثورة التونسية، لم يصدر أي موقف أوروبي يتبنى رسمياً دعم التحرك الشعبي في تونس ضد الحكم الاستبدادي القائم أو يدعو مباشرة إليه ، وعلى النقيض من ذلك تفاوتت مواقف الدول الأوروبية ما بين الصمت والتأييد، وكان أبعد مدى الموقف الرسمي الفرنسي الذي عبرت عنه وزيرة الخارجية الفرنسية آنذاك، ميشال أليو ماري، ووصل إلى درجة عرض المساعدة لتمكين زين العابدين من قمع الاحتجاجات⁽²⁵⁾.

ثانياً: موقف الاتحاد الأوروبي من الثورة المصرية

لم يصدر خلال الثورة المصرية عن أي من دول الاتحاد البالغ عددها 27 دولة أي تصريح يطالب مبارك صراحة بالتنحي خلال الأيام الأولى للثورة المصرية، وأصدرت دول الاتحاد الأوروبي بياناً أثناء الثورة وبعته كل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا أشارت فيه إلى "قلقها الكبير" بسبب تدهور الأوضاع في مصر، وأدانت العنف داعية إلى ضرورة الإسراع في الانتقال المنظم للسلطة نحو تأسيس "حكومة ذات قاعدة عريضة تمثل أطراف الشعب كافة، وتقود مصر نحو مواجهة التحديات". وكان رئيس الوزراء الدنمركي أول مسؤول في الاتحاد الأوروبي يطالب مبارك علناً بالتنحي عن الحكم، والاستجابة لمطالب شعبه، وذلك قبل ساعات من الإعلان عن تنحي مبارك⁽²⁶⁾. وحافظ الاتحاد الأوروبي طيلة فترة الثورة المصرية على الوقوف على مسافة واحدة من جميع الأطراف المصرية، مع انحياز مبطن للنظام.

ثالثاً: موقف الاتحاد الأوروبي من الثورة الليبية

بعد ارتفاع أعداد القتلى واستمرار عمليات القمع للتظاهرات الليبية، خرجت كل من فرنسا وبريطانيا في 2011/2/20 بيان يدين قمع السلطات الليبية للمحتجين والمطالبيين بالديمقراطية، وأمام تصاعد تلك الاحتجاجات بدأت الدول الأوروبية التحرك لإصدار قرار يدين ليبيا في مجلس الأمن ويطلب بفرض حظر جوي عليها، مهد فيما بعد للتدخل العسكري المباشر، ومقتل القذافي وانتصار الثورة الليبية⁽²⁷⁾.

رابعاً: موقف الاتحاد الأوروبي من الثورة اليمنية

اتسمت المواقف الأوروبية تجاه الثورة اليمنية بالغموض من ناحية عدم اتخاذ أي مواقف مساندة للثورة اليمنية، ومطالبة عبد الله صالح بالرحيل، ولعل الصورة النمطية والذهنية السيئة التي انطبعت في ذهن العالم الخارجي عن اليمن من وجود القاعدة فيه، والحوثيين، والمخاوف من الانفصال كلها عوامل جعلت الأوروبيين يتخذون مواقف صامته بشأن الأحداث في اليمن⁽²⁸⁾.

وأمام استمرار النظام اليمني في استخدام العنف ضد المتظاهرين، جاءت التصريحات الأوروبية مطالبة نظام صالح بالتحرك الفوري من أجل وضع حد للعنف، وضمان انتقال سلمي للسلطة، والاستجابة لمطالب الشعب اليمني المشروعة.

خامساً: موقف الاتحاد الأوروبي من الثورة السورية

جاءت مواقف الاتحاد الأوروبي تجاه الثورة السورية متناغمة مع الموقف الأمريكي، وتسلسلت المواقف من مراقبة الأوضاع عن كثب إلى الدعوات لضبط النفس ومن ثم إدانة النظام

السوري، وتصاعدت الضغوط الدولية على نظام الأسد، واستضافة المعارضة السورية وعقد المؤتمرات وتقديم يد العون والمساعدة لهم، تمهيدا لتدويل الثورة السورية.

وقد أفرزت الثورة السورية فيما بعد مشكلتين خطيرتين لدول الاتحاد الأوروبي كان لهما تأثير كبير على الأمن الأوروبي، الأولى تدفق مئات آلاف من اللاجئين إلى دول أوروبا الغربية. والثاني مشكلة المجاهدين الأوربيين المشاركين في الصراع في سوريا، وأثرهم الأمني في حالة عودتهم إلى بلدانهم الخمسة عشر التي جاءوا منها، ومدى إمكانية مشاركتهم أو إشراكهم في عمليات انتحارية⁽²⁹⁾. وقد لخص السناتور البلجيكي فيليب دوينتر القلق الأوروبي في تصريح له قائلاً: "إن عاد هؤلاء من سوريا فإنهم لن يمارسوا الجهاد هناك، بل سيمارسونه على الأراضي الأوروبية، وهذا تهديد كبير للغاية لجميع دول أوروبا وليس على بلجيكا وحدها"⁽³⁰⁾.

المطلب الثالث: مواقف روسيا تجاه الثورات العربية

أتاحت تداعيات الثورات العربية الفرصة أمام روسيا لكي تستعيد بعضاً مما فقدته من نفوذ في منطقة الشرق الأوسط، ولكي تثبت للولايات المتحدة أنها تعود كلاعب مهم في المنطقة، وأن الساحة لن تستمر حكرًا على الولايات المتحدة دون منافس، مع عدم التقليل من خطورة الجهد الأمريكي المستمر للحفاظ على مصالحها ونفوذها في مواقعها التقليدية، واختراق مواقع جديدة محسوبة لصالح روسيا⁽³¹⁾.

أولاً: الموقف الروسي من الثورة التونسية والمصرية

التزمت روسيا الصمت تجاه الثورة التونسية والثورة المصرية الى حين نضجها وتفاقمهما، أو إزاحة السلطة فيهما. فبعد تنحي بن علي وهروبه قال رئيس الوزراء الروسي "ميدفيدف": "أمل بشدة بأن تستقر الأوضاع في تونس، وأن لا تؤثر على الوضع العام في العالم العربي، وأن السلطة يجب أن ترتقي سوية مع مجتمعا"⁽³²⁾.

وقد اتخذت روسيا موقفاً رسمياً أقرب إلى الحياد من الثورة المصرية، ودون إظهار حماس زائد لهذه الثورات نظراً لحساسية روسيا من حيث المبدأ من الانتفاضات الثورية، وتخوفها من صعود الإسلاميين إلى سدة الحكم، ما يشكل تهديداً محتملاً للنفوذ الروسي داخل دول آسيا الوسطى، ودول شمال القوقاز التي يوجد فيها العديد من القوميات غير الروسية، والانتقال إلى دول مجاورة مثل أوكرانيا وبيلاروسيا التي تحرص روسيا على إبقائها في حزام المعسكر الروسي، في مواجهة الضغوط التي تمارسها أوروبا والولايات المتحدة لاجتذاب هذه الدول إلى معسكرها⁽³³⁾.

وبعد تنحي مبارك عن السلطة وصف رئيس المجلس الأعلى للبرلمان تنحي مبارك بأنه خطوة جاءت في الوقت المناسب.

لكن صعود الإسلاميين إلى سدة الحكم في مصر، أثر على شكل العلاقات المصرية الروسية، فروسيا لديها عداة تقليدي للحركات الإسلامية. وبمجرد حدوث الانقلاب العسكري على الشرعية المصرية، رحبت روسيا بحركة التغيير، وزادت من مستوى العلاقات العسكرية والاقتصادية الرسمية المصرية-الروسية.

ثانياً: الموقف الروسي من الثورة الليبية

رفضت روسيا التدخل الخارجي في مسار الثورات العربية، حيث أكدت الخارجية الروسية في بيانها الصادر في 11/آذار/مارس/2011، ثقتها بأن شعوب المنطقة قادرة على القيام بالتغيير ذاتياً، ودونما تدخل خارجي في شؤونها وفرض صفات الإصلاح عليها، وعلى الرغم من عدم استخدام روسيا لحق النقض (الفيتو) لمنع صدور قرار الحظر الجوي على ليبيا، فقد انتقدت بشدة الطريقة التي نفذت بها الولايات المتحدة وحلفاؤها القرار. لكنها بعد سقوط القذافي اعترفت بالمجلس الانتقالي ممثلاً شرعياً ووحيداً وسلطة حاکمة في ليبيا.

ثالثاً: الموقف الروسي من الثورة السورية

ينطلق موقف روسيا من الأزمة السورية بشكل رئيس، من مصالحها الإستراتيجية، حيث تشكل العلاقات التجارية والعسكرية السورية - الروسية بُعداً مركزياً في الرؤية الإستراتيجية الروسية المعارضة للثورة السورية، إذ تشكل التجارة الروسية - السورية ما نسبته 20% من إجمالي التجارة العربية - الروسية، وتصل الاستثمارات الروسية في سوريا إلى حوالي 20 مليار دولار، أغلبها في قطاع الطاقة. وبلغت قيمة المبيعات العسكرية الروسية خلال الفترة من 2006-2013 حوالي ثمانية مليارات دولار⁽³⁴⁾ كما تشكل الثورة السورية تحديات وتهديدات خطيرة لأمن روسيا القومي من الناحية العسكرية والسياسية، إذ تشكل القاعدة البحرية في سوريا (طرطوس) القاعدة الوحيدة لروسيا على شواطئ البحر المتوسط، وقد تخسرها روسيا في حالة سقوط النظام السوري⁽³⁵⁾ الأمر الذي جعلها تتدخل بشكل مباشر في الأزمة السورية بتاريخ 30 سبتمبر/ أيلول 2015 بحجة قتال داعش والتنظيمات الإسلامية المتطرفة.

وقد شكل هذا بداية التراجع للمعارضة السورية المسلحة، وقاد إلى ضعف كبير في تأثير الدول الإقليمية، ولا سيما تركيا والسعودية في الصراع الميداني، وسمح مقابل ذلك، لقوات النظام السوري، والقوات الكردية المتحالفة معه، وللحرس الثوري الإيراني والمليشيات الطائفية التابعة لها ولحزب الله، بالتقدم في العديد من المناطق التي كانت تسيطر عليها المعارضة. لكن

ذلك بالجهة المقابلة شكل ورقة ضاغطة على النظام الروسي وخصوصا من جهة تركيا، والسعودية للتحرك، ولتبني إستراتيجية مختلفة، وهي دعم الفصائل المقاتلة للنظام، من دون التوافق مع الأميركان⁽³⁶⁾.

رابعاً: الموقف الروسي من الثورة اليمنية

لم تكن روسيا بعيدة عن الملف اليمني منذ الثورة التي أطاحت بالرئيس اليمني صالح في العام 2011، إذ كانت إحدى الدول العشر الراعية للمبادرة الخليجية والمراقبة لتنفيذها.

وبعد الانقلاب المسلح على السلطة في سبتمبر/أيلول من العام 2014، الذي نفذته الحوثيون بالتحالف مع الرئيس السابق علي عبد الله صالح في اليمن. لم تعترض روسيا على قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2216، الذي يطالب الحوثيين بإرجاع السلطة إلى الحكومة الشرعية.

لكن روسيا عارضت التدخل العسكري بقيادة المملكة العربية السعودية "عاصفة الحزم" في اليمن بحجة أنها قد تؤدي إلى إثارة التطرف في اليمن، وزيادة نفوذ المتشددین الإسلاميين، وتنظيم القاعدة في المنطقة.

وقد حاولت إيران وروسيا مقايضة الموقف السعودي من الأزمة السورية بالملف اليمني. حيث قامت روسيا بدعوة مجلس الأمن للانعقاد، لبحث الوضع الإنساني في اليمن بناء على طلب روسيا، وذلك بالتزامن مع مطالبة السعودية المنظمات الأممية مغادرة العاصمة اليمنية صنعاء لحسم المعركة في العاصمة اليمنية، وبالتزامن مع تصعيد السعودية موقفها من الأزمة السورية وإعلانها عزمها التدخل البري لمحاربة الإرهاب فيها تحت مظلة دولية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية⁽³⁷⁾.

ومن خلال تتبع المواقف الروسية تجاه الثورات العربية، نجد أن موقفها اختلف من دولة إلى أخرى، فقط حظيت التطورات في ليبيا وسوريا بالاهتمام الأكبر من جانب روسيا، وهو ما جعل موقف روسيا منذ بداية الأزمة السورية رافضاً لاتخاذ قرارات ضد النظام الحاكم في سوريا، ومطالبتها الدائمة بضرورة استمرار المسار السلمي لحل الأزمة السورية من خلال مؤتمري جنيف (1) و(2)⁽³⁸⁾، يلي ذلك مصر، ثم اليمن، في حين لم تحظ تونس باهتمام يذكر، ويرتبط هذا بتفاوت حجم المصالح الروسية التي تبلغ ذروتها في الحالة السورية.

المطلب الرابع: مواقف الصين من الثورات العربية

دعمت الصين جهود الحكومات العربية للحفاظ على السلام والاستقرار في بلدانها، على أن تلجأ هذه الجهود إلى وسائل شرعية وسلمية، وطالبت الصين هذه الحكومات في الوقت نفسه، باحترام المطالب الشرعية للشعوب العربية التي تنادي بالحرية والديمقراطية وكرامة الإنسان،

والاستجابة لها. وهو ما بين حرص الصين على إيجاد نوع من التوازن بين موقفها من الحكومات وموقفها من المعارضات، كما دعت الصين إلى حل الأزمات بالحوار وبالوسائل السلمية وفي إطار جامعة الدول العربية، ورفضت بشدة التدخل الغربي في الشؤون العربية، خصوصاً إذا كان هذا

التدخل ينبئ باستخدام القوة العسكرية.⁽³⁹⁾ وقد حافظت الصين على موقفها هذه، في تعاملها مع ثورات الربيع العربي، حيث عارضت التدخل العسكري الغربي في الثورة الليبية والثورة السورية تحت مظلة الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، أو فرض العقوبات الاقتصادية للإطاحة بالأنظمة العربية الحاكمة التي ارتكبت جرائم ضد مواطنيها المطالبين برحيلهم عن السلطة⁽⁴⁰⁾.

أولاً: الموقف الصيني من الثورة التونسية والثورة المصرية

انطلق الموقف الصيني تجاه الثورتين التونسية والمصرية من اعتبارات الإيديولوجيا وتحقيق المصالح، التي تتناسب مع دورها المتصاعد كأحد الأقطاب المؤثرة في المنظومة العالمية. ومنذ اندلاع الثورة التونسية، وبعدها الثورة المصرية، أصرت الصين على موقفها المتمسك بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وأكدت الصين احترامها لإرادة الشعب التونسي والمصري، ورفضها لأي تدخل خارجي في شؤونهما.⁴¹ كان الموقف الصيني من الثورتين التونسية والمصرية في بدايات الثورة أكثر سهولة، بسبب عدم دموية الأحداث، كما تم التخلص من الحاكمن بسرعة، وأعلن نجاح الثورتين في المراحل الأولى منهما⁽⁴²⁾. واللافت أن الصين التي لاذت بالصمت والحذر تجاه الثورتين التونسية والمصرية، بادرت بعد نجاح الثورتين إلى تقديم مساعدات مالية للدولتين، حيث منحت هبة مالية لتونس بقيمة 40 مليون يوان (6.065 ملايين دولار)، على شكل استثمارات في مشاريع تنمية. وقدمت منحة لمصر تقدر بـ 90 مليون دولار ومنحة إضافية تشمل 700 سيارة شرطة وجهازين تفتيش للحاويات. وبعد فوز الرئيس السابق محمد مرسي، قام بزيارة لبكين في عام 2012، حيث شهدت التوقيع على 7 اتفاقيات ثنائية في مجالات التعاون الاقتصادي والفني⁴³.

ثانياً: الموقف الصيني من الثورة الليبية

اختارت الصين تجنب الصدام مع القوى الغربية حيال التطورات في ليبيا، والتزمت موقفاً تميز بـ "الغموض المدروس" بسبب علاقاتها الاقتصادية الكبيرة مع النظام الليبي. فقد تضاعفت واردات الصين من النفط الليبي عشر مرات سنة 2010 مقارنة بـ 2009 لتتحول ليبيا إلى خامس مزود للصين بواقع 341.000 برميل يوميا، إضافة إلى الحضور الصيني القوي في قطاع الطاقة والبنية التحتية بليبيا، الذي عكسه عدد الصينيين الذين تم إجلاؤهم، والذي ناهز أربعين ألفاً⁽⁴⁴⁾. وكان لقضية أمن الطاقة الاهتمام الأكبر في الدبلوماسية التي اعتمدتها الصين للحفاظ على مصالحها.

وقد أيدت بعض القرارات بخصوص ليبيا، مما مكن الناتو من القيام بدور في ليبيا تحت شعار حماية المدنيين، مستنداً إلى قرارات جامعة الدول العربية ومجلس الأمن.

ثالثاً: الموقف الصيني من الثورة السورية

لخصت جريدة «الشعب اليومية»، لسان حال الحزب الحاكم في الصين في افتتاحياتها التي نشرتها تحت عنوان: «Zhong Sheng» أي «صوت الجرس»، الموقف الصيني من الأزمة السورية. فقد جاء في تلك الافتتاحية: (على الرغم من أن المصالح الصينية في سوريا أقل بكثير من المصالح الروسية، فإن سقوط سوريا سيؤدي إلى تحكّم الغرب في مركز الشرق الأوسط، ويجعل الضغط الغربي برمته مسلطاً على إيران، وإذا اندلعت حرب ضد إيران، سواء لنجدة سوريا أو لأي سبب آخر، فإن اعتماد الصين على النفط الروسي سيزداد، مما سيؤدي إلى حدوث تغيرات جديدة على العلاقات الإستراتيجية الصينية/الروسية. ولذلك، فإن من مصلحة الصين الوقوف إلى جانب روسيا في معركتها للدفاع عن النظام السوري، شراء لودها الذي يعني تزويدها ما يمكن أن تفقده من إمدادات النفط الإيراني، إذا ما طرأ أي طارئ يمنع استمرار تدفقه إلى المصانع الصينية).

واستناداً إلى ذلك استخدمت الصين (مع روسيا) حق النقض ضد مشروع القرار عام 2011 وعام 2012 لفرض عقوبات اقتصادية على النظام السوري لما يحتويه هذا المشروع من فرض حصار على سورية، وتمهيد الطريق للتدخل العسكري، على الرغم من تأييد كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية لفرض هذه العقوبات⁽⁴⁵⁾.

وفي المقابل، ترى الصين بالتوازي مع الرؤية الروسية إن هناك تحالفاً جديداً يتشكل بين الغرب والتيار الإسلامي الصاعد، وأن هذا التحالف ستكون له تداعيات سلبية على طموحات كل من روسيا والصين، بل على الأوضاع الداخلية فيهما، حيث تخشى الصين من انتقال عدوى الثورات إلى الأقليات المسلمة في الصين في ظل دعم أمريكي⁽⁴⁶⁾.

رابعاً: الموقف الصيني من الثورة اليمنية

ترى الصين أن "حماية استثماراتها الاقتصادية وسلامة عاملها في اليمن" يمثل تهديداً لأكبر مصالحها، في حال حدوث فوضى في اليمن، وبحسب إحصاءات نشرتها وزارة الخارجية الصينية، فإن الصين لديها 14 مشروعاً في اليمن يعمل فيها نحو 460 عاملاً، وتتركز في مجالات استخراج النفط، والاتصالات، والإنشاءات، والطرق والجسور، ومزارع الأسماك⁽⁴⁷⁾، وهو ما جعل الحكومة الصينية تؤيد الحل الخليجي للثورة اليمنية. وبعد الانقلاب الحوثي على الشرعية اليمنية أيدت الصين القرار الدولي 2216 ضد الحوثيين، وحافظت على حيادها بشأن العمل العسكري،

ودعت بالمقابل إلى الحل السلمي ووقف إطلاق النار، وحثت على بذل جهود دولية لحل الأزمة من خلال المحادثات السياسية بدلاً من الحرب⁽⁴⁸⁾.

المبحث الثالث: مواقف القوى الإقليمية من ثورات الربيع العربي

المطلب الأول: مواقف إيران من ثورات الربيع العربي

أولاً: الموقف الإيراني من الثورة التونسية

بقي الموقف الإيراني من الثورة التونسية في حده الأدنى، نظراً لمحدودية دور تونس وموقعها الطرفي في النظام الإقليمي الشرق أوسطي من جهة، وفي المشروع الإيراني للهيمنة من جهة أخرى. كما كان لسرعة تطور الأحداث وسقوط بن علي أثراً في ذلك.

ثانياً: الموقف الإيراني من الثورة المصرية

رحبت إيران بالثورة المصرية وسقوط حكم الرئيس المصري حسني مبارك، وأشارت إلى أن نضال الشعب المصري هو كصيحة الأمة الإيرانية ضد الغطرسة والاستكبار العالمي. واعتبرت الثورة المصرية عاملاً مساعداً على قيام شرق أوسط إسلامي، يركز على نموذج الحكم الإسلامي الإيراني. وقد صرح وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحى بأن ثورة الشعب المصري أثبتت بأن عهد الهيمنة الاستكبارية على المنطقة قد ولى معلنًا، دعم طهران للتظاهرات والثورات العربية⁽⁴⁹⁾.

وبدت إيران مرتاحة لوصول الإخوان المسلمين إلى الرئاسة المصرية، ورأت أن حكم حزب له غالبية شعبية كبيرة في الشارع المصري كالإخوان المسلمين، لا بد أن يسرع من الوصول إلى لحظة استحقاق استقلال القرار المصري واستعادة المكانة القيادية العربية، وقد رأت إيران أن أي تحسن في علاقاتها مع مصر سيكون على حساب النفوذ الإقليمي القوي لدول مجلس التعاون الخليجي، وخاصة السعودية، فإذا ما تفاهمت مع مصر، فإن ذلك سيغير كثيراً من موازين القوى الراهنة في المنطقة⁽⁵⁰⁾.

ثالثاً: الموقف الإيراني من الثورة الليبية والسورية

انقسم الموقف الإيراني من الثورة الليبية، بين من يهاجم نظام القذافي، وبين من يستغل تدخل الناتو لإسقاط القذافي للترويج لنظرية المؤامرة الغربية، واتهام الولايات المتحدة والغرب بتحريك هذه الثورات، حتى أتت الثورة السورية، فلم يتوان النظام الإيراني عن إعلان هذا المفهوم وتكثيف دعمه للنظام السوري⁽⁵¹⁾، وأصبح القادة الإيرانيون يدافعون عن النظام السوري بقوة، بحجة أن هناك مؤامرة تحيكها القوى الغربية للنظام السوري، وأن المتظاهرين عملاء للخارج للإطاحة بالنظام الممانع والمقاوم للخطط الإسرائيلية والأمريكية في المنطقة، وهو ما يجب على

الشعب الحفاظ عليه وعدم الاشتراك في المؤامرة، وأن النظام قادر على تجاوز المشكلة وإنهاء الفتنة.

وسعت إيران إلى الاستفادة من الأوضاع الجديدة التي نتجت عن ثورات الربيع العربي وتوظيفها إقليمياً، إذ حاولت استقطاب مصر برئاسة الرئيس المصري السابق محمد مرسي، وتحيد موقفها من الأزمة السورية، وشكلت لذلك لجنة وزارية رباعية تضم إيران ومصر والسعودية وتركيا بهدف التوصل إلى حل للأزمة في إطار إقليمي، كما حاولت فتح آفاق جديدة للتعاون مع تونس وليبيا.

لكن التطورات المتلاحقة للثورة السورية ونجاح المعارضة السورية في السيطرة على أجزاء كبيرة من الدولة السورية، جعلت إيران وحليفها حزب الله اللبناني، تتدخل مباشرة في النزاع من خلال إرسال مقاتلين من حرسها الثوري بحجة المحافظة على الأماكن المقدسة الشيعية في سوريا، وهو ما عكس أهمية الدور الإيراني في المعادلات الإقليمية بشكل عام، وفي القوس الشمالي للجزيرة العربية على وجه الخصوص⁽⁵²⁾.

رابعاً: الموقف الإيراني من الثورة اليمنية

يمكن تلخيص تطور الموقف الإيراني في أربع مراحل نبعت من تطورات الثورة والتغييرات المحيطة بها، ومحاولات تغيير مسارها أو احتوائها⁽⁵³⁾:

المرحلة الأولى: تمثلت بمناصرة إيران السياسية والإعلامية للثورة اليمنية ضد الحكم الفردي لعلي عبد الله صالح، وكانت إيران ترى في سقوط النظام اليمني المتحالف مع السعودية والتابع للولايات المتحدة، تطوراً إستراتيجياً باتجاه زيادة استقلال اليمن، وابتعاده عن لعب دور التابع.

المرحلة الثانية: تحفظت إيران على "مبادرة مجلس التعاون الخليجي لحل أزمة اليمن"، باعتبارها محاولة تسويق للمشروع السعودي علي حساب الثورة اليمنية وإخراج الشعب اليمني من المعادلة.

المرحلة الثالثة: بدأت بعد تزايد قوة الحوثيين، وتحالفها مع الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح، واستيلائها على السلطة في اليمن، إذ أيدت إيران الانقلاب وعقدت العديد من الاتفاقيات مع قوى الانقلاب.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة العمل العسكري والتحالف العربي والدولي بقيادة السعودية ضد الحوثيين في اليمن، إذ أدانت إيران هذا العدوان، وشبهته بـ "عمل الصهاينة" في غزة، وخطأ

استراتيجيا كبيرا لحكومة مبتدئة تظن أن بإمكانها التأثير في المنطقة عبر القوة"، وطالبت إيران بالوقف الفوري للحرب علي اليمن.

عكس الموقف الإيراني من الثورات العربية رؤية غير متجانسة، وتفتقد للمعايير الموحدة، وتتعامل مع كل حالة بشكل منفصل. فبينما وقفت على الحياد في الثورتين التونسية والمصرية، كانت ترى ثورة الشعب السوري ضد النظام الحاكم مؤامرة مدعومة من الخارج، وبادرت إلى دعم الحراك الشعبي في اليمن، رغم أن مطالبه ومعطياته تضعه مع نظيره التونسي والمصري في تصنيف واحد مع التفاوت في التفاصيل والتطورات اللاحقة⁽⁵⁴⁾.

المطلب الثاني: مواقف تركيا من الثورات العربية

يمكن القول أن دور حزب العدالة والتنمية في تصاعد تركيا كان في الوقت نفسه مصدر إلهام لمطالب الشعوب العربية الطامحة إلى التغيير في بلادها، على الرغم أنها لم تكن عاملاً محركاً للثورات العربية، ولم تكن عاملاً في نجاح الثورة التونسية التي كانت مفاجئة، إلا أنها كانت مصدر إلهام للمطالب المنادية بالتغيير.

أولاً: الموقف التركي من الثورة التونسية

لم تتدخل تركيا في الأزمة التونسية من منطلق الحرص على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، حيث لم يكن من المتوقع أن تفضي الأحداث سريعاً إلى سقوط نظام بن علي، أو أن تكون الثورة التونسية هي بدء الإشارة لانطلاق الثورات العربية. وعندما هرب الرئيس التونسي السابق، أعلنت تركيا دعمها للثورة التونسية. وعملت تركيا بعد سقوط نظام بن علي على توطيد العلاقات السياسية والاقتصادية مع تونس، من خلال تقديم الدعم على الصعيد الاقتصادي، حيث وقع البلدان اتفاقيات تعاون بينهما، منها اتفاقية تقضي بتقديم قرض لتونس بقيمة نصف مليار دولار - يجري سداؤه على فترة عشر سنوات وبفائدة منخفضة - مخصص لإنعاش الاقتصاد الذي تراجعت بعض قطاعاته الحيوية في 2011. واتفقت الدولتان أيضاً على إلغاء نظام التأشيرات بينهما⁽⁵⁵⁾.

ثانياً: الموقف التركي من الثورة المصرية

أيدت تركيا الثورة المصرية منذ بدايتها، وطالبت الرئيس المصري حسني مبارك بالتنحي واحترام إرادة الشعب المصري، وبعد نجاح الثورة المصرية أيدت دعماً مفتوحاً للعملية الديمقراطية في مصر، وقام الرئيس التركي "أردوغان" بزيارة مصر في عام 2011 بعد نجاح الإسلاميين في الوصول إلى الحكم⁽⁵⁶⁾ وبعد الانقلاب على الرئيس الشرعي لمصر، رفضت تركيا

الاعتراف بالرئيس السيسي وعارضته بشدة، واحتضنت المعارضة الإسلامية، وانتهت العلاقة بين البلدين إلى قطع العلاقات الدبلوماسية.

ثالثا: الموقف التركي من الثورة الليبية

فوجئت تركيا بالتحول السريع نحو الثورة المسلحة في ليبيا، وظلت مترددة حول طبيعة تلك الثورة وتناجها، وبعد أن أصبحت معالم الثورة واضحة، لعبت تركيا دوراً فاعلاً في دعم الحركة الثورية، ودعمت عملية حلف الناتو في ليبيا، والتدخل الغربي فيها، وبعد سقوط القذافي اعترفت تركيا بالمجلس الانتقالي كممثل وحيد للشعب الليبي.

رابعا: الموقف التركي من الثورة السورية

حاولت تركيا منذ بداية الثورة السورية إقناع الرئيس السوري بشرعية مطالب المتظاهرين والسعي إلى تحقيقها سلمياً، إلا أن قمع النظام للمظاهرات بشدة، جعل تركيا تؤيد حركات المعارضة السورية ومدّها بالسلاح، واحتضان اجتماعاتها السياسية، وقد عقدت عدة اجتماعات لها في تركيا، وشكلت جبهة مشتركة توحد جميع المجموعات المعارضة لنظام الحكم السوري، ودعمت تركيا إقامة منطقة للطيران وتسليح المعارضة السورية⁽⁵⁷⁾.

وشكلت التداعيات السلبية المتلاحقة للأزمة السورية على تركيا وخصوصاً في قضية اللاجئين السوريين، دافعاً مهماً لتركيا لإعادة النظر في سياستها حيال سوريا، فكان إسراعها بتحسين علاقتها مع إيران الحليف القوي للنظام السوري، وإعلان تأييدها لمؤتمر جنيف 2، ثم اتخاذها إجراءات للحد من دخول المقاتلين إلى سورية⁽⁵⁸⁾.

خامسا: الموقف التركي من الثورة اليمنية

ارتكز الموقف التركي من الثورة اليمنية على ضرورة استقرار اليمن نظراً لحساسية جغرافيتها المسيطرة على أهم الممرات المائية، ولما يمثله استقرارها من عامل مساعد على إنجاز استقرار مماثل في القرن الأفريقي تلعب أنقرة دوراً محورياً فيه⁽⁵⁹⁾. وقد أيدت تركيا المبادرة الخليجية لحل الأزمة اليمنية ودعمتها. لكن سيطرة الحوثيين على السلطة في اليمن، جعلت تركيا طرفاً رئيسياً مع السعودية في حربها ضد الحوثيين.

وأظهرت ثورات الربيع العربي الأبعاد الإستراتيجية الأمنية والسياسية والاقتصادية التي تحكمها توازنات القوى والمصالح الإقليمية والدولية التركية، ففي حالتي تونس ومصر لم تكن السياسة التركية الداعمة للثورات الشعبية لتؤثر على مصالح تركيا وأمنها، أما في الحالات الليبية

والسورية واليمنية، فإن هناك مجموعة من المخاطر الكبيرة التي قد تتكبدتها تركيا جراء تصادمها مع هذه الأنظمة وحلفائها العرب والإقليميين والدوليين⁽⁶⁰⁾.

المطلب الثالث: مواقف إسرائيل من الثورات العربية:

أولاً: الموقف الإسرائيلي من الثورة المصرية

انتاب إسرائيل القلق من تطورات الثورة في مصر بحكم العلاقة مع نظام حسني مبارك والمصالح التي ربطت هذا النظام بإسرائيل. وكان الخوف الإسرائيلي مزدوجاً، الأول خوف على سقوط حليف إستراتيجي لإسرائيل في المنطقة العربية. والثاني، التخوف من تداعيات هذا السقوط على مستقبل العلاقة مع مصر⁽⁶¹⁾. وقامت الحكومة الإسرائيلية بتحذير الإدارة الأمريكية من التخلي عن حماية نظام مبارك، واعتبار أي تخل عن هذا النظام تصرفاً غير مسؤول، وسيكلف الرئيس الأمريكي باراك أوباما منصب الرئاسة في الانتخابات القادمة، أي أن إسرائيل كانت تتدخل لمنع سقوط نظام مبارك. كما قامت بتنفيذ حملة دبلوماسية وإعلانية بهدف دفع الولايات المتحدة لقبول التغيير الشكلي في النظام المصري، وخصوصاً عندما أدرك بنيامين نتنياهو رئيس الحكومة أن أوباما مع تغيير حقيقي في مصر، وليس مع مجرد تعديلات مرحلية أو شكلية.

ثانياً: الموقف الإسرائيلي من الثورة الليبية

أيدت إسرائيل الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية في تعاملها مع الثورة الليبية، وإصدار قرارات الإدانة ضد النظام الليبي في مجلس الأمن، وفرض الحظر الجوي عليها. كما أيدت فيما بعد التدخل العسكري المباشر في ليبيا. وقد استغلت إسرائيل أحداث العنف الدموية التي حدثت في ليبيا، للترويج لفكرة أن إسرائيل دولة ديمقراطية هادئة تعيش وسط منطقة غير مستقرة، وأن إسرائيل هي الحليف الوحيد للغرب في المنطقة⁽⁶²⁾.

ثالثاً: الموقف الإسرائيلي من الثورة السورية

ارتكز الموقف الإسرائيلي من الثورة السورية على فرضية أن سقوط النظام في سوريا يعني انهيار الحلف بين سوريا وبين إيران وحزب الله⁽⁶³⁾. لكنها في المقابل تتخوف من استلام القوى الإسلامية المتشددة للحكم في سوريا. وهو ما يجعلها تفضل أن يستمر نظام الأسد في الحكم، وخصوصاً أن الحرب دمرت الكثير من بنية النظام التحتية وثرواته الطبيعية والعسكرية، وعلى الصعيد السياسي، سيعاني هذا النظام من عزلة عربية وإقليمية ودولية خانقة، حتى وإن تمكن من البقاء في الحكم⁽⁶⁴⁾.

المبحث الرابع: قياس أثر مواقف القوى الدولية والإقليمية من خلال ثورات الربيع العربي في التأثير على منظومة النظام الإقليمي الشرق أوسطي

المطلب الأول: أثر مواقف القوى الدولية والإقليمية من خلال الربيع العربي في التأثير على البنى والفواعل الرئيسية في النظام

ظلت الولايات المتحدة تهيمن على النظام الشرق أوسطي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، لكن ثورات الربيع العربي، غيرت من طبيعة تلك الهيمنة، وذلك لصالح قوى بازغة جديدة تتطلع للمشاركة في ترتيبات هذا النظام⁽⁶⁵⁾.

وتعد إيران من أكثر الدول الراحبة من ثورات الربيع العربي، حيث أصبح لها نفوذ مهيمن في سوريا واليمن والعراق، واصطدم هذا النفوذ بحضور فاعلين إقليميين: "تركيا والسعودية وإسرائيل" ودوليين: "الولايات المتحدة" في مواجهة تلك الهيمنة. ونظرت إيران بحذر أقرب إلى القلق نحو التقارب المتسارع بين بعض دول الربيع العربي وتركيا، حيث تعد تركيا منافساً إقليمياً تقليدياً لإيران، سواء على مستوى النظام الإقليمي الشرق أوسطي كله، أو في نطاق النظام الإقليمي الفرعي لمنطقة الهلال الخصيب⁽⁶⁶⁾.

أما النموذج التركي الذي يجمع بين الإسلام والديمقراطية والتنمية الاقتصادية فقد أصبح محل اهتمام القوى الجديدة التي وصلت إلى سدة الحكم في دول الربيع العربي⁽⁶⁷⁾ وهو ما جعل لتركيا دوراً متعاظماً في صياغة ترتيبات النظام الشرق الأوسطي الجديد. إذ ما زالت الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر تركيا حليفاً إستراتيجياً وليس من السهل التخلي عنه، على الرغم من شهادته العلاقات الأمريكية التركية من توترات، فإن لعب تركيا لدور بارز في المنطقة يخلق حالة من التوازن بين الفواعل الإقليمية في النظام⁽⁶⁸⁾.

وقد أسهمت ثورات الربيع العربي في تراجع القوة العربية وإنهاك الأنظمة العربية الرسمية بالتحديات الداخلية، وإضعاف دور القوى المعارضة لإسرائيل وخصوصاً الحركات الإسلامية وحركة الإخوان المسلمين، نظراً لإعلانها من قبل مصر والسعودية والإمارات العربية حركة إرهابية بعد إسقاط حكم الرئيس المصري السابق محمد مرسي.

وجعلت الثورات العربية إسرائيل من أقوى الفاعلين والطامحين على الهيمنة الإقليمية للنظام الإقليمي الشرق أوسطي، في الوقت الذي تلاشى فيه دور الدول العربية في وضع قواعد اللعبة الإقليمية الجديدة في النظام الإقليمي الشرق الأوسطي⁽⁶⁹⁾.

وباتت إسرائيل وعلى المدى القريب في موقع أقوى من قبل إزاء محيطها، وفي الإقليم، فالجيش المصري وإن حافظ على قوته وتماسكه إلا أنه مشغول الآن في المواجهة مع المسلحين

المعارضين لحكم الرئيس عبد الفتاح السيسي في سيناء. وفي سوريا تعرض الجيش السوري إلى الدمار، في حين أن سلاحها الكيماوي "الإستراتيجي" اختفى بضغط من المجتمع الدولي، كما تحول حزب الله من مقاومة إسرائيل إلى الانشغال بالدفاع عن النظام السوري في مقاتلة السوريين وبات ينظر إليه لا باعتباره حزب مقاومة وإنما باعتباره امتداداً للنفوذ الإيراني في المنطقة، وهذا ما ينطبق على إيران ذاتها التي تكشفت سياستها في العراق وسوريا ولبنان، عن مجرد كونها توظف قضية فلسطين في سياستها كواجهة لتعزيز شرعيتها ومكانتها الإقليمية.

أما حركة حماس في غزة، فقد أصبحت في وضع صعب جداً، بعد التحولات السياسية في مصر (تموز/يوليو 2013)، والتوتر في العلاقة بين حركة حماس وسلطتها في غزة من جهة، والنظام المصري الجديد من الجهة المقابلة⁽⁷⁰⁾.

المطلب الثاني: أثر مواقف القوى الإقليمية من خلال الربيع العربي في التأثير على أنماط التفاعل بين مكونات النظام

أثرت ثورات الربيع العربي في تفاعلات العلاقة بين القوى الإقليمية الشرق أوسطية وتطوراتها، وخصوصاً القوى المركزية في النظام. فالصراع الإسرائيلي - الإيراني يزداد حدة، وهذا الصراع انعكس على زيادة حدة التنافس بين إسرائيل وإيران على كسب الدور الإقليمي الموازن. كما شهد حدوث تحولات في التوجهات الإستراتيجية التركية نحو السعودية وعلى حساب العلاقات مع إيران والعلاقة مع إسرائيل.

فالأزمة السورية باعدت كثيراً بين تركيا وإيران، حيث تدعم تركيا المعارضة وتدفع باتجاه الحسم العسكري، في مقابل دعم النظام الإيراني لنظام بشار الأسد، وتؤيد الحل السياسي للأزمة استناداً على بنود مؤتمر جنيف لعام 2012 الذي يعطي الأولوية للحل السياسي للأزمة السورية، وتتحدث عن فترة انتقالية وحوار بين الحكم والمعارضة، وتأسيس حكومة ذات فاعلية تدير البلاد خلال تلك الفترة الانتقالية. وهنا جاء الالتقاء التركي مع إسرائيل التي تدفع باتجاه استخدام الحل العسكري لإسقاط النظام السوري. كما باعدت الأزمة السورية من التقارب الروسي التركي، الذي وصل حد التصادم العسكري بين الدولتين، وخصوصاً بعد التدخل الروسي المباشر في سوريا، في مقابل تزايد التقارب المصري الروسي.

وجاءت "ثورات الربيع العربي" بالنسبة لتركيا لتسهم، حسب العديد من المنظرين التركيين، في تعزيز قدرة تركيا على وضع إستراتيجية "العثمانية الجديدة" موضع التطبيق، بحيث تتكامل تركيا بصورة أكبر وأعمق مع الدول العربية التي خضعت لسيطرة الإمبراطورية العثمانية ونفوذها. وترى هذه الآراء أن "العثمانية الجديدة" تقوم في مرحلة ما بعد "الربيع العربي" على ركيزتين أساسيتين⁽⁷¹⁾:

أولاهما، استلهم النموذج التركي في دعم عملية التحول الديمقراطي في الدول العربية وتعميق الفهم العربي لمفهوم العلمانية. وفي هذا الإطار شهدت المنطقة العربية وتركيا زيادة ملحوظة في الندوات العلمية والمؤتمرات الصحفية واللقاءات المشتركة بين الباحثين العرب والأتراك حول سبل الاستفادة من الخبرة التركية في مجال التحول الديمقراطي، والأدوات اللازمة لتعميق التفاهم العربي التركي على المستويات السياسية والثقافية والاقتصادية.

ثانيهما، التركيز على الدبلوماسية والقوة الناعمة، من أجل تعميق التعاون الاقتصادي والدبلوماسي ومضاعفة نفوذ تركيا الثقافي، بما يضمن مصالح تركيا في أن تتحول إلى قوة إقليمية كبرى.

وعلى الرغم من أن التغيرات في منطقة الشرق الأوسط كان لها الكثير من التداعيات على القدرة التركية على تطبيق إستراتيجية تصفير المشاكل "Zero Problems"، فقد رأت الكثير من الاتجاهات التركية أنه من المرجح أن تزداد أهمية الدور التركي في المنطقة إذا ما تم الاتفاق على توثيق العلاقات مع دول الربيع العربي الجديدة، وطرح تركيا باعتبارها تقدم نموذجاً ملهماً يمكن لدول "الربيع العربي" الاستفادة منه في هذه المرحلة. كما أن التخلص من النظام السوري، أو تفكيك التحالف السوري الإيراني ومعه حزب الله، سيفتح المجال الجغرافي السوري كي يكون معبراً لإقامة تحالف مختلف بين تركيا ودول الخليج.

وقد نجحت إيران، في فرض نفسها كلاعب إقليمي أساسي في مرحلة الربيع العربي، وفي رعاية مشروع إقليمي يمتد ما بين العراق وسوريا ولبنان.

أما إسرائيل، فقد ارتبطت مخاوفها من الثورات الربيع العربي من ظهور أدوار جديدة محتملة، وأنماط تحالفات إقليمية جديدة بين دول ثورات الربيع العربي مع إيران وتركيا على وجه الخصوص، وهو ما جعلها تحاول ضبط أداء النظم السياسية التي قد تأتي بعد الثورات، بحيث يبقى تحت دائرة الاحتواء والسيطرة. وخلاصة الأمر أن الثورة السورية فرضت ارتباكاً هائلاً، وما زالت تفرض هذا الارتباك في مواقف الدول الإقليمية الثلاث، لكن الأهم أنها تباعد بين هذه المواقف، ومن شأنها أن تعيد رسم خريطة التفاعلات والتحالفات الإقليمية حسب ما سوف تؤول إليه الأحداث في سورية.

المطلب الثالث: أثر مواقف القوى الدولية من خلال ثورات الربيع العربي في التأثير على هيكل القوة ونمط العلاقات بين قوى النظام

جاءت الثورات العربية لتبين بوضوح حال الانكفاء الأميركي عن التدخل المباشر كنهج وإستراتيجية، لكنها، من جهة أخرى، فرضت عليها إعادة النظر في سياستها الخارجية في الشرق الأوسط، التي بدأت في عهد أوباما تتجه نحو الحفاظ على الوضع القائم Status Quo في الأنظمة العربية من ناحية، وعدم توريث الولايات المتحدة في مغامرات عسكرية عالية التكلفة من ناحية أخرى. وهو ما جعلها تحاول التأقلم مع إستراتيجية التحكم بمسارات التغيير ونتائجه.

وفي ظل غياب رؤية إستراتيجية موحدة لدول الاتحاد الأوروبي، ومحدودية تأثير دور الاتحاد الأوروبي في منطقة الشرق الأوسط، بقي الاستقرار في دول ثورات الربيع العربي يعني بالنسبة للدول الأوروبية ضبط حركة الهجرة غير الشرعية نحو الدول الأوروبية، من دون النظر إلى بقية القضايا والأزمات في منطقة الشرق الأوسط⁽⁷²⁾.

فيما انطلقت الصين في موقفها من الثورات العربية من ثلاثة معطيات تعمل على ترسيخ رؤيتها الإستراتيجية للنظام الإقليمي الشرق أوسطي هي: ضمان حصتها من الطاقة، وزيادة علاقتها الاقتصادية بما يضمن تلبية احتياجاتها المتزايدة، إضافة إلى تأكيدها الدائم على حل النزاعات عبر التعاون والتفاوض⁽⁷³⁾.

غير أن الأزمة السورية قربت العلاقة بين الصين وروسيا، لتأخذ بعداً إستراتيجياً مهماً بالنسبة للصين، لزيادة فرص التنسيق على المسرح الدولي. كما أن رغبتها في لعب دور دبلوماسي وسياسي عالمي يتناسب مع تنامي قدراتها الاقتصادية والعسكرية، قد غير موقفها من الثورة السورية، حيث انتقلت الصين من موقف المتفرج إلى موقف أكثر نشاطاً وفاعلية بالقدر الكافي لترجيح كفة على أخرى، كما حدث في اعتراضها على قرار الفيتو في مجلس الأمن.

وإقليمياً فإن إيران حاضرة في إستراتيجية الصين الدولية، فإيران تعد ثاني أهم مورد للنفط للصين⁽⁷⁴⁾.

كما أسهمت ثورات الربيع العربي في نقلة نوعية في العلاقات الروسية الإيرانية، وتعمقت في ضوء توقيع البلدين اتفاقاً للتعاون العسكري التقني في 20 يناير 2015، خلال زيارة وزير الدفاع الروسي لإيران، التي تعد الأولى منذ 15 عاماً، مع خشية روسيا من إمكانية تورط قوى إقليمية أخرى، في الصراع السوري والصراع اليمني، وتحوله إلى حرب إقليمية واسعة النطاق على مقربة منها. يزيد من هذه المخاوف لدى روسيا مشاركة باكستان في العمليات، والتي يغلب على علاقاتها بإيران التوتر والتنافس الإقليمي⁽⁷⁵⁾.

نتائج الدراسة

يمكن إجمال نتائج هذه الدراسة في ما يلي:

- 1- تأتي مواقف القوى الدولية التقليدية والقوى الإقليمية من الثورات في بلدان الربيع العربي وفق مصالح هذه الدول، وليس وفق مصالح شعوب دول ثورات الربيع العربي.
- 2- ما زالت مواقف الولايات المتحدة الأمريكية من منطقة الشرق الأوسط، وحتى بعد ثورات الربيع العربي، يحكمها مبدآن رئيسيان وهما أمن النفط وأمن إسرائيل، ومنع ظهور أي قوة إقليمية تستطيع أن تجمع دول المنطقة حولها، مع مطالبتها المستمرة لدول المنطقة بتعزيز الإصلاحات ودعم عمليات التحول نحو الديمقراطية.
- 3- غياب الرؤية الإستراتيجية الموحدة للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي تجاه المنطقة العربية فيما بعد الثورات الناتجة عن اختلاف مصالحها يقف حائلاً أمام تحقيق هذه السياسة للأهداف المرجوة منها، فالملف الأمني هو على قمة أولويات فرنسا وبريطانيا، في حين تنصدر قضية الهجرة أولويات إسبانيا وإيطاليا، بينما يؤشر التحول الديمقراطي الحيز الأكبر من اهتمام السويد وهولندا في بلدان الربيع العربي.
- 4- تعارض المصالح الروسية - الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط يؤشر على بداية التنافس بين البلدين على صياغة ملامح شرق أوسط جديد يكون لروسيا حضور فاعل فيه، ويعكس عدم انفراد الولايات المتحدة في صياغة مفرداته.
- 5- استخدمت الصين ثورات الربيع العربي لتعزيز مكانتها الإقليمية من خلال إقامة تحالفات جديدة في منطقة الشرق الأوسط، منطلقة بذلك من مصالحها الاقتصادية والتجارية وطموحاتها الجيوسياسية في المنطقة على المدى الطويل.
- 6- تراجع القوة العربية وانهماك الأنظمة العربية الرسمية بالتحديات الداخلية جعل دور النظام الإقليمي العربي ذا تأثير هامشي في النظام الإقليمي الشرق أوسطي، ومحدود الأثر لصالح الدول الإقليمية المهيمنة على النظام وهي، إيران، وتركيا، وإسرائيل.

The Positions of International and Regional Powers Towards Arab Spring Revolts and their Impacts on the Middle Eastern Regional System (2010-2015)

Omar Y. Khudierat, *Department of Political Science, Irbid University College
Al Balqa' Applied University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims to investigate the positions of traditional international powers represented in the USA, European Union, Russia and China, and the positions of regional powers represented in Iran, Turkey and Israel towards the Arab Spring Revolts which started late in 2010, taking into account that the region is still living the consequences of these revolts without a clear outcome of them.

The study was based on the analytical descriptive and the comparative approaches for collecting data about political facts and realities. Then the data were analyzed and interpreted in order to reach conclusions that could help understand the positions of international and regional powers towards Arab revolts.

The study has concluded that the changes which the Arab Spring countries have witnessed will not be limited to the process of demographic change for each country, but the whole region in the Middle East is still the main concern of traditional international powers and the regional ones so they both participate in arranging this new regional system which is still developing.

The study has also concluded that the stance of traditional international and regional powers toward the Arab Spring Revolts depends on the interests of these countries rather than the interests of the peoples of the countries of the Arab Spring Revolts. Moreover, the role of the Arab system is limited – concerning the influence and dominance – to the advantage of other regional countries represented in Iran, Turkey and Israel as a result of instability, conflicts, and regression the countries of the Arab Spring Revolts are experiencing.

الهوامش والمراجع

- (1) دحمان، غازي، مسارات التحولات الشرق أوسطية، مجلة شؤون عربية، عدد 157، ربيع 2014، ص90.
- (2) جلال، محمد، ثورات الربيع العربي وأثرها على مستقبل العلاقات العربية مع القوى الكبرى (الصين نموذجاً)، مجلة المنتدى، عدد 252-253، نيسان / إبريل، 2011، ص79.
- (3) يس، السيد، التقرير الإستراتيجي العربي، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، 1986.
- (4) بلقزيز، عبد الاله، تحديات إقامة النظام الشرق أوسطي، مجلة المستقبل العربي، عدد 103، 1996، ص180.
- (5) سلامة، غسان، السياسة الخارجية السعودية منذ عام 1945، دراسة في العلاقات الدولية، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1980 ص166.
- (6) مطر، جميل، هلال، علي الدين، النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989، ص119.
- (7) الغزالي، أسامة، حرب وآخرون، الشرق أوسطية: هل هي الخيار الوحيد، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 1995.
- (8) شيمون بيبرس، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة محمد حلمي، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 1994.
- (9) إدريس، محمد السعيد، النظام الإقليمي للخليج العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000، ص32.
- (10) المرجع نفسه، ص35.
- (11) مرسى، مصطفى، المواقف الأمريكية تجاه الثورات العربية وتأثيرها على التفاعلات الإقليمية، مجلة شؤون عربية، عدد 157، ربيع 2014، ص22.
- (12) مرعي، نجلاء، السياسة الخارجية الأمريكية والثورات العربية، مجلة البيان، ص315.
- (13) الغندور، عيبر، ثورات الربيع العربي: السمات والآثار المترتبة على النظام الشرق أوسطي، مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 67، ربيع، 2014، ص20.
- (14) World Development Indication, world bank, 2010, www.databank.worldbank.org.

- (15) مي عبد المنصف، الموقف الأمريكي من ثورة 25 يناير، الحوار المتمدن، العدد: 4046 - 2013 / 29 / 3
- (16) S.618: Egyptian- American Enterprise Fund Act, www.govtract.us/congress/billtext.xpd.
- (17) كيري: الجيش المصري كان "يستعيد الديمقراطية" عندما عزل مرسي، 1 من أغسطس/آب 2013. <http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE9B2CTO20130801>
- (18) سلامة، معتز، التحولات الإستراتيجية في النظام الإقليمي العربي، على الموقع الإلكتروني www.alaraiya.com, 9/3/2015.
- (19) www.un.org/en.
- (20) إبراهيم فريحات، التدخل الروسي في سوريا، هل يقلق أمريكا، الجزيرة نت، <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions>
- (21) المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تطورات الموقف الأمريكي من الثورة السورية، 27 فبراير 2013 على شبكة الإنترنت، <http://www.dohainstitute.org/release>
- (22) جبريل، محمد، أمريكا راغبة في إفشال الثورات العربية، صحيفة الجارديان البريطانية، 2011/5/26م.
- (23) الدجني، حسام، أمريكا والثورات العربية، <http://www.alarabonline.org/index.asp?>
- (24) دياب، أحمد، الاتحاد الأوروبي وتطورات الربيع العربي، مجلة شؤون عربية، عدد 157، ربيع 2014، ص 57.
- (25) نبيل شبيب، الثورات العربية والمواقف الأوروبية قراءة تحليلية، أنظر الموقع الإلكتروني: <http://midadulqalam.info/midad/modules.php?name=News&file=article&sid=2037#a3>
- (26) أنظر الموقع الإلكتروني <http://www.moheet.com/24/01/2012/com.moheet.www/>
- (27) خليل سامي أيوب، موقف الاتحاد الأوروبي من ثورات الربيع العربي، الحوار المتمدن، أنظر الموقع الإلكتروني: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=28574>.
- (28) المرجع نفسه.
- (29) دياب، أحمد، مرجع سابق، ص 60.
- (30) الأحمدى، عطوان، غربيون في الجماعات الجهادية في سوريا، مجلة الشرق الأوسط، العدد 12840، 2014.

- (31) سعد، رؤوف، السياسة الروسية تجاه المستجدات على الساحة العربية، مجلة الشؤون العربية، العدد 157، 2014، ص35.
- (32) وكالة نوفوستي، 2022.
- (33) Fiona Hill, "How Russia and China See the Egyptian Revolution", *Foreign Policy*, February 15, 2011, P. 24.
- (34) عبد الحي، وليد، محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية، موقع مركز الجزيرة للدراسات، على شبكة الإنترنت، الثلاثاء، 03 أبريل، 2012، <http://studies.aljazeera.net/files>.
- (35) Stephen Blank and Saivetz Carol R. "Playing to Lose? Russia and the Middle East: A Cold War Paradigm". *Europe – Asia Studies*, Vol. 64, Issue 3, 2012, PP. 543-544.
- (36) عمار ديوب، التنسيق الروسي الأمريكي: الخريطة الإقليمية تتغير، العربي الجديد، 3-13-2016
- (37) مأرب برس، التدخل في اليمن مستنقع ينتظر تحالف طهران وموسكو. استبعاد ومقايضة والهدف إرباك المملكة. الإثنين 22 فبراير - شباط 2016 على شبكة الإنترنت، <http://marebpress.net>
- (38) رؤوف، سعد، مرجع سابق، ص42.
- (39) شوي تشينغ قوه، قراءة من بكين للموقف الصيني من الربيع العربي، منتدى التعاون الصيني العربي، الاثنين، 09 يناير 2012، على شبكة الإنترنت: <http://www.casf.org/ara/yjzs/t920773.htm>
- (40) John Gee, "China's Challenges in the Middle East". Washington Report on *Middle East Affairs*. Vol. 30, Issue 8 Nov. 2011, PP. 30-31.
- (41) سنية الحسيني، هل تعكس سياسة الصين تجاه الأزمة السورية تحولات إستراتيجية جديدة في المنطقة؟ تاريخ النشر: 19/11/2015، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، وفا، على شبكة الإنترنت http://www.wafa.ps/ar_page.aspx?
- (42) جلال نعمان، محمد، مرجع سابق، ص85.
- (43) نادية حلمي، "التكيف: التوجهات الصينية تجاه الشرق الأوسط بعد الثورات"، مجلة السياسة الدولية. على العنوان الإلكتروني: <http://www.siyassa.org.eg/NewsQ/2701.aspx>
- (44) الجزيرة نت، غموض الموقف الصيني من ليبيا، على شبكة الإنترنت: <http://www.aljazeera.net/news/presstour/2011/4/11>

- (45) وليد عبد الحي، محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية، موقع مركز الجزيرة للدراسات، على شبكة الإنترنت، الثلاثاء، 03 أبريل، 2012، ص 7، <http://studies.aljazeera.net/files>.
- (46) Daniel Brumberg and Steven Heydemann, Global Authoritarians and the Arab Spring: New Challenges for US Diplomacy. *The Chnging Security Architecture in the Middle East Series 1* (Washington, D.C: Wilson Center, 2013), PP, 1-2.
- (47) رايموند لي، الصين والحرب في اليمن: عدم الانحياز والحل السلمي، الجزيرة نت، الأحد، 03 مايو، 2015.
- (48) Adam Taylor, "What Yemen's Crisis Reveals about China's Growing Global Power", The Washington Post, 2015-03-31. <http://www.washingtonpost.com/blogs/>
- (49) باكير، علي، صدى الثورة المصرية يصل طهران والنظام الإيراني يحاول أسلمتها، ميدل إيست أون لاين، 2011/12/8.
- (50) ما هو موقف إيران من الإخوان المسلمين في مصر؟ موقع عصر إيران، 22 آذار 1391، 12 ديسمبر/كانون الأول 2012.
- (51) العدوان، طایل، الإستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحو الشرق الأوسط (2002، 2013)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، 2014، ص164.
- (52) باكير، علي، إيران: المحافظون - الحركة الخضراء والثورات العربية، مركز المسار، الكتاب 53، 2011، ص70.
- (53) حسن، أحمدیان، الموقف الإيراني من تطورات اليمن: وجهة نظر إيرانية، الجزيرة نت، الخميس، 25 يونيو، 2015.
- (54) راشد، سامح، تطورات السياسة الإيرانية على إيقاع الربيع العربي، مجلة شؤون عربية، العدد 157، ربيع 2014، ص63.
- (55) محمد عبد القادر، تركيا وثورات الربيع العربي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، <http://acpss.ahramdigital.org.eg/News.aspx?Serial=86>
- (56) أويصال، أحمد، صمود تركيا والربيع العربي، مجلة البيان، التقرير الإستراتيجي التاسع، ص306.
- (57) الغندور، عبير، مرجع سابق، ص35.

- (58) عبد الفتاح، بشير، السياسة التركية في محيط إقليمي متغير، مجلة شؤون عربية، العدد 157، 2014، ص86-87.
- (59) ضياء أونيس، تركيا والربيع العربي: معضلة الأخلاق والمصالح في السياسة الخارجية التركية، مجلة رؤية تركية، ترجمة هاجر أبو زيد، المجلد 1، العدد 2012/3.
- (60) ضياء أونيس، تركيا والربيع العربي: معضلة الأخلاق والمصالح في السياسة الخارجية التركية، مجلة رؤية تركية، ترجمة هاجر أبو زيد، المجلد 1، العدد 2012/3.
- (61) الفقي، مصطفى، إسرائيل والثورات العربية، الحياة اللندنية، 2011/7/5.
- (62) أبو عامر، عدنان، إسرائيل والتغيير في المنطقة العربية، مجلة البيان، التقرير الإستراتيجي التاسع، 2013.
- (63) نادية عبدالله، المواقف العربية والدولية من الثورة السورية - هل هو صراع مصالح؟ الحوار المتمدن، العدد: 3651 - 2012 / 2 / 27.
- (64) أثال العاص، قراءة في تطور المواقف الدولية تجاه الثورة السورية، مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 29/07/2012 على شبكة الإنترنت:
- <http://www.umayya.org/featured/1620>
- (65) Richard Hass "The Age of Non Policy: What will follow US Dominance". *Foreign Affairs*, May/June 2008 and Stephen Walt, 'The End of the American Era'. *The National Interest*, Nov/Dec. 2011, PP.30-32.
- (66) الأزمة السورية تقف بوجه العلاقات الإيرانية-المصرية، موقع إيران دبلوماسي، 113 شهريور 1391، 3 سبتمبر/أيلول 2012.
- (67) Gregoire Patte, *The Arab Springs, Global and Local Consequences*. Geneva Center for Training and Analysis of Terrorism, Feb. 4, 2012, PP. 1-5.
- (68) فلانجان، ستيفن، أولويات خاطئة، التقييمات التركية للقوة الأمريكية: مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، ترجمة مركز الزيتونة، بيروت، العدد 69، 2011، ص10.
- (69) هياجنة، عدنان، التنافس على الهيمنة الإقليمية في الشرق الأوسط، في ظل الربيع العربي، مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 67، ص62.
- (70) كيالي، ماجد، قضية فلسطين في خضم الربيع العربي: التأثيرات والتداعيات، مجلة شؤون عربية، عدد 157، 2014، ص130.

- (71) Ömer Taşpınar, "The Turkish Model And Its Applicability", In: "Turkey And The Arab Spring Implications For Turkish Foreign Policy From A Transatlantic Perspective", Mediterranean Paper Series, The German Marshall Fund Of The United States, October 2011
- (72) Nick Witney and Anthony Dworkin, *A Power Audit of EU – North Africa Relations* (London): European Council on Foreign Relations, 2012, P. 23.
- (73) Mordechai Chazizq, "The Arab Spring: Implications for Chinese Policy". *MERIA*, Vol. 17, No. 2, Summer 2013, PP. 74-75, PP. 78-79.
- (74) المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ما الذي يحدد الموقفين الروسي والصيني من الأزمة في سورية؟ على شبكة الإنترنت <http://www.dohainstitute.org>
- (75) نورمان الشيخ، صراعات ممتدة: الموقف الروسي من عاصفة الحزم، المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، 2015/04/02 على شبكة الإنترنت: <http://www.rcssmideast.org/Article>

نمط التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى

قاسم الدويكات، ريم الخاروف وبيان الربيع *

تاريخ الاستلام 2016/2/28

تاريخ القبول 2016/7/13

ملخص

هدف الدراسة هو تحديد نمط التوزيع الجغرافي للمجمعات التجارية والمولات في أمانة عمان، للعام 2014م، ومدى تناسب هذا التوزيع مع مساحات المناطق التي تتكون منها أمانة عمان الكبرى، وكثافتها السكانية. وتقييم مدى عدالة توزيع المولات والمجمعات التجارية على اللاندسكيب الذي تتكون منه أمانة عمان. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وطريقة التحليل الإحصائي الكارتوغرافي، واستندت إلى بيانات دائرة الإحصاءات العامة، وأمانة عمان الكبرى. اعتمد التحليل المكاني على تقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS) وبرمجية Arc view 9.3، لأجراء تحليلات تتعلق بصلة الجوار والمسافة المعيارية، والتوزيع الاتجاهي. وتوصلت الدراسة إلى أن نمط التوزيع الجغرافي للمجمعات التجارية هو نمط متجمع (متكتل)، أما نمط توزيع المولات فقد كان نمطا عشوائيا. وأن نقطة تمركز المجمعات التجارية كان أيضا في مناطق عمان الغربية وبالتحديد في منطقة تلاع العلي وأم السماق وخلدا.

المقدمة

من الظواهر المستحدثة في الأردن وغيرها من الأقطار المجاورة ظاهر انتشار المجمعات التجارية والمولات في مراكز المدن الكبرى. وطالما تأثر تشكل الظواهر البشرية والعمرانية بالعديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية مثل الدخل، وأماكن تموضع الصناعات، والتجارة، والتعليم، والصحة، والزراعة، وغيرها. ونظم المعلومات الجغرافية ونظام التوقيع العالمي هي من الأدوات التي تساعد على تقييم حجم التوازن في توزيع الإمكانات والموارد.

وتسعى هذه الدراسة إلى تقييم مدى عدالة توزيع المولات والمجمعات التجارية في مناطق أمانة عمان. حيث تتسم المولات والمجمعات التجارية ببيع سلع متنوعة تشمل البضائع التي يحتاجها المستهلك يوميا، مثل المواد الغذائية، والبضائع الدورية التي يحتاجها المستهلك على

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم الجغرافيا، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

فترات فصلية أو سنوية مثل الأحذية والملبوسات، فضلاً عن البضائع التخصصية مثل العطور والساعات. وتمكن الفرد من الحصول على حاجياته من السلع المعروضة في السوق بنفسه ودون الحاجة إلى مساعدة البائع. وتوفر دخلاً مرتفعاً عن طريق الاقتصاد في تكاليف التشغيل (مكي، محمد، 1986 ص 12-13) (Coe, et al., 2007).

وقد واجه الأردن، بوصفه دولة حديثة النشأة، معضلات عدة في التخطيط العمراني والسكاني، حيث أثرت الهجرات القسرية من دول الجوار على زيادة أعداد السكان المفاجئ وغير المتوافق مع النمو الطبيعي للسكان. كما رافق تلك الهجرات القسرية انفجار حضري غير مخطط، حيث شرع السكان الجدد في إنشاء منازل خاصة بهم وبصناعاتهم وتجارتههم بعيداً عن تخطيط وتنظيم مؤسسات الدولة، مما حدا بالأخيرة إلى القبول بهذا النمو العشوائي. ومن مظاهر النمو السكاني والعمراني في الأردن انتشار المجمعات التجارية الكبيرة والمولات في المدن الرئيسية، وعلى رأسها عمان. وقد انتشر فيها في السنوات العشرين الأخيرة، الاستثمار في إنشاء تلك المولات والمجمعات التجارية. حيث انتهز المستثمرون الجدد المناطق الطرفية ذات التكلفة القليلة نسبياً لاستثماراتهم، مما أدى إلى الانتشار العمراني حولها وجعلها جزءاً أساسياً من نمو المدينة.

مشكلة الدراسة

إن الموقع المتميز لأمانة عمان، جعلها تشهد نمواً سكانياً متعاضداً، لا يتناسب مع قدراتها الاستيعابية والتخطيطية. وعليه فقد شهدت العاصمة عمان كثافة سكانية كبيرة مقارنة مع باقي مراكز المحافظات، الأمر الذي أدى إلى إكسابها أهمية بالغة في دعم عجلة التنمية الاقتصادية. حيث رافق التطور العمراني والزيادة السكانية؛ انتشار المولات والمجمعات التجارية الكبيرة التي تضم عشرات المتاجر ضمن المبنى نفسه، وتقدم العديد من الخدمات السلعية، والمصرفية. وتشكل تلك المجمعات مراكز حضرية يرتادها السكان المجاورون لقضاء حاجياتهم المختلفة. لذلك كان لا بدّ من استقصاء وجود نمطية جغرافية في انتشارها، والعوامل التي أثرت في تلك النمطية. ومن هذا المنطلق يمكن صياغة مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيس التالي: ما هو نمط انتشار المجمعات التجارية في مدينة عمان؟ وما العوامل المؤثرة في تشكيل ذلك النمط إن وجد؟ وما تأثير ذلك على عملية التنمية المستدامة؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في استقصاء نمط انتشار ظاهرة حديثة نسبياً في المجتمع الأردني وهي المجمعات التجارية والمولات. ومحاولة الكشف عن العوامل التي أثرت في تشكيل نمطية

توزيعها وتأثيرها في متغيرات التنمية المجتمعية المستدامة. ولعل هذه الدراسة هي أول دراسة تستقصي نمط الانتشار المكاني للمولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان.

وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها استقصت كافة المجمعات التجارية والمولات في أمانة عمان الكبرى. حيث درست ريم الزيود تطور المناطق التجارية في عمان، في حين درست رشا أبو ركية تطور تجارة التجزئة من خلال توزيع استبانة على عينة من المبحوثين في مولين من مولات عمان. فضلاً عن استخدامها نظم المعلومات الجغرافية (GIS) للإسهام في تنشيط التنمية والنمو الاقتصادي. وتتميز هذه التقنية أيضاً بإجراء العديد من التحليلات واستخلاص النتائج التي تسهم بشكل أساسي وفاعل في مجال التنمية المستدامة واستخدمت أيضاً نظام التوقيع العالمي (GPS) لتحديد المواقع الجغرافية لعناصر تلك الظاهرة في أمانة عمان الكبرى.

أسئلة الدراسة

1. ما هو نمط توزيع المولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى؟ وما هي المتغيرات المؤثرة في تشكيل نمط توزيعها واتجاه انتشارها؟
2. هل يتناسب توزيع المولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى مع الكثافة السكانية للمناطق التي تتكون منها العاصمة عمان كمؤشر للتنمية المستدامة؟
3. هل هناك علاقة بين التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية والتوسع العمراني والتنظيمي للأمانة؟

منهجية الدراسة وأساليبها

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في استقصاء البيانات المتعلقة بالمجمعات التجارية والمولات في مدينة عمان، كأعدادها، ومواقعها، ومساحات المناطق التي تتكون منها العاصمة عمان، وأعداد سكانها. كما استخدمت منهج المسح الاجتماعي بهدف الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها، وذلك للاستفادة منها في المستقبل لوضع الخطط المستقبلية للتعامل مع هذه الظاهرة.

كما سيتم استخدام الخرائط المصممة بواسطة برمجية نظم المعلومات الجغرافية (ArcGIS) في تحليل البيانات واستخلاص النتائج. واعتمدت الدراسة على بيانات المسح الميداني الشامل التي تم جمعها من خلال نظام التوقيع العالمي (GPS) لمواقع المجمعات التجارية والمولات في أمانة عمان.

وبعد إنجاز الملفات الشكلية المطلوبة (shape files)، وجداول البيانات الوصفية المرتبطة بها (Attribute tables) تم إجراء التحليل الإحصائي الكارتوجرافي (Cartographic Analysis) للإجابة عن أسئلة الدراسة.

إجراءات الدراسة

من خلال الاستعانة بسجلات أمانة عمان الكبرى تم حصر عدد الأسواق التجارية والمولات في (224) سوقا تجاريا، إضافة إلى (16) مولا مغلقا. بعد ذلك بدأت مرحلة توقع إحداثيات هذه الأسواق التجارية من خلال أربع طرق هي:

- 1- خرائط ورقية تم الحصول عليها من أمانة عمان الكبرى.
- 2- برمجية Google Earth Professional.
- 3- نظام التوقيع العالمي (GPS) Global Positioning System.
- 4- الموقع الإلكتروني www.mapcoordinates.net.

وتم تدقيق الإحداثيات من خلال برمجية Arc GIS وبرنامج Kmler للتأكد من مواقع المجمعات التجارية والمولات. ونقلها من مسقط (Jordan Transferred Mercator (JTM إلى مسقط. (WGS 1984) وبعد تحديد الإحداثيات والتأكد من مواقعها، تم إسقاطها على الخريطة الفضائية لأمانة عمان الكبرى، والمصححة هندسيا. ومن ثم ربطها بالبيانات الوصفية الخاصة بهذه المجمعات التجارية والمولات.

وللإجابة عن أسئلة الدراسة المتعلقة بتحليل النمط المكاني لتوزيع المجمعات التجارية والمولات، استخدمت الدراسة أدوات وأساليب التحليل الإحصائي المكاني Spatial Statistical Tools المتوفرة في برمجية Arc GIS ووظائف قياس التوزيع الجغرافي Measuring Geographical Distribution. ومن ذلك قياس اتجاه توزيعها Directional Distribution، والمسافة المعيارية. Standard Distance كما تم استخدام تحليل صلة الجوار Nearest Neighbor Analysis لتحديد مدى تجمع وتشتت المجمعات التجارية والمولات بالنسبة للمساحة الكلية لأمانة عمان الكبرى. ونتيجة لاستخدام هذه الاختبارات الكارتوغرافية الإحصائية، تم إنشاء عدد من الخرائط من خلال استخدام أدوات البحث والاستعلام والاختبار Query Selection في برمجية ArcGIS.

التعريفات الإجرائية

المجمعات التجارية: هي عبارة عن عدة مبانٍ تكون مترابطة في أغلب الأحيان، وغالبا ما تتخذ الشكل الأفقي ولا تشتمل على جميع الخدمات، وقد تكون متخصصة في تقديم خدمة تجارية واحدة، ولا تحتوي على خدمات ترفيهية، أو خدمات تجارية متنوعة. وقد تكون مغلقة أو مكشوفة ومملوكة من أكثر من شخص.

المول:- مبنى تجاري يتخذ الشكل الرأسي في البناء شامل لجميع الخدمات سواء كانت ترفيهية أو تسويقية بكافة أشكالها. وتكون مغلقة (غير مكشوفة) ومكيفة ومملوكة في الغالب من قبل شخص واحد.

نمط: يقصد به طريقة انتشار الظاهرة، وهو إما أن يكون عشوائياً أو مشتتاً أو متجمعاً (متكتلاً).

الإطار النظري

اهتم الجغرافيون بالتوزيعات المكانية للظواهر الجغرافية (الطبيعية، والبشرية) لمعرفة فيما إذا كان التوزيع يشكل نمطاً (Pattern) محدداً له مسبباته ومبرراته، أو أنه مجرد توزيع عشوائي جاء عن طريق الصدفة. (الفاروق والجابري 2009، 253). ويعد التوزيع المكاني للظواهر الجغرافية أساس العمل الجغرافي، وهو بمثابة وسيلة للمقارنة الإقليمية بين التوزيعات المختلفة. كما يعد نقطة البداية والخطوة الأولى والضرورية لفهم سلوك الظاهرة الجغرافية، وتفسيرها (خير، صفوح، 2001، 340).

ولفهم طبيعة التوزيع المكاني للظواهر الجغرافية استخدمت مقاييس إحصائية متنوعة كالتمركز المكاني - النزعة المركزية المكانية للأنماط النقطية- لإعطاء نتائج رقمية دقيقة لطبيعة التوزيع المكاني للظواهر الجغرافية، والاجتماعية التي تسهل على القارئ تكوين فكرة عن طبيعة التوزيع المكاني للظواهر الاجتماعية (أبو عياش، 1984، 61).

ولا تخرج معظم المقاييس المستخدمة في قياس التوزيعات المكانية للظواهر الجغرافية في الغالب عن واحدة من التوزيعات التالية: (توزيع منتظم تكون فيه المسافة بين نقطة في التوزيع وأقرب نقطة أخرى يكاد يكون متساوياً. والتوزيع العنقودي الذي نجد فيه مجموعة كبيرة من النقاط تتقارب في المسافات وتجتمع في مساحة صغيرة، بينما النقاط المتبقية إن وجدت تنتشر في مساحة واسعة ومسافات متباعدة. والتوزيع العشوائي الذي لا نمط أو توزيع محدداً له. وعليه فإن التوزيع الجغرافي للظواهر الجغرافية الممثلة على الخريطة على شكل نقاط هي إما مشتتة وإما متجمعة وإما عشوائية (الفاروق والجابري، 2009، 154-155).

وتنتشر في عمان المجمعات التجارية التي يقصدها أهل المدينة وزوارها لغايات مختلفة، ومنها التسوق لشراء الحاجيات الشخصية والمنزلية، كما يقصدونها لغايات الترفيه؛ لأن هذه المجمعات التجارية توفر مساحات خاصة لتقديم خدمات متنوعة. وقد أصبحت هذه المجمعات المكان المفضل لشريحة كبيرة من أهالي عمان لقضاء حوائجهم الشخصية والعائلية، لأنها تضم العديد من المحال: الأغذية، الملابس الألعاب، صالونات الحلاقة، محال الهدايا، والمكتبات. ويرتبط إنشاء هذه المجمعات بعدة عوامل منها الديموغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية والجغرافية حددت الشروط والمتغيرات التي تحكم اختيار الموقع الجغرافي الأمثل لبناء هذه التجمعات. ويعد العائد الاقتصادي هو الفاعل الأهم في تحديد الموقع الجغرافي للمرافق الاقتصادية، وخاصة التجارية.

هذا وقد فسرت بعض النظريات أنماط توزيع كثير من الظواهر الجغرافية، وأسهمت في حل الكثير من المشكلات العمرانية والسكنية. فترى نظرية الموقع Location Theory أن أصحاب المحال والمتاجر دائماً ما يرغبون في ممارسة نشاطهم التجاري في أفضل موقع جغرافي يتمتع بأعلى قدرة ممكنة على جذب المستهلكين، وأفضل موقع يحقق أعلى نسبة ربح (مكي، 1989، 220).

وترى نظرية المكان المركزي Central Place Theory ضرورة وجود منهج تخطيطي مسبق قبل عملية اختيار الموقع، التي يمكن من خلالها اختيار أقصر الطرق التي توفر الخدمة لجميع المواقع داخل نطاق معين. وقد استخدمت هذه النظرية في اختيار مواقع الخدمات كالمجمعات التجارية، والمستشفيات، والمدارس، ومراكز الشرطة، والمناطق الصناعية، بهدف محاولة تحديد أفضل المواقع في كثير من المدن على اختلاف أحجامها (كبارة، 1998، 230).

ويرى أصحاب المدرسة الوضعية الذين يؤمنون بفكرة الإنسان الاقتصادي Economic Man، أن الإنسان يسعى دائماً إلى توفير الوقت والجهد والمال، وتحقيق الربح الأفضل. ومن ثم اختيار المكان الأمثل لتوقيع استثماره. وبالمثل فإن ذلك ينطبق على المستهلك الذي يسعى إلى تحقيق التوفير في الجهد والمال من خلال اختيار مكان التسوق الأقرب لقضاء حاجياته. غير أن استحداث فكرة المولات المغلقة والأسواق التجارية ذات الغايات المتعددة، قد طغت على فكرة التوفير في الجهد، فدفعت المتسوقين إلى أن يقصدوا المولات التجارية الكبيرة التي تتنوع فيها الحاجيات، بهدف شراء كافة المستلزمات حتى لو كانت بعيدة من الناحية الجغرافية عن مكان سكنهم.

هذا وقد أصبحت نظم المعلومات الجغرافية أمراً مهماً وضرورياً للمختصين والباحثين في حقل الجغرافيا بشكل عام، وللباحثين في حقل التخطيط الحضري والتحليل المكاني بشكل خاص.

الأمر الذي سهل على الباحثين إعداد الخرائط، وتوفير المعلومات، وتوزيع البيانات على الخرائط، وتحليل المعلومات وتنظيمها وتصنيفها. فأصبح اللجوء إلى استعمال نظم المعلومات الجغرافية أمراً لا غنى عنه في الكثير من الدراسات التطبيقية التي تتناول مختلف المجالات، ومنها المولات والأسواق التجارية. (جابر وسعد، 2012، 339).

الدراسات السابقة

اهتمت العديد من الدراسات العربية والأجنبية في الأسواق التجارية والمولات كظاهرة اقتصادية حديثة في الدول النامية. فاهتم بعضها بدراسة العوامل المؤثرة في اختيار المواقع الجغرافية للمولات وربطها بمجموعة من المتغيرات كحجم السكان والمسافة من مركز المدينة، وحجم الدخل، وسهولة المواصلات. (Ozhan etd.2002)

وعلى نحو شبيه حاول مكي، محمد شوقي (1986) تحليل نمط التوزيع المكاني للأسواق المركزية في مدينة الرياض في السعودية. ثم حاول تحديد خصائص المتسوقين من خلال استبانة وزعت عليهم في 248 مركزاً تجارياً لتحديد عادات الشراء ونوعية المتسوقين من حيث الجنسية، والتركيب العمري، والدخل.

وحاول الهاشمي، عماد وفالح، سلام عبدالله (1986) إيجاد العلاقة المكانية بين مواقع سكن المتسوقين ومواقع الأسواق التجارية في مدينة بغداد باستخدام نموذج الجاذبية. وأظهرت الدراسة أن القرب الجغرافي، وسهولة الوصول كانا من أهم العوامل المؤثرة في تكرار زيارة المولات والأسواق التجارية.

واهتمت بعض الدراسات باستطلاع آراء المستهلكين فيما يتعلق بالمتغيرات المؤثرة على اختيار المول كمكان للتسوق. وقد استطلعت أبو ركة، رشا (2015) آراء عينة من المبحوثين قوامها 30 متسوقاً في اثنين من مولات عمان الكبرى للتعرف على منطقة الظهير بالنسبة لكل من هذه المولات. وركزت هذه الدراسة على تجارة التجزئة وتطورها دون الاهتمام بالتوزيع الجغرافي للمولات.

وبالمثل اهتم الخطيب، فهد (2009) بالتعرف على آراء المتسوقين في تحديد أسباب زيارتهم للمولات. فمن خلال إجراء التحليل العاملي على 500 من المبحوثين ظهرت أهم المتغيرات المؤثرة على زيارة المولات. وتتشابه هذه الدراسة مع دراسة (Ozhan et al 2002) من حيث فحص العلاقة بين التوزيع الجغرافي للمولات، وحجم السكان، والبعد عن مركز المدينة. وتختلف هذه الدراسة عن دراسة أبو ركة، رشا (2015) أن الأخيرة تبحث أكثر في تطور تجارة

التجزئة في عمان، بينما اهتمت دراسة الزيود، ريم (2012) في المناطق التجارية في أمانة عمان الكبرى وليس المجمعات التجارية والمولات.

منطقة الدراسة

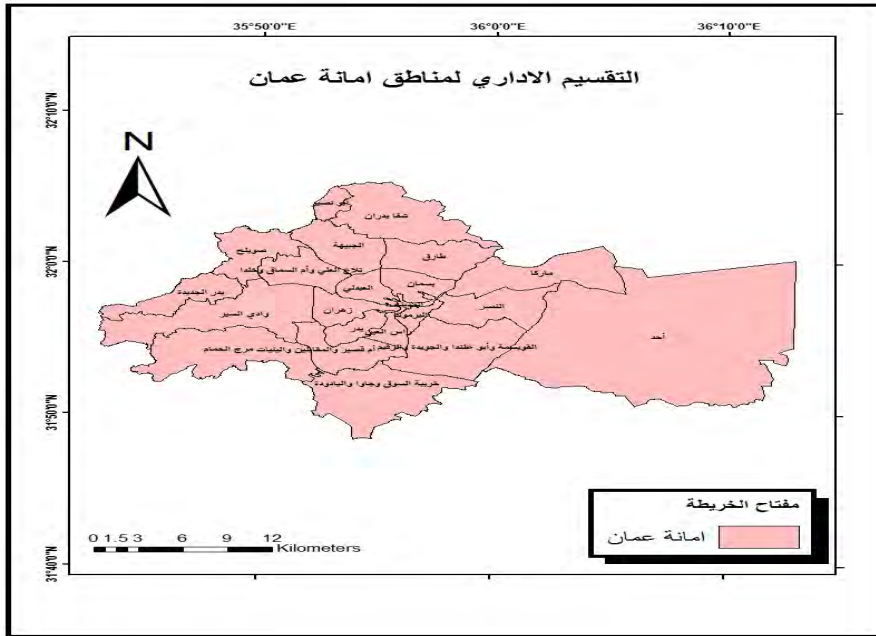
أمانة عمان الكبرى هي جزء من محافظة العاصمة عمان، وتقع في الجزء الشمالي الغربي من محافظة العاصمة. حيث تقدر مساحة أمانة عمان عام 2014 بنحو 800.59 كم²، وعدد سكانها 2,329,296 نسمة. وقد بدأت النواة الأولى لأمانة عمان الكبرى في عام 1909 م، حيث تم إنشاء أمانة عمان الكبرى تحت مسمى (مجلس بلدي عمان)، وبقي المجلس يحمل الاسم نفسه حتى عام 1950م. بعدها توسعت مدينة عمان، وازداد عدد سكانها في أعقاب حرب عام 1948م، وأصبح هذا المجلس يسمى بأمانة العاصمة. وفي عام 1987م، ونتيجة للتوسع المطرد لمساحة المدينة، وازدياد عدد سكانها، وإجراء تخطيط شامل للمدينة ومحيطها، تم رسمياً إعلان أمانة عمان الكبرى خلفاً لأمانة العاصمة (أمانة عمان الكبرى، 2014).

وتتكون أمانة عمان الكبرى من (22) منطقة إدارية، (11) في عمان الغربية هي: (منطقة المدينة، وادي السير، تلاع العلي وأم السماق وخلدا، زهران، أبو نصير، بدر، صويلح، شفا بدران، بدر الجديدة، الجبيهة، ومرج الحمام) و(11) منها في عمان الشرقية هي: (منطقة بسمان، النصر، اليرموك، القويسمة والجويذة وأبو علندا والرجيب، طارق، العبدلي، خريبة السوق وجاوا واليادودة، رأس العين، ماركا، أم قصير والمقابلين والبنيات، وأحد) كما يبين الشكل (1) (أمانة عمان الكبرى، 2014).

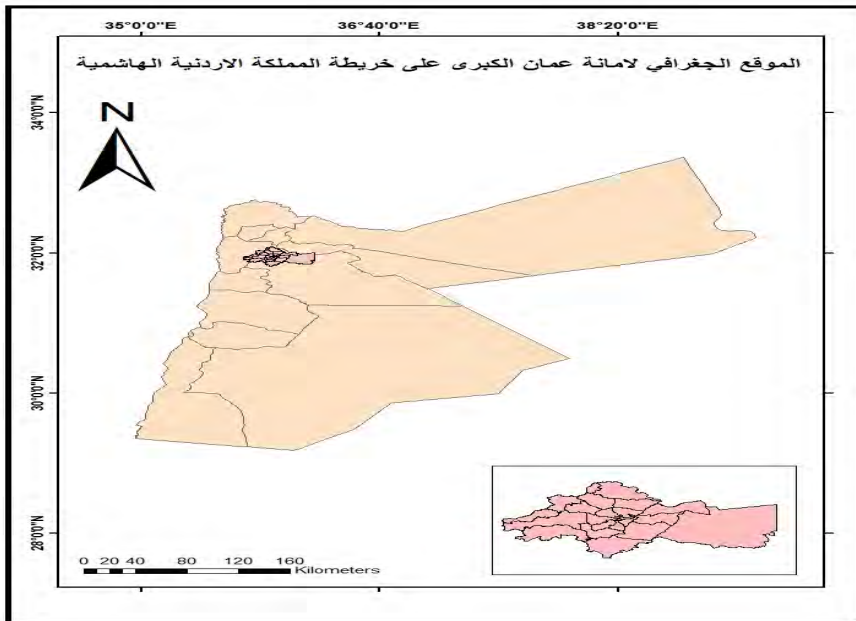
وفي بداية عام 2007 قررت أمانة عمان الكبرى ضم أراضٍ جديدة في جنوب عمان لتصبح ضمن حدود أمانة عمان الكبرى، وهي: (منطقة سحب، الجيزة، الموقر، ناعور، حسابن وأم البساتين) مما أدى إلى زيادة مساحتها إلى الضعف، ثم فصلت عنها في منتصف عام 2011، بقرار صادر عن رئاسة الوزراء (أمانة عمان الكبرى، 2014) (Assawsana.net) (Jordan.forums1.net).

وأمانة عمان الكبرى هي جزء من محافظة عمان التي تتكون من (9) ألوية هي: لواء الجامعة، وادي السير، ناعور، قصبة عمان، ماركا، الموقر، سحب، الجيزة، القويسمة. وتقدر مساحة محافظة عمان حوالي 800.59 كم². (التقرير السنوي للإحصاءات العامة، 2013) (الشكل (2)).

نمط التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى



الشكل (1): التقسيم الإداري لمناطق عمان / المصدر من عمل الباحثين



الشكل (2): الموقع الجغرافي لأمانة عمان / المصدر من عمل الباحثين

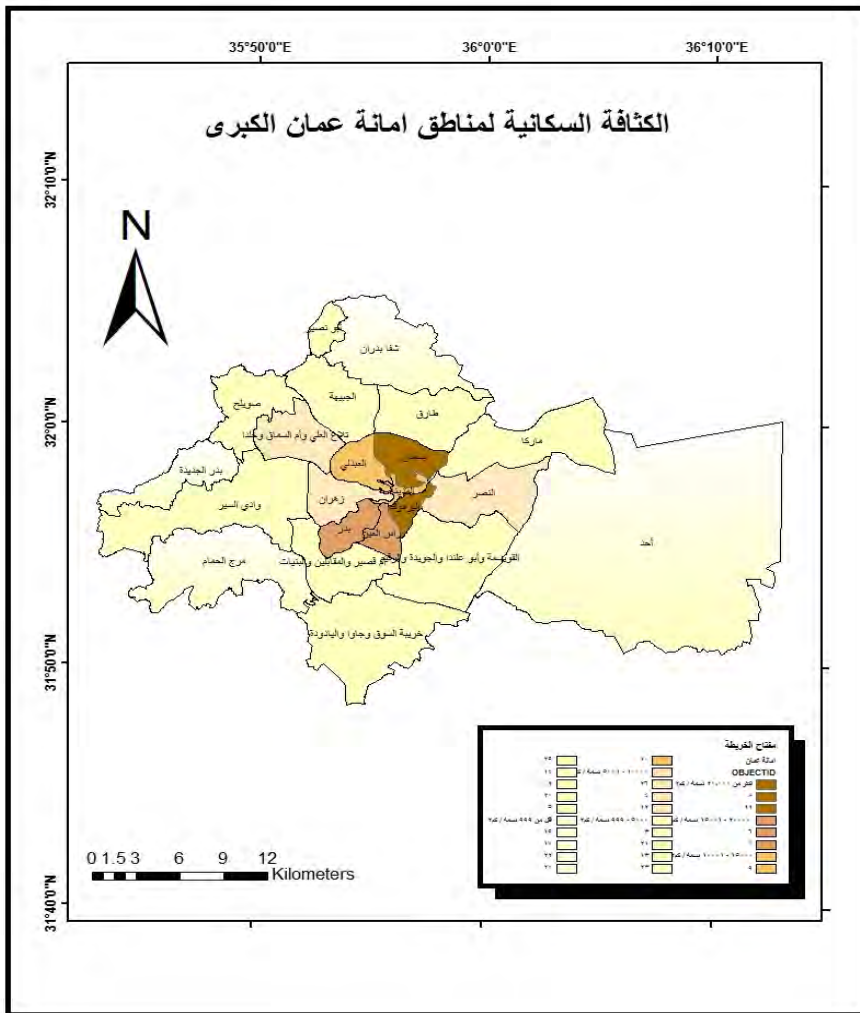
ولم يزد عدد سكان مدينة عمان عام 1930 عن عشرة آلاف نسمة، ارتفع إلى نحو 45,000 في منتصف الأربعينيات من القرن العشرين. وبعد نكبة فلسطين عام 1948، شهدت المدينة وصول عشرات الآلاف من المهاجرين الفلسطينيين. زاد عددهم بعد احتلال الضفة الغربية عام 1967، وهجرة أعداد كبيرة من الفلسطينيين إليها، فوصل عدد سكانها إلى نحو نصف مليون بعد حرب عام 1967. ودفع النمو السكاني إلى نشاط في العجلة التجارية، وانتشار المحال التجارية الصغيرة والعشوائية لتلبية احتياجات السكان الوافدين الجدد على المدينة، ولسد حاجات سكان مدينة عمان (Potter et al, 2009). ووصل عدد سكانها كما أسلفنا عام 2014 إلى نحو 2,329,296 نسمة. (دائرة الإحصاء العامة، 2015)

وفي فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين شهدت عمان نمواً اقتصادياً هائلاً وسريعاً، حيث اتاحت للكثير من الأردنيين فرص عمل في أقطار الخليج العربي، ما سمح بإدخال كميات كبيرة من الأموال إلى الأسواق في مدينة عمان. وأدى اندلاع الحروب في المنطقة إلى إيواء مدينة عمان لعدد كبير من اللاجئين العراقيين (بعد حرب 1991 وحرب 2003) إذ بلغ عددهم بناءً على إحصاءات غير رسمية 1.4 مليون عراقي يعيش معظمهم في مدينة عمان. وقد أدت هذه الظروف إلى نمو المدينة سكانياً واقتصادياً وظهور استثمارات ضخمة في أسواق العاصمة عمان (Potter et.al, 2009).

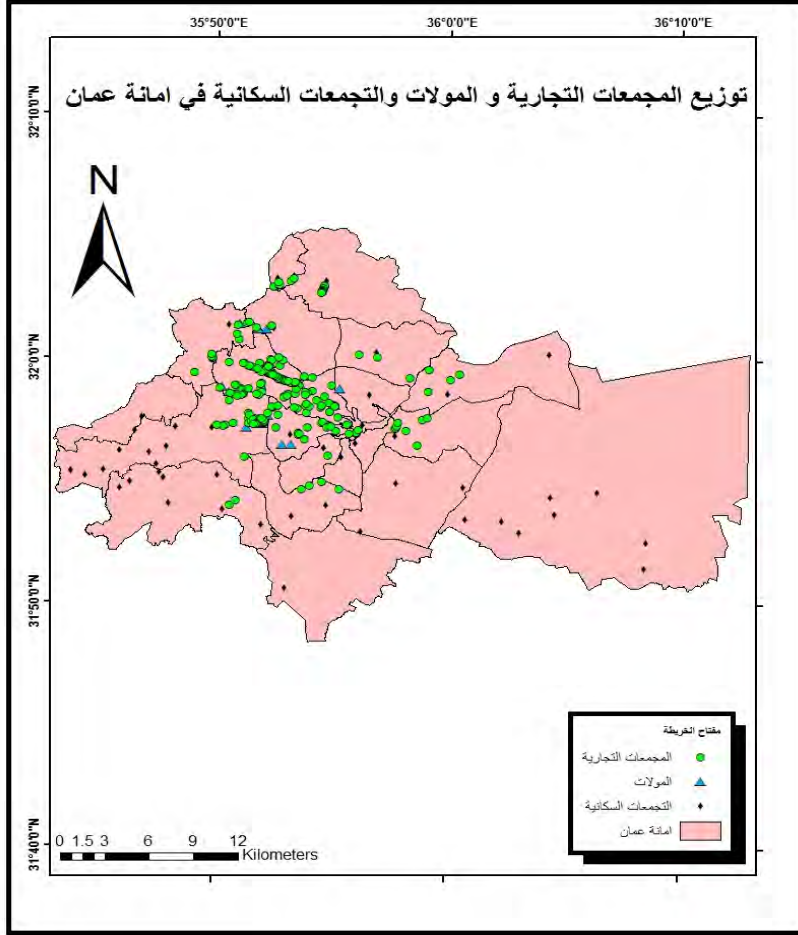
وفي عام 2006 بدأت أمانة عمان الكبرى بوضع إطار تخطيطي جديد للمدينة، وذلك بسبب الحاجة الملحة لحماية النسيج الثقافي للمنطقة التجارية فيها. فمند أواخر التسعينيات استفادت مدينة عمان من استثمارات دول الخليج الضخمة في العقارات والأسواق التجارية والمولات الضخمة. وقد أدى هذا النمو السكاني الهائل والسريع إلى تغييرات كبيرة في نسيج المدينة. فنمت المدينة وتوسعت لاستيعاب السكان الجدد. وقد تمت عملية الاستيعاب بطريقة الاستقطاب، حيث يمكن ملاحظة فجوة واضحة جداً بين شرق عمان وغربها. واستوعبت مناطق عمان الشرقية التي تحتوي على أحياء فقيرة وتجمعات عمرانية غير ملتزمة بالمعايير التنظيمية، معظم هؤلاء المهاجرين. (أمانة عمان الكبرى، 2014)

ويحدد عدد السكان حجم الخدمات، ونوعيتها، ودرجة الحاجة إليها، ومستوى استهلاكها، وخريطة توزيعها الجغرافي ضمن التجمعات العمرانية والسكنية والإقليمية. حيث يزداد حجم حاجة السكان إلى الخدمات وتخصصها واستهلاكهم لها، وكذلك توزيعها الجغرافي، مع ازدياد أعداد السكان في المراكز العمرانية أو الإقليمية (دياب وخضره، 2005، 187) (مصليحي، 2001، 37).

تكونت عمان القديمة، أو ما يسمى بوسط البلد، في المنطقة الشرقية الحالية، من منطقة سقف السيل الذي هو أحد روافد نهر الزرقاء، وحول شارع الملك حسين. ثم تطورت شرقا وغربا وخاصة في المنطقة الغربية لتظهر عمان الغربية. وبعد ذلك أضيفت المناطق الجنوبية وهي مناطق سحاب، والموقر، والجيزة، وناعور، وحسبان وأم البساتين، لتصبح جزءا من مناطق أمانة عمان الكبرى. ويوضح الجدول (1) و(2) والشكل (3) الكثافة السكانية في أمانة عمان الكبرى، ويبين الشكل (4) توزيع المولات والمجمعات التجارية والتجمعات السكانية في أمانة عمان الكبرى. (الملحق رقم 1)



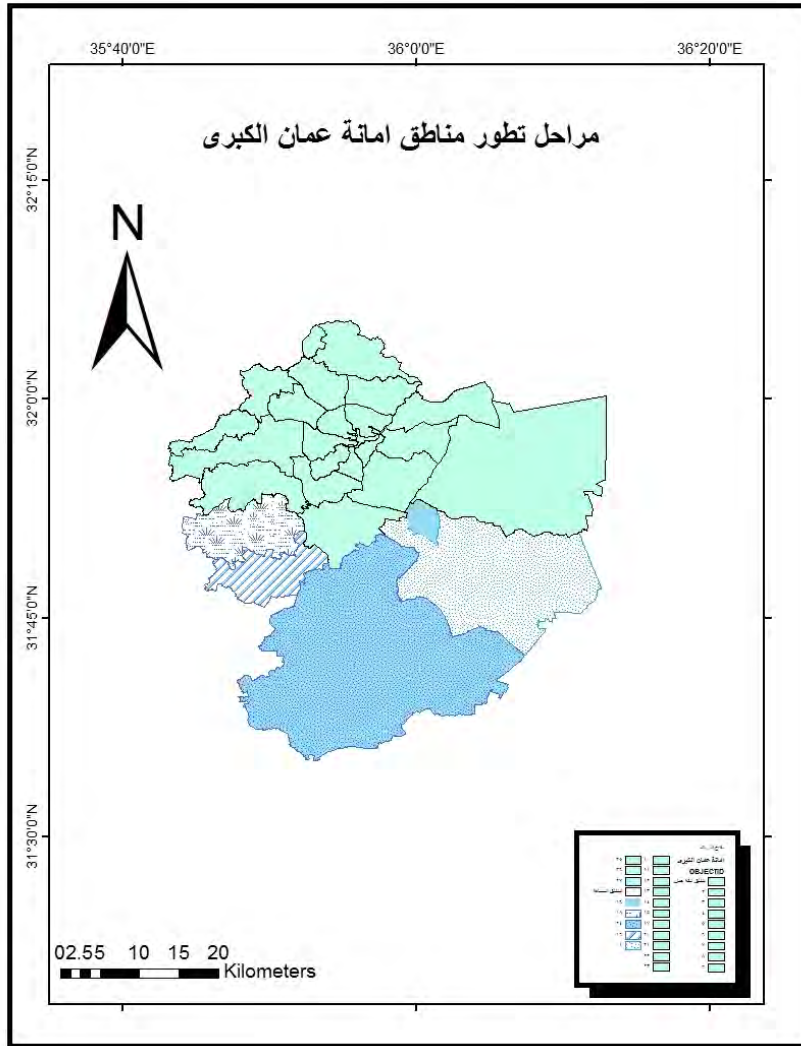
شكل (3): الكثافة السكانية في مناطق أمانة عمان / المصدر من عمل الباحثين



الشكل (4): التوزيع الجغرافي للمجمعات والمولات / المصدر من عمل الباحثين

التطور المساحي لأمانة عمان الكبرى

في عام 1987م تكونت مدينة عمان الكبرى من (14) منطقة تتبع لسته ألية هي: لواء القصة (منطقة المدينة وبدر) ولواء ماركا (منطقة طارق) ولواء القويسمة (مناطق القويسمة، والجويده، وأبو علندا، والرجيب، وخريبة السوق وجاوا واليادودة، وأم قصير والمقابلين والبنيات) ولواء الجامعة (مناطق الجبيهة، وصويلح، وتلاع العلي وخلدا وأم السماق، وشفا بدران) ولواء وادي السير (منطقة وادي السير). وكانت مساحة أمانة عمان الكبرى آنذاك تقدر بنحو 522 كم² (أمانة عمان الكبرى، 1987).



الشكل (5): مراحل تطور الأمانة / المصدر: من عمل الباحثين استنادا لبيانات الأمانة

وفي عام 2014 أضيفت لأمانة عمان الكبرى مناطق جديدة هي: (العبدلي، ورأس العين، وزهران، واليرموك من لواء القصبه، وماركا والنصر وبسمان من لواء ماركا، وأبو نصير من لواء الجامعة، وبدر الجديدة ومرج الحمام من لواء وادي السير، ومنطقة أحد وهي أحد التجمعات التي تتبع لبلدية سحاب إداريا، ولكنها تنظيميا تتبع لأمانة عمان الكبرى (أمانة عمان الكبرى، 2014).

وفي عام 2014 أيضاً أصبحت أمانة عمان الكبرى تتكون من (27) منطقة حيث أضيفت إليها: منطقة سحاب من لواء سحاب وحسبان وأم البساتين من لواء ناعور ومنطقة الجيزة من لواء الجيزة ومنطقة الموقر من لواء الموقر وناعور. (أمانة عمان الكبرى، 2014). (شكل رقم 5). غير أن هذه المناطق الأخيرة فصلت عنها لاحقاً، وبقيت مناطق الأمانة كما كانت قبل ضم سحاب وحسبان وأم البساتين والجيزة والموقر.

تجارة التجزئة في عمان

يطلق على عملية بيع السلع وتوفير الخدمات إلى المشتري النهائي، اسم تجارة التجزئة، والتي هي جزء أساسي من نظام سلسلة التوريد. وتعمل تجار التجزئة على شراء السلع أو المنتجات بكميات كبيرة من الشركات المصنعة الأساسية أو عن طريق تجار الجملة، ومن ثم تباع بكميات صغيرة للمستهلك للحصول على الأرباح (Time, 2014). والتجارة قسمان: بيع بالجملة يتضمن تحريك وتدوير لرأس المال عن طريق شراء كميات كبيرة من السلع والمنتجات وبيعها بالجملة. ويكون المردود فيها متواضعاً، حيث يتحقق الربح للتاجر من تكرار عملية البيع والشراء، وبيع بالتجزئة أو تجارة القطاعي، التي يتم من خلالها إيصال المنتج مباشرة إلى المستهلك من خلال المحال التجارية والسوبر ماركت. وتجار التجزئة هي أكثر انتشاراً بين الناس والأماكن. وهي بالإضافة لانتشارها تمتاز بمتطلباتها العالية من المهارة في التسويق (mawdoo3.com).

ومراكز التسوق القطاعي، أو البيع بالمفرق أربعة أنواع حسبما حددها المجلس الدولي لمراكز التسوق: أولها مراكز الأحياء، التي توفر المتطلبات اليومية للمتسوقين، كمحال السوبر ماركت والصيدليات ومطاعم الوجبات السريعة. يليها مراكز التسوق المجتمعية المحلية، التي تقدم الخدمات للمجتمعات الدينية أو الطائفية أو العرقية، كتلك المراكز التي تقدم البضائع الخاصة بالمجتمعات المسلمة في أوروبا. أما مراكز التسوق الإقليمية، فتمتاز بتنوع بضائعها، وشموليتها، ومن ذلك مراكز التسوق التي تحتوي على مخازن خاصة بالموضة. ومن أمثلتها في عمان مكة مول، وسيتي مول، وتاج مول. وأما النوع الرابع والأخير فهو مراكز التسوق فوق الإقليمية، التي تشبه المراكز الإقليمية من حيث الاختصاص، غير أنها أكبر من حيث الحجم، لأنها تخدم عدداً أكبر من السكان. وهي مصممة بطريقة مريحة، ومغلقة في الغالب. ولا تحتوي عمان على مثل هذه المراكز. (أبو ركة، رشا، 2015)

وتزداد قوة تجارة التجزئة في الأردن، حيث تحتل الأردن المرتبة 18 عالمياً من أصل 30 دولة في قوة تجارة التجزئة، والخامسة عربياً حسب تقرير مؤسسة (A.T.Kearney). (Satelnews.com) حيث تزداد أهمية تجارة التجزئة في الأردن بسبب تزايد أعداد السكان المؤدي إلى تزايد مؤسسات التجارة نتيجة تزايد الطلب على جميع الأنواع بمختلف أشكالها إلى

جانب جذب الاستثمارات المحلية والخارجية إلى هذه التجارة بسبب سهولتها وتوفير الخبرات والمهارات التي تحتاجها (Coca-Stefaniak, et. Al, 2009).

وقد تطورت تجارة التجزئة في الأردن على أربع مراحل: ظهرت خلال المرحلة الأولى الدكاكين أو البقالات، وهي التي تتخصص ببيع السلع من نوعية واحدة مثل دكاكين الخضار والفواكه أو مثل تلك التي توفر المواد التموينية. وتقوم الدكان بخدمة منطقة صغيرة كالقرى والبلدات الصغيرة والأحياء الصغيرة في المدن. وظهرت السوبر ماركت الصغيرة (ميني ماركت) في المرحلة الثانية، وتوفر هذه المراكز سلعاً متنوعة ومختلفة كالمواد التموينية والغذائية والخضار والفواكه. وفي المرحلة الثالثة ظهرت السوبر ماركت الضخمة (هايبر ماركت) التي توفر كل الحاجات المنزلية من مواد غذائية وفواكه وخضار ولحوم. أما ظاهرة المولات فقد ظهرت في المرحلة الرابعة.

ولعل أهم الظواهر المستحدثة التي قام بها المستثمرون في أمانة عمان الكبرى هي إقامة المراكز التجارية (المولات والمجمعات التجارية) في مناطق مختلفة من الأمانة. وقد امتلك العديد من مواطني دول الخليج العربية، وكبار أثرياء العرب عقارات وأعمالاً تجارية في مناطق عمان الغربية. وكان ذلك من أهم الأسباب التي ساعدت على تركيز توزيع ظاهرة المولات والمجمعات التجارية فيها (Jordan.forums1.net).

وقد تزايد إقبال المستثمرين على الاستثمار في المولات والمجمعات التجارية لما تحققه من نجاحات بالنسبة للجدوى الاقتصادية، وخصوصاً في ظل تزايد أعداد السكان، وهو ما أنعش قطاع تجارة التجزئة. كما يسهم إنشاء مراكز التسوق في أمانة عمان في انتعاش سياحة التسوق. والمول هو نوع من أنواع المراكز التجارية المغلقة البناء، وذات التصميم الهندسي المتقن، والتي تحتوي على أقسام عديدة ومتنوعة للبيع، ومنها الهايبر ماركت والمقاهي ومحال متنوعة لبيع جميع السلع كالأطعمة والملابس والأدوات الكهربائية والخدمات الترفيهية والتسويقية.

مراحل تطور المناطق التجارية في عمان

مرت المناطق التجارية في عمان في ست مراحل: امتدت المرحلة الأولى بين عامي (1950-1960)، وبلغت مساحة الاستعمال التجاري فيها ما يقارب (0.5) كم². وتميزت هذه المرحلة بظهور حركة نشطة في المجالين العمراني والتجاري بسبب الهجرة الداخلية، وهجرة اللاجئين الفلسطينيين عقب احتلال فلسطين عام 1948م. وتعد هذه المرحلة بداية للتخطيط والبناء، وزيادة أعداد السكان، الأمر الذي زاد الطلب على السكن والخدمات التجارية. تلتها المرحلة الثانية بين عامي (1967-1972)، التي شهدت نمواً سكانياً مفاجئاً نتيجة قدوم أعداد كبيرة من

اللاجئين الفلسطينيين نتيجة الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة عام (1967)، وهو ما أدى إلى توسع عمان عمرانياً وخاصة ضواحي الجبيهة، وصويلح، ووادي السير، والرصيفة. وتميزت هذه المرحلة بظهور مراكز تجارية حديثة مثل مركز الوحدات في اليرموك، وماركا التجارية (حي المطار). وامتدت المرحلة الثالثة بين عامي (1973-1981) حيث شهدت عمان انتعاشاً في النشاط الاقتصادي، واستقطبت رؤوس الأموال من الخارج. واستمر التركيز التجاري في مدينة عمان. ومن أهم المناطق التجارية التي ظهرت في هذه المرحلة: مركز صويلح التجاري، ومنطقة الشميساني التجارية. وامتدت المرحلة الرابعة ما بين عامي (1982-1989). حيث شهدت هذه الحقبة العديد من الأحداث السياسية والاقتصادية على الصعيدين الداخلي والخارجي، انعكست بشكل ملموس على الاقتصاد الأردني إيجاباً وسلباً. كما أدت عودة العديد من المغتربين من دول الخليج العربي نتيجة حرب الخليج الأولى (إيران- العراق 1980-1988) إلى زيادة السكان، جنبا إلى جنب مع النمو العمراني والتجاري. وشهدت هذه المرحلة ظهور مركز تجاري ثانوي في منطقة وادي السير، والمعروف بمنطقة الصويفية التجارية. وامتدت المرحلة الخامسة بين عامي (1990-2002) شهدت خلالها العاصمة عمان نمواً سكانياً وعمرانياً تخلله العديد من المشاريع الاستثمارية نتيجة عودة الآلاف من العمالة الأردنية من الكويت ودول الخليج الأخرى نتيجة لحرب الخليج الثانية. وتطورت مساحة الاستعمال التجاري لتصل إلى ما يقارب (9.5) كم². وظهرت مراكز تجارية جديدة في منطقة تلاع العلي، وزهران، وعبدون، والرابية (حي السلام). وامتدت المرحلة السادسة ما بين عامي (2003-2009) حيث شهد الأردن فيها بشكل عام وعمان بشكل خاص حركة اقتصادية نشطة، بسبب موجة الهجرة العراقية، التي شملت عدداً كبيراً من أصحاب رؤوس الأموال. الأمر الذي رفع مستوى الاستثمارات في المناطق الطرفية، وهو ما تسبب في إنحسار النشاط التجاري في المنطقة المركزية الرئيسية في وسط البلد (الزيود، ريم. 2012، ص 82-117).

التطور التاريخي لظاهرة المولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان

بلغ عدد المولات في محيط أمانة عمان الكبرى (16) مولاً تجارياً، توزعت على مناطق مختلفة هي: (مكسيم مول، صويلح مول، الجامعة مول، مجدي مول، عبدون مول، نعمان مول، سيتي مول، مكة مول، البركة مول، سيفوي الدوار السادس، وسيفوي شمساني، سامح مول، والاستقلال مول، كوزمو مول، تاج مول، ومختار مول).

ويعدّ سيفوي الشميساني أول المولات التجارية التي أنشئت في العاصمة عمان. ففي عام 1987م بدأ تأسيس سيفوي ليقدم خدمات شرائية في الأردن. وفي عام 1991 بدأ يستقبل

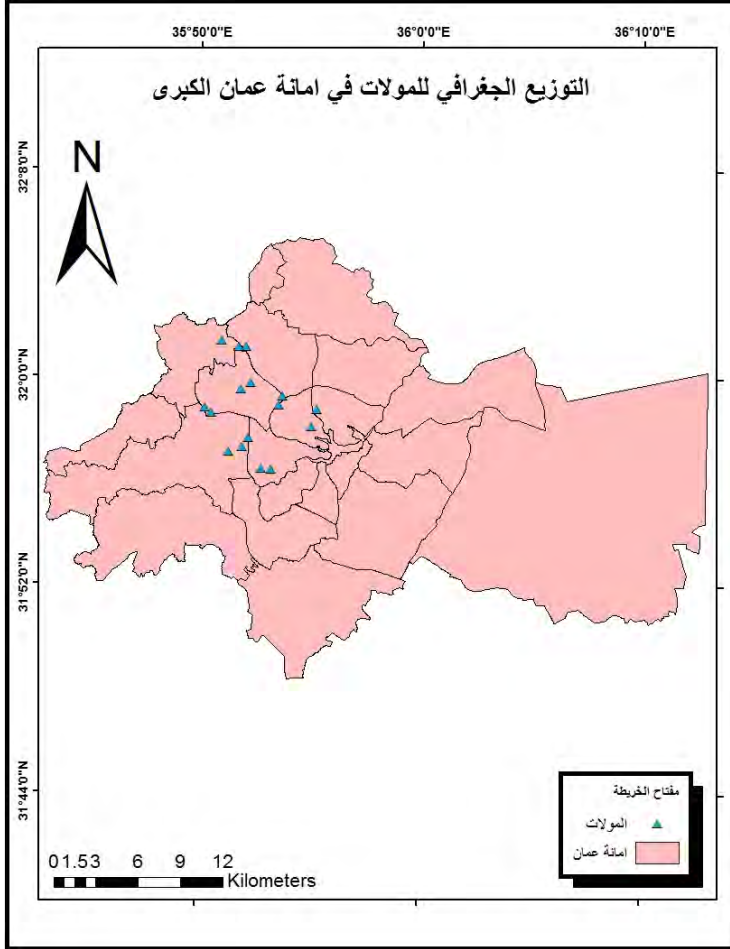
الزبائن ويقدم خدمات للجمهور، ومع النجاح المتوقع للسيفوي تم إنشاء العديد من الأفرع في المملكة بشكل عام، وضمن نطاق أمانة عمان بشكل خاص (موقع سيفوي الإلكتروني، 2015).

وفي عام 1992 افتتح في جبل الحسين مكسيم مول ليقدم خدمات متنوعة لسكان المنطقة والمدينة. وأنشئ كذلك في منطقة الجامعة في العام نفسه مجدي مول ليقدم مختلف الخدمات الشرائية للسكان في عمان. وفي عام 2001م أسست مجموعة شركات الكردي في منطقة عبدون، عبدون مول ليقدم مختلف الخدمات لسكان المنطقة والمدينة. وبعد أن لقي عبدون مول النجاح الباهر، افتتحت الشركة نفسها في عام 2003م أبواب مكة مول ليكون أكبر مول في العاصمة عمان مقدماً بذلك ثورة في عالم الأسواق والمجمعات التجارية في الأردن. وقدم مكة مول مختلف الخدمات الترفيهية والشرائية وخدمات عامة للسكان ضمن نطاق أمانة عمان الكبرى (meccamall.jo).

وفي عامي 2004م و2005م، تم تأسيس نعمان مول في منطقة الشميساني، ليقدم العديد من الخدمات التسويقية لسكان المنطقة. وفي عام 2005 تم افتتاح الاستقلال مول ليقدم مختلف الخدمات التسويقية والترفيهية لسكان منطقة الاستقلال وبسمان. وفي عام 2007 افتتح سيتي مول عمان على أضخم مساحة للمولات في الأردن، ليقدم خدمات ترفيهية وتسويقية وخدمات عامة لسكان المنطقة (citymall.jo). وفي عام 2013 تم افتتاح تاج مول في منطقة عبدون ليقدم هو الآخر العديد من الخدمات لسكان مدينة عمان. ويعد عريفة مول في منطقة طارق من أحدث المولات، والذي أنشئ عام 2014 ضمن حدود أمانة عمان الكبرى.

وتتوزع غالبية المولات التجارية في أمانة عمان الكبرى على المناطق الغربية للأمانة بالتحديد منطقة تلاع العلي وأم السماق وخلدا حيث يوجد فيها (6) مولات، وصويلح (2)، والجبيهة (1)، وزهران (2)، ووادي السير (3). في حين تكاد تخلو منطقة أبو نصير، والمدينة، وشفا بدران، ومرج الحمام، وبدر الجديدة، وبدر، من المولات (المسح الميداني).

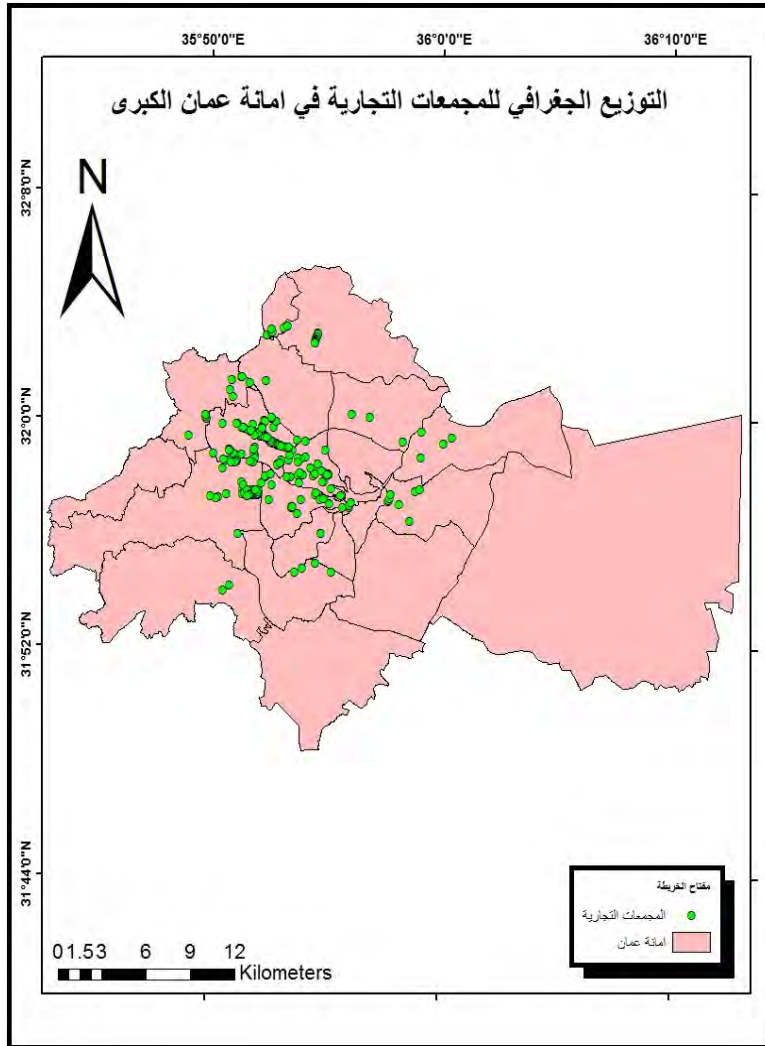
في حين يوجد مولان فقط في مناطق أمانة عمان الشرقية وهما: مكسيم مول في منطقة العبدلي، واستقلال مول في منطقة بسمان. إلا أنه تم حديثاً إنشاء عريفة مول في منطقة طارق ليصبح عددها ثلاثة مولات في الشق الشرقي من الأمانة. في حين تكاد تخلو المناطق التالية من المولات: منطقة أم القصير والمقابلين والبنيات، والجيزة، وأحد، والقويسمة وأبو علندا والجوييدة والرقيم، والموقر، والنصر، واليرموك، وبسمان، وخريبة السوق وجاوا واليادودة، ورأس العين، وماركا. ويظهر الشكل (6) التوزيع الجغرافي للمولات التجارية الكبرى في أمانة عمان الكبرى.



الشكل (6): توزيع المولات

وبلغ عدد المجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى (224) مجمعا تجاري موزعة على مناطق أمانة عمان الغربية والشرقية. حيث يبلغ عددها في مناطق أمانة عمان الغربية (176) مجمعا، في حين بلغ عددها في مناطق أمانة عمان الشرقية (48) مجمعا. وتتوزع غالبية المجمعات التجارية في مناطق امانة عمان الغربية، وبالتحديد في منطقة تلّاع العلي وأم السماق وخلدا، حيث يوجد فيها (72) مجمعا تجاريا. ومنطقة مرج الحمام (2)، وبدر (1)، وزهران (15)، وشفا بدران (15)، وأبو نصير (4)، وصويلح (12)، ووادي السير (52)، والمدينة (2)، والجبيهة (1). في حين تخلو منطقة بدر الجديدة، من المجمعات التجارية.

أما فيما يخص مناطق أمانة عمان الشرقية فتوجد فيها المجمعات التجارية بنسب ضئيلة بالمقارنة مع مناطق أمانة عمان الغربية وهي كما يلي: منطقة أم القشير والمقابلين (4)، والعبدلي (30)، وطارق (3)، وماركا (4)، والنصر (6). في حين تكاد تخلو منطقة الجيزة، وأحد، والقويسمة وأبو علندا والجويذة والرقيم، والموقر، واليرموك، وبسمان، وخريبة السوق وجاوا والبادودة، ورأس العين من المجمعات التجارية. ويظهر الشكل (7) التوزيع الجغرافي للمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى.



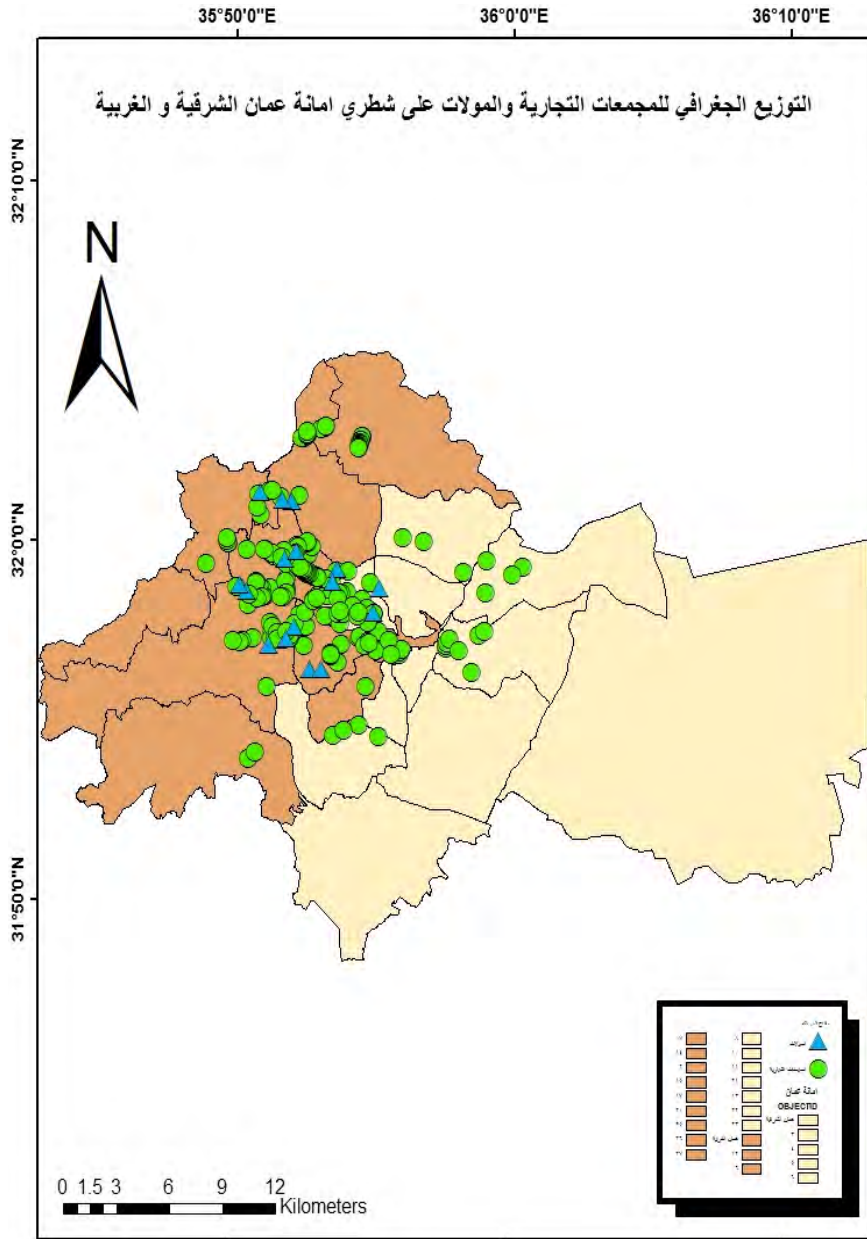
الشكل (7): توزيع المجمعات التجارية

ويتركز معظم المجمعات التجارية ومعظم المولات التجارية الضخمة في محيط هذه المناطق، حيث يكاد يقتصر وجود غالبية المولات في مدينة عمان على الأحياء الراقية التي يسكنها الأثرياء، وتلبي جميع احتياجاتهم، باستثناء مكسيم مول واستقلال مول وعريفة مول المقام حديثاً، التي تقع ضمن نطاق مناطق أمانة عمان الشرقية. وفي المقابل تعد الأسواق الصغيرة وأسواق الأرصفة والباعة المتجولون ظاهرة مميزة للأحياء الشعبية التي يسكنها الفقراء ومتوسطو الدخل في عمان الشرقية. وتتأثر عملية تموضع المولات والمجمعات التجارية في أي مكان في العالم بعدة عوامل منها: مدى الحاجة إليها والطلب عليها، ومرونة الخدمات المقدمة منها، ومدى ارتباطها بأماكن سكن المنتفعين منها. وفي ظل التزايد على الخدمات في المدينة أصبحت الحاجة إلى مركزية تكبير المناطق التسويقية للخدمات، وحاجة الخدمات إلى الهدوء والسكون.

ويمكن أن نرى أن ظاهرة انتشار المجمعات التجارية والمولات في أمانة عمان ناتجة عن حجم دخول السكان وتركيباتهم الاجتماعية ومستواهم المعيشي، إذ تؤثر دخول الأفراد والأسر في حجم الاستهلاك للخدمات المختلفة، وفي نوعية الخدمات المطلوبة. فكلما زادت الدخول ازدادت الحاجة إلى الخدمات المأجورة الراقية الغالية الثمن، وأيضاً إلى الخدمات المعمرة والكمالية والتنقلية. ويوضح الشكل (8) توزيع المجمعات التجارية والمولات على مناطق أمانة عمان الغربية والشرقية.

كما يظهر الشكل (8) تركيز توزيع المولات في عمان الغربية التي احتوت على (14) مولا من أصل (16) مولا. في حين احتوت عمان الشرقية على مولين فقط هما: مكسيم مول واستقلال مول، ومول ثالث مقام حديثاً في منطقة طارق هو عريفة مول. أما فيما يتعلق بالمجمعات التجارية فإن غالبية المجمعات التجارية هي في مناطق عمان الغربية (مرج الحمام، وبدر، وزهران، وشفا بدران، وابو نصير، وصويلح، ووادي السير، والمدينة، والجبيهة، وبالتحديد في مناطق تلاع العلي وأم السماق وخلدا). وعدد قليل منها موزعة على مناطق عمان الشرقية في مناطق: طارق، وماركا، والنصر، وأم القصير والمقابلين، والعبدلي. ويوضح الجدول (3) مناطق أمانة عمان الغربية والشرقية وأعداد المولات والمجمعات التجارية التي تتوزع على مناطقها.

نمط التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى



الشكل (8): توزيع المولات / المصدر من عمل الباحثين

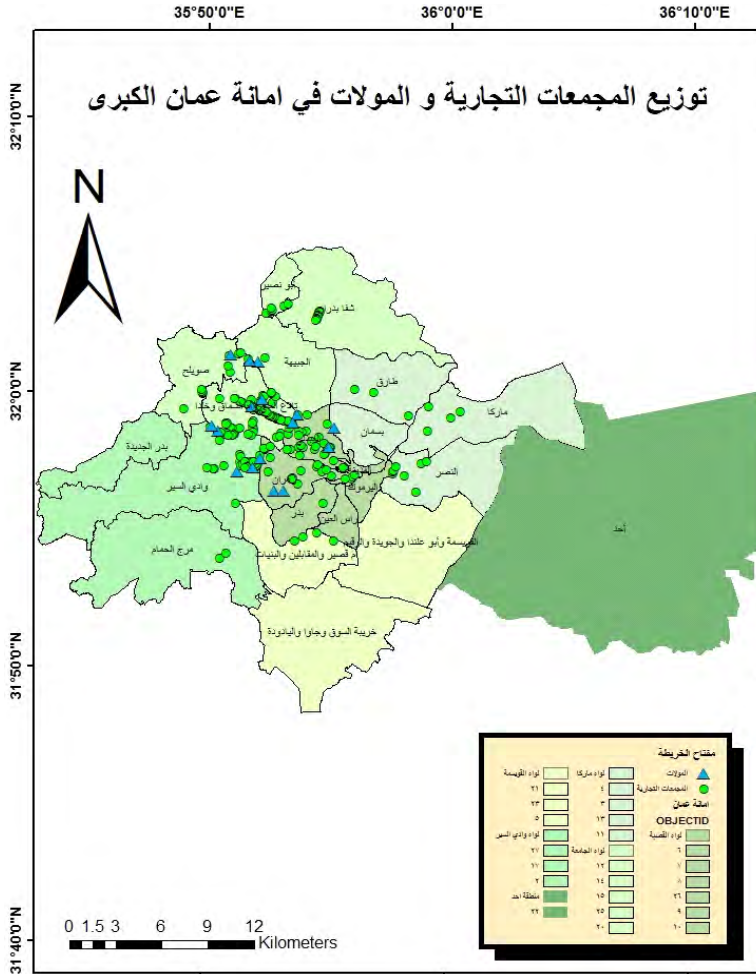
جدول (3): توزيع المولات والمجمعات التجارية على مناطق أمانة عمان الكبرى

مناطق أمانة عمان الغربية	عدد المولات التجارية	عدد المجمعات التجارية	مناطق أمانة عمان الشرقية	عدد المولات التجارية	عدد المجمعات التجارية
المدينة	لا يوجد	2	بسمان	1	لا يوجد
وادي السير	3	52	النصر	لا يوجد	6
تلاع العلي وأم السماق وخذلا	6	72	القويسمة والجويذة وأبو علندا الرقيم	لا يوجد	لا يوجد
زهران	2	15	اليرموك	لا يوجد	لا يوجد
ناعور	لا يوجد	لا يوجد	طارق	لا يوجد	3
حسبان وأم البساتين	لا يوجد	لا يوجد	خربة السوق وجاوا واليادودة	لا يوجد	لا يوجد
أبو نصير	لا يوجد	4	الجيزة	لا يوجد	لا يوجد
بدر	لا يوجد	1	الموقر	لا يوجد	لا يوجد
بدر الجديدة	لا يوجد	لا يوجد	سحاب	لا يوجد	1
صويلح	2	12	العبدلي	1	30
شفا بدران	لا يوجد	15	أحد	لا يوجد	لا يوجد
الجبيلة	1	1	رأس العين	لا يوجد	لا يوجد
مرج الحمام	لا يوجد	2	ماركا	لا يوجد	4
			أم القصير والمقابلين والبنيات	لا يوجد	4

المصدر: من عمل الباحثين.

أما فيما يتعلق بتوزيع المولات على أُلوية المحافظة، فقد تبين أن المولات تتركز في الأُلوية التالية: لواء الجامعة، وفيه (6) مولات، ولواء وادي السير وفيه (2)، ولواء قصبة عمان وفيه (7)، ومول واحد فقط في لواء ماركا هو استقلال مول. في حين يخلو لواء الموقر، والجيزة، والقويسمة من المولات. أما المجمعات التجارية فيتركز معظمها في لواء الجامعة وفيه (105)، و(74) في قصبة عمان، وفي وادي السير (41)، وفي ماركا (17)، وفي القويسمة (5)، ومجمع واحد فقط في لواء سحاب هو مجمع حتاملة إخوان. في حين تخلو أُلوية الجيزة، والموقر، وناعور، من المجمعات. (الشكل 9).

نمط التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى



الشكل (9): توزيع المولات / المصدر من عمل الباحثين

تحليل نمط توزيع المولات والمجمعات التجارية باستخدام منحنى لورنز

يستخدم الجغرافيون هذه التقنية الإحصائية لقياس مدى التركيز، والانتشار في التوزيعات المكانية. ويختلف هذا التحليل عن تحليل صلة الجوار بأنه يوازن بين التوزيع الفعلي والتوزيع المثالي لعناصر الظاهرة، في حين يقيس تحليل صلة الجوار درجة اختلاف التوزيع الحالي عن التوزيع المركز. ويقيس منحنى لورنز مدى عدالة التوزيع وانتظامه. والهدف من المنحنى هو قياس درجة التركيز والانتشار للتوزيع المكاني للمجمعات التجارية على وحدة المساحة لمدينة عمان، بعد

توقيع نسب المجمعات التجارية في مدينة عمان بالنسبة للمساحة (السرياني والصالح، 2000، ص 239-242).

ولقد تم حساب النسب المئوية لمساحات المناطق، وأعداد السكان وأعداد المولات والمجمعات التجارية في المناطق التي تتكون منها أمانة عمان. وكذلك حساب المجمعات الصاعدة لكل منها في كل منطقة بعد ترتيبها تنازليا وفقا لمعامل التفاضل. وتظهر نتائج الحسابات أن أكثر من (32.3%) من مجموع المجمعات في أمانة عمان تتركز في منطقة تلاع العلي وخلدا وأم السماق التي تساوي مساحتها نحو (2.468%) من مجمل مساحات المناطق التي تتكون منها أمانة عمان. وفي المقابل فإن (0.4%) من مجمل عدد المجمعات توجد في منطقة مساحتها نحو (3.235%) من مساحة الأمانة، وهي منطقة الجبيهة. وتبين أيضا أن أكثر من (37.5%) من مجموع عدد المولات في أمانة عمان تتركز في منطقة تلاع العلي وخلدا وأم السماق التي تساوي مساحتها (2.468%) من مجمل مساحات المناطق التي تتكون منها أمانة عمان. وفي المقابل أيضا فإن (6.2%) من مجمل عدد المولات توجد في منطقة مساحتها نحو (3.235%) من مساحة الأمانة هي منطقة الجبيهة. وبالطبع فإن قرينة معامل التفاضل هي الدليل على مدى تركيز المولات والمجمعات التجارية.

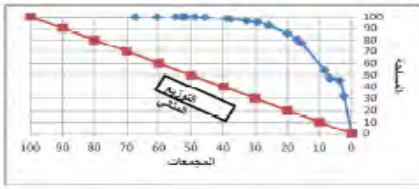
ولبيان ذلك بصورة بيانية، تم رسم منحني لورنز الذي يظهر مدى التباين بين مساحات المناطق وأعداد المولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان. ويظهر الخط القطري المستقيم في الأشكال رقم (10 و 11 و 12)، التناسب الأمثل بين عدد المولات والمجمعات التجارية ومساحات المناطق. وفيما يظهر الخط القطري المحذب التناسب الحقيقي، أو التوزيع الواقعي للمولات والمجمعات على المساحات التي تتكون منها مناطق أمانة عمان الكبرى.

معامل ارتباط بيرسون للعلاقة بين السكان والمولات والمجمعات التجارية

وهو يعد من أقوى مقاييس الارتباط، حيث تم تطبيق هذه المعامل على متغيرين هما: عدد السكان وعدد المولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى، لمعرفة مدى تلازم هذين المتغيرين: المتغير المستقل وهو السكان، والمتغير التابع وهو المولات والمجمعات. وقد أظهرت نتائج معامل بيرسون أن الارتباط بالنسبة للمجمعات هو (0.15) وبالنسبة للمولات (0.22)، وهي قيمة أقرب إلى الصفر، ومن ثم فهي ضعيفة جدا. وتعد العلاقة قوية إذا زادت عن (0.50)، وقوية جدا إذا زادت عن (0.80) (الصالح والسرياني، 2000، ص 343-344).

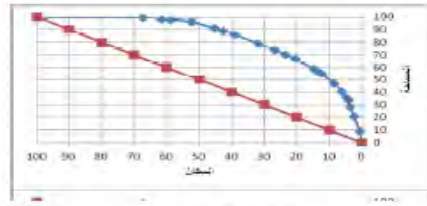
نمط التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى

الشكل رقم (11) منحنى لورنتز للعلاقة بين المساحة و المجمعات التجارية



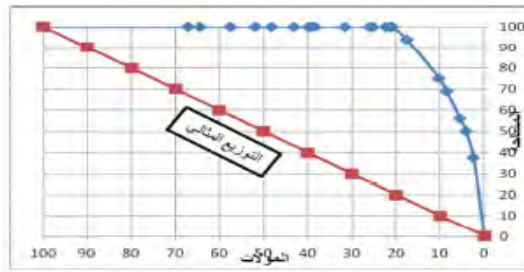
المصدر من عمل الباحثين

الشكل رقم (10) منحنى لورنتز للعلاقة بين السكان و المساحة في أمانة عمان الكبرى



المصدر من عمل الباحثين

الشكل رقم (12) منحنى لورنتز للعلاقة بين المساحة والمولات



المصدر من عمل الباحثين

التحليل الكارتوجرافي والإحصائي لنمط توزيع المولات والمجمعات التجارية

ينظر إلى الجغرافيا أحيانا على أنها علم يهتم بدراسة التوزيع المكاني للظواهر الجغرافية، وارتباطاتها البيئية والاجتماعية، وتقوم بوصفها وتحليلها وتفسيرها. وقبل استخدام التقنيات الحديثة في الجغرافيا مثل تقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، كان الجغرافيون يصفون التوزيع الجغرافي للظواهر في غياب معايير موضوعية. ويسعى الجغرافي عند دراسته لتوزيع الظواهر إلى معرفة ما إذا كان توزيعها يشكل نمطا محددا، أم إنه مجرد توزيع عشوائي. فإذا كان التوزيع يشكل نمطا pattern محددا، فإن ذلك يعني أن هناك قوى وعوامل وراء تشكيل هذا النمط، يسعى الباحث للكشف عنها، والوقوف عليها. أما إذا كان التوزيع عشوائيا، فإن ذلك يشير إلى قوى الصدفة التي من الصعب تفسيرها. ولما كانت الأنماط المحددة نتيجة عوامل وقوى دائمة التغيير، فإن ذلك يعني أن اهتمامنا بالأنماط سيقودنا إلى الاهتمام بالعمليات المؤدية إلى تكوينها (الدويكات، والشيخ، 2008، ص ص 22-23).

وللكشف عن نمط توزيع المولات والمجمعات التجارية تم استخدام الاختبارات الإحصائية الكارتوجرافية التالية:

أ. تحليل نمط انتشار المجمعات والمولات التجارية في أمانة عمان

1. تحليل صلة الجوار Nearest Neighbor Analysis

هو عبارة عن تكتيك يتم من خلاله معرفة المسافة لأقرب جار أو ما يسمى (صلة الجوار)، حيث يتم من خلال هذا التحليل معرفة المسافة بين الموقع الجغرافي لكل مول أو مجمع تجاري، والموقع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية الأقرب إليها. ويتم حسابه عن طريق قسمة المتوسط المحسوب (Observed Mean Distance) (متوسط بعد جميع المولات والمجمعات الداخلة في التحليل بعضها عن بعض) على المتوسط المتوقع أو المثالي (Expected Mean Distance) (متوسط بعد جميع المولات والمجمعات بعضها عن بعض فيما لو كان لها توزيع مثالي على المساحة نفسها من الأرض).

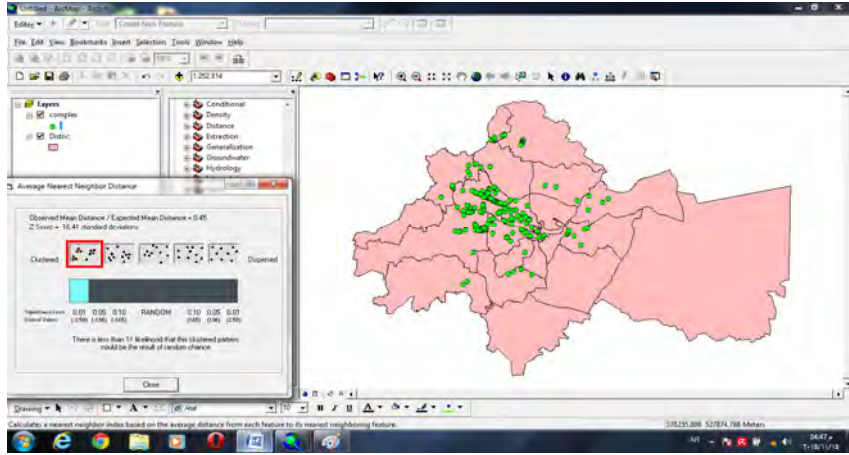
ووفقا للتحليل فقد يكون النمط واحد من ثلاثة أنماط هي: متجمع (Clustered)، وعشوائي (Random)، ومشتت (Dispersed). فإذا كانت نسبة المتوسط المحسوب إلى المتوسط المتوقع أقل من (1) فإن التوزيع يكون متجمعا، وإذا كانت النسبة أكثر من (1) فيكون التوزيع مشتتا.

ولا بدّ من تأكيد أن النتيجة النهائية لحساب نمط توزيع المولات والمجمعات التجارية تعتمد بصورة رئيسية على مجموعة من المتغيرات هي: متوسط بعد المولات والمجمعات التجارية بعضها عن بعض، وعددها، ومساحة منطقة الدراسة. ومن خلال استخدام ملحق التحليل المكاني Spatial Analysis في برمجية نظم المعلومات الجغرافية ArcGIS V.9.2، أجري التحليل على مواقع المجمعات التجارية والمولات كلا على حدة، وعليهما مجتمعين.

- تحليل صلة الجوار للمجمعات التجارية

بلغ عدد المجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى (224) مجمعا تجاريا، حيث أظهر التحليل أن نسبة التوزيع المحسوب إلى التوزيع المتوقع كانت 0.45% وهي قيمة أقل من 1 صحيح، مما يعني أن التوزيع الجغرافي للمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى هو توزيع متجمع أو متكتل. وتظهر الخريطة خلو المناطق الشرقية والجنوبية والجنوبية الغربية من المولات. كما تظهر تركزها في الشق الغربي من العاصمة عمان. وتشير نتائج التحليل في الشكل إلى أن هذا التوزيع ينحرف عن التوزيع العشوائي بثلاثة انحرافات معيارية، أي أنه توزيع متجمع بامتياز، وأن الثقة في هذه النتيجة تصل إلى أكثر من 99%، وأن احتمال أن يكون نمط التوزيع مشتتا أو عشوائيا هو أقل من 1% (الشكل 13).

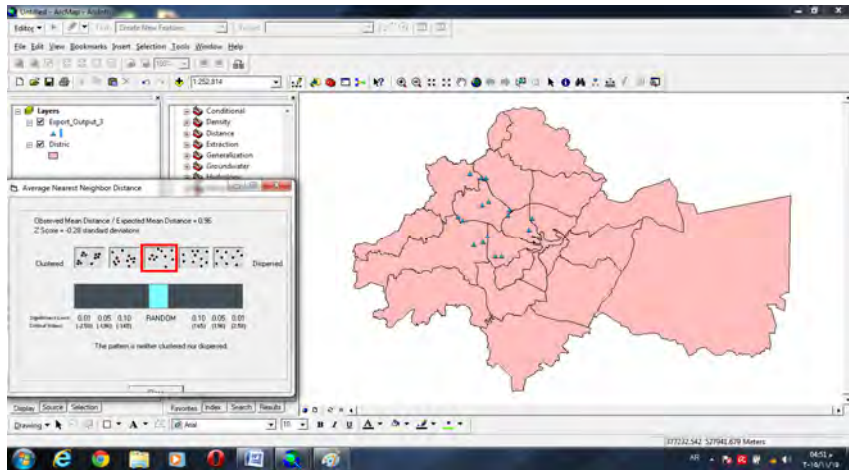
نمط التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى



شكل (13): نمط التوزيع المكاني للمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى / المصدر: من عمل الباحثين.

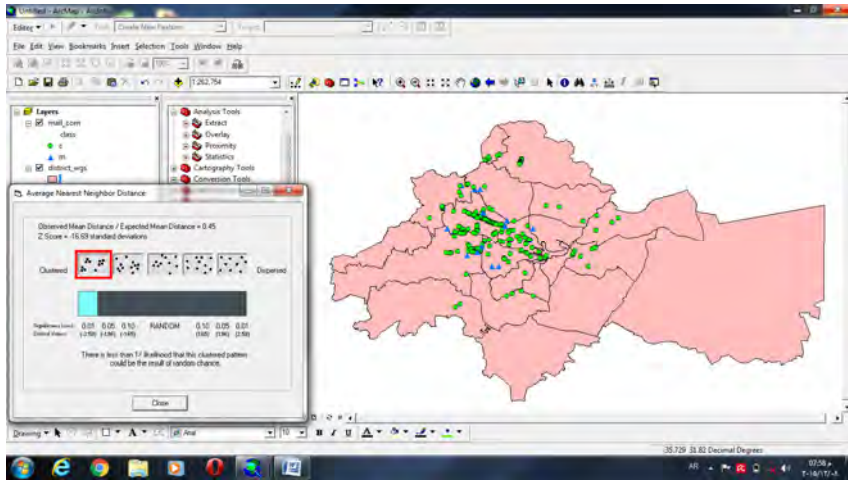
- تحليل صلة الجوار للمولات

بلغ عدد المولات في أمانة عمان الكبرى (16) مولا، موزعة على مناطق عمان الغربية باستثناء مولين في مناطق عمان الشرقية، وهما مكسيم مول في منطقة العبدلي، واستقلال مول في منطقة بسمان. وأقيم مؤخرا عريفة مول في منطقة طارق. وقد أظهر التحليل أن النسبة بين التوزيع الواقعي للمولات إلى التوزيع المثالي بلغ 0.96%، وهي نسبة دون الواحد صحيح، الأمر الذي يعني أن توزيع المولات هو توزيع أقرب إلى العشوائي لأنه أقرب إلى الواحد. (الشكل 14).



الشكل (14): نمط التوزيع المكاني للمولات في أمانة عمان الكبرى/ المصدر من عمل الباحثين

وعندما أجري التحليل على طبقتي المجمعات والمولات معا أظهر التحليل أن نمط التوزيع كان متجمعا بالدرجة نفسها لتوزيع المجمعات التجارية، كما يبين الشكل (15).



الشكل (15): نمط التوزيع المكاني للمولات والمجمعات التجارية في امانة عمان الكبرى / المصدر من عمل الباحثين

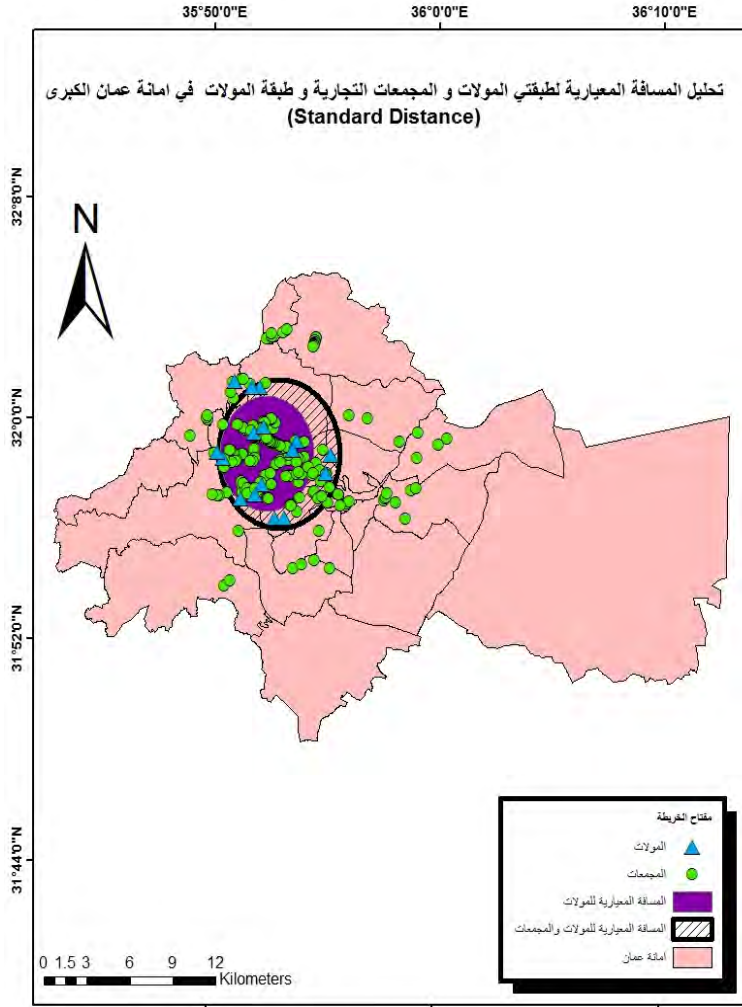
ب. تحليل مدى تشتت المولات والمجمعات التجارية

- تحليل المسافة المعيارية Standard Distance

هي اختبار إحصائي كارتوجرافي يقيس مدى تشتت أو تجمع الظاهرة الجغرافية حول مركزها في منطقة جغرافية محددة. حيث يتم تحديد المركز الجغرافي للظاهرة الجغرافية Mean Center. ثم يقيس مدى تشتت هذه النقاط حول المركز. ويتم قياس هذا التشتت أو التجمع ضمن انحراف معياري واحد عن المركز، والذي يشمل نحو 68% من مجموع النقاط، وهو الخيار الذي يحدده البرنامج في العادة، في حين يمكن للمحلل أن يختار قياس مدى تشتت الظاهرة الجغرافية ضمن انحرافين معياريين أو حتى ثلاثة انحرافات. ويظهر الشكل (16) نتائج تحليل اختبار المسافة المعيارية لطبقتي المولات والمجمعات التجارية معا وطبقة المولات التجارية منفردة.

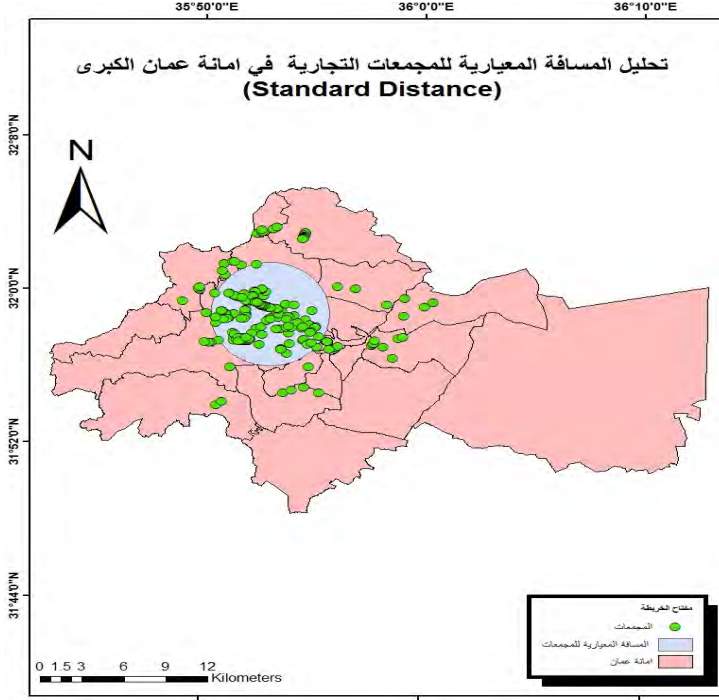
ويظهر الشكل (16) الدائرة الكبيرة باللون الأسود الهاشور والتي مثل المسافة المعيارية لطبقتي المولات والمجمعات التجارية، في حين تمثل الدائرة باللون النهدي المسافة المعيارية لطبقة المولات. ويتضح من خلال الشكل أن حجم الدائرة للطبقتين معا (المولات والمجمعات التجارية) كبير مما يدل على تشتتها وانتشارها في أماكن واسعة نسبيا من أمانة عمان.

نمط التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى



الشكل (16) / المصدر من عمل الباحثين

في حين يدل حجم الدائرة الصغير للمسافة المعيارية للمولات على انتشار أقل لهذه المولات على مساحة الفضاء الجغرافي لأمانة عمان الكبرى. كما أن وجود الدائرتين في الجزء الشمالي الغربي من العاصمة دليل على ميل المولات والمجمعات التجارية للتجمع في هذه الجهة من الأمانة. أي في عمان الغربية، وتحديدًا في الجزء الشمالي الغربي منها. ويظهر الشكل (17)، المسافة المعيارية للمجمعات التجارية التي تشبه إلى حد كبير المسافة المعيارية في الشكل السابق.



الشكل (17) / المصدر من عمل الباحثين

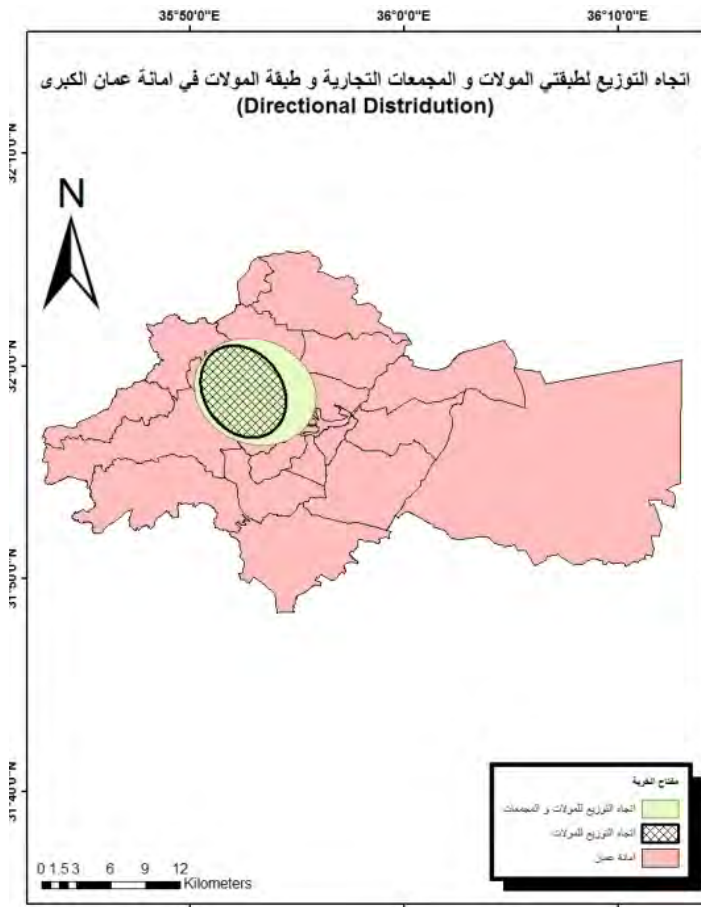
وأجري أيضا اختبار المسافة المعيارية على المواقع الجغرافية التي تمثل المجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى. كما يظهر الشكل (17) وتبين من نتائج هذا الاختبار أن حجم الدائرة كبير، مما يعني تشتتها وانتشارها في عدة مناطق جغرافية، كما يظهر انحراف مكان الدائرة نحو الشمال الغربي وهذا يعني أن معظم المجمعات تقع في منطقة شمال غرب عمان.

ج- تحليل اتجاه انتشار المجمعات والمولات التجارية في أمانة عمان.

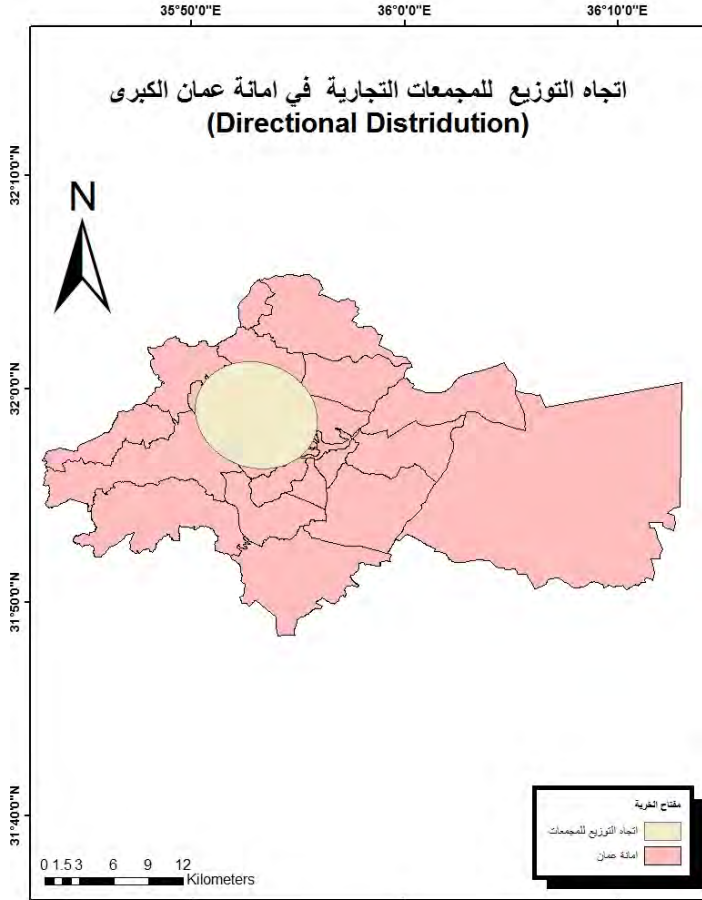
1- تحليل التوزيع الاتجاهي (القطع الناقص المعياري) Directional Distribution

يحدد هذا التحليل اتجاه انتشار المولات والمجمعات التجارية، ويظهر هذا الاتجاه بشكل بيضوي، حيث يتم استخدام الانحراف المعياري البيضوي Standard deviational ellipse لتحديد اتجاه الانتشار من خلال قياس الانحراف المعياري لإحداثيات المواقع في الاتجاه x ، والانحراف المعياري لإحداثيات المواقع في الاتجاه y ، عن المركز المتوسط Mean Center بصورة منفصلة بعضها عن بعض. ويحدد اتجاه رسم الشكل البيضوي شكل انتشار الظاهرة على صفحة اللاند سكيب. وقد يقترب الشكل من الدائرة إذا كان الانتشار متوازنا في الاتجاهين x و y .

والمركز المتوسط هو مركز الشكل البيضوي. ويمكن تحديد عدد من الانحرافات 1،2،3. غير أن البرنامج يختار انحرافا معياريا واحدا بصورة تلقائية By Default، حيث يغطي الانحراف الأول 68% من مجموع المولات أو المجمعات على الخريطة. وتظهر نتائج التحليل لطبقتي المولات والمجمعات معا، والمولات والمجمعات منفردة أن اتجاه انتشارها هو شمالي غربي لجميع الطبقات في مناطق عمان الغربية. كما أن الانحراف المعياري البيضوي هو أقرب إلى الدائرة منه إلى الشكل البيضوي، مما يعني أن توزيعها أقرب إلى التوازن في جميع الاتجاهات. (الشكل 18 و19).



الشكل (18): اتجاه توزيع المولات والمجمعات التجارية / المصدر من عمل الباحثين



الشكل (19): اتجاه توزيع المجمعات التجارية في الأمانة / المصدر من عمل الباحثين

النتائج والتوصيات

النتائج

1. تبين أن نمط توزيع المجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى هو نمط متجمع، أما المولات فإنها تتوزع بشكل عشوائي، ولكن عندما أجري التحليل لكلتا الطبقتين معا (المولات والمجمعات التجارية) تبين أن نمط توزيعها متجمع لكل من الطبقتين بمستوى ثقة 99%، وذلك بسبب انخفاض تأثير المولات؛ لقلة عددها. وأن أهم العوامل المؤثرة في اتجاه انتشارها هو ارتفاع مستوى الدخل للمواطنين، وخصوصا السكان الذين يقطنون المناطق الغربية، والتزايد السكاني والسريع والمستمر خاصة بعد الهجرات العراقية والفلسطينية.

2. توصل البحث إلى أنه ليس هنالك تناسب بين توزيع المولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى و الكثافة السكانية والمساحات، بالرغم من أن معظم التجمعات السكانية الكبيرة تتركز في مناطق أمانة عمان الشرقية، ومساحة مناطقها أكبر من مساحة مناطق عمان الغربية. إلا أن معظم المولات والمجمعات التجارية توجد في مناطق أمانة عمان الغربية. ويعود ذلك إلى ارتفاع القدرة الشرائية للسكان في مناطق عمان الغربية، مقارنة بمناطق عمان الشرقية.
3. تبين أنه ليس هنالك علاقة بين التوزيع الجغرافي للمولات والمجمعات التجارية والتوسع العمراني والتنظيمي للأمانة. بدليل أنه لم يتم إضافة مولات ومجمعات تجارية في بعض المناطق الجديدة التي أضيفت إلى أمانة عمان الكبرى، مثل منطقة أحد.
4. تبين أيضاً أن اتجاه انتشار المولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى يتجه نحو الشمال الغربي للأمانة، ويتركز في منطقة الوسط، في حين تفتقر الأحياء الشرقية لأمانة عمان للمولات والمجمعات التجارية، كما أن كثافة التمرکز للمولات والمجمعات التجارية كانت في منطقة تلّاع العلي وأم السماق وخذلا.
5. افتقار توزيع المولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان إلى مبدأ العدالة والمساواة على مناطق أمانة عمان الكبرى، الأمر الذي أدى إلى ازدهار مناطق على حساب مناطق أخرى، حيث تم تنمية مناطق أمانة عمان الغربية على حساب مناطق أمانة عمان الشرقية.
6. أهمية دور نظم المعلومات الجغرافية والإمكانيات التي توفرها في تقييم حجم التوازن في توزيع الموارد ومراقب الخدمات في المدن، ورسم استراتيجيات التنمية وسياساتها.

التوصيات

1. تحديد الموقع الأمثل لتوزيع المولات والمجمعات التجارية في أمانة عمان الكبرى عند إنشائها، بحيث توزع على جميع مناطق أمانة عمان الكبرى، لتحقيق مبدأ العدالة والمساواة، كدليل ومؤشر على وجود التنمية المستدامة في أمانة عمان الكبرى.
2. التنويه إلى أهمية التخطيط الذي يساعد رجال الأعمال على ضبط استثماراتهم في المناطق الفضلى التي تحقق لهم الربح الاقتصادي، وتقديم الخدمات للسكان.
3. ضرورة جمع البيانات الكافية عن جميع المجمعات والمولات التجارية لبناء قاعدة معلومات جغرافية شاملة تكون مرجعا لأصحاب القرار مستقبلا.
4. تحديد مدى الحاجة إلى التوسع في غير هذه الخدمة، أو العمل على ضبطها وتحديد انتشارها في مناطق معينة، وتوجيه الانتشار إلى مناطق أخرى.

5. الدعوة إلى مواكبة التطور التكنولوجي الممثل بتقنية المعلومات الجغرافية، نظرا للأهمية البالغة في توفير الوقت والجهد والمال، ورسم صورة واقعية مكتملة قبل البدء في تنفيذ المشاريع التنموية المستدامة، وتشجيع الدراسات والأبحاث العلمية المختصة في الوطن العربي على استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية.

Geographic Pattern of Malls and Commercial Complexes in Greater Amman

**Qasem Dweikat, Reem Al Kharoof and Bayan Al Rabee, *Geography
Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.***

Abstract

This study aims to determine the pattern geographical distribution of commercial complexes and malls in Greater Amman for the year 2014. It also seeks to find out the proportionality of this distribution with areas that make up Greater Amman, and their population densities. Moreover, this study aims at evaluating the fairness of such distribution on the landscape. Descriptive analytical method has been used, based on the Department of Statistics' data and data obtained from Greater Amman. Spatial and neighborhood analysis depending on GIS technology was conducted. Standard distance has been conducted to uncover the pattern of distribution. Results have revealed the distribution of these commercial complexes was cluster whereas the distribution of Malls was random. Western Amman has the highest percentage of all centers and Malls, specifically in the area of Khalda, Um Al Summaq and Tla'a el Ali.

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية

- أبو ركة، رشا. (2015). التحولات الحديثة في تجارة التجزئة في مدينة عمان: مكة مول وسيتي مول حالة دراسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن.
- أبو عياش، عبد الإله. (1948). الإحصاء والكمبيوتر في معالجة البيانات مع تطبيقات الجغرافية، وكالة المطبوعات، الكويت، ص 61.
- جابر، زينة إياذ وسعد، على حميد. (2012)، التحليل المكاني لمواقع المدارس الحكومية في مدينة النجف الأشرف باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، مجلة آداب الكوفة، المجلد الخامس، العدد الرابع عشر، ص ص 339-378.
- الخطيب، فهد سليم. (2009). "العوامل المؤثرة على اختيار المجمعات التجارية الكبرى من وجهة نظر المستهلك الأردني" المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، تم استرجاعه في 2014/10/1 على الرابط التالي <https://journals.ju.edu.jo>
- خير، صفوح. (2001)، البحث الجغرافي مناهجه وأساليبه، دار المريخ، الرياض، ص 34.
- الدويكات، قاسم والشيخ، آمال، وخضر، آيات (2008)، "التوزيع الجغرافي للحدائق العامة في أمانة عمان الكبرى"، منشورات جامعة اليرموك، المجلد الرابع والعشرون، العدد الرابع، ص ص 22-23.
- دياب، علي محمد؛ وخضرة، جلال بدر (2005)، جغرافية السياحة والخدمات، منشورات جامعة تشرين، دمشق، ص 187.
- الزيود، ريم. (2012)، تطور المناطق التجارية في عمان 1950-2009. عمان: أمانة عمان الكبرى، ص ص 82-117.
- السرياني، محمد. الصالح، ناصر. (2000)، الجغرافيا الكمية والإحصائية أسس وتطبيقات بالأساليب الحاسوبية الحديثة. ط2، الرياض: مكتبة العبيكان، ص ص 239-242.
- الفاروق، عبد الحليم والجابري، نزهة. (2009)، تحليل صلة الجوار في الدراسات الجغرافية بالتطبيق على المستوطنات البشرية بمنطقة مكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الاجتماعية، المجلد الأول، العدد الأول، ص ص 150-190.

القريوني، محمد. (1984). واقع نظريات التنمية الغربية وإمكانية تطبيقها في الدول النامية، جامعة جنوب كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، مجلد (11)، عدد (5)، ص ص 65-86.

كبارة، فوزي سعيد. مقدمة في نظم المعلومات الجغرافية وتطبيقاتها الحضرية والبيئية، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، بيروت، 1998.

مصيلحي، فتحي محمد (2001)، جغرافية الخدمات - الإطار النظري وتجارب عربية، الطبعة الأولى، جامعة المنوفية، مصر، ص 37.

مكي، محمد شوقي. (1986). الأسواق المركزية في مدينة الرياض "دراسة جغرافية في التوزيع والسلوك"، أبحاث الكويت، عدد (94)، ص ص 11-122.

مكي، محمد شوقي. (1989). نمط توزيع النشاطات الاقتصادية والخدمات في المنطقة المركزية، بالمدينة المنورة، مجلة جامعة الملك سعود، العدد التاسع، المجلد الثاني، ص ص 279-313.

الهاشمي، عماد وفالح، سلام عبد الله. (1989). "التحليل المكاني لتوزيع مراكز التسوق الرئيسية في مدينة بغداد باستخدام نموذج الجاذبية"، جامعة بغداد، عدد (28)، ص ص 253-286.

المراجع باللغة الأجنبية

Coca-Stefaniak, J.A. Parker, C,Quin, S, Rinaldi, R. Byrom, J., (2009), Town center management model: A European Perspective. *Cities Journal*, 26 (2), 74-80.

Coe,N.M., Kelly, P.F. and Yeung, H. W. C., (2007), *Economic Geography: A Contemporary Introduction*. Blackwell Publishing, Oxford.

Ozhan Ertekin, Vedia Dokmeci, Tuba Unlukara & Evren Ozus, Spatial Distribution of Shopping Malls and Analysis of their Trade Areas in Istanbul, *European Planning Studies*, Vol. 16, No. 1, January 2008, p.p 143-155.

Potter, R. B. (2009) "Ever-growing Amman", Jordan: Urban expansion, social polarization and contemporary urban planning issues, *Habitat International*, Vol.33, No(1), pp. 81-92.

Tim, F., (2014), What Is Soft Merchandising? Available online at: <http://smallbusiness.chron.com/soft-merchandising-26175.html>

المواقع الإلكترونية

- تم استرجاعه من الموقع الإلكتروني <http://www.mapcoordinates.net/en> بتاريخ 2015/10/15.
- تم استرجاعه من الموقع الإلكتروني <http://www.diva-gis.org/gdata> بتاريخ 2015/12/5.
- "عمان العاصمة الأردنية" تم استرجاعه من الموقع الإلكتروني <http://www.Jordan.forums1.nt> بتاريخ 2015/11/1.
- خميس، أسامة (2014) "ما هي تجارة التجزئة" تم استرجاعه من الموقع الإلكتروني <http://www.Mawdoo3.com> بتاريخ 2014/11/15.
- "الأردن في المرتبة (18) عالميا في مؤشر تجارة التجزئة للدول النامية" تم استرجاعه من الموقع الإلكتروني <http://www.Satelnews.com> بتاريخ 2014/11/15.
- تم استرجاعه من الموقع الإلكتروني <http://www.diva-gis.org/gdata> بتاريخ 2014/10/15.
- تم استرجاعه من موقع سيفوي الإلكتروني (2015) <http://www.safeway.com.jo/Default.aspx> بتاريخ 2015/7/5.
- تم استرجاعه من موقع أمانة عمان الإلكتروني (2014) <http://www.ammancity.gov.jo> بتاريخ 2014/12/20.
- تم استرجاعه من موقع مكة مول الإلكتروني: http://meccamall.jo/?page_id=76&lang=ar بتاريخ 2015/7/5.
- موقع ستي مول الإلكتروني: <https://www.citymall.jo/content/about-city-mall> تاريخ الدخول 2015/7/5.
- تم استرجاعه من الموقع الإلكتروني <http://www.assawsana.com> بتاريخ 2014/6/15.
- دليل زائر أمانة عمان الكبرى. (2010)، منشورات أمانة عمان الكبرى. عمان.
- موقع أمانة عمان الكبرى، 2014.
- دائرة الإحصاءات العامة، بيانات سكانية غير منشورة، 2014.
- التقرير السنوي للإحصاءات العامة ، 2013.

الملحق (1) / المصدر من عمل الباحثين بالاستعانة ببيانات دائرة الإحصاءات العامة 2014

الرقم	عمان الغربية	عدد السكان (2014)	المساحة كم ² /	الكثافة السكانية (نسمة / كم ²)
1	منطقة المدينة	39,649	3.10	12,790
2	وادي السير	162,406	58.67	2,768
3	تلاع العلي وخذاء وأم السماق	150,650	19.76	7,623
4	زهران	70,648	13.83	5,108
5	الجبيلة	85,442	25.90	3,298
6	بدر	181,181	9.89	18,319
7	بدر الجديدة	13,374	21.92	610
8	صويلح	82,446	24.23	3,402
9	أبو نصير	32,846	6.74	4,873
10	شفا بدران	20,406	45.76	445
11	مرج الحمام	40,156	53.05	756
	المجموع	879,204	282.85	59,992

الرقم	عمان الشرقية	عدد السكان (2014)	المساحة / كم ²	الكثافة السكانية (نسمة/ كم ²)
1.	العبدلي	121,298	10.99	11,037
2	رأس العين	121,964	6.80	17,935
3	اليرموك	200,570	5.19	38,645
4	طارق	67,506	26.84	2,515
5.	ماركا	118,736	40.87	2,905
6.	النصر	179,501	28.48	6,302
7.	بسمان	278,147	13.44	20,695
8.	القويسمة والجريدة وأبو علندا والرجيب	180,327	45.96	3,923
9.	خريبة السوق وجاوا واليادودة	113,088	54.36	2,080
10.	أم قصير والمقابيل والنبات	48,955	23.14	2,115
11.	أحد	20,000	261.67	76
.	المجموع	1,450,092	517.74	108,228

التعدد اللغوي في الرواية العربية (قضايا ونماذج)

منال بنت عبد العزيز العيسى*

تاريخ الاستلام 2016/2/28

تاريخ القبول 2016/8/8

ملخص

تعد اللغة مكوناً رئيساً من مكونات الرواية، ولذلك عدها بعض النقاد التفكير والمتخيل، بل والحياة نفسها¹. وقد أصبح تطويعها والقدرة على تنويعها وتعددتها من سمات النص الروائي الجيد.

وتحقق هذا الوعي بأهمية التعدد اللغوي في بنية الرواية لدى عدد من الروائيين من جهة، والنقاد من جهة ثانية.

ويتناول هذا البحث التعدد اللغوي في الرواية العربية على المستويين النظري والتطبيقي، ضمن مبحثين اثنين؛ نركز في أولهما على بعض القضايا من منظور عدد من الدارسين والنقاد الغربيين والعرب، وتتناول في الثاني نماذج من الروايات العربية التي يرد فيها شيء من التعدد اللغوي.

1- قضايا التعدد اللغوي:

• 1-1- قضية مفهوم التعدد اللغوي:

عُرف مصطلح "التعدد اللغوي" تعريفات عديدة؛ منها:

أ- هو ((تجاوز ملفوظات تنتمي إلى لغات متعددة داخل فضاء روائي واحد. ويشترط في هذا التعدد أن يحمل في ذاته تعدداً في الرؤى؛ فاستعمال الفرنسية مثلاً داخل مجتمع يتكلم معظم أفراده اللغة العربية، لا يخلو من الدلالة على رؤية الناس للشخص الذي يستخدم هذه اللغة))².

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ب- وهو -حسب باختين - لا يعني حضور مجموعة من اللغات (فرنسية، عربية، إنجليزية...) داخل عمل روائي واحد حيناً إلى حين فقط، بل هو تعدد مبني على أساس وجود منظور سوسيولساني ملموس يتفرد داخل اللغة. ويقتضي الكشف عن التعدد اللغوي وعياً عميقاً باللغات المتفاعلة داخل اللغة الواحدة التي تتحاور وتتصارع عبر مواقف وقيم.

• 1-2- قضية ارتباط التعدد اللغوي بمصطلحات أخرى:

ارتبط مصطلح "التعدد اللغوي" بمصطلحات أخرى؛ منها:

- البوليفونية.

- الحوارية.

- تعدد الأصوات.

- التناس.

وقد عرف ميخائيل باختين الرواية البوليفونية، فقال: ((إن الرواية المتعددة الأصوات ذات طابع حوارى على نطاق واسع. وبين جميع عناصر البنية الروائية توجد دائماً علاقات حوارية، أي: إن هذه العناصر جرى وضع بعضها في مواجهة البعض الآخر، مثلما يحدث عند المزج بين مختلف الألحان في عمل موسيقي. حقا إن العلاقات الحوارية هي ظاهرة أكثر انتشاراً بكثير من العلاقات بين الردود الخاصة بالحوار الذي يجري التعبير عنه خلال التكوين، إنها ظاهرة شاملة تقريبا. تتخلل كل الحديث البشري وكل علاقات وظواهر الحياة الإنسانية، تتخلل تقريبا كل ما له فكرة ومعنى))³.

وأنجز الدكتور جميل حمداوي بحثاً بعنوان (الرواية البوليفونية أو الرواية المتعددة الأصوات)، عرفها فيه بأنها ((رواية قائمة على تعدد الأصوات، والشخصيات، واللغات، والأساليب، والمواقف، والمنظورات السردية)). وأضاف: ((يقصد بالبوليفونية لغة (Poliphonie/ Poliphony): تعدد الأصوات. وقد أخذ هذا المصطلح من عالم الموسيقى، ليتم نقله إلى حقل الأدب والنقد. ومن ثم، فالمقصود بالرواية البوليفونية تلك الرواية التي تتعدد فيها الشخصيات المتحاور، وتتعدد فيها وجهات النظر، وتختلف فيها الرؤى الإيديولوجية، بمعنى أنها رواية حوارية تعددية، تنحو المنحى الديمقراطي، حيث تتحرر بشكل من الأشكال من سلطة الراوي المطلق، وتتخلص أيضاً من أحادية المنظور واللغة والأسلوب))⁴.

ويوضح الجدول الموالي هذا الأمر:

التعدد	نوعه	تجلياته
	تعدد المنظورات السردية	- الرؤية من الخلف - الرؤية من الداخل - الرؤية من الخارج
	تعدد الضمائر السردية	- ضمير المتكلم - ضمير المخاطب - ضمير الغائب
	تعدد الرواة	- اختلاف الرواة والساردين، وكل يعبر انطلاقاً من موقفه الفكري ومن رؤيته الخاصة للموضوع
	تعدد المواقف الإيديولوجية والأطروحات الفكرية	- انطلاقاً من اختلاف الانتماء السياسي والفكري والعقدي لكل واحد

1-3- قضية العلاقة بين اختلاف المقامات والسياقات والتعدد اللغوي:

يرى محمد برادة أن ((تحقق النص الأدبي إنما يتم باللغة))⁵. وعليه، فإن اختلاف المستويات الاجتماعية والاقتصادية يؤثر تأثيراً كبيراً في اللغة التي تتكلم بها كل طبقة اجتماعية، ومن ثم كانت العلاقة وطيدة بين التعدد اللغوي في الرواية وبين المستوى الاجتماعي الخاص بكل شخص من شخوص أي عمل روائي، ذلك أن الأوضاع الاجتماعية والثقافية للشخصيات تلعب دوراً كبيراً في تحقيق التعدد اللغوي. فاللغة التي يتكلمها المثقفون وعلية القوم، ليست هي اللغة التي يتكلمها عامة الناس، والحرفيون والصناع، والباعة المتجولون،... إلخ.

أولاً: ماهية السياق والنص الروائي:

إن هناك دائماً في الروايات علاقات جدلية بين النص الإبداعي والسياق الذي يمتلك سلطة ما في عملية إبداع النص الروائي، وتحديد معالم الكتابة الروائية على صعيد اللغة، لتعدها المعجمي والدلالي، ومن ثمة تأسيس التخيّل السردية باعتبار السياق الذي تتداخل فيه الظروف التي تحيط بحدوث الفعل التلفظي الكلامي، وكما قال "فيرث" فهناك محددات للسياق أجملها فيما يلي⁶:

- أحداث لغوية صادرة عن المتكلم في الخطاب والشخصيات.

- أشياء وآثار خارجية ذات صلة بالحديث⁷. فالنص تتحكم في إنتاجه سياقات متعددة، ومنها السياق العام الذي أنتج داخله هذا النص، ثم بنية اللغة بمستوياتها المتعددة، باعتبارها وسيلة من وسائل التواصل، وأيضا كون اللغة تلعب دورا في بنية النص والكشف عن المغيب وفصح كل التابوهات، والمزج بين فضاءات متنوعة كالواقع والتاريخ والتراث والذاكرة والدين.

إن اللغة في تعددها واختلافها تدخل في نطاق ما يمكن أن يسمى بالعلاقات السياقية ((ربط النص الأدبي بالنصوص الأخرى في حركة تضاد أو مقابلة، أو تحويل، وتعمل على إعطاء النص مستويات دلالية معقدة ومكثفة، واستدعاء مجموعة من الخبرات في التفاعل تغني النص وتضاعف من أبعاده الدلالية⁸). فتراكيب اللغة بهذه الميزة لها القدرة على خلق مسافة جمالية لدى المتلقي، وربما تكمن قدرة اللغة في مفهوم التعدد اللغوي والحواري والبوليفوني (تعدد الأصوات).

فالتعدد اللغوي يشغل موقعا بؤريا داخل النص الروائي، بما له من كفاية في تخصيص الأزمنة والفضاءات، ورسم الشخص وبنية الثيمات⁹، وكذا توليد المتخيل بامتداداته الرمزية والأسطورية، إذ لا يخفى أن صورة اللغة هي التي تلملم سمات مجموع مكونات النص وترتبط بها بعلاقة التأثير المتبادل¹⁰، وتولد الحكايات، ومتخيل الشخصيات، وترسم لهم الأوعية الإيديولوجية. واللغة في هذا المستوى تسائل المحكي الشعبي والتراثي والأسطوري والتاريخي والصوفي، والأخبار، وما إلى ذلك. يعتمد الروائي على أسلوب التحويل الذي تعتبر اللغة هي المسؤولة عن تأسيسه.

ثانيا: باختين والتعدد اللغوي:

يعد باختين من أوائل النقاد الغربيين في القرن العشرين الذين اعتنوا باللغة الأدبية بشكل عام، وبلغت الرواية بشكل خاص؛ وظهر ذلك في مجموعة من أعماله النقدية؛ منها:

- شعرية دويستوفسكي¹¹،

- إستيتيقي الرواية ونظريتها¹²،

- الماركسية وفلسفة اللغة¹³.

ولذلك قال باختين: ((إن اللغة بصفاتها حية ولمموسة يعيش فيها وعي الفنان بالكلمة لم تكن أبدا وحيدة، إنها لا تكون كذلك إلا باعتبارها نسقا نحويا مجردا مكونا من أشكال معيارية، ومحولا عن الإدراكات الإيديولوجية التي تملأه))¹⁴؛ ومن ثم، اعتبر الرواية ((ظاهرة لغوية قبل أي

اعتبار آخر. ويتجلى ذلك في تعدديتها اللغوية. فقد تشكلت الرواية ونمت، بخلاف باقي الأجناس الأدبية الأخرى، من التعددية اللغوية الداخلية والخارجية¹⁵.

وقد حاول باختين من داخل الفلسفة الماركسية، ومن داخل اللسانيات ونظريات الشكلانيين الروس والأسلوبيين، تعريف الرواية وشعرية خطابها؛ فهي في رأيه ((التنوع الاجتماعي للغات، وأحيانا للغات والأصوات الفردية، تنوعا منظما أدبيا))¹⁶، يرتبط بالخطاب والكلمة، وكلها عناصر مشتملة على علائق حوارية تلتقي مع مفهوم التناص في معناه العام، ولهذا فباختين - بخلاف المنظرين الذين سبقوه - لا يتخلّى عن الربط المألوف بين الرواية والطبقة البورجوازية المعتمدة على إبراز الفردية وقيمها، محاولا أن يجد لها جذورا في أحضان الثقافة الشعبية، وأن يتلمس مكوناتها النصية في بعض النصوص النثرية الإغريقية والرومانية القديمة وكذلك في روايات العصور الوسطى¹⁷، ولأن ميخائيل باختين لا يغفل الدراسات الأخرى، وخاصة تلك التي تتساقط مع فكره وتحليلاته، فإنه أكد على أن الرواية هي الجنس الوحيد الذي هو في سيرورة وما يزال غير مكتمل¹⁸. ويعود إلى الأبعاد التاريخية والمجتمعية التي بلورت الرواية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وجعلت منها شكلا لتعدد الأصوات واللغات، وتنوع الملفوظات المتجاوزة، والمواقف الإيديولوجية المتصارعة.

إن باختين ينطلق من اللغة؛ فهي عنده ((حجر الزاوية، عندما يقرأ تاريخ الرواية يؤكد أن وراء نمذجة الرواية وتطورها يقف تاريخ صراع الإنسان من أجل تحكيم مطلقية اللغة ونزوعها الملغى للتعدد والنسبية))¹⁹.

يؤمن باختين بأن اللغة هي تعدد، وهذا التعدد هو الذي يطلق الجدلية بين المكان والزمان، وبين سؤال الكاتب والسخرية من المحيط. فباختين له رؤية تقوم على مفهوم التحول، والأخرى قائمة على الرصد الثنائي المتضاد بين مرحلتين: مرحلة سالفة ومرحلة حاضرة، تجسدت هذه العلاقات في النظر إلى العلاقة التي تتم بين الملحمة والرواية حيث الانطلاق من مفهوم البطل، ذلك العنصر الأساس الذي يكون ثيمة القصة، باعتبارها أحداثا وأدوارا تقوم بها شخصيات، وعلى أن الرواية بدأت انفلاتها وتملصها من ربة التبعية للملحمة عندما فقد البطل صورته المثلى، وتحول إلى مجرد شخصية لا تجد ما يميزها عن باقي الشخصيات المشاركة وغير المشاركة في الأحداث²⁰.

لم يقف التحول عند هذا الحد، بل تحولت اللغة، كأسلوب حوارى، إلى إحدى العلامات المميزة لرؤية ميخائيل باختين.

ثالثاً: محددات التعدد اللغوي عند ميخائيل باختين:

يرى باختين أن الرواية ((نظام لغات تنبر إحداها الأخرى حوارياً. ولا يجوز وصفها ولا تحليلها باعتبارها لغة واحدة ووحيدة، لأن ذلك قد يسطح العمل الروائي، ويطمس كافة أبعاده))²¹.

هناك إيويالات لغوية، في كل الروايات، تلامس دلالات المجتمع والكون عبر العلاقات الصلبة والمتينة بين عناصر الإرسالية النصية، حيث تتمثل اللغة الصور والأصوات، وهي علاقات حسب باختين مسننة داخل الحوار الروائي، وتعكس، من ثمة، ما هو ثقافي بالمعنى الأنثروبولوجي للكلمة. ويتمثل كل هذا في تحويل العالم عبر اللغة وصورها إلى خزان للقيم، وذلك باستعمال سنن أنتجت منظومات جماعية على مدى تاريخها، كتاريخ دلالات الأشكال والرموز المتواضع عليها.

فالروائي يعتمد إلى توظيف قنوات تواصلية وإيويالات إدراكية تجد أساسها في المرجعيات الثقافية والأنساق الإيديولوجية للقارئ وال كاتب معا. لقد أبرز "ليو سيبستر" أهمية العلاقة بين التفاصيل الأسلوبية ومجموع العمل الأدبي، ذلك لأن دلالة بعض الخصائص الأسلوبية التي تظهر من قراءة النص لا تتضح إلا بربطها بالبنية الكلية للعمل²².

ينطلق باختين - إضافة إلى مفاهيم الأسلبة والتهجين- من مبدأ آخر، هو لغات التفاعل على مستوى ((ملفوظ الغير لمحاورته أو السخرية منه في سياق تحقيق ما يسمى بالتنافس الداخلي، وضمن هذا التفاعل يمكن التمييز بين لغتين: لغة الحوار ولغة السرد))²³.

إن هذه الحوارية التي يستدعيها ميخائيل باختين، والتي تؤسس لجدل أخاذ بين السرد والتحاور، هي التي تشيد مسارات السرد، وتشخص المحكيات والتواصل، وبناء عوالم الرؤى.

إن هذا الاختلاط الحواري؛ هو الذي يمنح للغة مقومات وجودها ما دامت ((لا تحيا لغير الحوار))²⁴.

إن التشخيص الأدبي يجعلنا نؤمن بأن الرواية هي التعدد الحواري الذي يعود إلى البنيات الاجتماعية، ويسائل مكوناتها الداخلية. ويورد باختين عدد من الطرائق لتشديد سيرورة اللغة في الرواية:

((الحوار الخالص - الصريح - التهجين؛ أي مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، والتقاء وعيين لغويين مفصولين داخل ساحة ذلك الملفوظ. ويلزم أن يكون التهجين قصدياً: ✓ تعالق اللغات والملفوظات من خلال الحوار الداخلي.

- ✓ الأسلبة: قيام وعي لسانی معاصر بأسلبة مادة لغوية أجنبية عنه.
 - ✓ التنويع: إدخال لغة أجنبية جديدة داخل لغة الكتابة وإدراجها داخل قوالب ومواقف مستحيلة بالنسبة لها))²⁵.
 - ✓ الباروديا: هو السخرية.
- والواقع أن كتاب الرواية مديونون لباختين بهذه التحولات النقدية التي تبين إلى أي حد يمكن للغة في جوانب تعددها واختلافها أن تسهم في تطور الرواية.

2- نماذج تطبيقية على روايات عربية:

يرى محمد برادة أن ظاهرة التعدد اللغوي في الرواية العربية موجودة منذ بداية القرن العشرين، لكن ما يلفت النظر- في رأيه- هو بروزها وكثافتها النسبية منذ السبعينيات، لتبرز بشكل واضح وجلي في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية التي عرفها العالم العربي بعد هزيمة حزيران 1967. وهذا ما جعل اللغة وسيلة تحمل وراءها رؤية الفئات الاجتماعية المختلفة ودرجات وعيها²⁶.

وقد أعطى محمد برادة نماذج من الروائيين العرب الذين وظفوا تقنية التعدد اللغوي في أعمالهم، فذكر منهم: الطيب صالح، وإيميل حبيبي، وجمال الغيطاني، وحنان الشيخ، وغالب هلسا، وإدوار الخراط، وحيدر حيدر، وعبد الرحمن منيف، وغيرهم...

وسنتناول في هذا البحث، بدورنا بعض النماذج التي طبقت التعدد اللغوي. ونأخذ على سبيل التمثيل:

- رواية (الشراع والعاصفة) للروائي السوري حنا مينه.

- ورواية (اللجنة) لصنع الله إبراهيم.

- ورواية (لعبة النسيان) لمحمد برادة.

- ورواية (اللاز) للطاهر وطار.

2-1- النموذج الأول: رواية (الشراع والعاصفة)²⁷:

تنتقل رواية (الشراع والعاصفة) لحنا مينه، من إشكالية التعدد اللغوي، حيث حضرت الكتابة نفسها باعتبارها تعددا قائما على تفجير المعطيات السياسية والدينية والأسطورية. ولذلك يقول في مستهل الرواية: ((المسافة بين العين ومرمى البصر ليست المسافة الوحيدة للرؤية، وليست كذلك المسافة الأكثر طولاً أو بهجة. العاشقون مثلاً أو المغتربون والمحزونون، وكل الذين نأت بهم الدار عن الدار، هؤلاء جميعاً لا يرون بعيونهم فحسب، بل بقلوبهم))²⁸. ولم لا؟ فالكتابة

حسب كيليطو ((تتملك مظهر الحية الرقطاء))²⁹، ومن هنا فالكتابة لعب لغوي، تخاطب العين، ما دام سر الكتابة هو الهندسة اللغوية والفضائية بين العلامات، فرسم الكلمات يتشابه مع الرسم الاصطلاحي حيث يخرج النص من المدى الصائت إلى مدى الكتابية³⁰.

إن رواية (الشرع والعاصفة)، تحضر فيها بوليفونية الكتابة، وحوارية اللغات، وتعدد الشخصيات، وإن كان صوت الطروسي/ السارد، هو الغالب في رواية حنا مينه، إضافة إلى البحر وحوارية البحر، كل هذه العوالم أسهمت في التشكيل للرواية. جاء في مقطع من الرواية: ((وفي قاع الفلوكة مد البحارة أرجلهم واستراحوا، حين تنفرد الريح بالعزوف على الشراع لا بد أن يصمت المجذاف، وفي حال كهذه يحسن به أن يضع رأسه في الماء وينتحب وجدا كما تفعل الناعورة ذات الأنين، وقد انغمست رؤوس المجاديف في الماء))³¹.

لقد شكلت الكتابة باعتبارها أفقا للتعدد اللغوي، أهمية بالغة، لها قواميسها وأنحائها، واللغة في هذا المنحى تسمي مقننة ((ولكن السنن بدوره يعتبر قاعدة مكتوبة خاضعة لاستعمال صارم، من خلال قواعد الإملاء، وهذا ما منح الكتاب أهمية قصوى))³². وهذه الصيغ مجتمعة هي التي أعطت أهمية لكتابة حنا مينه، رغم مستواه الدراسي البسيط، ومهنته المتواضعة (حلاق).

لقد شكل الروائي حنا مينه عالمه الروائي انطلاقا من مسلمات أساسية، منها طبيعة اللغة التي يكتب بها متنه الروائي، وهي لغة تجاوزت فيها لغة المقاهي، إلى غير ذلك من العوالم الواقعية والسحرية. يقول، مثلا: ((هذه هي الصخرة التي ينهض على أمثالها البناء. صحيح أنه ليس عاملا ولا فلاحا، ولكنه من الشعب))³³.

2-2- النموذج الثاني: رواية (اللجنة):

وظف صنع الله إبراهيم في روايته (اللجنة)³⁴ لغة التهجين والأسلبة، وهو توظيف روائي مصرّ على إبراز عناصر الاستلاب والهزيمة؛ ومن ثمة، فالقارئ سيجد نفسه أمام شخصيات عدة، في مقدمتها الشخصية الساردة، وأعضاء اللجنة وشخصيات أخرى بلا أسماء، وربما مرر الكاتب، بهذه الطريقة، طرقا ساخرة (الباروديا) إلى المجتمع المصري والعربي بصفة عامة، ولذلك أسهمت اللغة في تعددها الذي كتب به صنع الله روايته إلى تحديد الشخصيات، انطلاقا من ((مقومات وصفية، إيجابية أو سلبية، وأحيانا ملتبسة حسب تراتبية غامضة للقيم التي يحيل عليها. وهكذا فالشخصية الساردة مثلا، التي كانت نقطة الارتكاز في تحديد المرجعية الدلالية، لدى كثير من النقاد، لا يتم التعرف عليها بسهولة، لأن تلفظها ملتبس لا يمكن فك شفرته إلا بالرجوع إلى الموسوعتين اللغوية والثقافية؛ وحتى حضورها أمام اللجنة لا تتحدد غايته إلا عبر مؤشرات لغوية تتسم بالإلغاز؛ من هنا يصبح التعتيم سمة أساسية في بناء النص، خاصة عندما يوظف (السخرية))³⁵.

إن صنع الله إبراهيم وظف لغة السخرية والتعظيم، في مستويات متعددة:

- ✓ أ - مستوى بناء النص الروائي.
- ✓ ب - فضاء الرواية (البيت ومقر اللجنة). ويبدو من هنا أن الفضاء مغلق، وحاولت لغة الرواية الاشتغال على مستوى الأسلبة والتهجين والحوارية.
- ✓ ج - على مستوى لغة الصحافة وكيف تفاعلت مع العامل الذات في الرواية، وهذه المؤسسات هي مؤسسة دار الكتب، ومقر لجنة نسائية، ومكتبة السفارة الأمريكية، ((إنها كلها تعكس الفضاء المعرفي الذي في إطاره يحدد برنامج للتنقيب والبحث والفهم والتفسير والوعي. وقد كان لهذا كله دور كبير في توجيه العامل الذات لتحدي اللجنة بشكل أقوى مما سبق))³⁶. يقول الروائي: ((وأحب أن أصارحكم بشيء آخر له أهمية خاصة، فقد كشفت لي الدراسة التي قمت بها عن عديد من العلاقات والارتباطات الخفية بين مجموعة من الظواهر المتنوعة والغريبة؛ وأعتقد أنني قادر في وقت قريب للغاية على أن أميط اللثام عن بعض الألغاز والفوازير التي حيرت الكثيرين حتى الآن))³⁷.

لقد حاول صنع الله إبراهيم، كما في روايته (تلك الرائحة) أن يجعل اللغة مقتصدية في دلالتها، مكثفة في رسالتها، ولذلك حضر ((التناسق التفاعلي في تضاعيفها وذلك ما ساهم في تحديد بنائها الفني، بحيث أصبح ينطبق عليها ما ذكره "جيل دولوز" عن روايات كافكا بأنها أقرب إلى التعبير قادرة على إحداث ارتباك في أشكالها الخاصة وفي أشكال مضامينها))³⁸.

إن لغة صنع الله إبراهيم لغة متعددة، ولكنها لغة ساخرة؛ فالسخرية توجد في الرواية من العنوان إلى آخر كلمة كتبت فيها ((إني أكل نفسي)). وجاءت خاتمة السخرية على الشكل التالي:

- ✓ أ - السخرية من الذات.
- ✓ ب - السخرية من اللجنة.
- ✓ ج - المفارقة اللغوية.
- ✓ د - السخرية الكلية التي تضع القيم موضع تساؤل. ولا غروها هنا أن تكون الرواية بهذا التعدد اللغوي قادرة على بناء متواليات حكاية ((ولكم أن تتصوروا حالي بعد هذه التجربة الفاشلة وقد وقفت أمامهم غارقا في عرقي، لكن أغرب ما في الموضوع أنني لمست في أعماقي شعورا بالارتياح لهذا الفشل، كأنما كان ثمة جزء من نفسي يخشى على نفسه من نجاحي))³⁹.

ومن هذه الزاوية يمكن القول على لسان ميخائيل باختين بأن دلالات ((كل من الأسلبة والتنويع كبيرة في تاريخ الرواية ولا تفوقها سوى الباروديا لأنها مكونة ومشكلة أسلوبيا، وغالبا

ما تكون إمكانات للعدد اللساني الحي، لأن اللغة التي تخلقها الأسلبة على الأكثر صفاء والأكثر اكتمالا فنياً⁴⁰.

2-3- النموذج الثالث: رواية (لعبة النسيان):

تعد (لعبة النسيان) لمحمد برادة من الروايات العربية التي تحقق فيها التعدد اللغوي، عبر استلهاهم مكونات الأخبار والسيرة الذاتية، والرحلة من خلال لغة متعددة. وقد تم هذا التفاعل على مستوى تعدد الأصوات، أو من خلال طرائق الأسلبة والتهجين والباروديا.

لقد حاول محمد برادة استدعاء ملفوظ الغير لمحاورته أو السخرية منه، في سياق تحقيق ما يسمى بالتناص الداخلي ((وضمن التفاعل يمكن التمييز بين لغتين تتبادلان الإضاءة والتعتيم، هما لغة الحوار، ولغة السرد))⁴¹.

ونحن نقرأ رواية (لعبة النسيان) يتراءى لنا أن لغة الحوار، تشغل حيزا واسعا في النص، إن هو الذي يضمن إمكانات الجدل والسرد والتحاور، من أجل إنجاز وظيفتين:
أ - وظيفة إيديولوجية تمثلت في كون المتكلم يدافع عن مواقف معينة، من خلال التفنيد والتأكيد والاعتراف.

ب - وظيفة تعبيرية، يتكلف بها الحوار، حيث تجلت مفاهيم الأسلبة، حيث رجع المؤلف إلى اللغة اليومية، وجعلها علامة من علامات الحكيم.

إن محمد برادة - باعتماده على لغة اليومي - كان يسعى إلى إعطاء كل شخصية الصوت الذي ينبغي أن تتكلم به، ولعل في هذا التعدد الصوتي، تكمن قوة بعض الروائيين العرب الذين نذكر من بينهم جبرا إبراهيم جبرا، وإدوار الخراط، وعبد الرحمن منيف، وآخرين.

2-4- النموذج الرابع: رواية (اللاز):

رواية (اللاز)⁴² هي الرواية الثالثة التي صدرت باللغة العربية للطاهر وطار في الجزائر، ومن ثمة كان أمامها خيار التعدد اللغوي لإثبات مركزيتها في الإبداع العربي عامة والجزائري خاصة، ولعل استثمار الروائي لمفاهيم الثورة الجزائرية هو الذي جعله يبدع نصا متعددًا ومختلفًا من حيث:

أ - اختيار لغة تفاقم الخلافات والتناقضات في مكونات الثورة السياسية والعسكرية.
ب - وجود صوت السياسي والعسكري، وجبهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي الجزائري في الرواية.

ج - وجود لغة التصفية الجسدية بمصطلحاتها اللغوية مثل (الموت، القساوة، الخونة).

د - اللجوء إلى الأسلوب التقريري الجاف (الأسلبة).

ذ - إدخال اللغة العربية ومفاهيم اللغة الفرنسية (التهجين).

ثم في النهاية نبرة السخرية (لغة الباروديا).

خاتمة:

تبين من خلال هذا البحث أن التعدد اللغوي لدى ميخائيل باختين يعني في أبسط تعريف له هذه التلويحات اللغوية التي تسهم في إتمام بناء النص وتحديد دلالاته ومعانيه، لأن كل خطاب أدبي يعتبر شكلا من أشكال التعبير الذي يفترض وجود طبقة أو طبقات اجتماعية وسوسيوثقافية تحدد الإيديولوجية العامة للنص الأدبي واهتمامات الكاتب وتطلعات القراء.

لقد أسهمت هذه النظرية - كما صاغها ميخائيل باختين- في حفر مفهوم أساسي تبنته جوليا كريستيفا، ألا وهو مفهوم التناص، فشكلت هذه البنيات اللغوية بحق كالتجين والأسلبة، والباروديا، ملمحا أساسيا وسمة بارزة من سمات الكتابة الروائية على المستوى الغربي وعلى المستوى العربي، وما زالت نظرية باختين تشكل منعطفا أساسيا في الكتابات التنظيرية للأسباب التالية:

أولا: لأنها تعتبر التعدد اللغوي من المكونات الأساسية للخطاب الروائي.

ثانيا: لأن هذا التعدد اللغوي هو حجر الزاوية لمكونات أخرى تتداخل معه، كمكون الفضاء والزمن والشخصيات.

ثالثا: لأن هذه الوحدات اللغوية تساعد الباحث من أجل تفكيك العمل الروائي، ومعرفة خصوصياته الجمالية والإيديولوجية.

إن الرواية العربية في مجملها سعت إلى منح النصوص خصوصية تعددية باعتبار أن التعدد اللغوي قد أمسى شكلا مكونا مرتبطا بحوار اللغات على المستوى التالي:

✓ أ - الحوار نفسه بين الشخصيات على المستوى الوصفي والثيرماتي⁴³.

✓ ب - تعدد الأشكال والحوارات عن الذات والآخر.

✓ ج - تعدد الصيغرات الاجتماعية والإيديولوجية داخل اللغة باعتبارها خطابا ينصهر داخله التعايش والتطور معا في الوحدة والتعدد.

ونعتقد أن الرواية العربية - باعتبارها أفقا للخطاب- أغنت تجاربها بهذا التعدد اللغوي، على المستوى السطحي والعميق من جهة، وعلى مستوى التفاعلات والتناصات الإيحائية بين الرواية العربية من جهة أخرى، وكيف تتماس وتتفاعل مع روايات عالمية، من خلال توظيف:

- ✓ أ - التراث العربي والصوفي والفلسفي.
- ✓ ب - الانفتتاح على الأسطورة والرمز.
- ✓ ج - التشبع بلغة الحداثة ومستوياتها.

يقول أحمد اليبوري: ((تبين لنا أن الرواية العربية خاصة في مصر والشام تكونت تحت تأثير عوامل داخلية لخصناها في (المكون اللغوي) و(المتخيل الروائي)، وأخرى خارجية تتمثل في (المثاقفة) وبينهما عامل رابع ينغرس في آن واحد في المجتمع، وفي المجالين الثقافي والأدبي، أطلقنا عليه (مؤسسة الرواية)⁴⁴)).

فالرواية العربية في إطار هذا التعدد وظفت المثل لإغناء التعدد اللغوي للخطاب وجعلت منه مشكاة تجمع بين الفصيح والدارج، وكان الهدف من وراء ذلك منح السارد الطاقة الخلاقة لإبداع نص يتماهى مع محيطه.

ولقد ساعدت الرواية العربية هذه القضايا الجامعة بين الديني والدنيوي، والتقريبي والإشعاري، والاجتماعي والسياسي، والواقعي والأسطوري، لكتابة مغايرة، عمقها التعدد اللغوي، ورسالتها هي الضحك كالبكاء، والسخرية من الذات والآخر.

إلى جانب اللغة العربية الفصحى، نجد اللهجات (الأمثال الشعبية- الكلام اليومي المتداول- الأغنية الشعبية). ويعزو الناقد صلاح صالح توظيف العامية إلى اعتبارات عدة: ((فهذه التراكيب الجاهزة في سياق السرد ليست فقط لاستلهاام التراث حصراً، وإنما يتم اللجوء إليه أحياناً لوسم أحداث الرواية بالواقعية، انطلاقاً من أن الشخصيات الواقعية في الحياة اليومية تستعمل هذه التراكيب))⁴⁵.

Multilingualism in the Arabic Novel (Issues and Models)

Manal El-Essa, *Department of Arabic Language, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.*

Abstract

Language is considered an integral component in any novel. Some critics see the novel to be the thought, imagination, and even life itself. The ability to master this genre and to make it diverse is considered to be a major feature of a good text. Many novelists and critics emphasize the importance of linguistic diversity in the structure of novels.

This article tackles the linguistic diversity in the Arabic novel in terms of theory and application. This study views the issues of linguistic diversity from the perspective of both Arab and Western critics, and it studies a number of Arabic novels where linguistic diversity has been employed.

الهوامش

- 1- عبد المالك مرتاض، في نظرية الأدب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005، ص: 139.
- 2- التعدد اللغوي وأثره الجمالي في وليمة لأعشاب البحر لحيدر حيدر، بحث للطالبة الأستاذة خديجة ط، نالت به شهادة التبريز من المدرسة العليا للأستاذة بالمغرب، بإشراف الدكتور محمد عطف، السنة الجامعية: 2008-2009، نقلا عن: موقع: www.blog.saeed.com/2010/04
- 3- ميخائيل باختين، شعرية دويستوفسكي، ترجمة: د. جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص: 59.
- 4- جميل حمداوي، الرواية البوليفونية أو الرواية المتعددة الأصوات، موقع: www.alukah.net
- 5- محمد برادة، أسئلة الرواية- أسئلة النقد، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص: 30.
- 6- ينظر كتاب محمد الماكري، الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، 1991، ص 12.
- 7- بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياقية، جامعة أم القرى مكة، ط 1، 1424هـ ص 53
- 8- سيزا قاسم، روايات عربية قراءة مقارنة، ط 1، 1997، الرابطة المغرب، ص 22.

- 9- بنية الثيمات: هي إعطاء الثيمات شكلاً ومضموناً. وهذه القوالب في امتدادها وتقابلها هي ما يجعل النص الروائي مبنيناً، حيث يكسب شعور الشخصية ولا شعورها هذه الثيمات أبعاداً تداولية داخل الخطاب.
- 10 - أحمد فرشوخ، جمالية النص الروائي، دار الأمان، ط 1، 1996، ص 98.
- 11- شعرية دويستوفسكي، ترجمة: د. جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 1986.
- 12- Esthétique et Théorie du Roman, Gallimard, Paris, 1978
- 13- الماركسية وفلسفة اللغة، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، ط 1، 1986.
- 14- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط 2، 1987، ص: 52.
- 15- العوف زياد، الأثر الإيديولوجي في النص الروائي، مؤسسة النور للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 1993، ص: 168.
- 16- ينظر: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ص 11.
- 17- نفسه، ص 11.
- 18 - ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ص 12.
- 19 - المرجع نفسه.
- 20 - محمد معتمد، الشخصية والقول والحكي في لعبة النسيان، مكتبة الرسالة، 1995، ص 2 و 3.
- 21- بركات وائل، نظرية النقد الروائي عند ميخائيل باختين، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 14، العدد: 3، 1998، ص: 57.
- 22 - سيزا قاسم، مرجع سابق ص 37.
- 23 - أحمد فرشوخ، مرجع سابق ص 94.
- 24 - ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، ترجمة جميل نصيف، توبقال 1986، ص 267.
- 25 - تنظر ترجمة محمد برادة لكتاب باختين، فقد اخترنا بتصرف هذه المرتكزات، وسنبين في التطبيقات كيف تنصهر هذه المفاهيم.
- 26- محمد برادة، أسئلة الرواية- أسئلة النقد، (بتصرف)، ص: 31-37.
- 27- حنا مينه، الشراع والعاصفة، دار الآداب، دمشق، ط 4، مارس 1982م.
- 28- حنا مينه، الشراع والعاصفة، ص 1.
- 29 - عبد الفتاح كيليطو، الغائب، دار توبقال البيضاء، 1987، ص 89.70 .

- 30 - أحمد فرشوخ، جمالية النص الروائي، دار الأمان، 1996، ص 38.
- 31- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص14.
- 32 - محمد الماكري، الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، 1991، ص 74 .
- 33 - حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص 328.
- 34 - صنع الله إبراهيم، اللجنة، بيروت، دار الكلمة للنشر، ط 2، 1983.
- 35 - أحمد البيوري، في الرواية العربية التكون والاشتغال، شركة النشر والتوزيع المدارس، 2000، ص 116. في هذا الكتاب القيم يخصص الباحث دراسة في ست صفحات لرواية صنع الله إبراهيم، وينظر في بنائها اللغوي روعي ساردها السياسي وموقف "اللجنة" منه.
- 36 - أحمد البيوري، في الرواية العربية التكون والاشتغال، ص 117 .
- 37 - صنع الله إبراهيم، اللجنة، ص70 .
- 38 - أحمد البيوري، في الرواية العربية التكون والاشتغال، ص 118 .
- 39 - اللجنة، ص 144 .
- 40- esthetique et theorie du roman الذي ترجمه محمد برادة تحت عنوان: الخطاب الروائي، دار الأمان، 1987. انظر ص 111،
- 41 - أحمد فرشوخ، جمالية النص الروائي، دار الأمان، ص 94. يشرح الباحث هذه القضايا من خلال لعبة النسيان التي صدرت سنة 1987 عن دار الأمان.
- 42- (اللاز) للظاهر وطار، صدرت سنة 1974، في الجزائر عن الشركة الوطنية للتوزيع والنشر.
- 43- تعني الثيمات هنا الحمولة الجمالية والقيم المدركة من لدن السارد والمسروود له، مما يجعل المفاهيم الموضوعاتية تستنبت داخل الرواية بشكل دينامي يولد طبقات من الموضوعات.
- 44 - أحمد البيوري، في الرواية العربية التكون والاشتغال، ص7.
- 45- صلاح صالح، سرديات الرواية العربية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط3، 2003، ص: 272.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، صنع الله، (1983)، اللجنة، بيروت، دار الكلمة للنشر، ط 2.
- باختين، ميخائيل، (1986)، شعرية دوستوفسكي، ترجمة الدكتور جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1.
- باختين، ميخائيل، (1987)، الخطاب الروائي، تقديم وترجمة محمد برادة دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط 2.
- برادة، محمد، (1987)، لعبة النسيان، دار الأمان، الرباط.
- برادة، محمد، (1996)، أسئلة الرواية- أسئلة النقد، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ط 1.
- زياد، العوف، (1993)، الأثر الإيديولوجي في النص الروائي، مؤسسة النور للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1.
- صلاح، صالح، (2003)، سرديات الرواية العربية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط 3.
- الطلحي، بن ضيف الله، (1424هـ)، دلالة السياقية، جامعة أم القرى مكة، ط 1.
- العبد، يمى، (1998)، فن الرواية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1.
- فرشوخ، أحمد، (1996)، جمالية النص الروائي، دار الأمان، الرباط، ط 1.
- قاسم، سيزا، (1997)، روايات عربية قراءة مقارنة، ط 1، الرابطة المغرب.
- كيليطو، عبد الفتاح، (1987)، الغائب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- المالكري، محمد، (1991)، الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي.
- مرتاض، عبد المالك، (2005)، في نظرية الأدب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
- معتصم، محمد، (1995)، الشخصية والقول والحكي في لعبة النسيان، مكتبة الرسالة.
- مينه، حنا، (1982)، الشراع والعاصفة (رواية)، دار الآداب، دمشق، ط 4.
- وائل، بركات، (1998)، نظرية النقد الروائي عند ميخائيل باختين، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 14، العدد: 3.
- وطار، الطاهر، (1974)، اللان، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر.

البيوري، أحمد، (2000)، *في الرواية العربية التكون والاشتغال*، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، سلسلة: المكتبة الأدبية، ط1.

المواقع الإلكترونية

التعدد اللغوي وأثره الجمالي في وليمة لأعشاب البحر لحيدر حيدر، بحث للطالبة الأستاذة خديجة ط (هكذا وردت) نالت به شهادة التبريز من المدرسة العليا للأساتذة بالمغرب، بإشراف الدكتور محمد عفت، السنة الجامعية: 2008-2009، نقلا عن. موقع:

www.blog.saeed.com/2010/04

جميل حمداوي، الرواية البوليفونية أو الرواية المتعددة الأصوات، موقع: www.alukah.net

التداولية مقدمة عامة

خلف الله بن علي *

تاريخ الاستلام 2015/3/18

تاريخ القبول 2015/10/25

ملخص

أصبحت الأبحاث في مجال التداولية اليوم تثير اهتمام الكثير من الدارسين في شتى تخصصات المعرفة، فالتداولية -كما هو معروف- فضاء مفتوح على معظم المعارف الإنسانية، فهي تستوعب علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الاتصال، والنقد الأدبي، والبلاغة، والسيمانيات، وتحليل الخطاب، واللسانيات وغيرها.

ويبدو جليا أن التداولية قد اكتسحت ميدان الأبحاث اللسانية خاصة في مجال التواصل اللساني؛ حيث أعطت أهمية كبيرة للمتلقي على حساب الظروف السياقية والباحث نفسه، وقد تزامن ظهور هذه النظرية مع الأبحاث السيميائية لدى بيرس، والذي صنف هذا العلم ضمن فروع علم السيمياء.

ويلاحظ الباحث أن استقلال هذه النظرية في الحقل الأدبي شعره ونثره بقي بعيدا عن التناول، والغريب في الأمر أن هذه النظرية تهتم بالجانب الرمزي والتخييلي والاستعاري للكلام، إضافة إلى اهتمامها ببعض المظاهر الصوتية كالإيقاع والتنغيم.

مقدمة:

أضحت الدراسات في مجال التداولية مثار اهتمام العديد من النقاد والدارسين في شتى تخصصات المعرفة، خاصة التواصلية منها؛ باعتبار أن التداولية نحتاجها -تقريبا- في معظم المعارف الإنسانية، بدءاً من علم الاجتماع، إلى علم النفس، وعلم الاتصال، والنقد الأدبي، والبلاغة، والسيمانيات، وتحليل الخطاب، واللسانيات وغيرها.

ولا نبالغ إذا قلنا إن هذا العلم قد طغى مؤخراً على ميدان الأبحاث اللسانية خصوصاً في مجال التواصل اللساني، فلقد أعطت التداولية أهمية قصوى للمتلقي على حساب الظروف

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* المركز الجامعي، تيسمسيلت، الجزائر.

السياقية والباث نفسه، وبالعودة إلى الوراء قليلا نجد أنه قد تزامن ظهور هذه المعرفة مع الأبحاث السيميائية خاصة مع العالم الأمريكي (شارل سندرز بيرس) *Charles Sanders Peirce* والذي صنف هذا العلم ضمن فروع علم السيمياء.

سيكون مجال بحثنا التعريف بهذا المنهج المعاصر وتقريبه من القارئ العربي؛ وذلك من خلال:

- حدوده ونشأته وتطوره.
- أهم أعلامه.
- تقاطع هذا العلم مع العلوم الإنسانية الأخرى اللغوية وغير اللغوية وبالتحديد النقد الأدبي، والسيميائيات، والبلاغة، وتحليل الخطاب.
- أهمية هذا العلم من بين حقول المعرفة المعاصرة المتداخلة والمتشابكة والمكمل بعضها بعضا.
- مهام التداولية.
- أهم العتبات المفاهيمية في التداولية والجانب الإجرائي لهذا المنهج.

وتكمن أهمية هذه الصفحات في تقريب وتبسيط هذا المنهج الأسني للباحثين العرب خاصة فيما يخص التعريف به وتطبيقه على النصوص الأدبية، لأننا نجد صعوبة كبيرة لدى طلبة العلم والباحثين على السواء في فهم المناهج النقدية المعاصرة خاصة النسقية منها من جهة، وعدم التمرس في تطبيقها على النصوص الأدبية.

وبخصوص المنهج المتبع في هذا البحث فإن المنهجين التاريخي والوصفي التحليلي كانا سندا في تتبع هذا المنهج اللغوي من نشأته، واستقرائه وتطبيقه على النص الأدبي العربي خاصة القديم منه.

1- نشأة التداولية:

لقد اكتمل نضج مفهوم التداولية مع العالم الأمريكي (جون أوستن) *John Austin* الذي قدم نظرية إجرائية للتداولية وتحليل الخطابات، وقد وسّمها بنظرية أفعال الكلام، وأكد أن كل ملفوظ يحمل ويخفي بعدا كلاميا، وترتكز نظريته على تقديم مجموعة من الأفعال؛ (أفعال الأحكام، أفعال القرارات، أفعال التعهد، أفعال السلوك، أفعال الإيضاح) ليختتمها العالم (جون سيرل) *John Searle* بتقديم منهج إجرائي مكتمل يوضح عناصر تحليل الخطاب والنص بتطوير نظرية أفعال الكلام لأوستن وارتكزت على الإشارات، والاقتراض السابق واستلزام الحوار، والأفعال الكلامية المتكونة من (الاختبارات، والتوجيهات، والالتزامات، والتعبيرات، والإعلانات)¹.

وإذا عدنا إلى نشأة هذا المنهج فإنه نشأ كتيار فلسفي في أمريكا، وقد مثَّله (وليام جايمس) *William James*، و(جون ديوي) *John Dewey* و(ريتشارد رورتي) *Richard Rorty*، وفي سنة 1938م ميَّز الفيلسوف الأمريكي (شارلز موريس) *Charles Morris* في مقال كتبه في موسوعة علمية بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة، وهي: علم التركيب (وبالإجمال النحو الذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات)؛ وعلم الدلالة الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات وما تدل عليه؛ وأخيرا التداولية التي تعنى في رأي موريس بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والذي استقر في ذهنه أن التداولية تقتصر على ضمائر المتكلم والخطاب وظرفي الزمان والمكان (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها؛ أي من المقام الذي يجري فيه التواصل².

لقد أراد أوستن سنة 1955م أن يضع أحد أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية، التي حاول أن يجيب من خلالها على إشكال مفاده أن اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع، فكل الجمل (عدا الاستفهامية والأمرية والتعجيبة) يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة، فمثلا جملة (تكتب أن وباك كتاب التداولية اليوم) صادقة بما أنه في الوقت الذي نكتب فيه الفقرة، فإننا نكون بصدد تأليف الكتاب المعني الذي سيقراً خلال أشهر، وقد انطلق أوستن من هذه الفرضية المتعلقة بالطابع الوصفي للجمل بسمة موحية هي (الإيهام الوصفي)، منطلقا من ملاحظة بسيطة مفادها أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجيبة أو أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، وبالفعل لا تستعمل هذه الجمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنما تغييرها أو تسعى إلى تغييرها، فقد فكر أوستن في جمل من قبيل (أمرك بالصمت) أو (أعدك بأن آتي غدا)، ففي هذه الجمل لا نقول شيئا عن حالة الكون، إنما نسعى إلى تغييره، فقايل (أمرك بالصمت) يسعى إلى فرض الصمت على مخاطبه، يحتمل أن يسعى إلى الانتقال من حالة الضجيج في الكون إلى حالة السكون فيه³.

ومن جهة مقابلة يرى بعض دارسي اللغة أن تأسيس التداولية كمجال يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر يعود إلى العقد السابع من القرن العشرين، بعد تطويرها على يد ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أوكسفورد وهم (أوستن *Austin* وسيرل *Searle* وهربرت بول جرايس *Herbert Paul Grice*)، وكان اهتمامهم منصبا على الوصول إلى طريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها⁴.

2- ماهية التداولية:

التداولية: «مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب،

والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية»⁵، وهذا ما يجرنا حتماً إلى البحث في ماهية هذا الفعل الكلامي الذي تجعله التداولية أولى أولوياتها.

إن مفهوم "الفعل الكلامي" لا يتضح ولا ينجلي إلا بالرجوع إلى نظرية الأفعال الكلامية التي جاء بها الفيلسوف المعاصر (ج. أوستن)، وطورها تلميذه الفيلسوف (ج. سيرل)، فقد تعمق أوستن في إنجاز فلسفة دلالية تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية، وتختلف عما عرفناه عند علماء الدلالة اللغويين، وخصوصاً البنيويين منهم، فقد كان أوستن يلح على القيمة التداولية لعبارة لغوية كثيرة تستخدم في اللغة الإنجليزية، وربما في كل اللغات، فقد أدخل مفهوم القصدية *Intentionality* في فهم كلام المتكلم، وفي تحليل العبارات اللغوية، وهو مبدأ أخذ من الفيلسوف (إدموند هوسرل *Edmund Husserl*) والظاهرانيين، وتتجلى مقولة القصدية في الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والقصد العام من الخطاب، بمعنى أن الفعل الكلامي يعني التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ومن أمثلته: (الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والتعزية، والتهنئة)؛ فهذه كلها أفعال كلامية، وإذا طبقنا هذا المعنى على اللغة العربية فإن المقاصد والمعاني والإفادات التي تستفاد من صيغ التواصل العربي وألفاظه كمعاني الأساليب العربية المختلفة؛ خبرية كانت أم إنشائية، ودلالات (حروف المعاني) ودلالات (الخوالب)، وأصناف أخرى من الصيغ والأساليب العربية هي التي تمثل نظرية (الأفعال الكلامية في التراث العربي)⁶.

إن الأفعال الكلامية ليست مجرد دلالات ومضامين لغوية، بل هي فوق ذلك إنجازات وأغراض تواصلية ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات، والتأثير في المخاطب بحمله على فعل أو تركه، أو دعوته إلى ذلك أو تقرير حكم من الأحكام أو توكيده، أو التشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد المتكلم للمخاطب، أو وعيده أو سؤاله، أو استخباره عن شيء أو نفيه، أو إبرام عقد من العقود أو فسخه، أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسية معينة. ومن منظور التداولية لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية، أو رموزاً للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليديّة التحويلية، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه⁷.

ولعل أقرب حقل معرفي للتداولية هو اللسانيات، بالإضافة إلى أنها تشترك فيها مع علوم أخرى، وهي ليست علماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي الذي يكتفي بوصف البنى اللغوية وتفسيرها، ولكنها علم جديد يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب،

والاستدلالات التداولية والعمليات الذهنية المتحركة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنيوية اللغوية بظروف الاستعمال. والتداولية تمثل حلقة وصل بين حقول معرفية عديدة منها الفلسفة التحليلية (فلسفة اللغة العادية) وعلم النفس المعرفي وعلوم التواصل، واللسانيات⁸.

وقد اختلفت آراء العلماء فيما تدرسه التداولية، فمنهم من يرى أنها تنحصر ضمن دائرة دراسة علاقة العلامات بمستعملها وبمؤوليها⁹، كما اكتسبت التداولية عددا من التعريفات بناء على مجال اهتمام الباحث نفسه، فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى وليس المعنى بمفهومه الدلالي البحت؛ بل المعنى في سياق التواصل. مما يسوغ معه تسمية المعنى بمعنى المتكلم، فيعرفها «بأنها دراسة المعنى التواصلية أو معنى المرسل في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله»، كما تعرف التداولية -من وجهة نظر المرسل- بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق، بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده وتحقيق هدفه¹⁰.

ويمكن أن نخلص إلى أن التداولية هي: «دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل، ذلك أن صناعة المعنى تتمظهر في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي)، وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما»¹¹، بحيث «يمكن أن يكون موضوع التداولية هو نفسه موضوع الدلالة الثابت بإضافة سياق الاستعمال *Contexte*»¹².

3- تقاطع التداولية مع العلوم الأخرى:

وتأسيسا على ما سبق فإن التداولية لا تنتمي إلى أي من مستويات الدرس اللغوي صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا، لذلك فإن الأخطاء التداولية لا علاقة لها بالخروج على القواعد الفونولوجية أو النحوية أو الدلالية، وهي ليست مستوى يضاف إلى هذه المستويات، لأن كلا منها يختص بجانب محدد ومتماusk من جوانب اللغة، وله أنماطه التجريدية ووحداته التحليلية، ولا كذلك التداولية، فهي لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعا... وهي كذلك لا تنضوي تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة على تداخلاتها معها في بعض جوانب الدراسة، كعلم الدلالة الذي يشاركها دراسة المعنى، وعلم اللغة الاجتماعي الذي تتشارك معه في تبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث وموضوعه، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنويعها، وعلم اللغة النفسي الذي يشارك التداولية الاهتمام بقدرات المشاركين التي تؤثر في أدائها، مثل الانتباه والذاكرة الشخصية، وتحليل الخطاب، ويشارك في الاهتمام أساسا بتحليل الحوار، ويقتسمان عددا من المفاهيم الفلسفية واللغوية، كالطريقة التي توزع بها

المعلومات في جمل أو نصوص، والعناصر الإشارية، والمبادئ الحوارية¹³، لذلك يرى بعض العلماء أنه يمكن أن تكون امتدادا للسيمائية.

4- أهمية التداولية:

لا شك أن الدرس التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل وليس بمعزل عنه؛ لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، فليست وظائف مجردة. وبما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز، ومراعاة السياق ودراسته من جانب، أو تحليله في ذهن المرسل من جانب آخر، وذلك ليس بالأمر اليسير لأهميته ودقته، لذلك يعتقد (كارناب) أن التداولية هي قاعدة اللسانيات¹⁴ لتقاطعهما في العديد من المعطيات والمسائل.

ومن الأسئلة التي يثيرها الباحثون -في هذا المجال- ويحاولون الإجابة عنها هي: ماذا نصنع حين نتكلم؟ وماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا بينما في مقدورنا أن نفعل؟ فمن يتكلم إذن؟ وإلى من يتكلم؟ من يتكلم ومع من؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعمل حتى يرتفع اللبس والإبهام عن الجملة؟ ماذا يعني الوعد؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟ أي مقياس يحدد قدرة الواقع الإنساني اللغوي؟¹⁵.

يبدو أن التحليلات اللغوية الشكلية (البنوية) صادفت عدة مشكلات لعل أبرزها هي انغلاقها على النص وإلغاء كل الظروف المحيطة به، لذلك يرى (ليتش) أن في المنهج التداولي حلا لبعض هذه المشكلات، وذلك من وجهة نظر كل من المرسل والمرسل إليه، فالمرسل يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابا يؤثر به في المرسل إليه، كما أن المرسل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسل، كما يريد لها عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ، وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة خوارزمية تجريدية -كما هو الحال في النحو- بل عبر تقدير ذهني عام ومحتمل وفقا لعناصر السياق¹⁶.

5- مهام التداولية:

يمكننا أن نختصر مهام هذا المنهج في النقاط التالية:

- 1- دراسة (استعمال اللغة) لا من حيث بنيتها، كما تفعل البنوية، بل عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة؛ أي باعتبارها كلاما محمدا صادرا من متكلم محدد، وموجها إلى مخاطب محدد، بلفظ محدد، في مقام تواصل محدد؛ لتحقيق غرض تواصل محدد.
- 2- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

- 3- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرفية في معالجة الملفوظات.
 - 4- تبيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
- وتأسيسا على ما سبق فقد عول بعض الدارسين على التداولية في تحقيق طائفة من الرهانات التي يمكن أن تعبر عنها هذه الأسئلة:
- كيف نصف الاستدلال في عملية التواصل؟ علما بأن الاستدلالات التداولية غير منغلقة، وربما كانت غير مقنعة في كثير من الأحيان.
 - ما هو نموذج التواصل الأمثل (الترميز هو أم الاستدلال)؟
 - ما هي العلاقة بين الفروع المعرفية المشتغلة بهذه الأنشطة (أي علم اللغة، وعلم التواصل، وعلم النفس المعرفي)¹⁷؟

6- العتبات الإفهامية في التداولية:

سنخصص هذا الجزء من البحث للجانب التطبيقي للتداولية في التلفظ، فالكلام بصفة عامة حمال أوجه، يفصح عن وجه ويواري وجوها أخرى، وعلى المخاطب أو المتلقي الحذر البحث عن القصد من التكلم، ويبدو أو يحتمل أنه تحضير المتلقي للتفاعل مع النصوص المنتجة عبر مجموعة من العتبات، قائمة على التواضع حول مجموعة من القضايا اللغوية التي قد يؤدي جهلها إلى سوء الفهم، إذ على المتكلم مراعاة قدرات المخاطب، والأخذ بعين الاعتبار مجموعة من العوامل التي قد تساعد على الفهم. والفهم الجيد يمكن من إقامة علاقات حوارية بين الأطراف المتخاطبة، تتباين فيها مقاصد الحوار وتتنوع بين توجيه المتكلم لإنجاز أفعال ما، أو إقناعه بأفكار أو أفعال، ومن ثمّ يمكن أن نرصد العتبات التالية: الإفهامية، الحوارية، التوجيهية، الحجاجية¹⁸، وهي عتبات متداخلة إذ في الموقف التواصلية الواحد قد يجتمع الإفهام والتوجيه والحوار والحجاج، كما أن للعتبة الحجاجية حضورا في مختلف العتبات على اعتبار «أن كل قول ولو كان لفظا واحدا هو حجة حذف أحد عناصرها»¹⁹.

أ- العتبة الإفهامية:

من أجل أن يتحقق التواصل بين المتلقي مع أي نص يجب بدءا معرفة بعض من خبايا اللغة، والتي قد تعيق عملية الفهم والإدراك، الذي يؤدي بدوره إلى الحيلولة دون تحقيق التواصل، لأن عملية التواصل تتأسس على عقدين؛ المتكلم والمخاطب. يتم من خلاله التواضع على شفرات معينة، ولكن هذا التعاون بين المتكلم والمخاطب ليس قائما في كل الأحوال، بل يمكن للمتكلم أن يبني كلامه بشكل يؤدي إلى سوء التأويل، ويكون ذلك بشكل مقصود أو غير مقصود، كما يمكن للمخاطب «أن يعيد بناء القول على ما قاله المتكلم انطلاقا من فهم سيء مقصود أو غير مقصود

للمتكلم»²⁰، ولتلافي درجة سوء الفهم، أو التقليل منها، وتوسيع دائرة الحوار بين الأطراف المتخاطبة يلجأ عادة إلى بعض الآليات كالإفهام بالشرح، فالشرح يقتزن بجملة من القواعد اللغوية يمكن امتلاكها لإزالة بعض الضبابية التي تلف الخطابات، وللتوضيح أكثر يستعان بالتمثيل، يقول الجرجاني: «اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعين من اللفظ هو به أخص وأولى... وهو فيه أحلى، ومأخذا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب... وإذا كان الشيء متعلقا بغيره مقيسا على سواه كان خير ما يستعان به على تقريبه من الإفهام، وتقديره في النفوس، أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ويؤنس به، ويكون زماما عليه، يمسكه على المتفهم له والطالب علمه»²¹، وللتوضيح أكثر نأخذ هذه الأمثلة:

قول الشاعر:

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنَّنِي... كَبُرْتُ، وَأَنْ لَا يُحَسِّنَ السَّرَّ أَمْثَالِي²²

قال تعالى: « وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا »²³.

قال امرؤ القيس:

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ، كَأَنَّمَا... خَفَاهُنَّ وَدَقُّ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلَّبٍ²⁴

قال تعالى: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا»²⁵.

من الأمثلة السابقة نكتشف إستراتيجية في الشرح تعتمد التمثيل للفظ المشروحة بنص آخر غير الذي وردت فيه، فالألفاظ المشروحة في النماذج السابقة هي ألفاظ دلالاتها الشائعة عكس الدلالة المبتغاة، أو ما يعرف في اللغة العربية بالمشتراك اللفظي، يركز عليها الشرح لأنها ألفاظ محفوفة باحتمالات سوء الفهم كلفظة "أخفيها" التي تعني في الظاهر أخبئ، ولكنها تضمّر عكس هذا في النص الشعري²⁶.

فكلمة الشرح والتمثيل في كتب جمهرة أشعار العرب مثلا ترتبط بما ذكر من أن في القرآن مثل ما في كلام العرب من اللفظ المختلف، ومجاز المعاني، وقد بينت الأمثلة السابقة اللفظ المختلف، وتوضح الأمثلة التالية الاستخدام المجازي.

يقول الأعشى:

بِكَاسٍ كَعِينِ الدِّيكِ بَاكَرْتُ خِدْرَهَا... بِفَتِيَانِ صِدْقٍ، وَالنَّوَاقِيسُ تُضْرَبُ²⁷

الكأس والخمر، ومنه قوله تعالى: «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ»²⁸.

والألفاظ التي ركز عليها الشرح هنا لم تستعمل استعمالاً حقيقياً، وإنما أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز²⁹.

إن الوصول إلى أن المعنى الحقيقي في الألفاظ المشروحة سابق ليس المراد، يتم بفضل السياق الذي وردت فيه، والذي يحوي قرائن ترجح المعنى المجازي، وعليه يمكن القول إن عملية الشرح تتعلق بقضية مهمة هي السياق النصي الذي يرجح اختياراً ما من بين الاختيارات المتاحة³⁰.

ب- العتبة الحوارية:

للحوار أهمية كبيرة في التواصل، لأنه النشاط الذي يبرز استعمال اللغة المختلفة في إطار تفاعلي بين المتكلم والمستمع، ويمكن القول إنه فعل لازم للإنسان الذي يشتق من ذاته ذاتاً يحاورها إن لم يكن هناك ذات أخرى. إن الألفاظ الدالة على التخاطب تؤول إلى فكرة التفاعل أو تبادل الأدوار في الحلقة الكلامية، فالمستمع متلق قد يتحول إلى متكلم، والوسائل متكلم يتحول إلى متلق، وهكذا مع بقية الألفاظ، وفق ما يقتضيه موقف تواصلية معين، إذ يتحول المخبر أو المتحدث إلى سامع، وتتضح دلالات تلك الألفاظ، ويتجلى مدى ارتباطها بالمتكلم أو المتلقي حين توظف في النصوص³¹.

إن أساس الحوار هو وجود لغة مشتركة بين الباث والمتلقي، وبقينا أن هذا الاشتراك هو سبب ظهور العتبة الإفهامية، وهي بدورها تسعى إلى خلق فضاء لغوي مشترك يهفو إلى تنبيه القارئ أو القراء إلى استعمالات الشعراء للألفاظ، إذ قد «يذهب الشاعر إلى اللفظة التي كثيراً ما تحتل شيئاً من الغموض الذي لا بد منه أحياناً في صناعة الشعر، وهو غموض إضعاف تلك العلاقة الآلية بين الألفاظ ومداليلها التي وضعت لها في المعاجم»³².

سنأخذ هذا المثال لتوضيح هذه العتبة: «عن الأصمعي قال: قدم رجلٌ من فزارة على الخليل بن أحمد وكان الفزاري عيباً، فسأل الخليل مسألةً فأبطل في جوابها، فتضاحك الفزاري، فالتفت الخليل إلى بعض جلسائه فقال: الرجال أربعة فرجل يدري ويدري أنه يدري، فذلك عالم فسلوه؛ ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذلك الناسي فذكروه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فذلك الجاهل فعلموه؛ ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذلك الأحمق فارفصوه.

ثم أنشأ الخليل يقول:

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتني أو كنتَ أجْهَلُ ما تقولُ عذلتُكَ
لكنَّ جهلَ مقالتي فعذلتني وعلمتُ أنك مائقٌ فعذرتُكَ»³³.

هذا النص يبين أثر الفهم الحاصل الذي حال دون إنشاء حوار فعال، وقد يرجع سبب فشل هذا الحوار إلى عدة أسباب لعل أهمها:

- تباين مقامات المتخاطبين.
- سوء التأويل للأفعال التي صدرت عن كليهما، إذ أولّ الفزاري إبطاء الخليل بالعجز فتضاحك، وأولّ الخليل تصرف الفزاري بالحمق فاجتنب الحديث إليه، والتفت إلى بعض جلسائه. هذا كما حذر الخليل العلاقة بين المتكلم والمستمع على أساس المعارف التي يمتلكها أحد الأطراف وفق ما يلي:

موقف المتكلم	موقف المستمع
عارف	الإتباع ←
غافل	التنبيه ←
جاهل	التعليم ←
أحمق	الاجتناب ←

إن هذه الحالات تحكم علاقة المتكلم بالمخاطب والعكس، وفق تبادل الأدوار، إذ قد يحتل المتكلم دور المخاطب، ويحتل المخاطب دور المتكلم في الدورة الكلامية³⁴.

فالعلاقة التي حكمت المتخاطبين هنا كانت بالاستناد إلى معارفهم، وقد تظهر في موقف لغوي أو غير لغوي، فالضحك والالتفات الصادران عن العيّي والخليل على الترتيب هما موقفان غير لغويين، والسؤال والإخبار موقفان لغويان، إن الموقفين ليسا منعزلين بعضهما عن بعض³⁵.

ج- العتبة التوجيهية:

تشكل هذه العتبة واحدة من عتبات التداول، وترتبط بجانب من جوانب التواصل التفاعلي لتوجيه يتعلق في أساسه بوجود طرفين تتحدد العلاقة بينهما تبعاً لنوعية الخطاب المنتج، الذي غالباً ما يبني على ما يشير لفعل التوجيه، وتسهم العلاقة بين طرفي الخطاب إلى حد بعيد في الكشف عن مقصدية الخطاب، محددة إذا ما كان توجيهاً أو أمراً أو نهياً أو التماساً، يتضح هذا مثلاً مع فعل الأمر الذي يعد تقنية من تقنيات التوجيه³⁶.

وإذا كان «الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه؛ فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب، وإلا لم تغد غير الطلب. ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام، إن

استعملت على سبيل التضرع، كقولنا اللهم اغفر وارحم ولدت الدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطف كقول كل أحد لمن يساويه في المرتبة افعل بدون الاستعلاء ولدت السؤال والالتماس كيف عبرت عنه، وإن استعملت في مقام الإذن كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين لمن يستأذن في ذلك بلسانه أو بلسان حاله ولدت الإباحة، وإن استعملت في مقام تسخط المأمور به ولدت التهديد»³⁷.

من خلال هذا النص يكتشف القارئ أن التوجيه بالأمر ليس محكوماً بالوضع اللغوي فحسب، بل يخضع إلى سلطة المرسل، والتي قد تكون مكسبا في حقل من الحقول الاجتماعية أو الوظيفية أو غيرها، وقد تكون موجودة قبل التلطف بالخطاب وتتبلور بالانتماء إلى درجات متفاوتة في سلم العلاقات العمودية بين طرفي الخطاب، وهي عرقية تعاقدية يكتسب فيها المرسل سلطة تخوله إصدار أفعال لغوية مثل: علاقة الطبيب بمرضاه، أو علاقة القاضي بالمحتكمين إليه، أو المدرس بطلابه، أو رجل الأمن بالجمهور ضمن اختصاصه³⁸.

وتأكيدا لما سبق سنأخذ المثال الآتي عن هذه العتبة من هذا النص: «أتى حسان بن ثابت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن أبا سفيان بن الحارث هجأك، وأسعده على ذلك نوفل بن الحارث وكفار قريش، أفتأذن لي أن أهجوهم يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف تصنع بي؟ فقال: أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين، فقال أهجوهم وروح القدس معك، واستعن بأبي بكر فإنه علامة قريش بأنساب العرب، ولما أسلم أبو سفيان بن الحارث قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنت مني وأنا منك ولا سبيل إلى حسان»³⁹.

لقد جسد هذا المثال التوجيه على مستويين:

- مستوى صريح تجسده أفعال الأمر.
- مستوى ضمني ينبئ عنه النص.

بدأ التوجيه بطلب حسان واستشارته للرسول أي الحصول على فعل توجيهي من الرسول لممارسة فعل الهجاء، فبدأ بإخبار الرسول بفعل الهجاء الصادر عن الكفار، ومقومات هذا الفعل التي جسدها قول حسان: «أسعده نوفل بن الحارث وكفار قريش» الإخبار بهذا الأمر يتضمن رغبة حسان في الحصول على توجيه من الرسول لهجو الكفار، وهو الأمر الذي صرح به حسان لاحقا: «أفتأذن لي يا رسول الله أن أهجوهم»، وقد بنى هجاءه وفق إستراتيجية معينة تسلكها الرسول صلى الله عليه وسلم منهم كما تسلك الشعرة من العجين. إن العقل التوجيهي الذي خص به حسان يكتسب قوته من الأطراف المتخاطبة:

- المخاطب حسان يطلب الاستشارة، يصرح بشق ويضمّر شقا آخر.
- المخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم يتمتع بسلطة دينية.

فالقوة التي يكتسبها الفعل التوجيهي تفقد قيمتها بتغيير السياق الذي أنشأها، فالرسول صلى الله عليه وسلم وجه حسان نحو فعل الهجاء حين توفر السياق المناسب لذلك (كفر المهجوين)، ولكن تبدل السياق يفقد الفعل التوجيهي قوته كما وضع ذلك النص: «فلما أسلم سفيان بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت مني وأنا منك ولا سبيل إلى حسان»⁴⁰.

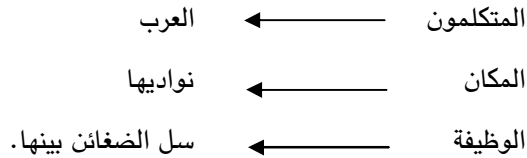
د- العتبة الحجاجية:

يتم التأثير في الآخرين عن طريق اللغة، لأن كل لفظ هو حجة، ويتم ذلك وفق آليات ملحقة حتما باللغة، فسلوكيات الإنسان اللغوية وغير اللغوية هي في الواقع نشاط حجاجي يمارسه ليؤثر في الآخرين ويتأثر بهم، ويحول دون تأثيرهم فيه. إن شحن اللغة بالعبارات الحجاجية ليس كافياً؛ إن إن هناك آليات حجاجية وهي:

1- الحجاج والتعريف:

لا شك أن التعريف بالشيء يقربه من المتخاطبين، كما أنه يسهم في عملية إقناعهم، فالتعريف يشكل «في الغالب مدخلا للحجاج، لأننا نحتاجه حينما نريد تحديد مفهوم، حتى تكون هناك أرضية تقوم على قواعد مشتركة بين المتخاطبين من أجل إقناع أحسن»⁴¹، ولتوضيح هذا الكلام سنأخذ هذا المثال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في نواديها وتسل به الضغائن بينها»⁴².

فهذا النص الذي بين أيدينا يمثل بحق تعريفا تداوليا للشعر، إذ حدد المتكلمين ومكان المتكلم، والوظيفة المرجوة من ذلك.



فالتعريف الوظيفي للشعر شكل من أشكال الحجاج، وقد تقوّت هذه الحجة من خلال التعبير الاستعاري، إلى جانب اكتساب هذا النص حجته من الشخص الذي صدر عنه الكلام، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو حجة تشريعية؛ إذ يكفي صدور القول منه ليكتسب صفة الحجة⁴³.

2- الحجاج والإنجاز:

إذا اعتبرنا السلوك والسلطة يشكلان حجة، فإن الفعل المتضمن في القول أو المنجز بقول يشكل حجة تدفع الخطاب أو السامع للتغيير من موقفه أو تعديله، فيصبح موقفه متصلا بذلك الفعل المنجز بالقول، إذ هو في الحقيقة رد فعل له أو أثر ناتج عنه، وللتوضيح نأخذ المثال التالي: «وفد عبيد الله بن زياد على عمه معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية: أحفظت القرآن؟ قال: نعم، قال: ففرضت الفرائض؟ قال: نعم، قال: أحفظت الشعر؟ قال: لا، قال: فما منعك؟ قال: منعي أبي، فكتب معاوية إلى زياد كتابا يقول فيه: أن تروي عبيد الله الشعر ولقد رأيت يوم صفين وقد دعوت بعروسي ثلاث مرات أريد الفرار فما ردني إلا الأبيات التي قالها عمر بن الأظنابة الأنصاري»⁴⁴.

يقوم الحوار هنا على ترتيب الأعمال وفق أهميتها وزمنها، بدءاً بالتعليم الذي جسده حفظ القرآن، ثم تجسيد ذلك الحفظ عن طريق الممارسة التي تجلت في تأدية الفرائض، ثم حفظ الشعر الذي قد يعد عملاً ثانوياً⁴⁵.

والحوار هنا يكشف أيضاً جواباً سلبياً بالنسبة لحفظ الشعر، قال: أحفظت الشعر قال: لا، فقال: ما منعك؟ فصيغة سؤال معاوية حول جنس المانع (ما منعك؟) تجعلنا أمام جملة من الإضممارات تنطوي تحت السؤال؛ إذ إن معاوية يفترض رغبة عبيد الله في تعلم الشعر، ويفترض وجود موانع تحول دون ذلك يسعى إلى تحديدها، فإجابة عبيد الله ترجح الفرضية التي ذهب إليها معاوية، فعبيد الله لا يعارض حفظ الشعر، وإنما منعه والده، وإن الموقف التخاطبي السابق جعل معاوية يوجه الحجة لزياد، والتحول من مخاطبة عبيد إلى مخاطبة والده، إذ إن عبيد محكوم بسلطة والده⁴⁶.

خاتمة:

في ختام هذا البحث يمكننا القول أن التداولية منهج نسقي يقارب النص الأدبي انطلاقاً من معطياته الألسنية، مركزاً على علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه؛ بمعنى كيفية استثمار السمات والعلامات اللغوية في الخطاب، وجعله رسالة تواصلية ناجحة وواضحة.

وتختلف التداولية عن المناهج النسقية الأخرى بتركيزها على الفعل الكلامي؛ في حين تركز المناهج الأخرى على الخطاب بشكل عام. فهي تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية أساساً؛ لأن الأفعال الكلامية ليست فقط دلالات ومضامين؛ بل هي إنجازات وأغراض تواصلية تهدف إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو فردية بالكلمات، والضغط على المتلقي وتوجيهه.

وهذا المنهج سليل علم الألسنية المعاصر، إلا أنه يتميز عنه باشتراكه مع علوم أخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاتصال، والنقد الأدبي، والبلاغة، والسيمانيات، وتحليل الخطاب، وهو ليس علما لغويا محضا يكتفي بوصف البنى اللغوية وتفسيرها، كما تفعل البنيوية والأسلوبية والسيمائية والتفكيكية؛ ولكنه يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال كبنية اللغة وقواعد التخاطب والاستدلالات التداولية والعمليات الذهنية المتحركة في الإنتاج والفهم اللغويين.

The Pragmatics: General Introduction

Khalfallah Benali, University Center, Tissemsilt, Algeria.

Abstract

The pragmatics is now the subject of several studies. Its applications are now numerous and diverse in almost all humanities such as sociology, psychology, communication science, literary criticism, rhetoric, semiotics, discourse and linguistic analysis... etc.

Research in pragmatics has attracted the attention of many researchers in various fields. Pragmatics is open to various fields of study such as Sociology, Psychology, Communication Studies, Literary Criticism, Semiotics, Discourse Anyalysis, and Linguistics. Moreover, Pragmatics invaded the field of linguistics research, including those of linguistic communication because it gives more importance to the receiver than to contextual conditions and the sender himself/herself. The appearance of Pragmatics coincided with semiotic research done by Perce who listed it in the branches of Semiotics.

The researcher notes that Pragmatics is independent and inaccessible in the field of literary studies. What is strange here is that this theory is concerned with the symbolic, imaginary, and metaphoric aspects of speech as well as sound, rhythm, and intonation aspects.

الهوامش

- (1)- ينظر: عبد الحكيم سحالة، التداولية امتداد شرعي للسيمائية، الملتقي الدولي الخامس (السيمياء والنص الأدبي)، 15-17 نوفمبر 2008م، جامعة بسكرة، الجزائر، ص.421.
- (2)- ينظر: آن روبول، وياك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ولطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ودار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2003م، ص.29.
- (3)- ينظر: آن روبول، وياك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص.30.
- (4)- هاجر مدقن، التحليل التداولي، الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية. *Dspace. Univ. Ourgla. Dz/ JSPUI/ handle/ 1234567/6960*
- (5)- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط.01، 2005م، ص.05.
- (6)- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص.ص. 09-10.
- (7)- ينظر: نفسه، ص.11.
- (8)- ينظر: نفسه، ص.15-16.
- (9)- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004م، ص.21.
- (10)- ينظر: نفسه، ص.22.
- (11)- هاجر مدقن، التحليل التداولي، الأفق والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية. ص.88.
- (12) - Française latraverse, La pragmatique histoire et critique ; Ed. Pierre Mardaga , Liège, Belgique, 1987, p.137.
- (13)- هاجر مدقن، التحليل التداولي، الأفق والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية.
- (14)- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص.23.
- (15)- ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م، ص.07.
- (16)- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص.24.
- (17)- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص.ص. 26-27.
- (18)- ينظر: شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، مخطوط دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2008-2009م، ص.18.

- (19)- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط. 01، 1997م، ص. 255.
- (20)- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط. 01، 2004م، ص. 118.
- (21) - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح. محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، 1992م، ص. 575.
- (22)- القرشي، جمهرة أشعار العرب، تح. علي محمد الجاوي، نهضة مصر للطباعة، د.ت، ص. 15.
- (23)- سورة البقرة، الآية 235.
- (24)- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص. 16.
- (25)- سورة طه، الآية 15.
- (26)- ينظر: شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص.ص. 26-27.
- (27) - القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص. 20.
- (28)- سورة الواقعة، الآية 20.
- (29) - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح. محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ودار المدني، جدة، د.ت، ص. 351.
- (30)- ينظر: شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص.ص. 26-27.
- (31) - ينظر: نفسه، ص. 30.
- (32)- حسين الواد، المتنبي والتجربة الجمالية عند العربي (تلقي القدماء لشعره)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. 02، 2004م، ص. 140.
- (33)- الجمهرة، ص. 43.
- (34)- شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص. 48.
- (35)- نفسه، ص. 49.
- (36) - شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، ص. 50.
- (37)- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص.ص. 318-319.
- (38)- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص. 227.
- (39)- إبراهيم الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمره الألباب، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج. 01، ص. 62.
- وينظر: القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص. 35.

- (40)- شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص.ص. 52-53.
- (41)- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص.142.
- (42)- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص.34.
- (43)- ينظر: شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص.ص. 64-65.
- (44)- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص.52.
- (45)- ينظر: شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، ص.ص. 67-68.
- (46) - ينظر: نفسه، ص.68.

القرآن الكريم برواية حفص

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمره الألباب ج.01، بيروت، دار الجيل، د.ت.
- أن روبول، وباك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ولطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ودار الطليعة للطباعة والنشر، 2003م.
- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، الدار البيضاء، المغرب، دار إفريقيا الشرق، ط.01، 2004م.
- حسين الواد، المتنبي والتجربة الجمالية عند العربي (تلقي القدماء لشعره)، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط.02، 2004م.
- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م.
- شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، مخطوط دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2008-2009م.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط.01، 1997م.

عبد الحكيم سحالة، *التداولية امتداد شرعي للسيمائية*، الملتقي الدولي الخامس (السيمياء والنص الأدبي)، 15-17 نوفمبر 2008م، جامعة بسكرة، الجزائر.

عبد السلام عشير، *عندما نتواصل نغير*، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، منشورات إفريقيا الشرق، 2006م.

عبد القاهر الجرجاني، *أسرار البلاغة*، تح. محمود شاكر، جدة، مطبعة المدني، القاهرة ودار المدني، د.ت.

عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، تح. محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، 1992م.

عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية*، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد، 2004م.

فرانسواز أرمينكو، *المقاربة التداولية*، تر. سعيد علوش، الرباط، المغرب، مركز الإنماء القومي، 1986م.

القرشي، *جمهرة أشعار العرب*، تح. علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة، د.ت.

مسعود صحراوي، *التداولية عند العلماء العرب*، (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، بيروت، لبنان، دار الطليعة، ط.01، 2005م.

هاجر مدقن، *التحليل التداولي*، الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية. *Dspace. Univ. Ourgl. Dz/ JSPUI/ handle/ 1234567/6960*

Française la traverse, *La pragmatique histoire et critique*; Ed. Pierre Mardag, Liège, Belgique, 1987.

ظاهرة الحزن في شعر حادثة كفّ البصر عند سبط ابن التعاويذي

سلامة هليل الغريب *

تاريخ الاستلام 2016/3/15

تاريخ القبول 2016/5/22

ملخص

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على ظاهرة الحزن في شعر سبط ابن التعاويذي، الذي نظمته في حادثة فقد بصره، أو ذكر فيه تلك الحادثة التي ألمّت به سنة 579هـ، فنظراً لعدم دراسة هذا الشعر في بحث مستقل يبرز قضايا الموضوعية والفنية، فإنّ هذا البحث يهدف إلى سبر غور هذا الشعر من خلال تحليل ظاهرة الحزن التي اتّسم بها الشاعر بعد فقد بصره، في الناحيتين الموضوعية مثل (رثاء العين، والشكوى والاستعطاف، والحنين والموازنة، واليأس والاستسلام، والعتاب) والفنية مثل (الصورة البصرية، والتكرار لألفاظ الظلام، ووضوح اللغة، وعفوية البديع).

مدخل:

هو "محمد بن عبيد الله أبو الفتح ابن التعاويذي، ويُعرف أيضاً بسبط ابن التعاويذي، وكلاهما نسبة لجدّه لأمّه أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي السراج الجوهري المعروف بابن التعاويذي الزاهد.

ولد أبو الفتح ابن التعاويذي في اليوم العاشر من رجب سنة تسع عشرة وخمسمائة للهجرة، وتوفي في ثاني شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد" (1).

شاعريّته:

يُعدُّ سبط ابن التعاويذي "شاعر العراق في وقته" (2)، وكلُّ شعره غرر (3)، ولم يكن في وقته شاعر مثله (4)، "جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها، وهو في غاية الحُسن والحلاوة، وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه" (5)، وعدّه الصّفي من

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الطفيلة التقنية، الطفيلة، الأردن.

الشعراء المنطقيين (وتعني الإصابة في الرأي) ⁽⁶⁾ قائلاً: "كان شاعراً منطبقاً، سهل الألفاظ، عذب الكلام، منسجم التركيب، ولم يكن غواصاً على المعاني" ⁽⁷⁾.

وقد سطع نجمه في سماء الخلافة العباسية مادحاً الخلفاء والوزراء والأعيان، ورتب ديوانه بناءً على تلك المدائح، فقد أظهر شاعريةً فذةً مقارنةً بأبناء زمانه من الشعراء بناءً على أحكام من ترجموا له، وما في ديوانه من قصائد تذكّر بقصائد فحول الشعراء، وجاء في مقدمته لديوانه قوله: "ومنها أنني استقبلت زماني والأدب قد غاض مأوه، وخبت ناره، ونضب تياره، ولم يبق بيد الناس منه إلا صبا، والخطأ فيها أكثر من الإصابة..." ⁽⁸⁾، وهذا الشعور جعله يشعر بالتفرد، بل جعل بعض أقرانه وأصدقائه يشهدون له بذلك؛ كشهادة صديقه العماد الأصفهاني فيه قائلاً: "شاب فيه فضل وأدب ورناسة، وكياسة، ومروءة، وأبوة وأبيّة وفتوة" ⁽⁹⁾، فكل هذه السمات أهّلته لأن يكون شاعر عصره ومصره.

وبالنظر إلى إشارة ابن التعاويذي إلى أدب عصره وتعرّضه عن سابقه من العصور، يشير شوقي ضيف إلى اتجاه الأدب في تلك الأثناء نحو التصنع والتعقيد، من خلال تفحص أساليب بعض الأدباء، كالمعري والحريري وغيرهما ⁽¹⁰⁾.

تميّز شعر ابن التعاويذي بصيغة المدح؛ ولذا جاء ديوانه في أربعة أبواب، وزيادات، فالأبواب الثلاثة الأولى فيه مختصة بالمدح، والباب الرابع يشمل موضوعات متفرقة، والزيادات نظمها بعد تدوينه لأبوابه الأربعة ⁽¹¹⁾، وقد قدّمت رسالة ماجستير في شعره بعنوان "المدح في شعر سبط ابن التعاويذي" ⁽¹²⁾، تتبّع فيها الباحث ظاهرة المدح في شعره.

حادثة كفّ البصر:

أجمعت المصادر ⁽¹³⁾ التي ترجمت لسبط ابن التعاويذي على أنه أصيب بعينيه، وفقد البصر ولزم قعر بيته سنة 579هـ، ونظم شعراً في هذه الحادثة، ضمّنه زياداته في الديوان، ولم يكتفِ بوصف تلك الحادثة في قصائد معينة، بل ظلّت هذه الحادثة ملازمة له في كل قصيدة كتبها بعد ذلك التاريخ، ولازم الشاعر في هذه الأشعار الحزن العميق الذي يعبر فيه عن فقد البصر وشبح الشيخوخة الذي داهمه.

التقديم:

إنّ الأدب يتأثر بما يلقي الأديب في سني حياته، فهو يُعدّ مرآة تعكس صورة الأشياء التي تقابلها، فإنتاج الأديب يعكس مسار حياته في تقلباتها المتباينة، فلو أنعم النظر في أعمال الأديب، ودقّق فحصها لتبيّن للناقد الخبير المسار الذي سلكه ذلك الأديب بكل ما فيه من تعرجات وتقاطعات، ولظهر له ما فيه من إضاءة وظل، وانقباض وانبساط، وفرح وحزن... إلخ.

ومهما يكن، فإنّ الأديب يترك أثره النفسي في أدبه كما يترك الفنّان ألوانه على الورق، أو النحّات صوره في الجدار، أو المحرّث خطوطه في الأرض، وفي جميع الأحوال، فإنّ للكلمة المعبرة التي ينحتّها فكر الأديب ويصوّرها أعمق الأثر في النفس، وأكبر التأثير في المشاعر.

وبناءً على ما تقدّم ذكره، فإنّ أكثر الأحوال تبايناً في إنتاج الأديب وتغيّراً لا يكون إلا عند حدوث النوازل في حياته، فهناك محطات فاصلة تحدث أحياناً في حياة الأديب توجّه مسار إنتاجه إلى وجهة قد تكون معاكسة تماماً لما ألفه في حياته قبل تلك النازلة.

ولذا، فإنّ مثل هذه النوازل تخلق أدباً جديداً ذا مسحة لم تكن قد وجدت في سابق عهد الأديب.

وعليه، فإنّ حادثة زهاب بصر سبط ابن التعاويذي في آخر سنّ عمره قد شكّلت سحابة حزن، ونقطة تحوّل في حياته الأدبية، وصبغت إنتاجه الأدبي بمسحة من الألم الممزوج بالحزن واليأس وإثارة الشفقة والشكوى والاستسلام، وقل ما شئت من عبارات فقدان الأمل لاجتماع العمى وأرذل العمر.

والنّاظر في شعره الذي سطّره بعد تلك الحادثة الأليمة، وخاصة ما ذكر فيه تلك النازلة يجده يفيض حزناً وألماً...، فتأمّل قوله⁽¹⁴⁾:

وأصبت في عيني	التي	كانت هي الدنيا بعين
عين جنيت بنورها	نور العلوم، وأي عين	
حالان مستني الحوا	دث منهما بفجيعتين	
إظلام عين في ضيا	ء مشيب رأس سرمدين	
صبح وإمساء معاً	لا خلفه فاعجب لذين	

فالتأمّل في هذه الأبيات يشعر بعظم الفجيعة التي ألمّت بالشاعر، فعبر عن تلك الحادثة بالمصيبة التي أذهبت سعادته وتركته يندب حظّه متحسراً على زهاب بصره، فالنازلة وجّهت سهامها إلى عينه التي هي دنياه وسعادته، وهي العين التي جنى بنورها زهرة الدنيا وعلومها، وقد اجتمع له مع هذه الرزية تقدّم العمر وما يرافقه من عجز وحسرة، وعبر عن ذلك بشيب الرأس، لما في ذكر الشيب من نذير بدو الأجل وحلول العجز؛ فاجتمع به ظلام النظر وبياض الرأس معاً، فحلّ في حالة تناقض، إن جمع بين النقيضين: الليل والنهار معاً.

ولا شك أنّ هذه الصورة أوحّتها شاعريته الخصبة التي تملّكها التناقض والتضاد في الظاهر، بينما يوحي اجتماع النقيضين، الصباح، والليل، بتردي حال الشاعر وشعوره النفسي.

أ_ مظاهر الحزن في شعره بعد فقد بصره:

وعند النظر في الأشعار التي سطرها الشاعر في هذه النازلة، تظهر للمتلقّي أمورٌ عدّة لازمت الشاعر في هذه القصائد، فمنها:

أولاً- رثاء العين:

كتب الشاعر بعض القصائد الشعرية يصف فيها فقدان بصره باكياً نفسه، مصوراً ما حلّ به في أدق تفاصيل حياته الشعورية قائلاً⁽¹⁵⁾:

أَصَبْتَنِي فِيهَا عَلَى غِرَّةٍ بعائِرٍ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي
جَوْهَرَةٌ كُنْتُ ضَمِيناً بِهَا نَفِيسَةُ الْقِيَمَةِ وَالْقَدْرِ
إِنْ لَمْ أَكُنْ أَبْكِي عَلَيْهَا دُمًّا فَضْلاً عَنِ الدَّمْعِ فَمَا عُدْرِي

فالْحَزَنُ يَلْفُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَالْأَسَى ظَاهِرٌ، وَالْفَجِيعَةُ حَاضِرَةٌ، وَقَدْ أَصَابَتْهُ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ، وَعَبَّرَ عَنْ عَيْنِيهِ بِالذُّرْرِ النَّفِيسَةِ، فَهِيَ جَوْهَرَةٌ لَا يَعْرِفُ قِيَمَتَهَا إِلَّا مَنْ فَقَدَهَا؛ فَلِذَا يَصْرُحُ لِنَفْسِهِ بِالْبَكَاءِ عَلَيْهَا، بَلْ عَلَيْهِ يَبْكِي دُمًّا فَضْلاً عَنِ الدَّمْعِ، فَهُوَ يَنْدُبُ حَظَّهُ الْعَائِرَ، وَإِنَّ هَذَا النَّدْبَ لِيَلَامِسَ مَشَاعِرَ الْمُتَلَقِّي، وَيَنْقِلُهُ إِلَى أَجْوَاءَ مِنَ الْبَكَاءِ وَالْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ، فَيَقُولُ مُعَبِّراً عَنْ عِظَمِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ الَّتِي هَدَّتْ كِيَانَهُ وَحَلَّتْ عُرَى صَبْرِهِ⁽¹⁶⁾:

فِيهَا لَهَا طَارِقَةٌ هَدْنِي طُرُوقَهَا فِي آخِرِ الْعُمُرِ
طَارِقَةٌ مِثْلُ بِي مَسُّهَا يَعْجُزُ عَنْ أَمْثَالِهَا صَبْرِي

فَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ تَعْبِيرٌ جَلِيٌّ عَنْ حَالَةِ الذُّهُولِ الَّتِي أَلَمَتْ بِهِ مِمَّا أَفْقَدَهُ الصَّبْرَ وَتَوَارَى عَنْهُ، وَأَخَذَ الْعَجْزُ مَكَانَهُ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِذِكْرِ أَلْفَاظِ الْهَدْيِ وَالطَّارِقَةِ وَالْمَسِّ وَالْعَجْزِ، فَهُوَ يَبْكِي حَالَهُ مَعَ هَذِهِ الْمَصِيبَةِ الَّتِي طَالَ مَكُوثُهَا.

ومهما يكن، فإن عنصر البكاء والتفجّع ظلّ ملازماً لشعره الذي قاله بعد هذه الحادثة، فهو لا يكتب قصيدة إلا بثَّ حزنه وبكاءه وتفجّعه في ثناياها.

ثانياً- الشكوى والاستعطاف:

عُرف عن هذا الشاعر كثرة مدحه للخلفاء والسلاطين والوجهاء، وصنع شعره بصيغة المدح، إلا أنه بعد زهاب بصره انكسرت نفسه وخبا ضياؤها، فانعكس ذلك على طبيعته مدحه، فتحول إلى استعطاف وشكوى واستنجد، فللمتلقّي أن يعاود النظر في هذه الأبيات التي كتبها مادحاً صديقاً له⁽¹⁷⁾:

أبْثُكَ مَجْدَ الدِّينِ حَالاً سَمَاعُهَا يَشْقُ عَلَى الْأَمْجَادِ وَالْكَبَرَاءِ
رُزْنَتْ بَعِينَ طَالَمَا سَهَرْتُ مَعِي لِنَظْمِ مَدِيحٍ أَوْ لَوْصَفِ ثَنَاءِ
خَدِمْتُ بِهَا الْأَدَابَ خَمْسِينَ حِجَّةً وَأَجْهَدْتُهَا فِي خِدْمَةِ الْخُلَفَاءِ
وَكَمْ سَيَّرْتُ مَدَحَ الْمُلُوكِ وَأَوْجِبْتُ حَقُوقاً عَلَى الْأَجْوَادِ وَالْكَرَمَاءِ
تَعَطَّلَ مِنْهَا كُلُّ نَارٍ وَمَجْمَعٍ وَأَوْحَشَ مِنْهَا مَلْتَقَى الْأَدْبَاءِ

فالبثُّ من الألفاظ الموحية بالحزن العميق، فهو يبيّ حزنه وألمه ذلك الممدوح بعبارات شعرية تفلق الأكباد وتشقّ على الأسماع، فحاله طال حزنها، وشكواه طال أمدها، فقد رزئ بعينه التي طالما أسعفته بنظم مديح الكرماء والعظماء والثناء عليهم، فضلاً عن خدمة الآداب روحاً من الزمن، إلا أن ما يؤلمه اليوم خسارتها وفقدانها، ونتيجة لفقدانها صوّحت أزهار نواديه وأقفرت عرصاته من الأدباء، فنبرة الاستعطاف بارزة في هذه الأبيات، وحديث الشكوى ظاهر، فيقول⁽¹⁸⁾:

رَمَتْنِي يَدُ الْأَيَّامِ فِيهَا بَعَائِرُ فَبَدَّلْتُ مِنْهَا ظُلُمَةً بِضِيَاءِ
وَرَتَّقَ⁽¹⁹⁾ عَيْشِي وَاسْتَحَالَتْ إِلَى الْقَذَى مِشَارِبُهُ عَنْ رَقَّةٍ وَصَفَاءِ
جَفَاءٌ مِنَ الْأَيَّامِ بَعْدَ مَوَدَّةٍ وَسَلَبٌ مِنَ الْأَيَّامِ غِيبٌ⁽²⁰⁾ عَطَاءِ

فأخذ الشاعر يبيّ شكواه بين يدي الممدوح معبراً عن مدى الأسى الذي سببته له يد الأيام التي أخذت نور عينيه وأبدلته الظلام مكان الضياء، فأعتم نهاره، وساءت حاله، وتبدلت سعادته عيشه، واستحالت بؤساً، وتنكرت له الدنيا ورمحته موليّة، وأخذ ينعت هذه الدنيا بأبشع الأوصاف في سياق شعري يقطر أسى وحزناً على تبدل عيشه.

وفي الغرض نفسه، نجده يقدم نفسه الحزينة الباكية المنكسرة شاكياً لممدوحه حاله التي غادرها الأنس والصفاء، وحلت في كسر بيت منزوية في ظلامها السرمدي قائلاً⁽²¹⁾:

وَهَا أَنَا كَالْمَقْبُورِ فِي كِسْرِ مَنْزِلِي سَوَاءٌ صَبَاحِي عِنْدَهُ وَمَسَائِي
يِرْقُ وَيَبْكِي حَاسِدي لِي رَحْمَةً وَبُعْدًا لَهَا مِنْ رَقَّةٍ وَبِكَاءِ

ولا يخفى ما في هذين البيتين من انكسارٍ وتذلّلٍ وإثارة شفقة واستعطاف، تجعل الممدوح يرقّ له، بل كل من يسمع هذه الأبيات، وقد ظلّت هذه الوسيلة مرافقة لكل قصيدة مدح بها أحد وجهاء ذلك العصر، فمن مديحة وجّهها إلى القاضي الفاضل⁽²²⁾، جاء قوله واصفاً تلك الحادثة⁽²³⁾:

حَبِيسُ بَيْتٍ مَفْرَدًا مُسَلِّمًا فِيهِ إِلَى الْأَحْزَانِ وَالْفِكْرِ
تَضِيقُ عَنْ خَطْوِي أَقْطَارَهُ وَهُوَ رَحِيبٌ وَاسِعُ الْقَطْرِ

إنَّ هذين البيتين يعبران تعبيراً صادقاً عن عظم الفادحة التي نزلت به، فهو حبيس بيته، تركه الخلان وهجرته الأحباب، وأسلموه للحنن والتفكر في العاقبة التي آل إليها، فهو لم يجد ما يعبر به عن إحساسه أوفر حظاً من وصف السجن والحبس، ولكن أين هذا الحبس؟ إنه بيته الذي كان مصدر فرحه وأنسه، فاستحال سجنًا كبيراً عجز عن مغادرته، وبات مكرّناً في زاويته، تقاصرت خطاه، وضاعت عليه نفسه بعد أن كانت فسيحة رحبة.

وظلّت هذه السمة ملازمة لشعره الذي وصف فيه حادثة فقدان بصره، فهو دائم الوجد والألم والشكوى والاستعطاف إلى حدٍّ يثير الشفقة في نفوس المتلقين، والمنصف لا يصفه بالمبالغة بالحنن في إثارة شفقة الآخرين، فالأمر أكبر من ذلك والنازلة جلل، وتبدّل الحال هكذا يهدّ صرح الكبرياء ويحلّ عرى الصبر، وتأمّل قوله⁽²⁴⁾:

واصغ لشكوى موجه	سميرهم مقلق
مضطجح من الأسى	بشاغل مغتبق ⁽²⁵⁾
أقصدي الدهر بسه	م صرفه المفوق ⁽²⁶⁾
أرسل لي من غدري	ثلاثة في طلق

ثالثاً- الحنين والموازنة:

وبقي الشاعر يبكي نفسه التي استحالت فرداً آخر وبُدلت حزنًا بأنسها وضيقاً برحابتها، وانقباضاً بانبساطها، فأخذ يوازن في شعره حاله قبل الحادثة وبعدها في جو نفسي كئيب قائلاً⁽²⁷⁾:

أين الشباب والمرح	والهوى والأشرف
أخنت على أيامها	أيام دهر غدري
لم يبق لي إلا الأسى	منهن والتذكر

إنَّ المتلقّي لهذه الأبيات يشعر بطاقات من الأسى تنبعث منها، فالشاعر يتساءل عن أيام شبابه وريعانه، وما تقلّب فيه من مرحٍ وحبٍّ وهوى، وهذه المفردات تثير في نفسه العودة إلى شرح الشباب وأيام الصبا، وهو لم يتوقّف عند الحنين لأيام الشباب وميعة الصبا، بل يوازن ما حلّ به بعد تلك المسرات، وهذا يضيف سحابة من الحزن والكآبة على شعره، فقد تولّت تلك الأيام وقلبت له ظهر المجن، فجاءته أيام الغدر والخنا؛ فأورثته الأسى والألم والتحسر والحنين والتذكر، قائلاً⁽²⁸⁾:

ورنق عيشي واستحالت إلى القذى	مشاربه	عن رقّة	وصفاء
جفاء من الأيام بعد مودة	وسلب من الأيام	غبّ	عطاء

لا يخفى ما في هذه الموازنة من الحنين والشوق وإظهار الألم، فقد تنكر له الدهر وكدر عيشه بعد صفائه ورقته، فقد جفته الأيام بعد المودة والصفاء وسلبته الأيام حلاوة العيش الذي طالما نغم فيه وتلذذ، ولا شك أن في ذكر الماضي ما يثير الألم، فهو يقول⁽²⁹⁾:

عزيرٌ عليها أن تراني جاثماً وما لي في الأرض البسيطة مسرّح
وأن لا أقود العيس تنفخ في البرى⁽³⁰⁾ وجرد المذاكي⁽³¹⁾ في الأعنة تمرح
أطل حبيساً في قرارة منزل رهين أسى أمسي عليه وأصبح

فهذه الأبيات تُفصح عما فيه من حنين غامر إلى سني السلامة والعافية؛ فتذكره أيام قوته وبأسه يبعث فيه الألم وبالغ الحزن، فقد كان يصلو ويجول في هذه الحياة موفور الصحة والعافية، وما هو اليوم حبيس منزله يعاني الأسى صباح مساء.

إن الموازنة بين الحالين مدعاة للحزن والوجوم، فالأمس الجميل ليس كالיום البئس، ومما يزيد حزنه أنه فارق السعادة في لحظة عابرة أسلمته إلى أتون من الآهات والحسرات، يبكي أقول ذلك الجمال والشباب، قائلاً⁽³²⁾:

فلله نصل فل مني غراره وعود شباب عاد وهو مصوح
وسقياً لأيام ركبت بها الهوى جموحاً ومثلي في هوى الغيد يجمع
وماضي صبا قضيت منه لبانتي خلاساً وعين الدهر زرقاء تلمح

إلى آخر هذه الأبيات التي تطفح أسى على الشباب المنصرم، الذي خلفه ثاوياً لا يغادر فناء بيته، وكفى بهذا التذكر من إشاعة جو من الحنين والشوق إلى تلك الأيام الخالية، فضلاً عما في هذه الذكريات من إذاعة جو الألم والحزن والكآبة المخيم به في قعر منزله؛ كالمقبور في ناحيته⁽³³⁾:

كأنّي ميّت لا ضريح لجنبه وما كل ميّت لا أبا لك يضرّح

وفي هذا القدر كفاية من مبلغ حزنه وحنينه وشوقه لأيام شبابه وعافيته التي فقدوها، وأي فقد، ينكا الجرح، ويبعث الأسى في أرجاء نفسه، فهو دائم التذكر والحنين لأيام خلت، اختلسها الدهر منه في ساعة من نهار.

رابعاً- اليأس والاستسلام:

ظلَّ الشاعر يقنع نفسه بتقبُّل الأمر معزياً إياها بما حلَّ في غيره، تأسياً وتسلياً وتسرياً،
قائلاً⁽³⁴⁾:

والدَّهْر بالإِرْزاء والنَّ	كبات مبسوط اليدين
أرسي على غُمدان ⁽³⁵⁾ وا	لإيوان منه بكلكين
وأباد ذا يَزَنٍ ⁽³⁶⁾ وأز	دى ذا الكُلا وذا رُعين ⁽³⁷⁾
أرداهم برمّاح خط	ب ما نُسبن إلى رُدين
وسطا على بهرام جُو	ر ⁽³⁸⁾ وأردشير ⁽³⁹⁾ العادلين
لم يدفع الحَدَثان ما	جمعوه من ورقٍ ⁽⁴⁰⁾ وعين
وأناخ في آل النبر	ي مجاهراً برزيتين
فبدا برزء في أبي	حسن وثنى بالحسين
الطيَّبين الطاهريين	ن الخيرين الفاضلين

إنَّ في ذكر هذه الأقوام البائدة والأعلام البارزة التي أتى عليها الدَّهْر عظةً واستسلاماً وانقياداً لحوادث الدَّهْر، فذكرها يبعثُ في النَّفسِ التَّأسِّي والإزعان لسطوة الدَّهْر وغدره، ويشي بالتَّسليَّة والتَّسرية عن النَّفس، فمجرد ذكرها يمنح النَّفسِ التَّأسِّي ويعزِّيها في مصابها الجلل، فهذا الدَّهْر حصانٌ جامحٌ سرعان ما يلقي عن ظهره من امتطاه، ودابةٌ رامحةٌ سريعاً ما تضرب بحافرها من يتبعها.

فقد استلهم من التاريخ قصصاً لأقوام سادوا، إلا أنَّ الدَّهْر تكفل بتفريق شملهم وتصديع بنيانهم، فالعزُّ والمنعة لم تحلَّ بين عبث الدَّهْر وغُمدان وإيوان كسرى والملوك العظام أمثال بهرام وأردشير، كما أنَّ الدهر لم يكفَّ أذاه عن آل النَّبيِّ الكرام، فقد أوقع بهم وولغ في دمائهم، فهذه مصيبةٌ بعلي كرم الله وجهه، وثانيةٌ بالحسين ابنه - رضي الله عنهما-، والشاعر يرمي من ذكر هذه الفجائع إلى إقناع نفسه بالتَّأسِّي وأخذ العظة، فهذا الدَّهْر مولعٌ بالمصائب، لا يرحم صغيراً ولا يرقُّ لشكوى كبير، فالشاعر يعزِّي نفسه بذكر هذه الفجائع ويسرِّي عنها ما ألمَّ بها من همٍّ وغمٍّ، وهذه الأبيات تعبرٌ تعبيراً كبيراً عن عظم المصيبة التي حلتْ بنظره وأطفأت نور عينيه، فلا شك أنَّ حجم الفجيعة ضخم، ووقعها على نفسه فادحٌ؛ ولذا اختار الشاعر تجارب إنسانية قسا عليها الدَّهْر، وألبسها ثوب الفناء والإذلال بعد العزِّ والجِدَّة، ولم يقف الشاعر عند حدِّ التجارب الإنسانية بل ثنى عليها بعالم الحيوان، قائلاً⁽⁴¹⁾:

ولرُبَّ أغلَبَ من أسُو دِ خَفِيَّةٍ ذِي لِبْدَتَيْنِ
غيرانَ جَهِمَ الوجهِ شَثِ نِ الكَفِّ عِبلُ السَّاعِدَيْنِ
طَرَقَتْ حَوادِثُهُ وَأَ يَّةُ غَايَةِ تَرْدِي وَحَيْنِ

فأعتى الحيوانات وأشجعها طرقتها حوادث الدهر، وأوهت قوته، كما أن الشاعر ثلث بالظواهر الكونية كقران بعض الأجرام السماوية، إلا أن الدهر تكفل بتمزيق شملها، قائلاً⁽⁴²⁾:

ولسوف يرقى كيدُهُ فَيُشَتُّ شَمْلَ الْفَرَقْدَيْنِ⁽⁴³⁾
ولربِّمَا نالت دوا ثُرُهُ مدار النيرين⁽⁴⁴⁾
وَلَيَذْهَبَنَّ بِوَقْدَةِ الشُّعْرَى وَودقِ الْمِرْزَمَيْنِ⁽⁴⁵⁾

وهذه أجرام سماوية أزلية، إلا أن الشاعر تنبأ بتشتيت شملها، نتيجة خبرته بغدر الدهر وكيده، ويستمر الشاعر في سرد حوادث الدهر، ونوائبه، وولعه بتفريق الجماعات، وتبديد شملها في صورة سوداوية يغلفها الحزن والكآبة حتى ينتهي الشاعر مستسلماً مقراً بعجزه أمام هذه الحوادث العظام، قائلاً⁽⁴⁶⁾:

واطرح هموماً أنت مِنْ هَا الدَّهْرِ فِي تَعَبٍ وَأَيْنِ
فالناس في كَفِّ الحوا دِثِ زُبْرَةٍ فِي كَفِّ قَيْنِ
واصبر لما طَرَقَتْ بِهِ الـ أَحْدَاثِ مِنْ صَعْبٍ وَهَيْنِ
واعلم بأنك تستجدُ غداً خِلافَ الْحَالَتَيْنِ

فكل هذه المصائب والأحداث لا بد لها من أن تزول في يوم ما؛ فعليك بطرح الهموم والدَّهر وتعبه ومشاقه جانباً، فالناس في كفّ الدهر يتصرف بهم كيفما شاء، كما يفعل الحداد بقطعة الحديد يصنع منها ما يريد، ولذا ليس بوسع الإنسان إلا التدرُّع بالصبر وتأميل نفسه بالدار الآخرة التي سوف يحصل فيها على راحته ولذاته، وكأن الشاعر يقول إن الحياة الدنيا لا أمن فيها ولا راحة، فهي دار ابتلاءٍ ومِحْنٍ ولا راحة للمرء إلا بعد رحيله منها.

خامساً- العتاب:

يتذكر الإنسان أحيابه وأصدقائه كثيراً عند الملمات والحوادث، فغياهم في هذه الأثناء يورث في قلب الإنسان العتب والشعور بالأسى، فما هو الشاعر يفتقد أحد أصدقائه عند تأخره عن عيادته في حادثة فقدان بصره قائلاً⁽⁴⁷⁾:

يا موسعي جفوةً وصدًا قد ضاق بالبعد عنك ذرعي
أنت حبيبٌ لكل نفسٍ وكل حسٍ وكل طبعٍ
قد فاتني منك حظٌ عيني فلا تدعني في حظٍ سمعي
كنتُ إذا ملني حبيبٌ أنجدي بالبكاء دمعي
من لي بهطالةً هتونٍ أبكي بها طاقتي ووسعي
على أناس بانوا وكانوا ذخري ليومي ضرّي ونفعي
فليت شعري بأيّ حكمٍ يا ابن علي وأيّ شرعٍ
سوّغت بعد الوصال هجري عمداً وبعد العطاء منعي
فارغ عهود الإخاء وأكرمٍ أخاك عن جفوةٍ وقطعٍ

من يطالع هذه الأبيات يجدها تفيض أسىً وحرناً، فالشاعر فيها يظهر غتبه على صديق هجره ولم يعد يعود، فهو دائم الشوق إليه والحنين، فيذكره بأنه فقد عينيه ولم يعد يراه بهما؛ فيسأله أن لا يحرمه من سماع صوته في إشارة حزينة لفقد البصر، فهو مستجدياً مستعطفاً أكثر منه عاتباً لائماً، فلم يعد له عين تعينه على البكاء في إشارة واضحة إلى ما حل به من إضرار بعينه، فهو دائم الحزن والأسى في عتابه ومدحه وحنينه وشكواه... فقد أخذت هذه المصيبة منه كل مأخذ، وأشغلت فكره وحواسه ولم يعد له شغل سوى التذكر والحزن في حالاته جميعها، ففي أبيات سطرها في عتاب صديق له يعرف بابن الدوامي تأخر عن زيارته في وقت الحادثة التي نزلت ببصره، يقول⁽⁴⁸⁾:

ألا مَنْ لمسجونٍ بغير جنايةٍ يُعدُّ من الموتى وما حان يومه
يروّعه عند الصباح انتباهه وطوبى له لو طال وامتدَّ نومه
جفاه بلا زنب أتاحه صديقه وأسلمه للهم والحزن قومه
وأرخص منه الدهر ما كان غالياً على مشتري الأحزان في الناس سومه
فيا ابن الدوامي الذي جودُ كفه عميمٌ وفي بحر المكارم عومه
وليكَ ضامته الليالي وقد يرى حراماً على الأيام والدهر ضيمه
فَرَزَّ عائداً من يوم لقياك عيدُه فقد طال عن تلك الوظيفة صومه
وقد كنتَ قديماً مُشققاً من ملامه فما باله قد هان عندك لومه

وهذه الأبيات تعبر عن همّ الشاعر وحزنه وشعوره بالغرلة وتخلي الآخرين عنه، وحرمانه من أنسهم ومنادمتهم؛ ولذا فهي تصوّر جواً من الكآبة واليأس قاده إلى تجارة الحزن، فقد فاض حزنه وزاد عن حده، وهذا دعاه إلى طلب الزيارة من صديقه في مشهدٍ يظهر فيه التضرع والاستعطاف

وإثارة الشفقة، فعتابه ليس عتاب المكافئ، بل عتاب الضعيف المستجدي، مما يثير في النفس نوازع الرحمة والإشفاق.

ب_ البُعد الفني:

1- الصورة البصرية بين الشعراء المكفوفين وسبط ابن التعاويذي:

تستقبل شبكة العين المثيرات البصرية التي تصدر عن العالم الخارجي، وترسلها إلى الجهاز العصبي بواسطة الأعصاب البصرية، ثم تفسّر ويُقدّر معناها، وعليه فالمؤثرات الخارجية لا تحدث إدراكاً إلا إذا أثّرت في أعضاء الحواس، وتحولت إلى مظاهر فيزيولوجية⁽⁴⁹⁾، وهذا يعني أنّ "الصور البصرية التي ينشئها المكفوفون ليست أكثر من اقتران لفظي، حفظه الكفيف ثم استدعاه؛ لتركيب صور بصرية، لا تقابل في ذهنه شيئاً يمتّ إلى الواقع المرئي بصلة، فهي ليست أكثر من تركيبي لفظي"⁽⁵⁰⁾، فالشعراء الذين يولدون مكفوفين، أو يذهب بصرهم في مرحلة متقدمة من عمرهم لا تكون لديهم قوالب بصرية جاهزة كافية حول تخيل الأشياء المحسوسة بصرياً؛ لذلك "الشعراء العميان صوروا الأفكار والمعاني والمشاعر بواسطة الشعور، فوصفوا الأشياء وفقاً لمشاعرهم"⁽⁵¹⁾، وهذا الأمر لا يتفق وتجربة سبط ابن التعاويذي مع العمى، فذهابُ بصره كان في خريف عمره، بعد اكتمال تجربته الشعرية، فمخزونه الذهني من الصور البصرية لا يحوجه إلى التخيل، أو الاستعانة بالحواس الحسية الأخرى كما لو أنه لم يرَ النور من قبل، إذ "أكثر الشعراء العميان من استخدام الخيال لانعدام الصور البصرية في محصولهم المعرفي"⁽⁵²⁾، لكن سبط ابن التعاويذي لديه محصول وافر من الصور البصرية، فحاله أشبه بمن عَصِبَتْ عيناه مدة من الوقت، فهو يدرك كل ما حوله من الأشياء، وتمثّل صورها في خياله دون مشقة، على النقيض من الشاعر الكفيف أصلاً، الذي لم يعرفها فعلياً، ومن هنا فإنّ الشعراء المكفوفين يعتمدون على نتاج حاسة، أو مجموعة من الحواس تتواكب لتنتقل إدراكاً جمالياً، قد يجيد فيها مجتمعةً تعويضاً عن الحاسة الأم⁽⁵³⁾، وهذا ما دفع الشاعر بشار بن برد إلى أن يستغل السمع وحواسه الأخرى كاللمس، والشمّ، والذوق في تصويره، وأن يصل إلى أعماق النفس البشرية⁽⁵⁴⁾، وعليه فصور سبط ابن التعاويذي البصرية تفارق في تشكيلها صور الشعراء المكفوفين، فهو يعول على الصور البصرية التي تخدم تجربته النفسية.

وسنعرض لصوره التي صبغها بصيغته النفسية الحزينة، فمن يطالع شعر ابن التعاويذي الذي وصف فيه حادثة كفّ بصره يجده يميل إلى الصورة السوداوية، إضافة إلى مظاهر فنية وثيقة الصلة بجوّ الظلام والسود، فقد استولى الحزن على نفسه، وصبغها بصبغة قاتمة مظلمة، فظهرت تلك الأشعار مظهر الحِداد، وشكّل من مفرداته صوراً تعجّ بالأسى والألم، وتخيل أشياء لم يكن ليتخيّلها لولا تلك الحادثة، "والتخييل أن تتمثّل للسامع مع لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو

أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيّلها جهة من الانبساط أو الانقباض⁽⁵⁵⁾، فابن التعاويذي يصوّر خياله للمتلقّين صوراً تزيد في انقباض النفس البشرية وتزيد من ألمها، وأوّل ما يطالع المتلقّي من هذه الصور صورة الليل السرمدي قائلاً⁽⁵⁶⁾:

يا لك من ليلٍ حجا بٍ جُنْحُه معتكُرُ
ظلامه لا ينجلي وصبحه لا يسفرُ
ليس له إلى الممات آخرُ يُنتظرُ
ما في الحياة مَعَه لذي حِصاةٍ وَطَرُ

إنّه ليلٌ داجٍ سرمدي، لا صباح بعده، في إشارة واضحة إلى اليأس الذي ملك نفسه، فلا بارقة أمل، فالوجود تحوّل إلى ظلام دامس لا ينجلي، وقد أظلمت نفسه وتحشّرت أنفاسه، وتهيأت للممات، وتأمّل قوله⁽⁵⁷⁾:

ليلٌ حجابٌ لا أرى فجرَه يا مَنْ رأى ليلاً بلا فجرٍ

لقد رسم صورة معبّرة عن زهاب بصره، بالليل الحالك، فقد تجلبب بحجابٍ أسود، وهذا الحجاب لا ضوء بعده ولا أمل، وأخذ من هول المصيبة يستفهم إن كان هناك ليل لم يتبعه فجرٌ، في إشارة جليّة إلى بؤسه الذي استولى على حياته كلّها.

ولم يكتفِ ابن التعاويذي بهذه الصورة القاتمة، بل رسم صورة أخرى يؤطّرها كِسْرُ بيته، وقد عمّها الظلام، وتواني الخطأ، قائلاً⁽⁵⁸⁾:

حبيسُ بيتٍ مُفَرِّداً مُسَلِّماً فيه إلى الأحزان والفكرِ
تضيّق عن خطوي أقطارَه وهو رحيبٌ واسعُ القطرِ
كأنني في قعره جائئاً ميّتٌ وما ألحد في قبرِ

لقد لازمه الحزن واليأس، واستحالت حياته إلى أَسَى وألمٍ، فهو حبيس بيته، فصور لنا نفسه سجيناً في كِسْرِ بيته، لا يرى أحداً، وحيداً تتنازعه الهموم والأحزان والفكرُ، ثم أردف هذه الصورة بصورة أخرى، وهي قيده الذي لازمه، فهو لا يستطيع السير؛ فلزم مكانه، وخلّد إلى السكون القاتل، وهذا الأمر قاده إلى تذكّر صورة أكثر مرارة وحزناً وهي صورة الموت، ولذا رسم صورة موحية للتأزّم الذي بلغه، فهو كالميت الذي لم يدفن بعد في قعر ذلك المنزل، وممّا زاد في حزنه وتحسّره انقطاع الأهل والأصدقاء عن مجالسته، فاستمرت هذه الحالة فكره، فتخيّل أنّه في الحياة البرزخية منقطع عن الأحياء قائلاً⁽⁵⁹⁾:

ناءٍ عن الأحياء في برزخٍ منقطعٍ عن بينهم ذكرى

وشكّلت صورة الليل والظلام، والحبس في قعر البيت، والميت الذي لم يلحدْ بعدُ ديباجةً في شعر تلك الحادثة، ولم تخل منها أو من مستلزماتها- كالظلام والانفراد- أية فكرةٍ تحدّث عنها ابن التعاويذي في حادثة زهاب بصره، كقوله⁽⁶⁰⁾:

وها أنا كالمقبور في كِسْرِ منزلٍ سواءُ صباحي عنده ومسائي

وقوله⁽⁶¹⁾:

في برزخٍ منها أختا كمدٍ حليف كآبتين
أسوان لا حيٍّ ولا ميت كهمة بينَ بينٍ

وقوله⁽⁶²⁾:

دهرٌ رمانى في قرارة منزلٍ ضنكٍ نهاري فيه ليل مُعتمٍ
ليلى به ليل السليم وإنني للهَمَّ والبرحاء فيه لمُسَلِّمٍ

وقوله⁽⁶³⁾:

ألا من لمسجونٍ بغيرِ جنايةٍ يعدُّ من الموتى وما حان يومُهُ

والحقيقة أنّ الصورة من بنات الخيال⁽⁶⁴⁾، يرسمها الشاعر بمفردات لغوية يختارها من المعجم اللغوي الذي يستولي على ذهنه وفكره، ويتفنّن في تأطيرها وتشكيل خطوطها، وتجاويد غصونها، كما اعتنى الشاعر بالأصباغ والألوان وتداخل الخطوط، إلا أنّ ابن التعاويذي وقف عند لونٍ واحدٍ في رسم صوره في شعر حادثة زهاب البصر، فقد قدّس اللون الأسود، وأتى بكل ما يلزم من أجل إبرازه في صوره، فمن ظلام الليل السرمدي، إلى ظلام كِسْرِ البيت، إلى القبر وما فيه من ظلمة، وهلمّ جرّاً.

2- التكرار:

ومن الظواهر التي صبغت شعر ابن التعاويذي في تلك الحادثة تكراره لبعض المفردات الدالة على زهاب بصره، وفطر حزنه، فقد كرّر الألفاظ ومعانيها معاً، وهذا هو الجدلان بعينه⁽⁶⁵⁾، ولا يجب للشاعر أن يكرّر اسماً إلا على جهة الشوق والاستعذاب إذا كان في تغرُّلٍ أو نسيب، أو على سبيل التنويه به والإشادة على سبيل التعظيم، أو على سبيل الوعيد والتهديد، أو على وجه التوجّع إن كان رثاءً وتأبيناً⁽⁶⁶⁾.

وتكرار ابن التعاويذي في شعره هذا مصدره التوجع والألم والشكوى واليأس، ومما يسترعي النظر قوله⁽⁶⁷⁾:

وأصبتُ في عيني التي كانت هي الدنيا بعينٍ
عينٍ جنيت بنورها نور العلوم وأي عينٍ
إظلام عين في ضيا مشيب رأسٍ سرمدين

فللمتلقي أن ينعم نظره في تفجعه وآهاته على فقد عينه، فقد كرر هذه اللفظة خمس مرات في ثلاثة أبيات، كما كرر نورها المفقود مرتين في بيت واحد، وهذا مبلغ الحزن والأسى. وقوله⁽⁶⁸⁾:

وترتني في مقلّة قلمًا أعلمها نامت على وترٍ
أصبنتي فيها على غرةٍ بعائرٍ من حيث لا أدري
جوهرة كنت ضنينًا بها نفيسة القيمة والقدر

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من تكرار معنوي للفظه العين، فهي مقلّة، وهي جوهرة، وهي نفيسة القيمة، إلى آخر هذه الألفاظ التي تعبّر عن فقد بصره وتفجعه بذكر تلك الحاسة. وفي موطن آخر، يتحدث عن هذه المصيبة، ويكرر لفظ الطارقة التي ألمت به، قائلا⁽⁶⁹⁾:

فيا لها طارقة هُدني طروقها في آخر العمر
طارقةً مثل بي مسها يعجز عن أمثالها صبري

هذا فضلاً عن تكرار الصورة التي سلف الحديث عنها، فتكرار الشاعر للمفردات أو الصور الكلية يشي بتعلقه بهذه الحادثة، ويكشف عن مدى تأثره بها.

3- وضوح اللغة:

كما أّسم هذا الشعر بصيغة الوضوح في مفرداته، وبعده عن التعقيد، فهو وليد نفسٍ ثكلى، لا تبحث عن تصنعٍ وزخرف، إلا أنه نادرٌ في موضوعه، و"الشعر النادر هو الذي يستفز القلب، ويحمي المزاج في استحسانه"⁽⁷⁰⁾، ولا شك أن شعر هذه الحادثة يحزن النفس ويزيد من شجنها، ويظهر معاناة الشاعر، ويستفز قلب الملتقي وينقله من حالة السكون والهدوء إلى عالم الحزن والألم، "وخير القول ما أسكر السامع حتى ينقله عن حالته، سواء كان في مديح أو غيره"⁽⁷¹⁾، وهذا يعني أن يحدث الشعر في المتلقي حالة من عدم الاتزان وينقله من حالة إلى أخرى، وعند النظر والتدقيق في مفردات ابن التعاويذي في شعر تلك الحادثة، نجدها تفضي إلى "الكلام الذي

يسمى السهل الممتنع، فتراه يطمعك، ثم إذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب... فإنّ خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن" (72).

وشعر ابن التعاويذي هذا، يحدث في النفس إشفاقاً، ويدخل الأذن دون استئذان؛ لما فيه من عفوية مصدرها ما به من فجعية وحزن كبير.

4- عفوية البديع:

وكما أن الشعر بعيد عن التعقيد، فقد جاء مخالفاً لما اعتاده كثير من الشعراء في تلك العصور من حشد البديع والزخرفة القولية⁽⁷³⁾، إلا ما كان عفو الخاطر مما استدعته طبيعة الحالة النفسية التي أخذت تقابل بين المعاني من أجل بيان أثر العمى في حياة الشاعر، ولذا، فإن الطباق والمقابلة أخذاً حيزاً في هذا الشعر، وعند تأمل هذه السمة لا تجد الشاعر يتكلف لها بل طبيعة التجربة الشعرية هي التي تجلبها، ومثال ذلك قوله:

ألا مَنْ لمسجون بغير جناية يُعدُّ من الموتى وما حان يومه
يروّعه عند الصباح انتباهه وطوبى له لو طال وامتدَّ نومه

ففي هذين البيتين مقابلة واضحة بين حالين من حالات النفس البشرية، فالمقابلة جلية في البيت الأول بين حال الموت، وعدم نزوله بالشاعر، كما أن المقابلة في البيت الثاني تتجلى بين الشطرين؛ فالصباح يروّعه والنوم مناه.

وتأمل قوله⁽⁷⁴⁾:

أيام شرخ شبابي روضة أنف ما ريع منه بوخط الشيب ريعان
تقرّ بي عين ندماني فما أنا قدّ أمسيت ما لي غير الهمّ ندمان

فهذان البيتان يبرزان صورتين متقابلتين لحياة الشاعر، استخدم فيهما الطباق والمقابلة، فلا يخفى ما بين الشباب والشيب من طباق، ولا ما بين شرخ الشباب ووخط الشيب من مقابلة، إضافة إلى صورة الندمان والاجتماع والأنس التي تقابل صورة الهم والنوم.

ولا يكاد بيت شعر أو مقطوعة تصف عماه إلا استعانت بالطباق والمقابلة في بيان تلك الصورة؛ لأنّ المقابلة والطباق من المحسنات البديعية المعنوية التي تقرب المعنى من الأفهام، ولأنّ حالة الشاعر النفسية وتجربته الشعرية تطمح إلى إظهار تلك الصورة، جاءت هذه الحلية من أجل إبرازها، فالضد يظهر حسنه الضدّ كما قيل، ومن أمثلة ذلك وهي كثيرة، قوله⁽⁷⁵⁾:

رمّنتي يد الأيام فيها بعائر فبدلت منها ظلمة بضياء

"ظلمة وضياء"، وقوله⁽⁷⁶⁾:

جفاء من الأيام بعد مودةٍ وسلَبُ من الأيام غِبَّ عطاءٍ

"جفاء، مودة"، وبين "سلب، وغِبَّ عطاء".

وقوله⁽⁷⁷⁾:

أُظِلُّ حبيساً في قرارةِ منزلٍ رهينَ أَسَى أُمسِي عليه وأصبحُ

"أُمسَى وأصبح".

والإكثار من هذه الأمثلة قد يخرج المتلقي إلى الملل، إلا أنها جاءت في النصوص الشعرية سلسلة غير متكلفة تخدم التجربة الشعرية، وتبين مدى الحالة النفسية للشاعر المثكول.

كما أن الشاعر لم يكثر في هذه التجربة من توظيف الموروث الديني، إلا ما جاء منه دون قصد، كصورة أيوب، ويعقوب- عليهما السلام-، في قوله⁽⁷⁸⁾:

كَأَنِّي يَعْقُوبُ فِي الْحَزَنِ بَلْ أَيُّوبُ فِي الْبِأْسَاءِ وَالضَّرِّ

ومهما يكن، فإن سمات هذه الأشعار غطى عليها الجانب المعنوي المتمثل في الحزن ومظاهره المختلفة، وسيطرت على الشاعر تجربته التي مرَّ بها، تلك التجربة التي لا ينظر الشاعر فيها إلى تزويق وزخرفة، بل كان همّه فيها بيان حاله وسوء نفسه.

الخاتمة:

خَلَصَ البحث إلى أن شعر سبط ابن التعاويذي الذي نظمته في حادثة فَقْدِ بصره، أو ما جاء في ذكرها فيما بعد، قد صبغ بصبغة الحزن والألم، وظهر ذلك جلياً في رثائه وندبه لفقد بصره، الذي أفقده ضوء الحياة وبريقها، كما عبّر عن ذلك الحزن من خلال الشكوى والاستعطاف التي لازمت شعره بعد تلك الحادثة، إضافة إلى سمة الموازنة والحنين، إذ بقي يوازن بين حاله قبل وبعد، فأخذ يتذكّر الشباب وعنفوانه، ويقابل ذلك بالعمى والعجز والضعف في جوٍّ من الحزن العميق والألم والتأسف، كما ظهرت سمة اليأس والاستسلام، وأخذ يعدّد حوادث التاريخ ومصائبه التي لم تُمَيِّزْ بين عظيمٍ أو ضئيلٍ، وامتزج عتابه لأصحابه في هذا الشعر بالحزن والشكوى والاستعطاف، واستحالت حياته كلها حزناً وجزعاً ويأساً، وأصبح الحزن مسيطراً على جوانب حياته كلها، وذلك ظاهرٌ من خلال شعره الذي نظمته بعد تلك الحادثة.

وانعكس الحزن في شعره على نسيجه الفني؛ فكانت صوره الشعرية محاكاة لليل تارة، وتارة ثانية للسجن، وثالثة للقبر، فسيطر مصطلح الظلام والسوداوية على نفسه، وظهر ذلك في صوره التي رسمها لحياته بعد تلك الحادثة.

كما أُلِفَ التكرار لألفاظ وثيقة الصلة بتلك الحادثة، كالعين، والظلام، والمساء، والقبر، وكِسِرَ البيت، والليل، والموت، وما إلى ذلك.

وجاءت لغته سهلةً يسيرةً مأنوسةً خاليةً من التعقيد والزخرفة اللفظية والمحسنات البديعية؛ لتحاكي جوّ التجربة التي عاينها، فشعر تلك الحادثة عفوي لا يبحث فيه الشاعر عن تزويق وتجميل، إلا ما جاء دون قصد؛ لإبراز تلك الحالة، كالطباق والمقابلة، خاصة في مجال الموازنة بين حالي نفسه قبل تلك الحادثة وبعدها، فجاءت هذه الحلية (المقابلة والطباق) في أبيه حلها عفوية لا متكلفة، كما لوحظ على الشاعر قلة استخدامه للموروث الديني والأدبي، إلا ما جاء معبراً عن تجربته، كوصفه نفسه بـ *يعقوب* وأيوب - عليهما السلام.

ومهما يكن، فإنّ الحزن والألم قد شكّلا سحابة سوداء في سمائه، وتأثّر بهما شعره في ناحيته المعنوية واللفظية.

The Phenomenon of Grief in Sabt Ibn Al-Taa'weethi's Poetry about his Experience of Blindness

Salameh H. Al-Gareeb, *Department of Arabic Language and Literature, Tafila Technical University, Tafila, Jordan.*

Abstract

This paper explores the phenomenon of grief in Sabt Ibn Al-Taa'weethi's poetry in which he wrote about the accident that befell him in 579 AH and resulted in his loss of eyesight. Given the lack of independent study about the substantive and artistic issues in this poetry, this paper examines Al-Taa'weethi's poetic works and reflects on the phenomenon of grief characterizing his writing after he had lost his eyesight. The paper addresses such substantive issues as commemoration, complaint, propitiation, nostalgia, comparison, despair, resignation and admonition. Artistically, the paper explores visual images, repetition of the words of darkness, clarity of language and spontaneity of poetry.

الهوامش:

- (1) الحموي، أبو عبد الله ياقوت (626هـ/1229م): معجم الأدباء، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ج6، ص2560. انظر: ابن خلكان، أبا العباس أحمد بن محمد (681هـ/1282م): وفيات الأعيان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1430هـ/2000م، ج2، ص449. ابن الوردي، زين الدين عمر (749هـ/1348م): تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1389هـ/1969م، ج2، ص143. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (764هـ/1363م): الوافي بالوفيات، اعتناء: س. ديدرينغ، دار النشر بفرانز شتايز شتوتغارت، 1412هـ/1992م، ج4، ص11-1. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، ج6، ص260.
- (2) الحموي: معجم البلدان، ج6، ص2560.
- (3) انظر المصدر نفسه، ج6، ص2567.
- (4) انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص449.
- (5) المصدر نفسه، ج2، ص449.
- (6) الانطباق مطاوعة ما أطبقت، وتعني الإصابة في الرأي، انظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مادة (طب). (طبق).
- (7) الصفدي، خليل بن أيبك (764هـ/1363م): نكتُ الهميان في نكتُ العميان، دار صادر، بيروت، وقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية- مصر، 1329هـ/1911م، ص259.
- (8) سبط ابن التعاويذي، أبو الفتح محمد بن عبيد الله (583هـ/1187م): ديوان سبط ابن التعاويذي، اعتنى بنسخه وتصحيحه: د. س. مرجليوث، طبع في مطبعة المقتطف، مصر، 1903م، ص11-12.
- (9) الأصفهاني، عماد الدين (597هـ/1201م): خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء العراق، حققه وشرحه: محمد بهجت الأثري، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون، 1987م، الجزء الثالث، المجلد الثاني، ص7.
- (10) انظر: ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط13، 1960م، ص265-310.
- (11) انظر مقدمة ديوان سبط ابن التعاويذي، ص13.
- (12) "المدح في شعر سبط ابن التعاويذي" للباحث مسلم عبيد الرشيد، في قسم اللغة العربية في جامعة مؤتة، عام 2010م. ناقش فيها الباحث فكرة المدح في شعر سبط ابن التعاويذي، ولم يقف الباحث عند الشعر الذي قيل في تلك الحادثة إلا لماماً، من ذكره أحياناً لتلك الحادثة عرضاً، ولم يرد في خاتمة رسالته ذكر لتلك الحادثة، فالرسالة كانت معنية بالمدح لا بشعر تلك الحادثة.
- (13) ينظر إلى المصادر التي وردت في الهامش رقم (1)، ص1.

- (14) سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص436.
- (15) المصدر نفسه، ص192.
- (16) المصدر نفسه، ص192.
- (17) المصدر نفسه، ص6.
- (18) المصدر نفسه، ص6.
- (19) رنق عيشه رنقاً: كَدِرَ، ابن منظور: لسان العرب، مادة (رنق).
- (20) الغبّ: ورَدَ يومَ وِظْمٍ آخر، المصدر نفسه، مادة (غبب).
- (21) سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص7.
- (22) القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي العسقلاني، صاحب ديوان الإنشاء، وزير السلطان الملك صلاح الدين الأيوبي، ولد سنة (529هـ/1135م)، وتوفي سنة (596هـ/1200م)، اشتغل بصناعة الإنشاء على الموفق بن الخلال شيخ الإنشاء لخلفاء مصر الفاطميين. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج18، ص335.
- (23) سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص192.
- (24) المصدر نفسه، ص315.
- (25) الاغتباق: شرب العشيّ، والغبوق: الشرب بالعشي، ابن منظور: لسان العرب، مادة (غبق).
- (26) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت، وأفاق الزمان سهمه: رماه بالقحط، انظر المصدر نفسه، مادة (فوق).
- (27) سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص483.
- (28) المصدر نفسه، ص6.
- (29) المصدر نفسه، ص79.
- (30) البرّي: التراب، ابن منظور: لسان العرب، مادة (بري).
- (31) المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان، المصدر نفسه، مادة (ذكا).
- (32) سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص79.
- (33) المصدر نفسه، ص79.
- (34) المصدر نفسه، ص437.
- (35) غمدان: قصر عظيم بُني على أربعة أوجه، وجه أبيض، وجه أحمر، وجه أصفر، وجه أخضر. وقيل إنّ الذي بناه سليمان بن داود عليهما السلام. انظر: الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط8، 2010م، ج4، ص210-211.

(36) ذو يزن أحد أقبال حمير العظماء، إليه تُنسب الأسنة اليزنية، ويُقال إنه أول من بدعها. انظر: الهمداني، أبا محمد الحسن بن أحمد (360هـ/971م): كتاب الإكليل، حققه: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، منشورات المدينة، دار التنوير للطباعة والنشر، الصنوبر، ط3، 1407هـ/1986م، ج2، ص235-236.

(37) ذو رعين الأكبر بن سهل بن زيد الجمهور بن عمر. قال الشاميون: ذو رعين هو مرة ومن أبيه يريم تفرقت رعين. انظر المصدر نفسه، ج2، ص298.

(38) بهرام جور أحد ملوك الفرس نشأ وترعرع بين العرب، حيث أُرضع من امرأتين من بنات أشراف العرب، وتكفل به المنذر بن النعمان في التربية والتدريب حتى شب رجلاً. انظر: الطبري، أبا جعفر محمد بن جرير (310هـ/922م): تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1407هـ/1986م، ج2، ص68-80.

(39) أردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الفرس القدماء، تقلد الحكم وكان حسن السيرة، وأظهر تواضعاً واستكانة. انظر المصدر السابق، ج2، ص37-38. وقيل إنه بنى بيضاء إصطخر وبيضاء المدائن والخضر والمدن والحصون والقناطر والجسور والنواويس. انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر (255هـ/869م): الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، 2004م، ج1، ص72.

(40) الورق: الدراهم المضروبة ابن منظور: لسان العرب، مادة (ورق).

(41) سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص437-438.

(42) المصدر نفسه، ص438.

(43) الفرقدان: نجمان من نظم بنات نعش، وهما النيران من الأربعة التي تمثل مربع النعش. انظر: القزويني، زكريا بن محمد (682هـ/1283م): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط5، 1406هـ/1980م، ص23.

(44) النيران: نجمان في نظم كوكبة النهر. انظر المصدر نفسه، ص30.

(45) المرزمان: نجمان وهما مع الشُعريين في نظم الجوزاء. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (رزم). انظر: القزويني: عجائب المخلوقات، ص30.

(46) سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص438.

(47) المصدر نفسه، ص271.

(48) المصدر نفسه، ص396.

(49) انظر أبا حويج، مروان: المدخل إلى علم النفس العام، دار اليازوري، عمان، ط1، 2002م، ص108.

(50) العلي، عدنان عبيد: شعر المكفوفين في العصر العباسي، دار أسامة، عمان، ط1، 1999م، ص361.

- (51) مصاروة، نادر: شعر العميان: الواقع، الخيال، المعاني والصور الفنية حتى القرن الثاني عشر الميلادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م، ص427.
- (52) المصدر نفسه، ص428.
- (53) انظر المصدر نفسه، ص427-428.
- (54) انظر نافع، عبدالفتاح صالح: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر، عمان، ط1، 1983م، ص226.
- (55) القرطاجني، حازم (684هـ/1285م): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 1428هـ/2007م، ص89.
- (56) سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص482-483.
- (57) المصدر نفسه، ص192.
- (58) المصدر نفسه، ص192.
- (59) المصدر نفسه، ص192.
- (60) المصدر نفسه، ص7.
- (61) المصدر نفسه، ص437.
- (62) المصدر نفسه، ص371.
- (63) المصدر نفسه، ص396.
- (64) ينظر مبحث الخيال وعلاقته بالصورة. عصفور، جابر أحمد: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1973م، ص13-104؛ ومبحث الصورة ونظرية الشعر (2). الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، دار الكتاني - إربد- الأردن، ط2، 1416هـ/1995م، ص69-114.
- (65) انظر: القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (456هـ/1064م): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2006م، ج2، ص64.
- (66) انظر المصدر نفسه، ج2، ص64-66.
- (67) سبط ابن التعاويذي، الديوان، ص436.
- (68) المصدر نفسه، ص192.
- (69) المصدر نفسه، ص192.
- (70) ابن منقذ، أسامة بن مرشد (584هـ/1188م): البديع في نقد الشعر، تحقيق عبد آ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ص231.

- (71) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله (637هـ/1236م): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1431هـ/2010م، ج1، ص180.
- (72) المصدر نفسه، ج1، ص181.
- (73) انظر: بدوي، أحمد أحمد: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، (د.ت)، ص111.
- (74) سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص413.
- (75) المصدر نفسه، ص6.
- (76) المصدر نفسه، ص7.
- (77) المصدر نفسه، ص79.
- (78) المصدر نفسه، ص192.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله (637هـ/1236م): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1431هـ/2010م.
- ابن الوردي، زين الدين عمر (749هـ/1348م): تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1389هـ/1969م.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (681هـ/1282م): وفيات الأعيان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1430هـ/2000م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ابن منقذ، أسامة بن مرشد (584هـ/1188م): البديع في نقد الشعر، تحقيق عبد آ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.
- أبو حويج، مروان: المدخل إلى علم النفس العام، دار اليازوري، عمان، ط1، 2002م.

الأصفهاني، عماد الدين (597هـ/1201م): **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء العراق، حققه وشرحه: محمد بهجت الأثري، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون، 1987م، الجزء الثالث، المجلد الثاني.

بدوي، أحمد أحمد: **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، (د.ت).

الجاحظ، عمرو بن بحر (255هـ/869م): **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، 2004م.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت، (626هـ/1229م): **معجم الأدباء**، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت، (626هـ/1229م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ط8، 2010م.

الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري**، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 1430هـ/2009م.

الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15.

سبط ابن التعاويذي، أبو الفتح محمد بن عبيد الله (583هـ/1187م): **ديوان سبط ابن التعاويذي**، اعتنى بنسخه وتصحيحه: د.س. مرجليوث، طبع في مطبعة المقتطف، مصر، 1903م.

الصفدي، خليل بن أبيك (764هـ/1363م): **نكت الهميان في نكت العميان**، دار صادر، بيروت، وقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية- مصر، 1329هـ/1911م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (764هـ/1363م): **الوافي بالوفيات**، اعتناء: س. ديد رينغ، دار النشر بفرانز شتايز شتوتغارت، 1412هـ/1992م، ج4.

ضيف، الدكتور شوقي: **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، دار المعارف، القاهرة، ط13، 1960م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ/922م): **تاريخ الطبري**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1407هـ/1986م.

عصفور، جابر أحمد: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1973م.

العلي، عدنان عبيد: شعر المكفوفين في العصر العباسي، دار أسامة، عمان، ط1، 1999م.

القرطاجني، حازم (684هـ/1285م): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 1428هـ/2007م.

القزويني، زكريا بن محمد (682هـ/1283م): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط5، 1406هـ/1980م.

القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (456هـ/1064م): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2006م.

مصاروة، نادر: شعر العميان: الواقع، الخيال، المعاني والصور الفنية حتى القرن الثاني عشر الميلادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.

نافع، عبدالفتاح صالح: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر، عمان، ط1، 1983م.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد (360هـ/971م): كتاب الإكليل، حققه: محمد بن علي الأكوع الحوالي، منشورات المدينة، دار التنوير للطباعة والنشر، الصنوبرة، ط3، 1407هـ/1986م.

استراتيجيات الخطاب اللغوي في قصيدة "لا تصالح" لأمل دنقل

حنان إسماعيل العميرة*

تاريخ الاستلام 2016/4/7

تاريخ القبول 2016/6/19

ملخص

يسعى هذا البحث إلى استجلاء استراتيجيات الخطاب اللغوي الظاهرة، في القصيدة الوطنية المعروفة "لا تصالح" لأمل دنقل، وقد كان منهج الدراسة وصفيًا تحليليًا، عرّف بوجهين بارزين من وجوه التقنيات الأسلوبية في القصيدة: الحجاج والتضامن، وهما وجهان مهمان في تحليل النص، كما أنهما يعدان مفتاحين رئيسيين في فهم القصيدة المذكورة وقراءتها على وجه علمي، وقد أفاد التحليل أن اللغة في القصيدة بنيت في كثير من جوانبها استجابة لفكرة الحجاج، الذي انعكس في البنى والتراكيب والصيغ، كما أن التضامن مع القارئ والرغبة في التأثير فيه بالاقتراب منه، انعكس بدوره على بناء اللغة وأنماطها التركيبية.

مقدمة

لا يتمثل الفرق الأجل بين الفنان وغيره بالإحساس المرهف العميق بالكون حوله حسب، بل في قدرته على تحويل إحساسه الطاعي إلى هيئة مقروءة، ممثلة في لوحة أو لحن أو قصيدة.

وثمة فارق بين مبدع وآخر، فمن المبدعين من كان همه بوحاً وتعبيراً وتفرغاً، ومنهم من شاكل فكره وعي اجتماعي تثقيفي، فاستحال عمله مزيجاً حراً من بوح خاص وأرق اجتماعي يسعى إلى القول فيه أو معالجته بلونه التعبيري الخاص.

ومجال هذا البحث لغة الشعر، وهي أكثر أنماط الخطاب غنىً وتعبيراً وكشفاً، وتمثل المستوى الأنضج والأقدر على الفيض بمكنون الذات النفسي والشعوري والفكري... فالقصيدة عالم إنساني متكامل أو قطعة شعورية ممثلة لمشهد إنساني، بلغة تعتني بدقة التوصيل والنفاذ إلى المخاطب، فتحدث لديه تأثيراً وترسم له مشاهد من جديد، وتقيم لرؤيته أطراً وتفيض عليها لمسات من المعنى لم تكن لتبدو له قبل القراءة.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

لقد لاقى الشعر عبر أزمته إقبالاً من قبل الباحثين والنقاد، فانكبوا عليه درساً وقراءة ونقداً، وغالباً ما انصبت دراساتهم على جمالياته ومضامينه، وبقيت اللغة تطل من حيز هذه الدراسات على استحياء، وظلت المستويات اللغوية تركيباً وصرفاً وبناء آخر مظاهر اهتمامهم، ولعل اللغة - بما أنها تبدو وسيلة التعبير وأداته - تنحى من حيز الدرس حيناً، وحيناً آخر ترى أداة زئبقية يمكن رؤية ما ترمي إليه، ولكن النظر إليها بتمعن يحيلها إلى مادة يصعب الإمساك بها، رغم أن لغة القول جزء من القول نفسه.

يقول أندريه مارتيني إنه لا يوجد شخصان يستعملان اللغة بالطريقة نفسها تماماً⁽¹⁾ وفي هذا مدعاة إلى عد أي خطاب تمثيلاً ذاتياً وخاصاً لفكرة ما، لا يشبهه في هذا خطاب آخر، ولو تطابق القائل أو الموقف. واللغة في الخطاب بعيدة عن المحايدة والبراءة، بل هي كما يصفها رولان بارت مخادعة مضللة قد تظهر غير ما تخفي⁽²⁾، وهي أيضاً تصف الواقع وتعكسه كما يرى الوضعيون والماركسيون، والواقع متجدد بتوالي الأزمنة وتغير الأمكنة والمعطيات.

والخطاب، أي خطاب، يتصارع فيه وجهان: الذاتية الغنائية التي تعبر وتهوم وتنقل البواطن على هيئة ألفاظ وتراكيب، ووجه آخر يمليه مثل متلق (ظاهر أو خفي) ويخلق نمطاً خطابياً إشهارياً، فالقصيدة تحاور ذاتها، وتحاور غيرها على امتداد الزمان، ومن الطبيعي إذاً أن يتأرجح كل ما فيها من تراكيب وبنى إيقاعية بينهما، في تداخل أو تنافر.

وتسمي دراسة لغة الخطاب من الموضوعات المهمة في كل مجال من مجالات الحياة، فالوظيفة التداولية التفاعلية من أهم وظائف اللغة، والخطاب يسعى إلى التعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف محددة، قد لا ينبى عنها سطحه، ويحتاج الأمر إلى استجلاء أدواته اللغوية وآلياته الخطابية، ويقود عدم الاكتراث لذلك إلى الزلل في القراءة.

إن اللغة تؤدي وظيفتها الإبداعية بمستويات متفاوتة، فالرسالة اللغوية يعتمد نجاحها على عوامل متشابكة، منها ما يتصل بالمرسل وقدرته على إعداد الرسالة اللغوية، كما أن هناك عوامل أخرى متصلة بالظرف أو البيئة التي مرت بها الرسالة.

والرسالة اللغوية المكتوبة - والشعرية منها خاصة - تحتاج في بنائها إلى اهتمام إضافي، يمليه افتقارها إلى الأدوات المساعدة المتوافرة في الخطاب الشفوي، فالكاظم يحتاج إلى التعويض عن كل ما كان يمكنه الاستعانة به لو كان خطابه شفويًا، من إيماءات جسدية، وما يولده المكان من انطباع وإيحاء... فهو محتاج إلى أن ينصب مجهوده الذهني على أمر واحد حسب: ما يكتبه، كيف يكتبه؟ والإلم يحتاج من الانتقاء والدقة في اختيار مفردة دون أخرى، وإقامة تركيب ما في هيئة مخصوصة؟ وكتابة الشعر خصوصاً هي انتقاء من مجموعة خيارات، وهي انتقاءات ترحب وتضيق، فرحابتها مستمدة من كونها تتحدث بلغة تصويرية في مفرداتها وجملها، هذه اللغة

المحملة بالإيحاء والانزياح والخروج على القانون الطبيعي للغة⁽³⁾، وتضييق وتتحدد بالنظر إلى الفرق بين اللغة الشفوية والمكتوبة من حيث اللغة وبنائها، فمثلاً تنص المظان اللغوية على أهمية صدارة أداة الاستفهام حتى لا تكاد تقبل غير ذلك، مع أن الاستفهام كثيراً ما يتحدد بالتنغيم، ودون أداة متصدرة...

والأديب إذ يعي ما يكتب، مفرقاً بين مستوى التبليغ العادي والمستوى البلاغي الإبداعي، ليبتعد عن أي تكلف أو خداع، فهو يدرس الإنسان والحياة متأملاً، ويلتمس الاتصال بغيره، وهو يغضب ويبتهج وينمي موهبته التي تفيض حياة، وإن تتبّع الشعراء لأعمالهم من الحوليات وقبلها إلى العصر الحديث، لا يتجلى في إضافة مبنى أو معنى لتسويق العمل، بل هو تعميق المعنى المولد ذاته وشحذه والعمل على كشفه بقوة⁽⁴⁾.

ويكمن المغزى وراء الاهتمام بلغة العمل الأدبي - القصيدة هنا - في الكشف عن مراده واستخراج بواطن المعنى الكامنة، وصولاً إلى التأثير الحقيقي فيه، وثمة فجوة واسعة بين متعة تتولد من قراءة العمل بمجرد انغماس الحس فيه، وقراءة تضيف الوعي بمعاني البناء، ودلالات الإنشاء، ودواعي الاختيار... فلا شك في أن الثانية أكثر نضجاً وأقدر استنباطاً، وأكثر تحقيقاً للمراد.

هدف الدراسة:

وتسعى هذه الدراسة إلى الإمساك بوجه من وجوه الخطاب الشعري وتحليله وتذوقه، ألا وهو استراتيجيات الخطاب (آلياته) في التأثير، فتوضح الطرق التي يعتمد عليها الشاعر في تحقيق أثر ما في القارئ، بالنظر إلى تراوح هذه الطرق بين وعي الشاعر ولاوعيه في الكتابة، وسواء أكان قاصداً واعياً أم معبراً بتلقائية، فإن لغته خصوصاً قادرة على كشف المقاصد الحقيقية من وراء القول. وقد وقع الاختيار في استجلاء الخطاب وآلياته على قصيدة من الشعر الوطني، وهي صورة يمتزج فيها الذات والآخر، في تعبير مؤثر عن هم وطني، ذاتي غيري فما هي اتجاهات القصيدة في تركيبها اللغوي وبنائها الأسلوبي، الذي مكنها من التعبير بتأثير؟ إن حب الوطن والتغني به تقدر على التعبير عنه غنائية اللغة، وأما الغضب لأجله والتوعية بشأنه فلا مفر منهما في الزمن الحديث الموسوم بالتعقيد الإيدولوجي والمادية والعقلانية... وعلى الرغم من أنها قصيدة لا طرح فكري أو خطاب سياسي، إلا أن هذه القصيدة من ذلك النوع الذي حقق تداخل الذاتي بالغيري، والواقعي بالخيالي، والشعري الرقيق بالمقالّي الواعي...

والقصيدة المتناولة في هذه الدراسة هي لأمل دنقل⁽⁵⁾، الشاعر المصري المعروف (1940 - 1983) صاحب القصائد: البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، مقتل القمر، تعليق على ما حدث، لا

تصالح، ديباجة. ويلقب بأمر شعراء الرقص، فشعره يحفل بقضايا الوطن والعروبة ومعادة الاحتلال، وقد طبع شعره كله خارج بلاده في حياته.

كان اختيار هذه القصيدة لشهرتها في بابها: (الوطنية) من جهة، ومن جهة أخرى لبروز عدد من استراتيجيات الخطاب، بعضها يسير في خطوط متفقة تجلي المقاصد والمرامي، والآخر يقدم اختلافاً تولدت عنه مفارقات خدمت بدورها جانباً تأثيرياً مهماً في القصيدة.

وقصيدة لا تصالح وجّهها أمل دنقل إلى الرئيس المصري أنور السادات، احتجاجاً على معاهدته مع إسرائيل 1978.

وفيما يلي رصد بعض الخصائص في قصيدة (لا تصالح) مما يعد مفاتيح فهم لبنائها وأبعاده اللغوية والفكرية والتأثيرية، وهذا لا ينفي أن ثمة خصائص أخرى مهمة يمكن التعرض إليها، غير أن الحديث هنا ينصب على استراتيجيات الخطاب ووسائله التي من شأنها أن تمثل تأثيرية الخطاب في المتلقي.

أولاً: حاجية الخطاب الإشهاري

يستهدف الخطاب الإشهاري جمعاً غفيراً من الناس، وكلما اتسعت قاعدته ازداد ارتفاع نسبة النجاح المرجو تحقيقه من ورائه، ومن هنا يعتني هذا النمط بالمتلقي، وأحواله وبيئته وفكره ومعتقداته، وصناعة مثل هذا الخطاب لا يتقنها جميع من يمتلك قلماً، يقول هاس (C.R. Hass 1929 – 1991): "إنه لا يتأتى للأديب تركيب خطاب إشهاري رغم قدرته الإبداعية"⁽⁶⁾ كما يعد محمد خاين كتابة نص إشهاري فناً أصعب من كتابة رواية، وذلك راجع إلى أن غاية منشئ النص ليست التعبير عن مشاعره وإنما الإعلام، وبالأخص العمل على إقناع المتلقي⁽⁷⁾.

فالخطاب الإشهاري يبتعد عن العفوية لصالح القصيدة وقائله يسوق فكرة، ومن المعلوم أن تسويق الأفكار في العصر الحديث يعترضه تنوع الإيدولوجيا وتباين المذاهب الفكرية، إضافة إلى التقاليد الاجتماعية والجوانب النفسية، وتعتمد الرسالة الكلامية في الخطاب الإشهاري على ردة فعل المستقبل أو سلطته بتعبير آخر، ولذا تلجأ وسائل الإعلام مثلاً إلى افتراض مستقبل معتدل.

والخطاب في الشعر، كأى خطاب، يتأرجح بين الإمتاع والإقناع، ويعتمد هذا كثيراً على الموضوع المطروح، وأما خطاب الإمتاع ففيه تطفئ ذات المتلفظ من خلال آليات وعلاقات محددة، وتظل الذات محور الخطاب، في حين يتم تهميش المتلقي، وأما خطاب الإقناع (الإفحام) فتحكمه مهيمنات بنائية ولفظية وسجال يتوافق واستراتيجيته⁽⁸⁾.

ويرى ليتش Leech أن المرسل في هذا الخطاب يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى قصد المرسل، وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة خوارزمية تجريدية، كما هي الحال في النحو، بل عند تقدير ذهني عام ومحتمل وفقاً لعناصر السياق⁽⁹⁾.

والحجاج مقوم من مقومات الخطاب الإشهاري، ويرى الملخ أن الحجاج: "تكييف للممارسة اللغوية، يظهر ضوابط إنتاج اللغة ويوضح الرسالة اللغوية في سياقها المجرد والحي، ويكشف عن موقف المتلقي مما تلقاه قبولاً بالتسليم، أو استفساراً للفهم، أو رفضاً بالحجة والبرهان"⁽¹⁰⁾ كما يرى أن الحجاج بطبيعته عابر للتخصصات وأزمنتها، وأنه لا يمكن الحديث عن عناصر محددة ثابتة لهذا الخطاب⁽¹¹⁾.

ويستصفي عمران تعريفاً للحجاج بأنه خطاب إقناعي، بمعنى أنه يسعى إلى إحداث التأثير في المتلقي وحمله على تبني موقف ما أو القيام بعمل ما⁽¹²⁾.

ويحاول رولان بارت التمييز بين مستويي الإقناع والتأثير فيرى أن الإقناع يتطلب البرهان بواسطة الاستدلال، ويتعلق الأمر بممارسة - على حد تعبيره - عنف مشروع على ذهن السامع دون أن يدخل في عين الاعتبار خلقه وقابليته النفسية، وأما التأثير فيعمل على تحريك النفوس، ويركز على الخطاب، لا في ذاته، بل من جهة نقطة وصوله ومزاج من سيتلقاه، ويقوم على حشد الحُجج الذاتية والأخلاقية⁽¹³⁾.

فالإشهارية تتحقق بالحضور، وقصيدة (لا تصالح) ذات حضور طاغ في الأدب الحديث المعاصر بين المثقفين وعامة الناس، الأمر الذي يدل على إيمان الآخر بمضمونها المشهر المعلن، أو اتخاذه موقف الرفض منها، وفي الحالتين تأكيد معلن على حضور القصيدة إشهارياً.

1- من وسائل الحجاج:

الخطاب الإشهاري يعتمد الحجاج وسيلة في الإقناع والتأثير، ويتخذ الحجاج صوراً عديدة في الخطاب، فمنه ما كان في التشبيه والاستعارة، وقد فطن نقاد العربية إلى الأبعاد الحجاجية في البلاغة العربية وتحذروا عنها، فحللوا سبب قوة التشبيه الذي حذفت بعض عناصره، موضحين أن حذف الأداة ووجه الشبه معاً يعد الرتبة الأقوى، لأن ذكر الأداة يدل على ثبوت مزية للمشبه به على المشبه، فحذفها يوهم بانعدام تلك المزية وذكر وجه الشبه يدل على انتفاء وجه آخر له⁽¹⁴⁾.

وأما الاستعارة، فمما يدل على إدراك البلاغيين لبعدها الحجاجي ربطهم طابعاً عبروا عنه بالمبالغة، وهي وجه من وجوه الحجاج⁽¹⁵⁾. والبلاغة في ذاتها أداة من أدوات الحجاج، بما تحمله من شد وإقناع ومبالغة وجذب، حتى في أبسط صور التعبير غير المباشر أو المكني عن المعنى،

كأن تعني جملة: نتمنى لكم سفرًا سعيداً أن حدود المدينة انتهت، أو أن يُقصد بـ: أهلاً وسهلاً تفضلوا، الإيعاز بإعداد حق الضيافة⁽¹⁶⁾.

وتعد المسألة والسؤال من وسائل الحجاج في الخطاب، فالسؤال يتولد عنه معنى وتحليل، وقراءة ثانية، فالسؤال قد يتمتع بشحنات من الدلالة والإيماء ولفت النظر مما تقصر عنه الجملة الخيرية البسيطة.

وقد سعى مايير من خلال مشروعه الفكري إلى إقامة نظرية حجاجية أساسها فكرة التساؤل، فالوصول إلى السؤال الجوهرى يعد الخطوة الأهم في أي نظرية أو موضوع⁽¹⁷⁾.

ويسهم السؤال في إنكاء الحجاج بنوعيه - الأسئلة المتلاحقة التي تقود إلى معطى واحد، أو الأسئلة المغلقة التي تنطوي على إجاباتها المعدة - فلا يقصد السائل من ورائها أن يسأل، وإنما يخرج عن هذا إلى مقصد آخر كالإلتماس، أو دفع المرسل إليه للاشتراك في الخطاب⁽¹⁸⁾.

وتمتاز الأسئلة المغلقة بقدرتها على توجيه الإجابة باتجاه ما يرمي الخطاب إليه، فعند القول: أليست القهوة لذيذة؟ فإن إحياء الإجابة بـ (بلى) متضمن في السؤال، وعندما يقدم خياران لا ثالث لهما، فإن حصر الإجابة في خيارين يلائمان الخطاب هو الغاية: تريد الأخضر أو الأزرق؟ وإن كان الخياران متناقضين، فإنهما يبرزان المفارقة أمام القارئ، خاصة إن حُمِلَ أحد الخيارين إحياء بتفضيله: هل تفضل الخروج أو قضاء وقت هادئ في المنزل؟

كما يعد خطاب التوجيه حجاجاً مضمراً لسؤال استفهامي، فالتعبير: "لا تصالح" جواب سؤال مضمّر: هل أصالح؟.

2- بنيتا التشاكل والتباين في الخطاب الحجاجي

يعرف التشاكل بأنه تراكم مستويات معينة في الخطاب، من حيث تركيبه وبنائه، والمغزى المستفاد من هذا التراكم هو دلالة خاصة على معنى مراد، بالإلحاح عليه وتكراره⁽¹⁹⁾.

والتشاكل خاصية لسانية تساعد على فهم فضاء النص، بتكراره المقنن لوحدات الدال نفسها⁽²⁰⁾، وهي خاصية تعنى بشكل الخطاب، وترصد بنياته التركيبية والصوتية والدلالية والصرفية التي تصنع مفاتيح النص وتبلور فضاءه.

والتباين هو أحد المكونات الأساسية لكل ظاهرة إنسانية ومنها اللغوية، وقد يكون مختفياً لا يرى إلا من وراء حجاب، وقد يكون واضحاً كل الوضوح، حينما يكون هناك صراع وتوتر، ويتجلى التباين في كل ما يعبر عن الخطاب من الإثبات مقابل النفي والحضور مقابل الغياب، والنهي مقابل الأمر...⁽²¹⁾.

فبنيتا التشاكل والتباين مفتاحان أساسيان من مفاتيح الولوج إلى جوهر النص وحقيقته، فالتشاكل يرصد البنى المتكررة، التي يدل تكرارها على الإلحاح عليها، والتباين يكشف المفارقات الدالة على فكرة عبّر عنها بإبراز ضدها، فالمفارقة هي ضرب من التأنق اللفظي هدفه الأول إحداث أبلغ الأثر، بأقل الوسائل تذكيراً، وهي أشبه بالتعبئة العقلية الذكية، بل أكثر صورها نشاطاً⁽²²⁾.

وفي الشعر، كما في غيره من ألوان الخطاب، ينبئ التشاكل التركيبي عن تشاكل المعاني وتعارضها، ويشير مفتاح إلى علاقة بين بعض التراكيب وبنى المعنى، فالشعر الغنائي يميزه المضارع المسند إلى ضمير المتكلم، والشعر الملحمي يعبر بضمير الغيبة، وبالفعل الماضي، والشعر المأساوي يتجه نحو المخاطب للالتماس منه القيام بعمل أو حظه عليه، ويستخدم الصيغ المستقبلية⁽²³⁾.

ثانياً: التضامن وطرائقه:

ينبثق النجاح في أي عملية تخاطبية من كفاءة الرسالة الخطابية في حد ذاتها، وعلى عقد المرسل صلات مباشرة أو غير مباشرة تكفل لمستقبله الإمساك بخيوط النص وتعيينه في قراءته، ومهما قيل عن موت المؤلف وانفتاح القراءات، إلا أن ذهنية الكاتب وإيحائه الحاضرين أو شبه الحاضرين يتسللان إلى القارئ عبر رموز اللغة، بما تحمله من أطياف ودلالات.

وتتحكم العلاقة بين صاحب الخطاب وقارئه بعوامل عدة، وثمة عاملان يؤثران في المرسل في اختيار استراتيجية خطابه، من حيث اعتبار علاقته مع غيره، وهما: العلاقة السابقة بينه وبين المرسل إليه، والسلطة التي يمتلكها أحد طرفي الخطاب⁽²⁴⁾.

وبالإضافة إلى هذين العاملين، فإن الغرض من الخطاب وأهداف الكاتب تسهم في تحديد سماته وطرقه.

والمبدع، سواء أكان شاعراً أم ناثراً، يمتلك الحد اللازم من الثقافة الإنسانية التي تلح على فكرة التقارب، لأجل التواصل، أو بعبارة أخرى هي تحث على اختيار القنوات الصحية المفضية إلى ذهن المخاطب المفترض، ولا سيما في عصر الصخب والازدحام والتسارع، فالمخاطب ليس جاهزاً لتلقي أي رسالة كيفما كان إيقاعها، ولذا تقع على الكاتب مسؤولية إقامة المساحة اللازمة من التضامن بينه وبين قارئه، وهو إن أراد التأثير والاستمالة زادت حاجته إلى توسيع تلك المساحة.

وهناك استراتيجيات تنحو بالخطاب نحو الرسمية أكثر، ومنها ما ينحو إلى التضامن مع القارئ، ومجاذبته أطراف الحديث واستحضاره، وكل نوع له ظروفه ومعطياته، غير أن الخطاب المعاصر بات يلتفت أكثر إلى القارئ، لإدراكه أن الإقناع ونيل الإعجاب ليس مطلباً ميسوراً في ظل النزاعات الفكرية والصراعات الإيدولوجية وتعدد الخيارات والمشارب وتعدد نفسية الإنسان.

ولذلك بات النقد الأدبي للغة الشعر، وغيره من أشكال الأدب، يلتفت إلى استراتيجيات التأدب الإيجابي والتضامن وسلمية التعبير، وتهذيب الخطاب، وهذا يجعل من العلاقة بين دنقل وجمهوره علاقة تفاعل على نحو ما، أما السلطة التي يمتلكها الشاعر فهي في صياغة رأي عام على نحو ما.

فقد صاغت (روبين لاكوف) مبدأ التأدب في مقالها (منطق التأدب) ترمي فيه الباحثين بالجمود والتقصير، لما يكتفي به أحدهم من الوقوف على الشكل اللغوي والاكتفاء به للحكم على صحة الجمل، وتدعو إلى الاهتمام بسياق التلفظ، بما فيه من افتراضات منطقية تداولية، فقولهم: من يريد برتقالاً؟ تحمل يقينية بالرغبة في البرتقال من عدمها. وأما قولهم: من يريد شيئاً من البرتقال؟ فيحمل رداً بالإيجاب لوجود الرغبة⁽²⁵⁾.

ويندرج تحت فكرة التضامن المنشأ بين الكاتب والقارئ حديث مطول ستعرض له أمثلة في التطبيق - عن سلمية التعبير، بمعنى أن الجملة تحمل قدراً من اللغة المسالمة، وإن كانت المرامي أكثر سلطة، ف (إن الامتحان صعب) قد يتجاوز المعنى فيها الإخبار إلى النهي والأمر.

كما ينضوي تحت التضامن كثير من انتقاءاتنا للأبينة الصرفية؛ ليس لأنها الأدق معنى، بل لأنها الأقدر على المحافظة على إنشاء السلام مع القارئ، فيقال مثلاً: لماذا تقطع المكالمات الهاتفية؟ رغم أن الأصل في الموقف: لماذا قطعت المكالمات الهاتفية؟

فاستعمال المضارع يوحي بأن الحدث ما يزال قيد الوقوع، ويسهل تدارك الأمر، وأما الماضي فزمانه سابق على السؤال، ولذا لا يستفاد منه معنى المراجعة والاستدراك.

وكثيراً ما يتبدى التضامن والقارئ في أسئلة التخيير: هل تفضل قراءة القصص الممتعة أو العلوم؟ هل تشتري هذا القميص الأزرق بدلاً من الأسود؟

وينسجم هذا النمط الخطابى وقواعد التخاطب التي أشار إليها الشهري في كتابه: (تحليل الخطاب)، إذ ألح على ضرورة الالتفات إلى الفروق الدقيقة في صيغ الخطاب، فثمة فرق بين: هل يمكنني استعارة قطعة صغيرة من الورق؟ وأعطني قطعة من الورق. كما تكمن هذه الفروق في انتقاء الأسماء والكنى والألقاب، فالاسم أكثر قرباً من الكنية أو اللقب، وكذلك انتقاء البعيد والقريب من أسماء الإشارة وانتقاء ضمائر محددة (أنا، نحن، أنت، أنتم)⁽²⁶⁾.

وكلها تحمل تفاوتاً في تجسيد الاستراتيجية التضامنية، وإن كانت القاعدة اللغوية المعروفة تنص على أن كل زيادة في المبنى يترتب عليها زيادة في المعنى، فإن لكل مبنى معاني تتعدد بتعدد السياقات التي تضم المباني، فعندما يستعمل الضمير (نحن) في جملة توجهها الأم إلى ابنها طالب المدرسة الذي يستعد لامتحان مهم: ستكون مستعدين لتقديم الامتحان في وقته وسننجح فيه، والتعبير في بنيته العميقة هو: ستكون مستعداً وستنجح، وكثيراً ما تنجح الضمائر

في إضفاء إيقاع نفسي بكثير من الاختصار والتقنين، لا سيما أنه (ضمير) أي مختزل للاسم في هيئة ضامرة.

و(أنت) يمكن أن تكون تعاونية تشاركية: أنت تقرأ لي أعمالي، أو دالة على الحميمية والقرب الاجتماعي، وخاصة في حال عدم التكافؤ، كأن يقول الحفيد للجد: أنت حبيبنا!، كما قد تدل (أنتم) على الاحترام والرسمية الاجتماعية: أنتم القدوة، والتضامن مع المتكلم، وعكسه ممارسة السلطة عليه، وسلطة اللغة تتجلى بصور خفية أحياناً، تمارس فيها السلطة ولا تظهر المتسلط، كاستخدام المبني للمجهول: ممنوع الدين، أو صيغة المبني للمجهول: خُتِمَت الجلسة، أنهى الامتحان، كما تخدم هذه الصيغة بالإكثار من صيغ التفضيل (أفعل) في إشعار بامتلاك السلطة ومن خلال امتلاك المعرفة، والتعبير عنها باللغة، وكذلك استعمال ال المستغرقة للجنس (نحن الأفضل)، وكذلك استخدام ألفاظ توحى على المستوى الدلالي بامتلاك الحقيقة والسلطة عليها: والحقيقة أن، بلا شك نقول، من المسلم به...⁽²⁷⁾.

استراتيجيات الخطاب في "لا تصالح" لأمل دنقل

يتغذى التأثير في هذه القصيدة على الحجاج، وهي تغادر النمط العاطفي التقليدي في القوائد العاطفية (الحب، الحنين إلى الوطن، الشوق) إلى نمط أكثر احتفاء بالعقل، وبالمنطق في الخطاب، ومنذ البداية يؤسس دنقل علاقة خاصة بالقارئ، ويخاطبه حتى في العنوان (لا تصالح) وهو حوار يستهدف الإقناع، إقناع القارئ بقضية الصمود، ورفض المصالحة مع العدو، وهو ينطلق في حوار من النهي، نهيه عن المصالحة ب (لا) في العنوان والبدائية، مفترضاً مخاطبة موطن الضعف في نفس قارئ أثر السلام والقبول بالصلح، وكأنه يرى ميلاً إلى ذلك عند فئة من الناس، أو حتى لدى من يتأرجح بين الصمود والاستسلام، فيخاطبه منذ البداية بخطاب شديد في صراحته، أمر بما ينبغي تركه: لا تصالح، وهو بذلك يولد بذرة الحجاج في نفس القارئ، بين الصلح والمقاومة، ومعروف ما لهذه الجملة الشهيرة، التي قالها كليب مستصرخاً أخاه، من معاني الثورة والشموخ والعزة والتحدى، وصيغة المضارع فيها تنقلها إلى مرتبة الخطاب العام، الذي يفتح فيه الزمن على أبعاده، كما يضعنا أمام قيمة أبدية مطلقة تستمد قيمتها من ذاتها⁽²⁸⁾.

وبعد الاستهلال بالنهي، بالتعبير الواضح دون مواربة أو مجاملة، يأتي الشاعر بمثال من الحكمة، والحكمة هي أعلى درجات الخطاب الحجاجي، فهي تأتي مسكتة، دامغة، في فحواها:

أترى حين أفقاً عينيك

ثم أثبت جوهرتين مكانهما

هل ترى؟

هي أشياء لا تشتري⁽²⁹⁾

فلهذه الصورة، التي على القارئ تصورها تحدث معه، تأثيرٌ يفوق الحديث المطول دون مغزى الحكمة المترتبة على التشبيه.

ومن جانب آخر يعزز دنقل في خطابه الحوارى التركيز على تعداد أمور تهم القارئ، وتلفت نظره من حيث إنها تضيف إليه المتعة والقوة... وقد استخدم ضمير المخاطب لأجل ذلك:

أن سيفان سيفك

صوتان صوتك

أنت إن متّ

لليبت ربّ

وللطفل أب⁽³⁰⁾

.....

إلى أن يجيبَ العدم

إنني كنتُ لك

فارساً

وأخاً

وأباً

وملك! ⁽³¹⁾.

وهذا التتابع يبنى بالقوة والتماسك، بالإضافة إلى ما لصوت الكاف من إحياء بالقطع والكف، فكأنه لا مراء في ما يقول. ومثل ذلك تكرار الميم في مواضع أخرى، كما ذكر خضر محجز في تحليله للجانب الصوتي للقصيدة، التي قال إنها غايرت حال قصيدة النثر في الحفاظ على نوع من القافية مهمتها منح القصيدة إيقاعاً قوياً يناسب مضمون القصيدة، فكأن طبول الحرب تقرعها القوافي الصارخة، وقوة الإيقاع - كما يرى - ناشئ عن تكرار الميم، وهو صوت صامت يشي بكثير من التصميم المعهود من حركة زم الشفتين المعبرة عن التصميم والعناد.⁽³²⁾

وكذلك يعدد عندما يتحدث عما ستكون عليه حال ابنته إن مات:

حرمّتها يدُ الغدر

من كلمات أبيها

ارتداء الثياب الجديدة

من أن يكون لها - ذات يوم - أخ!

من أب يتبسّم في عرسها⁽³³⁾.

وأما إن قبل المصالحة فسيكون (حسب القصيدة):

إنّ عرشك سيفُ

وسيفك زيفُ

وكذلك يعدد له فائدة حرصه على أخيه العربي وعدم المصالحة لأجله:

هي أشياء لا تُشترى

ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك

حسُكما - فجأة - بالرجولة

هذا الحياء الذي يكبت الشوق⁽³⁴⁾.

ويخرج الشاعر من الصورة الحجاجية السابقة بتعداد مناقب الصمود، وأفضت المصالحة إلى نمط حجاجي آخر، تبرز فيه مفارقة الصلح والصمود:

لا تصالح على الدم... حتى بدم

لا تصالح! ولو قيل رأس برأس

أكلُ الرؤوس سواء؟

أقلبُ الغريب كقلب أخيك؟

أعيناه عينا أخيك؟

وهل تتساوى يد... سيفها كان لك

بيد سيفها أثلّك؟

فالمفارقة هي منتهى الحجاج، ولبه، وخاصة مع ترافقه بأنماط صوتية متشابهة مبنى مختلفة معنى بل متناقضة (سيفها كان لك، سيفها أثلّك) ومع ما أضافه الإيقاع الصوتي الصارم القاطع للكاف، وأمثلة ذلك متكررة في القصيدة⁽³⁵⁾.

ومع كثرة الجمل المعارضة، يبرز استحضار المخاطب (القارئ) بشكل لافت ومستمر في القصيدة، فالجملة المعارضة تنبيه بوعي الكاتب تجاه المخاطب وهذا ينعكس على البعد الصياغي للتعبيرات، بحيث تتحرى الطرف المقابل وتتنبأ برده فعله، وتحاول التوصل إلى أكثر الأشكال اللغوية مناسبة وإقناعاً، ومن أمثلة العبارات المعارضة في القصيدة:

أتنسى ردائي الملطخ بالدماء
تلبس - فوق دمائي - ثياباً مطرزة بالقصب؟
.....

كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام
وهو يكبر - بين يديك - بقلب منكس؟
.....

أن تسوق الدهاء
وتبدي - لمن قصدوك - القبول
.....

فخذ - الآن - ما تستطيع
.....

فالدّم - الآن - صار وساماً وشارة
.....

وتذكر

_ إذا لان قلبك للنسوة اللابسات السواد ولأطفالهن الذين تخاصمهم الابتسامة -

أنّ بنت أخيك اليمامة

زهرة... تتسربل في سنوات الصبا

بثياب الحداد

ويعتمد بناء الجمل في قصيدة "لا تصالح" على التتابع بين الجمل والألفاظ، وربطها بأدوات الربط المتعددة، وهذا ينسجم والخطاب العقلي الذي يلتفت إلى التسلسل والمنطق وحسن الترتيب، غير أن هذا الربط تلاشى في مقطع كامل، فظهرت الألفاظ فيه منقطعة ملتحمة بجو من الأسى والتشظي لدى تحطم كل شيء بسبب القتل، وقد أشار إلى ذلك حاتم الصكر في دراسته القيمة، ذاكرًا أن دنقل ولّف بين اللقطات دون عطف برابط نحوي مباشر، وقد ساعد هذا في إنكاء العنف الدرامي في قصيدته⁽³⁶⁾.

كل شيء تحطم في لحظة عابرة:

الصبا - بهجة الأهل - صوت الحصان - التعرف بالضيوف - مهمة القلب حين يرى برعما

في الحديقة يذوي - الصلاة لكي ينزل المطر الموسمي - مراوغة القلب حين يرى طائر الموت.

وهو بهذا يجمع التابع إلى جانب التقطيع، جامعاً بين ركني الخطاب العقلي العاطفي، مؤمناً أنهما لا بُدَّ أن يلتحما، طالما أن الموضوع يملئ ذلك، وإن كان من اللافت رجحان خطاب العقل لدى أمل دنقل في قصيدته (لا تصالح)، وعلى الرغم من أن التقطيع والتوتر يبدوان في هذا المقطع، إلا أنه يحمل روابط عميقة تفهم من خلال الاقتضاء والاستدلال والمعجم.

ويبني دنقل جل قصيدته على ركن مهم من أركان الحجاج العقلي، ألا وهو الاستفهام، وهو يروم إثارة الإجابة في نفس القارئ، وهي إجابة أعد له التوصل إليها من خلال توجيه السؤال توجيهها يملئ بجواب محدد، كالأسئلة الإنكارية، وقد أشار إلى أهمية هذه التقنية في قصيدة لا تصالح زيد القرالة، قائلاً إن الأساليب التي تشكلت منها القصيدة كالاستفهام والنهي والأمر... مثلت نسقاً حوارياً ينسجم وقضية الشاعر، وهذا الانسجام هو لحظة من الالتقاء بين لغة النص وقضية الشاعر ورؤيته⁽³⁷⁾.

كيف تتنشق الرتتان النسيم المدنس؟

كيف تنظر في عيني امرأة؟

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟

كيف تصبح فارسها في الغرام؟

كيف ترجو غداً لوليد ينام؟

كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام؟

وغيرها مما حضر حضوراً لافتاً في القصيدة.

ومن تقنيات الحجاج التي حرص عليها دنقل انتقاء الصيغ الأقدر على نقل المعنى بظلاله وتفصيله، فالعقل أساس جملته، وهو مرتبط بالحدث والزمان، وهما مرتبطان بدعوته إلى اتخاذ موقف من الصلح والعمل به، والزمن يلاحق الحدث ويلج بسرعة التنفيذ، كما أن لجوءه إلى بعض الصيغ كالتفضيل يعد من متطلبات الحجاج الذي يبنى على الحجة والبرهان:

والذي اغتالني ليس رباً

ليقتلني بمشيئته

ليس أنبل مني..... ليقتلني بسكينته

ليس أمهر مني..... ليقتلني باستدارته الماكرة

كما يميل التعبير عند دنقل بوضوح إلى صور تمثل أبعاداً حسية⁽³⁸⁾ تخاطب عقل القارئ وتحرك في فكره شيئاً ما.

غرس السيف في جبهة الصحراء
كيف تخطو على جثة أبيك؟
ارو قلبك بالدم و ارو التراب المقدس
ثم تبقى يد العار مرسومة
سرق الأرض من بين عيني
لاتصالح

فيدحض عن عدوه صفات النبل والمهارة ليحيلهما إلى ذاته، وكذلك يختار دنقل الحذف
مؤشراً دالاً على معنى مبتور، تاركاً للقارئ فسحة الخيال ليجده، ويوثق سابق المعنى:

أنت فارسُ هذا الزمان الوحيد
وسواك... المُسُوخ
.....

لا تصالح
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة
النجوم.... لميقاتها
والطيور.... لأصواتها
والرمال.... لذراتها
والقتيل.... لطفلة الناظرة
.....

لا تصالح
ولو قال من مالٍ عند الصّدام
"... ما بنا طاقة لامتشاق الحسام..."

ويذهب دنقل إلى أبعد من هذه الفسحة بالحذف، بتعميم حديثه عن اليمامة التي سرد
قصتها، عن طريق الإشارة بـ (تلك) بدلاً من هذه، لتكون رمزاً لكل يمامة:

فما ذنبُ تلك اليمامة
لترى العشّ محترقاً... فجأة
وهي تجلس فوق الرماد.

ومن الأدوات اللغوية البارزة التي استعان بها الشاعر على الحجاج في القصيدة (حتى) و(ولو)، إذ يقول:

لا تصالح

ولو منحوك الذهب

.....

ولو قيل رأس برأس

لا تصالح على الدم... حتى بدم!

.....

لا تصالح

ولو حرمتك الرقاد

صرخات الندامة

لا تصالح

ولو توجوك بتاج الإمارة

.....

والأمثلة عديدة في القصيدة، وتقدم هاتان الأداتان درجة كبيرة من درجات الحجاج، إذ تقدم الحد الأعلى من المعنى، بل هو مائل إلى منتهاه.

وفي نهاية الحديث عن حاجية اللغة لدى دنقل، فإنه لم تغلبه غنائية اللغة، إذ تخفف منها بسرديته وحكايته واستخدامه لتقنية البناء المشهدي، والحوار الذي يكشف نسبية الحقيقة وسخريتها بل سرياليته، وقد أدى شعره "هادئاً في شكله وتركيبه ولغته، إلا أنه في العمق صاخب"⁽³⁹⁾.

ويتوصل دنقل إلى كثير من مبتغاه في إقناع القارئ والتأثير فيه بتضامنه معه، هذا التضامن يتبدى في كثير من التقنيات الأسلوبية في لغة القصيدة، فهو من البداية ينشئ حواراً افتراضياً بينه وبين قارنه مبتعداً بذلك عن الإغراق في الذاتية والتنظير للآخر دون إشراكه في الرؤية والشعور.

ويمثل الخطاب بضمير المخاطب (أخيك، بينك، صوتك، سيفك، جئناك، حرمتك، توجوك، قصدوك...) منتهى التضامن مع المخاطب، واقترباً منه، فهو نظير المتكلم ومراته.

وقد واعم الشاعر بين فحوى النص ونوع المقطع الشائع فيه، فهو المقطع القصير المغلق (ص ح ص)، وهذا ما أوضحه القرالة بعد استقراء القصيدة والخروج بنتيجة شيوع هذا المقطع،

رابطاً بينه وبين المضمون، بما يحمله من معنى النهي والتوقف، ومع أن المقطع لا يقدم دلالة في ذاته، إلا أن هذه الدلالة تتشاكل مع العناصر الأخرى لتعكس رؤية المبدع⁽⁴⁰⁾.

وبدلاً من عرض الأفكار والحجج، لجأ دنقل إلى إثارة عصف ذهني لدى القارئ، بباقة من الأسئلة التي تقود إلى إجابات محددة مرسومة، يتوصل إليها القارئ بنفسه، ولا سيما مع إثارة استعطافه بالتشبيهات والأسئلة الإنكارية.

ويقترّب الشاعر أكثر من قارئه، خالقاً مساحة أخرى من التضامن في ما بينهما؛ بمراوحتة بين ضمائر شتى لمن يتناولهم بالحديث، في مقابل ضمير واحد هو المخاطب، فهو مثلاً يذكر المتكلم: (أترى حين أفقاً عينيك)⁽⁴¹⁾ وكذلك هو الأب الضحية الذي تتيّمت ابنته: (كنت إن عدت تعدو على درج القصر)⁽⁴²⁾، ويتماهي مع النموذج الذي يدعو إلى احترامه وعدم المصالحة لأجله: (لم أكن غازياً، لم أكن أتسلل قرب مضاربهم...) وقد شاء الشاعر أن يبني جسراً أعلى من التضامن مع القارئ، فجعل منه مرجعية توازي الضمائر الأخرى مجتمعة⁽⁴³⁾.

خاتمة

1. الحجاج تقنية انتهجها أمل دنقل في قصيدة "لا تصالح" مخاطباً عقل القارئ وشعوره بأدوات عبّرت عن الحجاج، في خطابه الشعري الإشعاري، مبتعداً عن العفوية لصالح القصيدة وعمق الإقناع، فيستخدم تقنيات التشاكل والتباين، وتوجيه العنوان وإدخال الحكمة، وبناء بعض المقاطع بنمط التتابع الموحى بالتماسك والقوة، وإبراز المفارقة، والمحاكاة بالتعداد واستحضار القارئ بالجمل الاعتراضية، وإقناعه بالأسئلة المتلاحقة. وكذلك لجأ دنقل إلى انتقاء بعض الصيغ الأقدر على الحجاج والتأثير كصيغة المبالغة، كما عبر بالحذف عن احترامه لعقل القارئ في تخمين ما هو محذوف.

2. ينطوي شعر دنقل في قصيدة (لا تصالح) على قيم تضامنية تجمع الشاعر بقارئه، وتلح على فكرة التقارب لأجل التواصل، وتجهز المتلقي لاستقبال الرسالة الكامنة في القصيدة، خاصة أن نيل إعجابه والتأثير فيه لم يعودا مطلباً يسيراً مع تعدد الإيديولوجيات وتزاحم الأفكار وصراعها.

وانعكست رغبة الشاعر في تضامن أعلى مع القارئ على أبنيته اللغوية، فأنشأ حواراً افتراضياً مع القارئ، نائياً عن الذاتية، وقد وظف ضمير المخاطب معبراً عن تقارب مع قارئه، فهو يضعه في مرتبة النظير المكافئ له.

كما استنهض دنقل كوامن الفكر في عقل قارئه من خلال عصف ذهني بالأسئلة المتتابعة، وهي أسئلة يتفق القارئ مسبقاً على إجاباتها مع الشاعر، وهو بطرحها يثير القارئ

ويحيي فيه ما همد من همة ويترك في ذهنه سؤالاً يبقى إلى ما بعد الفراغ من قراءة القصيدة.

3. يحتاج حقل الدراسات التطبيقية إلى دراسة مستفيضة تستجلي تقنيات النصوص الأدبية وتلمس مواطن العمق والتأثير فيها، وتعين القارئ والباحث على التواصل معها، فالنقد الأدبي جسر من شأنه أن يوصل المتلقي إلى رسالة المبدع، فيقدر بذلك على رؤية أشمل وأجمل.

The Strategies of Linguistic Discourse in "La tusaleh" Poem of Amal Dunqul

Hanan Al-Amaierh, Language Center, The University of Jordan, Amman, Jordan.

Abstract

This research aims to clear some linguistic strategies used in the famous poem "La tusaleh" of Amal Dunqul. The study uses a descriptive and analytic, discussing two stylistic techniques: argumentativeness and solidarity as important techniques used to understand the discourse of the poem. The study has concluded that the language used in the poem has been structured in response to the idea of argumentativeness while the strategy of solidarity with the reader is reflected on the language structure and style.

الهوامش

- (1) تغزاوي، يوسف: التداوليات وتقنيات التواصل، التداولية ظلال المفهوم وأفاقه، إربد، عالم الكتب الحديث، 2015: 21.
- (2) مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992: 14.
- (3) ناظم، حسن: مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1994: 101.
- (4) تشيتشرين. أ. ف: الأفكار والأسلوب، ترجمة حياة شرارة، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978: 34.
- (5) ينظر دنقل، أمل، الأعمال الكاملة، دار الصفوة، بيروت، 1985: المقدمة، ص 7.

- (6) العيساوي، خالد: الخطاب الإشهاري بين البعد التداولي وسلطة النص من كتاب التداولية ظلال المفهوم وأفاقه، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015: 173.
- (7) خاين، محمد: النص الإشهاري ماهيته انبناؤه وآليات اشتغاله، ط1، عالم الكتب، 2010: 66.
- (8) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط2، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2015: 303/2.
- (9) نفسه: 51/1.
- (10) الملخ، حسن: الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن: 2015: المقدمة.
- (11) نفسه: المقدمة.
- (12) عمران، علي: الوظائف الحجاجية في الخطاب الحربي من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015: 224.
- (13) بدوح، حسن: أهمية الحجاج في ممارسة التواصل الإنساني، من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015: 6.
- (14) بودوخة، مسعود: البعد الحجاجي في البلاغة العربية، من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015: 29.
- (15) نفسه: 28.
- (16) الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب: 232/2.
- (17) الراشدي، عبد الله: المسألة الحجاجية في الشعر العربي نماذج مختارة، من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015: 162.
- (18) الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب: 19/1.
- (19) مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري: 71 - 73.
- (20) أحمد، مداس: التشاكل والتباين في الخطاب الشعري، قراءة في الوضع التركيبي لقارئة الفنجان، منتديات مكتبتنا العربية www.almaktabah.net تاريخ الدخول 2016/5/11.
- (21) مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري: 71.
- (22) الراشدي، عبد الله بيرم: مصطلح المفارقة التداولية مدخل نقدي، من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015: 124.
- (23) مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري: 338.
- (24) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب 7/2.
- (25) الشهري، عبد الهادي: تحليل الخطاب: 144/2.
- (26) الشهري، عبد الهادي، تحليل الخطاب: 134/2، وينظر: 21/2.

- (27) ينظر في هذا الشهري، عبد الهادي: تحليل الخطاب: 43/1.
- (28) محجز خضر: أمل دنقل: القصيدة والتحليل، 2013/9/19 من موقع www.m.ahewar.org تاريخ الدخول 2016/5/11.
- (29) دنقل، أمل، الأعمال الكاملة، دار الصفوة، بيروت: 320.
- (30) دنقل، أمل، الأعمال الكاملة: 321.
- (31) نفسه، ص 323.
- (32) محجز خضر: أمل دنقل: القصيدة والتحليل، 2013/9/19 من موقع www.m.ahewar.org تاريخ الدخول 2016/5/11.
- (33) دنقل، أمل، الأعمال الكاملة: 320.
- (34) نفسه: 322.
- (35) دنقل، أمل، الأعمال الكاملة: 320.
- (36) الصكر، حاتم: قصائد في الذاكرة، قراءة استيعادية لنصوص شعرية، كتاب دبي الثقافي، آب، 2011، موقع الكاتب الدكتور حاتم الصكر، www.hatemsaqr.net.
- (37) القرالة، زيد: التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص، مجلة الجامعة الإسلامية، مجلد 17، ع1، 2009: 232.
- (38) محجز خضر: أمل دنقل: القصيدة والتحليل، 2013/9/19 من موقع www.m.ahewar.org تاريخ الدخول 2016/5/11.
- (39) شمس الدين، محمد علي: الأصوات الشعرية الجديدة، تجارب في الإبداع العربي، مجلة العربي، يوليو، 2009، ط1: 316.
- (40) القرالة، زيد: التشكيل اللغوي: 220.
- (41) دنقل، أمل، الأعمال الكاملة: 320.
- (42) نفسه: 324.
- (43) نفسه: 330.

المراجع

- أحمد، مداس: التشاكل والتباين في الخطاب الشعري، قراءة في الوضع التركيبي لقارئة الفنجان، منتديات مكتبتنا العربية www.almaktabah.net تاريخ الدخول 2016/5/11.
- بدوح، حسن: أهمية الحجاج في ممارسة التواصل الإنساني، من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015.

- بودوخة، مسعود: البعد الحجاجي في البلاغة العربية، من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، 2015.
- تشيتشرين. أ. ف: الأفكار والأسلوب، ترجمة حياة شرارة، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978.
- تغزاوي، يوسف: التداوليات وتقنيات التواصل، التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، عالم الكتب الحديث، إربد ، 2015.
- خاين، محمد: النص الإشهاري ماهيته، أنبناؤه، وآليات اشتغاله، ط1، عالم الكتب، إربد 2010.
- دنقل، أمل: الأعمال الكاملة، دار الصفوة، بيروت، 1985.
- الراشدي، عبد الله بيرم: مصطلح المفارقة التداولية مدخل نقدي، من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015.
- الراشدي، عبد الله: المسألة الحجاجية في الشعر العربي نماذج مختارة، من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد ، 2015.
- شمس الدين، محمد علي: الأصوات الشعرية الجديدة، تجارب في الإبداع العربي، مجلة العربي، يوليو، 2009، ط1.
- الصكر، حاتم: قصائد في الذاكرة، قراءة استيعادية لنصوص شعرية، كتاب دبي الثقافي، آب، 2011، موقع الكاتب الدكتور حاتم الصكر، www.hatemalsaqr.net تاريخ الدخول 2016/5/11.
- عمران، علي: الوظائف الحجاجية في الخطاب الحربي من كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015.
- الغيساوي، خالد: الخطاب الإشهاري بين البعد التداولي وسلطة النص من كتاب التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015.
- القرالة، زيد: التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص، مجلة الجامعة الإسلامية، مجلد 17، ع1، 2009.
- محجز، خضر: أمل دنقل: القصيدة والتحليل، 2013/9/19 من موقع www.m.ahewar.org تاريخ الدخول 2016/5/11.
- مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992.
- ناظم، حسن: مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1994.

تغطية المواقع الإلكترونية الإخبارية الأردنية للعدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014

عزام علي عنانزة *

تاريخ الاستلام 2016/4/25

تاريخ القبول 2016/7/18

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة كيفية تغطية المواقع الإلكترونية الأردنية (عمون، سرايا، السوسنة) للعدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014) من خلال استخدام منهج تحليل المضمون للمواد الإعلامية في المواقع الثلاثة خلال فترة العدوان الممتدة من (2014/7/8) حتى (2014/8/29).

وتوصلت الدراسة إلى أن اهتمام المواقع الإلكترونية عينة الدراسة (عمون، سرايا، السوسنة) بالعدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014 كان مرتفعاً نسبياً بصفة عامة، حيث بلغ عدد المواد الإعلامية التي تناولت العدوان (644) مادة في المواقع المذكورة، واتضح من نتائج الدراسة أن هناك تبايناً كبيراً بين المواقع الإلكترونية (عمون، سرايا، السوسنة) من حيث درجة الاهتمام بتغطية العدوان الإسرائيلي؛ حيث جاء موقع سرايا الإخباري في المرتبة الأولى على المستوى الكمي بواقع (290) مادة إعلامية وبنسبة (45%)، بينما جاء موقع عمون في المرتبة الثانية بواقع (206) مادة إعلامية وبنسبة (32%)، وأخيراً جاء موقع السوسنة في المرتبة الأخيرة بواقع (148) مادة إعلامية وبنسبة (27%).

الكلمات المفتاحية: المواقع الإخبارية الأردنية، العدوان الإسرائيلي، غزة 2014.

مقدمة الدراسة:

تصاعدت وتيرة العنف بين إسرائيل وقطاع غزة كنتيجة حتمية لفشل ما يسمى بـ "عملية السلام" واستمرار إسرائيل في انتهاك الاتفاقات الموقعة مع السلطة الفلسطينية، وبتاريخ (2014/6/12)، بدأ الجيش الإسرائيلي حملة عسكرية واسعة من المدهامات والاعتقالات على أثر خطف ثلاثة مستوطنين في الخليل، وأعقب ذلك مطالبات إسرائيلية بالانتقام من العرب، مما أدى إلى خطف الطفل محمد أبو خضير

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم الصحافة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

البالغ من العمر (16) عاماً وتعذيبه وحرقه؛ في جريمة بربرية هزت مشاعر الفلسطينيين خاصة والعرب والمسلمين عامة، وقد توعدت حركات المقاومة بقصف عدد من المدن الإسرائيلية بالصواريخ؛ فشنت إسرائيل عدواناً على غزة استمر من تاريخ (2014/7/8) حتى (2014/8/29) تخلله عدد من أيام الهدنة، وقد بلغ عدد ضحايا العدوان من الفلسطينيين (2147) شخصاً، (81%) منهم من المدنيين كان بينهم (530) طفلاً و(302) امرأة، بينما كانت الخسائر الإسرائيلية (72) قتيلاً؛ منهم (64) جندياً و(6) مدنيين؛ منهم امرأة وطفل واحد⁽¹⁾.

وخلال هذا العدوان تابعت معظم المواقع الإلكترونية الأردنية مسار الأحداث والتطورات سواء في قطاع غزة وفلسطين؛ أو على الصعيد المحلي الأردني أو العربي أو الدولي، حيث لعبت هذه المواقع دوراً مهماً في تغطية المواجهات العنيفة التي شهدتها ساحة الصراع، ومع تواصل العدوان الإسرائيلي -وسط صمت محلي وعربي مريع- كانت المواقع الإلكترونية تغطي أخبار العدوان بشكل يومي، وتلعب دوراً بارزاً في تشكيل اتجاهات المواطنين؛ سواء نحو النظام الإقليمي الرسمي العربي أو تجاه الكيان الصهيوني.

ونتيجةً لذلك؛ فقد فتح العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014) الباب أمام المجتمع الأردني للاعتماد بشكل كبير على المواقع الإلكترونية لمتابعة أخبار هذا العدوان وتطوراتهِ⁽²⁾، كما لعبت هذه المواقع دوراً بارزاً في نقل الحقائق وتغطية العدوان على غزة وفضح إسرائيل التي ارتكبت مجازر وحشية بحق الشعب الفلسطيني.

مشكلة الدراسة:

يعدّ الإعلام الأردني بشقيه الرسمي والخاص سلطة رابعة تلعب دوراً كبيراً في تشكيل الآراء والقيم وتوجيهها، وبالتالي إحداث التغييرات المطلوبة، سواء على مستوى الأفراد أو الحكومات، حيث تقوم وسائل الإعلام بتغطية الأحداث وتقديمها إلى الجماهير بغرض حشدهم وتعبئتهم نحو القضايا التي تهمهم وتشكل هاجساً لديهم، مثل القضايا الوطنية والعربية وأهمها قضية العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014)، وقد شكلت المواقع الإلكترونية ممثلة بكل من (عمون، سرايا، السوسنة) فضاء عاماً مفتوحاً يتم فيه تبادل الأفكار والاحتجاجات بسبب ما وفرته هذه المواقع من مجالات المشاركة والتفاعل مع هذا الحدث البارز، حيث أسهمت هذه المواقع في تشكيل الرأي العام وتعبئته نحو ما يحدث في غزة من خلال التغطية الكثيفة لأخبار العدوان عام (2014) وتطوراتهِ. وبناءً على ذلك، تكمن مشكلة الدراسة في السؤال التالي: كيف تعاملت المواقع الإلكترونية الأردنية (عمون، سرايا، السوسنة) مع قضية العدوان الإسرائيلي على غزة (2014)؟ وما دور هذه المواقع في متابعة وتغطية أخبار هذا العدوان؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة في محاولتها لتوفير مادة إعلامية لقياس درجة تفاعل وتغطية المواقع الإلكترونية الأردنية (عمون، سرايا، السوسنة) للعدوان الإسرائيلي على غزة (2014)، باعتبار هذه المواقع نموذجاً للإعلام الإلكتروني، أو ما يسمى بالإعلام الجديد أو البديل، الذي يتميز بارتفاع سقفه وبعده عن الرقابة وسهولة الوصول إليه، وباعتبار هذه المواقع الثلاثة أيضاً من أكثر المواقع الأردنية متابعةً بحسب موقع أليكسا (Alexa) المعني بأكثر المواقع متابعةً في دول العالم. كما تعد هذه الدراسة من الدراسات القليلة، إن لم تكن الدراسة الوحيدة، التي بحثت في تغطية المواقع الإلكترونية الأردنية للعدوان على غزة عام (2014)، حيث وجد الباحث بعد اطلاعه أن هناك نقصاً في دراسات تحليل المحتوى للمواقع الإخبارية الإلكترونية الأردنية التي تتعلق بالحروب والأزمات والصراعات، ومن ضمنها موضوع العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014).

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- 1) التعرف إلى طبيعة التغطية الإعلامية للمواقع الإلكترونية (عمون، سرايا، السوسنة) للعدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014.
- 2) التعرف إلى المصادر التي اعتمدت عليها المواقع الإلكترونية الأردنية (عمون، سرايا، السوسنة) في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014.
- 3) التعرف إلى طرق وأساليب التعبير عن ردود الفعل الشعبية والرسمية على العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014 والتي غطتها المواقع الإلكترونية.

أسئلة الدراسة:

في ضوء الأهداف السابقة، تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية:

- 1) ما المصادر التي اعتمدت عليها المواقع الإلكترونية الأردنية في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014؟
- 2) ما الأنماط الصحفية المستخدمة في تغطية أخبار العدوان على غزة عام 2014؟
- 3) ما طرق وأساليب التعبير عن ردود الفعل الشعبية والرسمية على العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014 التي غطتها المواقع الإلكترونية؟

حدود الدراسة:

تناولت هذه الدراسة المواقع الإلكترونية الأردنية (عمون، سرايا، السوسنة) خلال فترة العدوان الإسرائيلي على غزة الذي بدأ في (2014/7/8) حتى (2014/8/29) وهو موعد انتهاء العدوان وتوقيع اتفاقية بين حركة حماس وإسرائيل برعاية مصرية.

نظرية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على نظرية ترتيب الأولويات، من منطلق أن وسائل الإعلام قادرة من خلال الإلحاح على مواضيع بعينها أن تجعلها في موقع الصدارة من اهتمام الجمهور، فالجمهور لا يتعلم القضايا والموضوعات العامة فقط من وسائل الإعلام، ولكنه يتعلم مقدار الأهمية التي يمنحها لقضية أو لموضوع معين من خلال التركيز الذي يحظى به في وسائل الإعلام، وهذا هو المقصود بدور وسائل الإعلام في ترتيب أولويات اهتمام المجتمع⁽³⁾.

وقد ظهرت هذه النظرية في السبعينيات من القرن الماضي، وتفترض أن وسائل الإعلام لا تستطيع أن تقدم جميع الموضوعات والقضايا التي تقع في المجتمع، وإنما يختار القائمون بالاتصال في هذه الوسائل بعض الموضوعات التي يتم التركيز عليها بشدة، وهذا يؤثر اهتمام الناس تدريجياً، ويجعلهم يفكرون فيها ويدركونها ويقلقون بشأنها، وبالتالي تشكل هذه الموضوعات أهمية أكبر نسبياً لدى الجماهير من تلك التي لا تطرحها وسائل الإعلام⁽⁴⁾.

وتتألف مكونات عملية وضع الأجندة من⁽⁵⁾:

- 1- أجندة الجمهور، التي يندرج تحتها الأجندة الذاتية والشخصية والخاصة للمجتمع.
- 2- أجندة وسائل الإعلام، التي تشمل أجندة الصحف والتلفزيون والراديو ووسائل الإعلام الأخرى.

كما يمكن بناءً على هذه النظرية- افتراض وجود علاقة إيجابية تربط ما بين درجة اهتمام الجمهور بالقضية وبين أولوياته الشخصية. فعلى سبيل المثال، يتابع الجمهور المواضيع التي تشكل تهديداً مباشراً له، مثل مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، بيد أنه يبتعد عن متابعة القضايا التي ليس لها تهديد مباشر عليه، مثل الخوف من الحرب النووية، أما بالنسبة للبعد الزمني الذي يعتبر من المتغيرات المؤثرة في ترتيب الأولويات، فإن الباحثين يتفقون على أن التأثيرات التي تحدثها وسائل الإعلام ليست ذات طبيعة فورية، بل تتطلب فترة زمنية تطول أو تقصر مع مراعاة الفردية الخاصة لكل فرد في المجتمع. ولفت "هوفلاند" إلى أنه بعد فترة من الزمن ينسى المتلقي مصدر الرسالة في حين يذكر مضمونها، غير أن هذا المضمون قد يتلاشى

بعد فترة وجيزة في ظل زيادة عدد القضايا التي يتلقاها الفرد، أو مرور فترة زمنية عليها، وهذا ما أطلق عليه التأثير النائم⁽⁶⁾.

أهداف نظرية ترتيب الأولويات

إن استخدام الجمهور وسائل الإعلام يؤثر في طريقة تناوله تلك القضايا المختلفة في تلك الوسائل، ومن ثم تؤثر وسائل الإعلام بشكل مباشر وقوي على جمهورها، وفي ضوء ذلك تسعى النظرية إلى تحقيق عدة أهداف منها⁽⁷⁾:

أ. التعرف على الطرق التي تختار بها وسائل الإعلام الأخبار والموضوعات، وهو ما يعرف بحارس البوابة.

ب. التعرف على تأثير أولويات القضايا التي تختارها وسائل الإعلام على أولويات الجمهور.

ج. التعرف على اختلاف قائمة أولويات كل من الصحف حيال القضايا المختلفة.

د. التعرف على علاقة الأفراد بالبيئة المحيطة وطريقة تفاعلهم معها، وهي بذلك تقترب بشكل آخر من نظرية الغرس الثقافي.

فروض نظرية ترتيب الأولويات:

إن الفرض الرئيس في معظم الدراسات الخاصة بوضع الأجندة هو "الاتفاق بين ترتيب أجندة وسائل الإعلام، وترتيب أجندة الجمهور للاهتمام بالقضايا والموضوعات الإعلامية"، أي وجود ارتباط ايجابي بين ترتيب الاهتمام لكل من الوسيلة والجمهور، مما يشير إلى دور وسائل الإعلام في ترتيب أولويات اهتمام الجمهور بالقضايا والموضوعات المطروحة بنفس الترتيب الذي تعطيه الوسائل لهذه القضايا والموضوعات⁽⁸⁾.

وتركز وسائل الإعلام على الأحداث العامة والقضايا لتحقيق التوحيد الجمعي وتشكيل الخطاب الاجتماعي، وانتهت كثير من البحوث إلى أن الصحافة تنجح أكثر من التلفزيون في التأثير على أجندة الجمهور، ذلك أن التلفزيون يهتم أكثر بالقضايا العامة وليس الفرعية الأكثر تخصصاً التي يمكن أن تهتم بها الصحف، حيث تهتم الصحف بالعمق وتعنى بالتفاصيل⁽⁹⁾.

وهناك افتراضات أخرى خاصة بنظرية وضع الأجندة، وهي⁽¹⁰⁾:

- 1- تبني النظرية على افتراض أن لوسائل الإعلام تأثيراً قوياً على العامة أو الجمهور.
- 2- أن الاتصال يبدو عملية تركز على المرسل كمحور رئيسي بها.
- 3- تفترض النظرية أن الصحفيين ومصادرهم المختلفة والجمهور يفسرون الخبر أو القضية

بنفس الطريقة أو بطريقة مشابهة تماماً.

العوامل المؤثرة في وضع الأجندة:

تتأثر عملية ترتيب أولويات الجمهور من طرف وسائل الإعلام بعدة عوامل ومتغيرات منها⁽¹¹⁾:

1. طبيعة القضايا ونوعها: ويقصد بها إذا كانت القضايا ملموسة، وبخاصة أن تأثيرات وسائل الإعلام تزداد في حالة القضايا الملموسة، ويتم إدراكها بصورة أكبر مقابل القضايا المجردة التي لا يتم إدراكها بسهولة.
2. الاتصال الشخصي: أوضحت الدراسات أن المعلومات التي تنتقل عبر قنوات الاتصال الشخصي، تستند على تغطية الأجندة الإخبارية للأفراد الذين يشاركون في محادثات مع آخرين حول أجندة القضايا التي تثيرها أجهزة الإعلام بدرجة كبيرة من الذين لا يمارسون الاتصال الشخصي وبهذه الطريقة يلعب الاتصال الشخصي، دور همزة الوصل بين الإدراك الذاتي لأهمية القضايا على المستوى الشخصي وبين إدراك أهمية القضايا على المستوى العام.
3. نوع الوسيلة: يؤثر نوع الوسيلة المستخدمة على كفاءتها في التأثير على ترتيب أولويات الجمهور، وقد انصب تركيز الباحثين حول ماهية الوسائل الأكثر فعالية في إحداث تأثيرات في وضع الأجندة خاصة بين التلفزيون والصحف.
4. المدى الزمني للأجندة: ترى نظرية الأجندة أن تأثير وسائل الإعلام يتوقف على تحديد الموضوعات، وكيفية إدراكها لدى الجمهور في فترة زمنية محددة لهذا الفاصل الزمني الذي تحقق فيه وسائل الإعلام التأثير التراكمي على أجندة الجمهور باهتمام كبير، حتى إن بعض الباحثين قالوا إن فترة ثلاثة أسابيع هي مدى زمني كافٍ لوضع الأجندة.
5. الخصائص الديموغرافية: ويقصد بها مراعاة المتغيرات الديموغرافية الخاصة بالجمهور، بعدما أشارت بعض الدراسات الخاصة بوضع الأجندة إلى وجود علاقة ارتباط إيجابي بين هذه المتغيرات وبين أجندة القضايا المثارة في وسائل الإعلام، وذلك باعتبار أن المتغيرات الديموغرافية تقوم بدور أساسي في تشكيل خبرات الفرد واتجاهاته نحو الأشياء المختلفة، وبالتالي تتحكم في اختياره للقضايا التي يتعرض لها إعلامياً.

وقد استفاد الباحث من نظرية ترتيب الأولويات من خلال توظيف أهداف النظرية في التعرف إلى الطرق التي تختار بها وسائل الإعلام الأخبار والموضوعات، وآلية ترتيب أولوياتها، وكذلك في التعرف على مدى اختلاف قائمة أولويات الصحف الإلكترونية نحو قضية العدوان الإسرائيلي على

غزة عام 2014، كما تمت الاستفادة من النظرية من خلال توظيف العوامل المؤثرة في وضع الأجندة (مثل طبيعة القضايا ونوعها) في صياغة أهداف وتساؤلات وفروض الدراسة، وكذلك دراسة المضمون الاتصالي بعد نشره في الصحف الإلكترونية الأردنية من خلال استخدام أداة تحليل المضمون لمعرفة أسلوب المعالجة الصحفية للعدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014 من حيث تحديد المصادر وعناصر الإبراز والأدوات التفاعلية والوسائط المتعددة وغيرها من المصادر والعناصر الأخرى.

الدراسات السابقة:

- دراسة عدوان (2012) بعنوان "تغطية الصحافة الإسرائيلية للحرب على غزة 2008-2009"⁽¹²⁾ هدفت الدراسة إلى توضيح دور كل من صحيفة (هارتس، يديعوت أحرنت، معاريف) الإسرائيلية في تناولها للموضوعات السياسية والعسكرية والاقتصادية والإنسانية وتوجهاتها وسبل معالجتها، من خلال إجراء تحليل مضمون عينة قوامها (90) عدداً موزعة بالتساوي على الصحف المدروسة خلال الفترة من (2008/12/22-2009/1/25)، وخلصت النتائج إلى أن السبة الأعلى لتغطية الصحف الثلاث في معالجتها للحرب تمثلت في صحيفة هارتس (45.3%)، يليها أحرنت (28.5%) ثم معاريف (26.2%)، واحتلت القضايا العسكرية المرتبة الأولى (41%) من حجم التغطية، ثم القضايا السياسية (36%)، ثم القضايا الإنسانية (13%)، وأخيراً القضايا الاقتصادية (10%)، وكان التركيز فيما يخص القضايا السياسية على مناقشة الجبهة الداخلية الإسرائيلية لأهداف الحرب وتحقيقها (25%)، المشاورات والتحركات الدولية والإسرائيلية الرسمية بشأن وقف إطلاق النار (23%)، تأثير الحرب على الجمهور الإسرائيلي (13%)، أما القضايا العسكرية فقد تركزت في عمليات إطلاق صواريخ المقاومة (20%)، تفادي الأخطاء التي حصلت أثناء الحرب على لبنان (16%)، تعزيز قوة الردع وزيادة ثقة الجيش الإسرائيلي (13%)، العمليات الإسرائيلية الجوية والبحرية والبرية (12%) من إجمالي الموضوعات العسكرية، أما بالنسبة للفنون الصحفية المستخدمة في التغطية فقد جاءت وفق الترتيب الآتي: المقال الصحفي (41.7%)، الخبر الصحفي (23.3%)، التقرير الصحفي (16.5%)، القصة الخيرية (7.8%)، التحقيق الصحفي (7.1%)، المقابلة الصحفية (3.6%).

- دراسة (فرج، 2011) بعنوان "تغطية الصحافة العربية للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عام 2008-2009"⁽¹³⁾ هدفت الدراسة إلى معرفة حجم التغطية الصحفية للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في ثلاث صحف عربية هي الرأي الأردنية، الأهرام المصرية، والقدس العربي اللندنية، من خلال استخدام منهج تحليل المضمون لأعداد الصحف في الفترة الواقعة بين

(2008/12/20) حتى (2009/1/28). وخلصت الدراسة إلى أن (86.7%) من المواد الإعلامية قد تناولت موضوع العدوان على المستوى السياسي والفلسطيني والعربي؛ حيث احتل المستوى السياسي المرتبة الأولى بنسبة (42.1%)؛ وكانت أبرز الموضوعات في هذا المستوى: اتهام إسرائيل بارتكاب جرائم حرب (17.7%) وكذلك لقاءات بين قيادات الدول لوقف العدوان (13.9%)، ثم نتائج العدوان على الشعب الفلسطيني بنسبة (26.5%)؛ وكانت أبرز الموضوعات في هذا المستوى: زيادة عدد الشهداء (29.7%) وكذلك زيادة التضامن مع القطاع على المستوى العالمي (12.5%)، ثم نتائج العدوان على المجتمعات العربية بنسبة (18%) وأبرز موضوعات هذا المستوى: احتجاجات ومظاهرات شعبية مؤيدة للشعب الفلسطيني (25%) وكذلك تقييم المساعدات الغذائية لقطاع غزة (18.4%)، كما أن (13.3%) من المواد الإعلامية في الصحف الثلاث تناولت مواضيع الاقتصاد، والصحة، والبنية التحتية، وعملية السلام، والمجتمع الإسرائيلي، وأسباب العدوان على غزة.

- دراسة (زيدان، 2010) بعنوان "اتجاهات التغطية الإخبارية لصحيفتي نيويورك تايمز قبل الحرب الأمريكية على العراق خلال المدة من 20 تشرين الأول 2002 إلى 20 آذار 2003" (14)، هدفت الدراسة إلى الكشف عن مضامين ومحتويات الأخبار التي نشرتها صحيفة نيويورك تايمز خلال فترة ما قبل الحرب الأمريكية على العراق من 20 تشرين الأول إلى 20 آذار من عام 2003، وكذلك معرفة الأهداف الكامنة وراء استخدام الكلمات والمصطلحات والمضامين التي تركز النمطية في تشويه صورة العراق في الإعلام الأمريكي من خلال تحليل مضمون عينة قوامها (120) مادة صحفية منشورة في صحيفة نيويورك تايمز خلال فترة الدراسة. وتوصلت الدراسة إلى أن صحيفة نيويورك تايمز قد حرصت بشكل مباشر من خلال تركيزها على موضوع إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل بنسبة (24%) خلال الأشهر الأخيرة من عام 2002، وعلى تحدي صدام للإرادة الدولية بنسبة (17%) خلال الأشهر الأولى من عام 2003، كما حرصت الصحيفة بشكل غير مباشر من خلال تركيزها على موضوع حقوق الإنسان في العراق بنسبة (24%) خلال الأشهر الأخيرة من عام 2002، وعلى موضوع مستقبل الديمقراطية في العراق بنسبة (16%) من عام 2003، إضافة إلى ذلك فقد اتضح أن المواد الإخبارية التي نشرتها الصحيفة حاولت أن تردد تبريرات الإرادة الأمريكية لشن الحرب على العراق في محاولة منها لإقناع الرأي العام المحلي والعالمي بشرعية تلك الحرب.

- دراسة (عبد المجيد، 2009) بعنوان "تغطية الصحافة اليومية الإخبارية لحرب الخليج الثالثة 2004-2007" (15)، هدفت الدراسة إلى الكشف عن تغطية الصحافة الأردنية اليومية لحرب الخليج الثالثة من حيث معرفة مصادر الأخبار وهوية المتحدثين داخل الخبر وموقع الخبر

والأوضاع التي قدمت من خلالها الحرب والمصطلحات المستخدمة في التغطية الإخبارية عن طريق إجراء تحليل مضمون لعينة قوامها (56) عدداً من صحفيي الغد والدستور اليومييتين خلال السنوات (2004-2007). وتوصلت الدراسة إلى أن الصحف اليومية الأردنية اعتمدت على وكالات أنباء دولية في تغطية حرب الخليج الثالثة بنسبة (92%)، بينما بلغت نسبة وكالات الأنباء العربية (8%) فقط، كما تبين أن وكالات الأنباء الدولية وصفت العمليات العسكرية في العراق بمصطلحات مثل الإرهاب بنسبة (86.8%)، القتل بنسبة (80%)، النضال بنسبة (25.8%)، الاستشهاد بنسبة (23.5%)، في حين وصفته الوكالات العربية بالنضال بنسبة (70.9%)، الاستشهاد بنسبة (41.1%)، القتل بنسبة (18.5%)، الإرهاب بنسبة (11.8%).

- دراسة (وهيب، 2009) بعنوان "المعالجة الإعلامية للاحتلال الأمريكي للعراق: تحليل مضمون مجلة نيوزويك النسخة العربية"⁽¹⁶⁾، هدفت الدراسة إلى معرفة مكونات الصورة العامة التي عرضتها مجلة نيوزويك عن العراق والتي تبرر الاحتلال الأمريكي له من خلال تحليل مضمون عينة من الصحيفة لمدة (6) أشهر، ثلاثة منها قبل الاحتلال، وثلاثة بعد الاحتلال. وأوضحت النتائج أن المجلة تحيزت لوجهة النظر الأمريكية وأسهمت في الدعاية لاحتلال العراق، كما حشدت الرأي العام العالمي لذلك، حيث استخدمت حججاً لإسقاط نظام الحكم العراقي عن طريق التدخل الأمريكي، كما قامت بالمشاركة في حملة التضليل بقيادة أميركا قبل الحرب لتشويه صورة العراق وقيادته، مع تهميش واضح لوجهات النظر المعارضة للسياسة الأمريكية في العراق.

- دراسة عابد والصالح (2008) بعنوان "المعالجة الصحفية للحرب السادسة وتداعياتها على القضية الفلسطينية"⁽¹⁷⁾، هدفت الدراسة إلى معرفة المحتوى الظاهر للمادة الإعلامية المتعلقة بالحرب السادسة في كل من صحيفة الأيام، القدس، والحياة الجديدة، ومعرفة كيفية معالجة الصحف المدرسة لتداعيات الحرب السادسة والمقارنة فيما بينها، والكشف عن الأهمية التي أولتها لهذه الحرب من خلال إجراء تحليل مضمون (99) عدداً موزعة بالتساوي على الصحف الثلاث خلال الفترة بين (2006/7/13-2006/8/14)، وتوصلت النتائج إلى أن صحيفة الحياة الجديدة كانت أكثر اهتماماً من غيرها بالقضايا السياسية المتعلقة بالحرب السادسة بنسبة (66.9%)، يليها صحيفة القدس بنسبة (57.4%)، ثم صحيفة الأيام بنسبة (52.4%)، وقد ركزت صحيفة الأيام على القصف الصاروخي للمواقع المدنية والعسكرية بنسبة (27.2%)، فيما ركزت صحيفة الحياة الجديدة على الموضوعات الأخرى في معالجة الحرب السادسة بنسبة (51.6%)، وكانت صحيفة القدس أكثر اهتماماً بعرض موضوعات الجهود الدبلوماسية لإنهاء الأزمة بنسبة (23.2%). وفيما يخص المصادر التي اعتمدت عليها الصحف الدراسة في معالجتها للحرب السادسة، فقد احتلت وكالات الأنباء العالمية المرتبة الأولى بنسبة (62.8%)، يليها

الصحف الأخرى بنسبة (15.5%)، ثم وكالة وفا الفلسطينية بنسبة (8.4%)، أما اتجاه المعالجة الصحفية للحرب السادسة وتداعيتها في الصحف المدروسة، فقد غلب الاتجاه المحايد في صحيفة الأيام بنسبة (42.8%)، فيما كان اتجاه صحيفة الحياة الجديدة والقدس اتجاهاً مؤيداً بنسبة (49.6%) و(41.3%) على التوالي.

الدراسات الأجنبية:

- دراسة (Odine, 2016) بعنوان "التغطية الإعلامية الغربية لحرب غزة وإسرائيل 2014"⁽¹⁸⁾، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة كيفية تغطية وسائل الإعلام الغربية لحرب غزة وإسرائيل 2014، وتقييم النزاهة والموضوعية في تلك التغطية، وكذلك تسليط الضوء على التقارير الصحفية التي تتضمن معلومات عن الحرب من منظور سياقي. وتوصلت النتائج إلى أن صحيفة The Guardian قد ركزت على أن حرب 2014 كانت متوقعة ومن شأنها أن تكون محصورة على قطاع غزة، حيث يقطن ما يقارب 2 مليون شخص على قطعة صغيرة من الأرض أشبه ما تكون بقفص عسكري إسرائيلي، وهذا يدعو إلى مقاومة قطاع غزة لهذا الحصار، وتناولت موضوع الدم الفاسد بين بنيامين نتنياهو وخالد مشعل وسط خطة لقتل الأخير في الأردن على يد عملاء الموساد. وأظهرت وسائل الإعلام الغربية عموماً تحيزاً لدعم إسرائيل خلال حربها على غزة، وكانت هناك نظرة نمطية سلبية تجاه السكان في القطاع، كما نشرت أخبار الخليج أن هناك تحيزاً للـ BBC ضد قطاع غزة لصالح إسرائيل حيث أفادت القناة عن فشل شبكة بثها لتقديم تقارير عن المظاهرات المعادية لإسرائيل في لندن، كما قامت بسحب مراسلها أيمن محيي الدين من غزة حينما شهد استشهاد أربعة أطفال إثر انفجار قنبلة إسرائيلية بينما كانوا يلعبون كرة قدم على الشاطئ.

- دراسة (Melki, 2014) بعنوان "التفاعل بين السياسة والاقتصاد والثقافة في صياغة الأخبار في أخبار حروب الشرق الأوسط"⁽¹⁹⁾، هدفت الدراسة إلى المقارنة بين كيفية تأطير الشبكات العربية والأمريكية والإسرائيلية لحرب عام 2006 على لبنان، ومعرفة العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية التي تفسر ذلك التأطير، ومعرفة الاتجاهات الإعلامية السائدة تجاه إسرائيل وحزب الله من خلال إجراء تحليل مضمون (963) تقرير تلفزيوني موزعة على (11) شبكة تلفزيونية اشتملت على شبكتين عربيتين (الجزيرة، العربية)، وأربع شبكات أمريكية (ABC, NBC, CNN, CBC)، وأربع محطات لبنانية داخلية (الجديد، المستقبل، LBC، المنار)، وعلى قناة إسرائيلية واحدة (Israel's Channel 2)، وخلصت النتائج إلى أن القناة الإسرائيلية قد قامت بتأطير الحرب بما يتماشى مع مصالح إسرائيل، حيث ركزت التقارير والتسجيلات الصوتية على

التعاطف مع إسرائيل وانتقاد حزب الله، كما اعتبرت حزب الله المسؤول عن الحرب، وغالباً ما صورت إسرائيل على أنها الفائزة في الحرب، بخلاف قناة المنار التي أفادت تقاريرها عكس ذلك كلياً، أما بخصوص الشبكات الأمريكية فقد قامت بتأطير إيجابي لإسرائيل في معظم تقاريرها، علماً أنها قامت بتوزيع اللوم بين إسرائيل وحزب الله لتسببهم في الحرب، كما قامت كل من قناة ABC and CNN بتأطير حزب الله على أنه الفائزة، أما الشبكات العربية فقد تشابهت كل من قناة الجزيرة والمنار في عرض تسجيلات صوتية تنتقد حزب الله، فيما قامت قناة الجديد بتقديم تقارير متعاطفة مع حزب الله.

- دراسة (Stawicki, 2009) بعنوان "تأطير الصراع الاسرائيلي الفلسطيني: دراسة للأطر المستخدمة في ثلاث صحف أمريكية"⁽²⁰⁾، هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن كيفية تغطية الصحف الأمريكية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي بعد زيارة أرييل شارون لجبل الهيكل في القدس عام (2000) أثناء نزوة الصراع، وكذلك بعد مذبحة عيد الفصح عام (2002)، من خلال تحليل مضمون كل من صحيفة The New York Times، Christian Science Monitor، St. Louis Post Dispatch، خلال فترة الحداثين السابقين، وتوصلت النتائج إلى أن الصحف المدروسة قد نشرت (59) مادة صحفية خلال فترة زيارة شارون لجبل الهيكل في القدس، وأن كلاً من صحيفة The New York Times وصحيفة St. Louis Post Dispatch قد ركزت على سعي الحكومة الإسرائيلية لتطبيق القانون والنظام والأمن بواقع (3) مواد صحفية لصحيفة لويس بوست دسباتش و(14) مادة صحفية لصحيفة نيويورك تايمز، وكذلك الأحداث غير المقصودة والصراع البسيط الذي يحدث على المستوى الفردي بواقع (7) مواد صحفية لصحيفة لويس بوست دسباتش و(10) مواد صحفية لصحيفة نيويورك تايمز، فيما ركزت صحيفة Christian Science Monitor على الصراع المعقد في العديد من الظروف بواقع (5) مواد صحفية، وكذلك عرض وجهات نظر متوازنة بين اهتمامات الجهات الفلسطينية والإسرائيلية بواقع (3) مواد صحفية. وبلغ عدد المواد المنشورة في صحف الدراسة بعد مذبحة عيد الفصح (90) مادة صحفية، وكان تركيز صحف الدراسة على اعتبار إسرائيل قوة عسكرية مستبدة تستهدف الفلسطينيين بواقع (18) مادة صحفية لنيويورك تايمز، و(6) مواد صحفية لصحيفة كريستيان ساينس مونيتور، ومادتين لصحيفة لويس بوست دسباتش، إلى جانب تركيز نيويورك تايمز على الأحداث غير المقصودة والصراع البسيط الذي يحدث على المستوى الفردي بواقع (17) مادة صحفية، وتركيز صحيفة كريستيان ساينس مونيتور على الصراع المعقد في العديد من الظروف بواقع (6) مواد صحفية.

- دراسة (Gelb, 2009) بعنوان "مهمة غير مكتملة"⁽²¹⁾، هدفت الدراسة إلى معرفة دور وسائل الإعلام في تغطية أخبار الحروب التي تشنها أميركا وعلاقتها بالحكومة، وما إذا كان دور

الإعلام مقتصرًا على نقل السياسات الحكومية أو تقديم الآراء المعارضة لتلك السياسات من خلال تحليل مضمون عينة قوامها 576 مادة إخبارية من الصحف اليومية التالية: واشنطن بوست، نيويورك تايمز، وول ستريت جورنال، وكذلك كل من التايمز ونيويورك الأسبوعيتين من العام 2002. وخلصت الدراسة إلى إخفاق الصحف عينة الدراسة في تحليل قرارات الحرب وطرح الانتقادات والأسئلة المهمة، حيث اكتفت بنقل التصريحات الحكومية الرسمية للرئيس السابق جورج بوش وتكرارها، دون التأكد من مصداقيتها، مع عرض بسيط لبعض الآراء الناقدة والمشككة أحيانًا، كما أوضحت الدراسة أن الصحف المدروسة كانت تردد ما قاله الرئيس بوش حول العراق والإرهاب وامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، في الوقت الذي كان الكونغرس الأمريكي يناقش قرار الحرب على العراق، ولم تعرض هذه الصحف أيًا من الموضوعات التي من شأنها أن تتناول قضايا مستقبل العراق بعد إسقاط نظام صدام حسين ومعوقات بناء الدولة مجدداً، أو ما سيترب من تغييرات في موازين القوى في المنطقة.

من خلال إطلاع الباحث على الدراسات السابقة فقد اتضح أن هناك ندرة في الدراسات التي تناولت حرب غزة 2014 وخصوصاً على مستوى الصحافة الإلكترونية الأردنية، حيث ركز معظمها على الحرب الأمريكية العراقية، أو الحرب الإسرائيلية الفلسطينية قبل عدوان 2014، لذا فإن هذه الدراسة تحاول أن تسد النقص البحثي في المكتبة الإعلامية العربية والمرتبطة بحرب غزة 2014، وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة في صياغة المشكلة البحثية، وتقويم أسئلة الدراسة الحالية، ووضع أداة الدراسة، ومقارنة نتائج بعض الدراسات بنتائج الدراسة الحالية.

مصطلحات الدراسة:

- **التغطية الصحفية:** وهي الطريقة التي تتناول بها الصحف مختلف الجوانب المتعلقة بالأحداث من خلال تتبع مجرياتها وتحليل أبعادها وآثارها، من أجل إيصالها إلى الجمهور بهدف التأثير فيه وإحداث تغيير سلبي أو إيجابي في معتقداته واتجاهاته⁽²²⁾.
- **أما التغطية الصحفية إجرائياً فهي:** جميع المواد الصحفية التي وردت في الصحف الإلكترونية الإخبارية الأردنية المتعلقة بالعدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014) والتي تشمل كلاً مما يلي: الخبر، التقرير، المقال، الصورة، الكاريكاتير.
- **المواقع الإخبارية:** هي المواقع المتاحة على شبكة الإنترنت، والتي تطرح نفسها كمشروع إعلامي مستقل ومتكامل، ولديها هيئة تحرير وشبكة من المراسلين والمندوبين وسياسة تحريرية واضحة تسيّرهما، وتعتبر المساحة الجغرافية التي يغطيها الموقع إلى جانب لغة الموقع من أهم العوامل التي تحدد طبيعة هذا الموقع وحجم جمهوره⁽²³⁾.

أما المواقع الإخبارية إجرائياً فهي: المواقع الإلكترونية الصحفية التي لا يوجد لها نسخ مطبوعة، والتي تعرض تغطياتها وموضوعاتها الإخبارية على شبكة الإنترنت بعد الحصول عليها من شبكة مراسليها ومندوبيها، أو من وكالات أنباء أو نقلاً عن مواقع إخبارية أخرى، أو من أي مصدر آخر.

- **موقع عمون:** يعد موقع عمون من أقدم المواقع الإلكترونية في الأردن، حيث أنشئ الموقع عام (2005) تحت شعار "صوت الأغلبية الصامتة"، ويهتم الموقع بالقضايا والأخبار الأردنية والعربية والعالمية، ويعمل في الموقع كادر من المختصين من إداريين وصحفيين وكتاب وغيرهم⁽²⁴⁾.
- **موقع السوسنة:** أنشئ الموقع عام (2006) بواسطة الإعلامي طایل الضامن، ويعمل به أحد عشر موظفاً، يهتم الموقع بالشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأردنية والعربية، ويتوخى الموقع الدقة في الأداء والحرية المسؤولة⁽²⁵⁾.
- **موقع سرايا:** تأسس الموقع عام (2008) بواسطة الصحفي هاشم الخالدي ويعمل في الموقع كادر من الموظفين إضافة إلى مندوبين في المحافظات الأردنية، ويهتم الموقع بالشؤون المحلية والعربية والدولية، ويحمل شعار "حرية سقفها السماء"⁽²⁶⁾.

منهجية الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي الذي يعنى بدراسة الظاهرة كما هي في الواقع وخصائصها وأبعادها والتعبير عنها بشكل كمي، ومحاولة تحليل وتفسير العلاقات بين أبعادها بهدف الوصول إلى نتائج تسهم في فهم الظاهرة محل الدراسة، ويعدّ هذا المنهج من أبرز المناهج المستخدمة في مجال الدراسات الإعلامية، لا سيما البحوث الوصفية.

أداة الدراسة:

استخدم الباحث استمارة تحليل المضمون أداة لهذه الدراسة، وذلك من أجل استخراج التكرارات والنسب المئوية للمواد الإعلامية المنشورة في المواقع الإخبارية الأردنية (عينة الدراسة)، وقد تضمنت الاستمارة فئات التحليل الآتية:

- **مصادر المعلومات:** وهي المصادر التي تعتمد عليها المواقع الإخبارية الأردنية (عينة الدراسة) في الحصول على آخر أخبار وتطورات العدوان الإسرائيلي على غزة في عام (2014)، وقد تضمنت مندوباً صحفياً، وكالة أردنية، وكالة عربية، وكالة أجنبية.

- **الأنماط الصحفية:** وهي الفنون الصحفية التي تستخدمها المواقع الإخبارية الأردنية (عينة الدراسة) في تغطية أحداث العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014) وتشمل الخبر، التقرير، المقال، الصورة، الكاريكاتير.
- **أساليب التعبير:** وتشمل طرق التعبير عن ردود الفعل الشعبية والرسمية تجاه العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014) والتي اتبعتها المواقع الإخبارية الأردنية (عينة الدراسة) وتتضمن: التصريحات والتعليقات، التحليلات والآراء، المسيرات والمظاهرات، الندوات والمؤتمرات.

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من جميع المواقع الإلكترونية الإخبارية الأردنية التي يزيد عددها على (200) موقع، ونظراً إلى أنه من غير الممكن تحليل ودراسة جميع المواقع الإخبارية فقد تم اختيار عينة قصدية من مجمل هذه المواقع؛ واشتملت العينة على موقع كل من (عمون، سرايا، السوسنة) كل من موقع عمون، سرايا، السوسنة، بوصفها من أكثر المواقع الإخبارية الأردنية متابعة لدى الجمهور خلال فترة الدراسة بحسب موقع أليكسا (Alexa) المعني بتوفير قوائم بالمواقع الأكثر تصفحاً في مختلف دول العالم.

وقام الباحث بتحليل جميع المواد الإعلامية (خبر، صورة، مقال.. إلخ) المنشورة على المواقع الثلاثة المدروسة خلال فترة العدوان الإسرائيلي على غزة من (2014/7/8) حتى (2014/8/29). وقد بلغ مجمل هذه المواد في المواقع الثلاثة (644) مادة إعلامية موزعة كما يلي: (206) مواد في موقع عمون، (290) مادة في موقع سرايا، (148) مادة في موقع السوسنة.

نتائج الدراسة

السؤال الأول: ما المصادر التي اعتمدت عليها المواقع الإلكترونية الأردنية في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014)؟

لمعرفة المصادر التي اعتمدت عليها المواقع الأردنية في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014، تم حساب التكرارات والنسب المئوية كما في الجداول التالية:

جدول رقم (1): المصادر التي اعتمدت عليها المواقع الإلكترونية في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة

مندوب صحفي										مصدر
وكالة اردنية		وكالة عربية		وكالة اجنبية		الكلي				
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	المعلومة
المئوية		المئوية		المئوية		المئوية		المئوية		
0%	31	4.8%	77	12%	98	15.2%	206	32%		عمون
0%	98	15.2%	88	13.7%	104	16.1%	290	45%		سرايا
0%	40	6.2%	45	7%	63	9.8%	148	23%		السوسنة
0%	169	26.2%	210	32.7%	265	41.1%	644	100%		الكلي

يتضح من الجدول رقم (1) أن الوكالات الأجنبية قد احتلت المرتبة الأولى بين المصادر التي اعتمدت عليها المواقع الإلكترونية الأردنية بشكل عام في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014) حيث بلغت نسبة الاعتماد (41.1%) بواقع (644) مادة إعلامية، تليها في المرتبة الثانية الوكالات العربية بنسبة (32.7%) بواقع (265) مادة إعلامية، وفي المرتبة الثالثة الوكالات الأردنية بنسبة (26.2%) بواقع (169) مادة إعلامية، في حين لم تعتمد أي من هذه المواقع على المندوبين الصحفيين في تغطية العدوان، وهذا ما اتفق مع دراسة (عبد المجيد، 2009) التي خلصت إلى أن الصحف اليومية الأردنية اعتمدت على وكالات الأنباء الدولية أولاً ثم الوكالات العربية ثانياً في تغطية حرب الخليج الثالثة 2004-2007، وكذلك مع دراسة عابد والصالح (2008) التي جاء فيها أن الصحف اعتمدت على وكالات الأنباء العالمية بالدرجة الأولى في تغطية أخبار الحرب السادسة، والتفسير الوحيد لهذه النتيجة هو عدم وجود مندوبين لهذه المواقع، سواء داخل قطاع غزة أو الأراضي الفلسطينية، وهذا يعود إلى ضعف الإمكانيات المادية لهذه المواقع، باعتبارها مواقع خاصة وتعتمد على ذاتها في التمويل، بحيث لا تسمح الإمكانيات المادية بإيجاد مندوبين لها خارج الأردن، كما يعود اعتماد المواقع على الوكالات الأخرى إلى وجود الكثير من القيود المفروضة على الإعلام، وبالتالي لا تجد المواقع الإلكترونية مفرّاً من اللجوء إلى مصادر أخرى، ولا سيما الوكالات العربية والأجنبية، فاعتماد المواقع الأردنية على الوكالات الأردنية قد يعزى إلى جملة من العوامل لعل أبرزها: ما شهده قطاع الإعلام من تطور في السنوات الماضية من خلال إطلاق الأقمار الصناعية، مما أدى إلى زيادة في عدد القنوات الفضائية حيث وصل عددها مع نهاية عام (2013) إلى أكثر من (1150) قناة⁽²⁷⁾، ونسبة كبيرة من هذه القنوات تقدم نشرات أخبار، وبالتالي فإنها غطت العدوان على غزة وشكلت مصدراً للمعلومات للمواقع الإلكترونية الأردنية. وبخصوص الاعتماد على الوكالات الأجنبية فإن ذلك قد يرجع إلى أن

وكالات الأنباء الأجنبية (رويترز، وكالة الصحافة الفرنسية، وكالة الصحافة الألمانية.. إلخ) ما تزال المتنفس الوحيد الذي يعود إليه الرأي العام العربي لمعرفة ما يحدث في الوطن العربي، ولا شك أن الإمكانيات الهائلة التي تتمتع بها الوكالات الأجنبية تسمح لها بإرسال مندوبين إلى جميع بؤر الصراع في العالم وبالتالي تغطية الحدث مباشرة من الموقع، إضافة إلى سقف الحرية الذي تتمتع به الوكالات الأجنبية.

ولتوضيح اعتماد كل موقع على حدة؛ فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية لكل مصدر من هذه المصادر بالنسبة للموقع كما في الجداول رقم (2) (3) (4).

جدول رقم (2): اعتماد موقع عمون على المصادر في تغطية العدوان الإسرائيلي

مصدر المعلومة	مندوب صحفي		وكالة أردنية		وكالة عربية		وكالة أجنبية		الكلي	
	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار
عمون	0	0	0	31	15	77	37.4	98	47.6	206
	%0		%15		%37.4		%47.6		%206	100

يتبين من خلال الجدول رقم (2) أن موقع عمون اعتمد في نقل وقائع العدوان الإسرائيلي على غزة في (206) مادة إعلامية منقولة جميعها من الوكالات الأخرى؛ حيث لم يعتمد في تغطية هذا العدوان على المندوبين الصحفيين، وقد جاء ترتيب الوكالات كما يلي: الوكالات الأجنبية بنسبة (47.6%) وبواقع (98) مادة إعلامية، الوكالات العربية بنسبة (37.4%) وبواقع (77) مادة إعلامية، الوكالات الأردنية بنسبة (15%) وبواقع (31) مادة إعلامية من إجمالي المواد.

جدول رقم (3): اعتماد موقع سرايا على المصادر في تغطية العدوان الإسرائيلي

مصدر المعلومة	مندوب صحفي		وكالة أردنية		وكالة عربية		وكالة أجنبية		الكلي	
	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار
سرايا	0	0%	98	33.8%	88	30.3%	104	35.9%	290	100%

يظهر من خلال الجدول رقم (3) أن موقع سرايا الإلكتروني اعتمد في نقل وقائع العدوان الإسرائيلي على غزة في (290) مادة إعلامية منقولة جميعها من الوكالات الأخرى، وقد جاءت هذه الوكالات وفق الترتيب التالي: الوكالات الأجنبية بنسبة (35.9%) وبواقع (104) مادة إعلامية، الوكالات العربية بنسبة (30.3%) وبواقع (88) مادة إعلامية، الوكالات الأردنية بنسبة (33.8%) وبواقع (98) مادة إعلامية من إجمالي المواد، ولم يعتمد موقع سرايا في تغطية هذا العدوان على المندوبين الصحفيين الخاصين بالموقع.

جدول رقم (4): اعتماد موقع السوسنة على المصادر في تغطية العدوان الإسرائيلي

مصدر المعلومة	مندوب صحفي		وكالة أردنية		وكالة عربية		وكالة أجنبية		الكلي	
	النسبة التكرار	النسبة المئوية	النسبة التكرار	النسبة المئوية	النسبة التكرار	النسبة المئوية	النسبة التكرار	النسبة المئوية	النسبة التكرار	النسبة المئوية
السوسنة	0	0%	40	27%	45	30.4%	63	42.6%	148	100%

يتبين من الجدول رقم (4) أن موقع السوسنة قد نقل وقائع العدوان الإسرائيلي على غزة في (148) مادة إعلامية جميعها من وكالات أخرى أردنية وعربية وأجنبية، حيث لم يعتمد في تغطية هذا العدوان على المندوبين الصحفيين، وقد اعتمد الموقع بالدرجة الأولى على الوكالات الأجنبية بواقع (63) مادة إعلامية وبنسبة (42.6%)، يليها الوكالات العربية بواقع (45) مادة إعلامية وبنسبة (30.4%)، في حين اعتمد الموقع على الوكالات الأردنية بتغطية (40) مادة إعلامية وبنسبة (27%) من إجمالي المواد الإعلامية.

السؤال الثاني: ما الأنماط الصحفية المستخدمة في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014)؟

لمعرفة الأنماط الصحفية المستخدمة في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة، قد تم حساب التكرارات والنسب المئوية للمواد الإعلامية المتعلقة بالموضوع كما في الجدول رقم (5):

جدول رقم (5): الأنماط الصحفية المستخدمة في تغطية العدوان الإسرائيلي

الرتبة	النمط الصحفي	الموقع الإلكتروني						المجموع الكلي	
		عمون		سرايا		السوسنة			
		النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار
1	الخبر	11.2%	72	15.8%	102	7.5%	48	34.5%	222
2	التقرير الإخباري	7.5%	48	13.5%	87	5.1%	33	26.1%	168
4	الصور	6%	39	7.5%	48	4.8%	31	18.3%	118
3	المقالات	4.3%	28	5.6%	36	3.6%	23	13.5%	87
5	الكاريكاتير	3%	19	2.6%	17	2%	13	7.6%	49
	المجموع الكلي	32%	206	45%	290	23%	148	100%	644

يتبين من الجدول رقم (5) مجموعة من الأنماط الصحفية المستخدمة من قبل المواقع الإلكترونية الأردنية في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة (2014)، وقد كانت هذه الأنماط مرتبة حسب الأهمية للمواقع مجتمعة كما يلي: الخبر الصحفي بواقع (222) خيراً وبنسبة 34.5%، التقرير الإخباري بواقع (168) تقريراً وبنسبة (26.1%)، الصور بواقع (118) صورة وبنسبة (18.3%)، المقالات بواقع (87) مقالاً وبنسبة (13.5%)، وأخيراً الكاريكاتير بواقع (49) مادة وبنسبة (7.6%)، وهو ما اختلف مع دراسة (عدوان، 2012) التي جاء فيها أن المقال الصحفي قد احتل المرتبة الأولى بين الفنون الصحفية في تغطية الصحف الإسرائيلية للحرب على غزة 2008-2009، وقد يعزى احتلال الخبر والتقرير الإخباري المرتبتين الأولى والثانية إلى طبيعة الحدث الذي تقوم المواقع بتغطيته، حيث يتميز بالآنية والسخونة مما يجعل الخبر والتقرير الإخباري من أنسب الفنون الصحفية لتغطيته، إضافةً إلى اهتمام الجمهور بمعرفة التطورات أولاً بأول، مما يدعو إلى استخدام فن الخبر أكثر من الكاريكاتير أو المقال، وقد جاءت المقالات التي تناولت العدوان وكذلك الصور ورسوم الكاريكاتير بنسب أقل بوصفها أقل أهمية من أخبار العدوان وتفصيله وتطوراتهِ وتداعياته، باعتباره الحدث الحقيقي الذي ينبغي تغطيته والتركيز عليه.

ولمعرفة الأنماط الصحفية المستخدمة في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة لكل موقع على حدة، تم حساب التكرارات والنسب المئوية في الجداول كما يلي (6) (7) (8).

جدول رقم (6): الأنماط الصحفية المستخدمة في موقع عمون في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة

الموقع الإلكتروني		النمط الصحفي	الرتبة
عمون	التكرار		
النسبة			
72	35%	الخبر	1
48	23.2%	التقرير الإخباري	2
39	19.2%	الصور	4
28	13.5%	المقالات	3
19	9.1%	الكاريكاتير	5
206	100%	المجموع الكلي	

يظهر من خلال الجدول رقم (6) أن أكثر الأنماط الصحفية المستخدمة في موقع عمون الإلكتروني هو الخبر، حيث بلغ عدد المواد الإعلامية التي تناول الاعتداء الإسرائيلي على غزة من

نمط الخبر الصحفي (72) خبراً وبنسبة (35%)، يليه في المرتبة الثانية التقرير الإخباري بواقع (48) تقريراً وبنسبة (23.2%)، وفي المرتبة الثالثة الصور بواقع (39) صورة وبنسبة (19.2%)، ثم المقالات في المرتبة الرابعة بواقع (28) مقالاً وبنسبة (13.5%)، وفي المرتبة الأخيرة جاء الكاريكاتير بواقع (19) مادة وبنسبة (9.1%) من إجمالي المواد الإعلامية.

جدول رقم (7): الأنماط الصحفية المستخدمة في موقع سرايا في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة

المرتبة	النمط الصحفي	الموقع الإلكتروني	
		سرايا	
		التكرار	النسبة
1	الخبر	102	35.1%
2	التقرير الإخباري	87	30%
4	الصور	48	16.6%
3	المقالات	36	12.4%
5	الكاريكاتير	17	5.9%
المجموع الكلي		290	100%

يشير الجدول رقم (7) إلى أن الخبر قد احتل المرتبة الأولى بين الأنماط الصحفية المستخدمة في موقع سرايا الإلكتروني؛ حيث بلغ عدد الأخبار التي تتناول الاعتداء الإسرائيلي على غزة (102) خبراً وبنسبة (35.1%)، يليه التقرير الإخباري في المرتبة الثانية بواقع (87) تقريراً وبنسبة (30%)، وفي المرتبة الثالثة الصور بواقع (48) صورة وبنسبة (16.6%)، وجاءت المقالات في المرتبة الرابعة بواقع (36) مقالاً وبنسبة (12.4%)، وفي حين احتل الكاريكاتير المرتبة الأخيرة بواقع (17) مادة وبنسبة (5.9%) من إجمالي المواد الإعلامية.

جدول رقم (8): الأنماط الصحفية المستخدمة في موقع السوسنة في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة

الموقع الإلكتروني		النمط الصحفي	الرتبة
السوسنة	التكرار		
النسبة			
32.5%	48	الخبر	1
22.3%	33	التقرير الإخباري	2
20.9%	31	المقالات	3
15.5%	23	الصور	4
8.8%	13	الكاريكاتير	5
100%	148	المجموع الكلي	

يبين الجدول رقم (8) أن أكثر الانماط الصحفية المستخدمة في موقع السوسنة الإلكتروني هو الخبر، حيث بلغ عدد المواد الإعلامية التي تتناول الاعتداء الإسرائيلي على غزة من نمط الخبر الصحفي (48) خبراً ونسبة (32.5%)، يليه في المرتبة الثانية التقرير الإخباري بواقع (33) تقريراً ونسبة (22.3%)، وفي المرتبة الثالثة المقالات بواقع (31) مقالاً ونسبة (20.9%)، ثم الصور بواقع (23) صورة ونسبة (15.5%)، وفي المرتبة الأخيرة جاء الكاريكاتير بواقع (13) مادة ونسبة (8.8%) من إجمالي المواد الإعلامية.

السؤال الثالث: ما طرق وأساليب التعبير عن ردود الفعل الشعبية والرسمية تجاه العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014)؟

لمعرفة طرق وأساليب التعبير عن ردود الفعل الشعبي والرسمي تجاه العدوان الإسرائيلي، تم حساب التكرارات والنسب المئوية لها في المواد الإعلامية كما في الجدول رقم (9):

جدول رقم (9): طرق وأساليب ردود الفعل الشعبي والرسمي تجاه العدوان الإسرائيلي على غزة

أساليب التعبير	الموقع الإلكتروني						المجموع الكلي	
	عمون	سرايا	السوسنة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	النسبة
تصريحات وتعليقات	86	119	66	10.2%	271	42%		
تحليلات وآراء	78	108	58	9%	244	37.9%		
مسيرات ومظاهرات	39	53	23	3.6%	115	17.9%		
ندوات ومؤتمرات	3	10	1	0.2%	14	2.2%		
المجموع الكلي	206	290	148	23%	644	100%		

يظهر من خلال الجدول رقم (9) ان أكثر الأساليب التي تمثل ردود الأفعال الشعبية والرسمية التي تطرقت لها المواقع الإلكترونية بشكل عام هي التصريحات والتعليقات بواقع (271) مادة إعلامية وبنسبة (42%) وهذه نتيجة تعكس درجة كبيرة من الواقعية السياسية في ضوء الاهتمام الشعبي والرسمي بالعدوان الإسرائيلي على غزة (2014)، يليها التحليلات والآراء بواقع (244) مادة إعلامية وبنسبة (37.9%) وهذا قد يعكس واقع المجتمع الأردني حيث انشغل الكتاب والسياسيون ورجال الدين والناشطون والإعلاميون في قضية العدوان؛ وهي بالحصلة نتيجة تعكس نوعاً من الوعي السياسي في الأردن، ثم المسيرات والمظاهرات بواقع (115) مادة إعلامية وبنسبة (17.9%) وهذه نتيجة طبيعية لحالة الانفراج السياسي التي تعيشها البلاد؛ حيث خرجت فئات المجتمع الأردني في مسيرات ومظاهرات شعبية عارمة احتجاجاً على العدوان، وأخيراً الندوات والمؤتمرات بواقع (14) مادة إعلامية وبنسبة (2.2%)؛ وقد يعزى تدني هذه النسبة إلى أن الناس سئمت الكلام النظري والمؤتمرات والندوات وغيرها من الأنشطة الثقافية.

ولمعرفة الأساليب التي تمثل ردود الأفعال الشعبية والرسمية التي تطرقت إليها المواقع الإلكترونية كلاً على حدة؛ فالجداول (10) (11) (12) توضح ذلك:

جدول رقم (10): طرق وأساليب ردود الفعل الشعبية والرسمية التي عرضها موقع عمون

الرتبة	أساليب التعبير	الموقع الإلكتروني	
		عمون	
		التكرار	النسبة
1	تصريحات وتعليقات	86	41.7%
2	تحليلات وآراء	78	37.9%
3	مسيرات ومظاهرات	39	18.9%
4	ندوات ومؤتمرات	3	1.5%
	المجموع الكلي	206	100%

يتبين من الجدول رقم (10) أن أكثر الأساليب التي تمثل ردود الأفعال الشعبية والرسمية التي تطرق لها موقع عمون الإلكتروني هي التصريحات والتعليقات بواقع (86) مادة إعلامية وبنسبة (41.7%)، يليها التحليلات والآراء بواقع (78) مادة إعلامية وبنسبة (37.9%)، ثم المسيرات والمظاهرات بواقع (39) مادة إعلامية وبنسبة (18.9%)، وأخيراً جاءت الندوات والمؤتمرات في المرحلة الأخيرة بواقع (3) مواد إعلامية وبنسبة (1.5%) من إجمالي المواد الإعلامية التي تطرق لها موقع عمون الإلكتروني.

جدول رقم (11): طرق وأساليب ردود الفعل الشعبية والرسمية التي عرضها موقع سرايا

الرتبة	أساليب التعبير	الموقع الإلكتروني	
		سرايا	
		التكرار	النسبة
1	تصريحات وتعليقات	119	41%
2	تحليلات وآراء	108	37.2%
3	مسيرات ومظاهرات	53	18.3%
4	ندوات ومؤتمرات	10	3.5%
	المجموع الكلي	290	100%

يظهر من خلال الجدول رقم (11) أن أكثر الأساليب التي تمثل ردود الأفعال الشعبية والرسمية التي تطرق لها موقع سرايا الإلكتروني هي التصريحات والتعليقات بواقع (119) مادة إعلامية وبنسبة (41%)، يليها التحليلات والآراء بواقع (108) مادة إعلامية وبنسبة (37.2%)، ثم المسيرات والمظاهرات بواقع (53) مادة إعلامية وبنسبة (18.3%)، وأخيراً جاءت الندوات والمؤتمرات في المرحلة الأخيرة بواقع (10) مواد إعلامية وبنسبة (3.5%) من إجمالي المواد

الإعلامية التي تطرق لها موقع سرايا الإلكتروني.

جدول رقم (12): طرق وأساليب ردود الفعل الشعبية والرسمية التي عرضها موقع السوسنة

الموقع الإلكتروني		أساليب التعبير	الرتبة
السوسنة	التكرار		
النسبة			
44.6%	66	تصريحات وتعليقات	1
39.2%	58	تحليلات وآراء	2
15.5%	23	مسيرات ومظاهرات	3
0.7%	1	ندوات ومؤتمرات	4
100%	148	المجموع الكلي	

يظهر من الجدول رقم (12) أن أكثر الأساليب التي تمثل ردود الأفعال الشعبية والرسمية التي تطرق لها موقع سرايا الإلكتروني هي التصريحات والتعليقات بواقع (66) مادة إعلامية وبنسبة (44.6%)، يليها التحليلات والآراء بواقع (58) مادة إعلامية وبنسبة (39.2%)، ثم المسيرات والمظاهرات بواقع (23) مادة إعلامية وبنسبة (15.5%)، وأخيراً جاءت الندوات والمؤتمرات في المرحلة الأخيرة بواقع مادة إعلامية واحدة وبنسبة (0.7%) من إجمالي المواد الإعلامية التي تطرق لها موقع السوسنة الإلكتروني.

وقد تعزى هذه النتائج في المواقع الثلاثة المدروسة إلى أن القراء يهتمون بالتصريحات الرسمية لمعرفة آخر التطورات من مصادر مسؤولة وموثوقة ومواكبة لمجريات الحدث المتمثل في العدوان الإسرائيلي على غزة، حيث تزداد الشائعات والأخبار الكاذبة خلال فترات الحروب ومنها أخبار هذا العدوان، ثم جاءت التحليلات والآراء وهي نتيجة منطقية نظراً لأن القراء يحتاجون إلى توضيحات وشروحات وتحليلات للتصريحات الرسمية ولتطورات الحدث على الساحة العربية والدولية، كما يحاولون الوصول إلى فهم أعمق للحدث من خلال الآراء المختلفة لذوي الاختصاص مثل السياسيين والإعلاميين.

ملخص نتائج الدراسة:

من خلال تحليل المواقع الإلكترونية؛ توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- 1) لم تعتمد المواقع الإلكترونية الأردنية المدروسة (عمون، سرايا، السوسنة) على المندوبين الصحفيين في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014)، في حين اعتمدت المواقع

الثلاثة على الوكالات الأجنبية والعربية والأردنية المختلفة.

(2) اعتمد كل من موقع عمون وموقع السوسنة على الوكالات الأجنبية بدرجة أعلى من الوكالات الأخرى في نقل وقائع العدوان الاسرائيلي على غزة، يليه الوكالات العربية، ثم الوكالات الأردنية، بينما اعتمد موقع سرايا على الوكالات الأجنبية بدرجة أعلى من الوكالات الأخرى، يليها الوكالات الأردنية، ثم الوكالات العربية.

(3) أكثر الأنماط الصحفية المستخدمة من قبل المواقع الإلكترونية الأردنية المدروسة في تغطية العدوان الإسرائيلي على غزة عام (2014) هي: الخبر، يليه التقرير الإخباري، ثم الصور، والمقالات، ثم الكاريكاتير.

(4) أكثر الأساليب التي تمثل ردود الأفعال الشعبية والرسمية التي تطرقت إليها المواقع الإلكترونية المدروسة هي التصريحات والتعليقات، يليها التحليلات والآراء، ثم المسيرات والمظاهرات، وأخيراً الندوات والمؤتمرات.

توصيات الدراسة:

في ضوء النتائج السابقة، يوصي الباحث بما يلي:

- (1) ضرورة أن تسعى المواقع الإلكترونية الأردنية وفق إمكانياتها المادية إلى توفير شبكة من المراسلين في المناطق ذات الأهمية بالنسبة للمجتمع الأردني، مثل قطاع غزة والضفة الغربية، لما لهذه المناطق من أهمية بالنسبة للأردن شعباً وحكومة.
- (2) المبادرة عند حدوث أزمات أو مناسبات ذات أهمية في الدول المجاورة إلى إبقاء مراسلين صحفيين للمواقع الإلكترونية، لتزويدها بتغطية مباشرة للحدث.
- (3) إعادة النظر في التشريعات الإعلامية، وإعطاء المواقع الإلكترونية المزيد من الحريات لكي تتمكن من أداء دورها بشكل أفضل في خدمة الدولة والمجتمع على حد سواء، فالممارسة الديمقراطية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة الإعلام، لا بل إن الإعلام هو المحرك الأساسي لترسيخ المفاهيم الديمقراطية وتنميتها.

Jordanian's News Websites Coverage of the Israeli Aggression on Gaza Strip in 2014

Azzam A. Ananzeh, Journalism Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Abstract

This study aims to shed light on the different ways that news websites in Jordan covered the latest Israeli war on Gaza strip in (2014) by using the content analysis method of material published in three different news websites during the war from (July 8th, 2014) to (August 29th, 2014).

This study has concluded that news websites in Jordan were very interested in covering the war. It found out that the number of material covering the war reached (644) articles in the three different websites chosen for this study. It was clear that (Saraya) news website came at the top of (45%) coverage compared with (55%) coverage the other two news websites.

Key words: Jordanian News Websites, Israeli Aggression, Gaza 2014.

الهوامش

- (1) العدوان الإسرائيلي على غزة 2014، موقع الجزيرة، [/http://www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
- (2) عصام الموسى، الثورة الرقمية تضع الإعلام العربي على مفترق طرق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، العدد 376.
- (3) حمادة بسيوني، وسائل الإعلام والسياسة: دراسة في ترتيب الأولويات، مصر، دار النهضة للطبع والشر والتوزيع، 1996، ص 227.
- (4) حسن مكاي، ليلي السيد، الاتصال ونظرياته، ط2، مصر، الدار المصرية اللبنانية، 1998، ص 292-288.
- (5) حنان الكسواني، دور الصحافة الأردنية اليومية في التوعية الصحية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2009، ص 17.

- (6) حسن مكاي، ليلي السيد، مرجع سابق، ص 294-297.
- (7) نهى العبد، نظريات الإعلام وتطبيقاتها العربية، مصر، دار الفكر العربي، 2008، ص 341.
- (8) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط 2، مصر، عالم الكتب، 2000، ص 275.
- (9) سماح محمد، دور الصحف المصرية في ترتيب أولويات الجمهور نحو قضايا ذوي الاحتياجات الخاصة، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد 34، ص 547.
- (10) نسرين حسونة، نظريات الإعلام والاتصال، السعودية، شبكة الألوكة، 2015، ص 4.
- (11) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 266.
- (12) أحمد عدوان، تغطية الصحافة الإسرائيلية للحرب على غزة 2008-2009، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة، 2012.
- (13) محمد فرج، تغطية الصحافة العربية للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة 2008-2009، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2011.
- (14) أحمد زيدان، اتجاهات التغطية الإخبارية لصحيفتي نيويورك تايمز قبل الحرب الأمريكية على العراق خلال المدة من 20 تشرين الأول 2002 إلى 20 آذار 2003، رسال ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010.
- (15) محمود عبد المجيد، تغطية الصحافة اليومية الإخبارية لحرب الخليج الثالثة 2004-2007، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2009.
- (16) استبرق وهيب، المعالجة الإعلامية للاحتلال الأمريكي للعراق: تحليل مضمون مجلة نيوزويك النسخة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2009.
- (17) زهير عابد، مروان الصالح، المعالجة الصحفية للحرب السادسة وتداعياتها على القضية الفلسطينية، مجلة جامعة الأقصى، المجلد 12، العدد 2، 2008، ص 23-53.
- (18) Odine, Maurice (2016), **Western media coverage of 2014 Gaza-Israeli war**, Global Media Journal, Vol.4, No. 1-2, pp 73-87.
- (19) Malki, Jad (2014), **The interplay of politics, economics and culture in news framing of Middle East wars**, Media, War & Conflict, Vol. 7, No. 2, pp 165-186.

- (20) STAWICKI, MELANIE (2009), FRAMING THE ISRAELI-PALESTINIAN CONFLICT: A STUDY OF FRAMES USED BY THREE AMERICAN NEWSPAPERS, **Un published Master thesis**, University of Missouri-Columbia.
- (21) Gelb, Leslie, **Mission Not Accomplished**, Journal of Democracy, June15, 2009.
- (22) منال مزاهرة، التغطية الإعلامية لذوي الإعاقة في الصحافة الأردنية: دراسة تحليلية على تغطية الصحف في المملكة الأردنية الهاشمية لقضايا الإعاقة، المؤتمر الدولي السادس عشر للإعلام، جامعة القاهرة، 2010/12/7، ص14.
- (23) أمين أبو وردة، أثر المواقع الإلكترونية الإخبارية الفلسطينية على التوجه والانتماء السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 2008، ص12.
- (24) وكالة عمون الإخبارية، على موقع: <http://www.ammonnews.net>
- (25) وكالة السوسنة الإخبارية، على موقع: <http://www.assawsana.com>
- (26) وكالة سرايا الإخبارية، على موقع: <http://www.sarayanews.com>
- (27) محمد حمدي، البث الفضائي العربي: الواقع الراهن واستشراف المستقبل، مجلة المستقبل العربي، 2012، السنة 36، العدد 417.

قائمة المراجع

- أحمد زيدان، اتجاهات التغطية الإخبارية لصحيفتي نيويورك تايمز قبل الحرب الأمريكية على العراق خلال المدة من 20 تشرين الأول 2002 إلى 20 آذار 2003، رسال ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010.
- أحمد عدوان، تغطية الصحافة الإسرائيلية للحرب على غزة 2008-2009، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة، 2012.
- استبرق وهيب، المعالجة الإعلامية للاحتلال الأمريكي للعراق: تحليل مضمون مجلة نيوزويك النسخة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2009.
- أمين أبو وردة، أثر المواقع الإلكترونية الإخبارية الفلسطينية على التوجه والانتماء

- السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 2008، ص12.
- حسن مكاي، ليلي السيد، الاتصال ونظرياته، ط2، مصر، الدار المصرية اللبنانية، 1998.
- حمادة بسيوني، وسائل الإعلام والسياسة: دراسة في ترتيب الأولويات، مصر، دار النهضة للطبع والشر والتوزيع، 1996.
- حنان الكسواني، دور الصحافة الأردنية اليومية في التوعية الصحية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2009.
- زهير عابد، مروان الصالح، المعالجة الصحفية للحرب السادسة وتداعياتها على القضية الفلسطينية، مجلة جامعة الأقصى، المجلد 12، العدد 2، 2008، ص 23-53.
- سماح محمد، دور الصحف المصرية في ترتيب أولويات الجمهور نحو قضايا ذوي الاحتياجات الخاصة، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد 34.
- العدوان الإسرائيلي على غزة 2014، موقع الجزيرة، متوافر على الرابط التالي: <http://www.aljazeera.net>
- عصام الموسى، الثورة الرقمية تضع الإعلام العربي على مفترق طرق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، العدد 376.
- محمد حمدي، البث الفضائي العربي: الواقع الراهن واستشراف المستقبل، مجلة المستقبل العربي، 2012، السنة 36، العدد 417.
- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط 2، مصر، عالم الكتب، 2000.
- محمد فرج، تغطية الصحافة العربية للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة 2008-2009، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2011.
- محمود عبد المجيد، تغطية الصحافة اليومية الإخبارية لحرب الخليج الثالثة 2004-2007، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2009.
- منال مزاهرة، التغطية الإعلامية لذوي الإعاقة في الصحافة الأردنية: دراسة تحليلية على تغطية الصحف في المملكة الأردنية الهاشمية لقضايا الإعاقة، المؤتمر الدولي السادس عشر للإعلام، جامعة القاهرة، 2010/12/7.

- نسرين حسونة، نظريات الإعلام والاتصال، السعودية، شبكة الألوكة، 2015.
- نهى العبد، نظريات الإعلام وتطبيقاتها العربية، مصر، دار الفكر العربي، 2008.
- وكالة السوسنة الإخبارية، على موقع: <http://www.assawsana.com>
- وكالة سرايا الإخبارية، على موقع: <http://www.sarayanews.com>
- وكالة عمون الإخبارية، على موقع: <http://www.ammonnews.net>

- Gelb, Leslie, Mission Not Accomplished, *Journal of Democracy*, June15, 2009.
- Malki, Jad, The interplay of politics, economics and culture in news framing of Middle East wars, *Media, War & Conflict*, Vol. 7, No. 2, 2014, pp 165-186.
- Odine, Maurice, Western media coverage of 2014 Gaza-Israeli war, *Global Media Journal*, Vol.4, No. 1-2, 2016, pp 73-87.
- Stawicki, Melanie, *Framing the Israeli-Palestinian Conflict: A Study of Frames Used by Three American Newspapers*, Un published Master thesis, University of Missouri-Columbia, 2009.

محددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور

لدى النساء في المجتمع الأردني

عبد الباسط عبد الله العزام*

تاريخ الاستلام 2016/4/27

تاريخ القبول 2016/6/30

ملخص

هدفت الدراسة إلى الكشف عن محددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني. ولقد اشتملت عينة الدراسة على (419) امرأة متزوجة تقع أعمارهن بين (26- 49) عام، ولديهن الخبرة في إنجاب الإناث فقط، والمقيمات في المجتمعات المحلية المحيطة بمدينة إربد. أظهرت النتائج أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى أفراد العينة كان مقيداً بمؤشرات المكانة الاجتماعية بدرجة متوسطة، يليها على التوالي مؤشرات المكانة الاقتصادية، ثم ضغوطات الوسم الاجتماعي بدرجة متوسطة. وأظهرت النتائج أن هناك فروقا دالة إحصائية لهذا التفضيل تبعاً لتلك المؤشرات تعزى إلى متغيري عدد الذكور لدى أهل الزوجة، واتباع الطرق لإنجاب طفل ذكر، باستثناء باقي المتغيرات الواردة في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: إنجاب الأطفال، انقطاع الإنجاب، استمرارية الإنجاب.

مقدمة:

إن السؤال الأول الذي يطرحه الناس عن المولود الجديد - أذكر هو أم أنثى؟ له أهمية كبيرة، لأن الجواب لا يشمل النوع فقط، بل يشمل الاتجاه الذي ستسلكه حياة الطفل. وفي الحقيقة، فإن النوع قد يكون موجوداً أو غائباً حتى قبل ولادة الطفل خصوصاً في المجتمعات ذات الدخل المنخفض، لأن الوالدين يأملان أن يكون المولود الأول ذكراً أكثر من أملهم أن يكون أنثى. وفوراً، وبعد ولادة الطفل، فإن أفراد العائلة يرحبون بالمولودين إلى العالم الأنثوي (عالم

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

اللين) والعالم الذكري (عالم الشدة)، حتى إن الوالدين يُرسلان رسائل متعلقة بجنس المولود، عندما يتعاملان مع الأطفال حديثي الولادة.

وعلى هذا الأساس، قامت إحدى الباحثات في جامعة إنجليزية بتقديم مولود ألبسته ثياب ذكر مرة، وثياب أنثى مرة أخرى، ثم قدمته لعدد من النساء، وكانت النساء يتعاملن مع المولود حين كان يرتدي ملابس البنات معاملة رقيقة مع الاحتضان والتقبيل، بينما عاملنه عندما كان يرتدي ملابس الأولاد بخشونة أكثر، ورفعنه عاليا بقوة، ووضعنه على الركب بشدة. (Macionis,2012:296-298) من هذا المنطلق، يرتبط تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء بتوقعات اجتماعية تعكس أداء وضعهن المكاني على سلم التدرج الاجتماعي، كالنظر إلى الذكر بأنه مصدر أمن العائلة، والمحافظة على اقتصادها في حال تعرضها لأية أزمة، وهو المدير الرئيسي لأمر العائلة المادية. (Lokare,etal,2014:670)

وغالبا ما يكون تفضيل إنجاب الذكور لدى النساء مقيدا بنظامين هما: "نظام التودد" الذي يقوم على نظرة الرجل إلى المرأة القوية، و"نظام الكياسة" الذي يقوم على نظرة الرجل إلى المرأة الضعيفة. (Deegan & Hill,1987:48-53) كما يعتقد الكثير من الناس أن هناك شيئا طبيعيا يتعلق بالفروق النوعية، لأن علم الحياة يجعل من جنس ما يختلف عن آخر، لكننا يجب أن لا نفكر في الاختلافات الجنسية أو النوعية من منطلق مصطلحات بيولوجية، فالفكرة الجنسية ليس مسألة مواقف فردية، بل هي مبنية في مؤسسات أسست المجتمع. (Hofsted,2001:28-29)

وعادة ما ترتبط دونية النساء أو ضعفهن في المجتمع الأردني، بتوقعات تعكس ضغوطات ثقافية واجتماعية واقتصادية (نسبة النساء في قوة العمل: 12.6). (دائرة الاحصاءات العامة، 2015) وغالبا ما ترتبط محددات تفضيل إنجاب الذكور لدى النساء بتوقعات تعكس الوضع التراتبي للأنثى في النسق الاجتماعي. (كرادشة ومصاروة، 2005: 775-776) وإزاء هذا الوضع التراتبي، يحتل الأب في العائلة العربية رأس الهرم ومركز السلطة، كما يبني تقسيم الدور- المكانة في النسق الأسري على أساس التركيب النوعي أو العمري، وينقسم التركيب النوعي تبعا لذلك إلى عالم الذكور (عام) يكافح فيه لتأمين الرزق، وعالم الإناث (خاص) يقوم بوظيفة الإنجاب والأعمال البيتية. (بركات، 2001: 179؛ خمش، 1999)

مشكلة الدراسة:

تركز مشكلة الدراسة على تحليل مستويات ضغوطات الوصم الاجتماعي والمكانة الاجتماعية والاقتصادية التي قد تفرض على النساء المتزوجات المقيمات في المجتمعات المحلية المحيطة بمدينة إربد، لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور على الإناث (معدل الإنجاب الكلي للنساء: 3.5%)، إن هذه الضغوطات قد تؤدي إلى زيادة عدد أفراد الأسر؛ بسبب الرغبة الطوعية أو غير الطوعية

لإنجاب الطفل الذكر (معدل المواليد الخام لكل ألف من السكان: 28.6%)، أو قد يلجأ الزوج إلى الزواج مرة أخرى (معدل الزواج الخام لكل ألف من السكان: 12.2%)، أو قد لا يجد الزوج الذي لا ينجب الأطفال الذكور مانعاً في تطبيق أم البنات (معدل الطلاق الخام لكل ألف من السكان: 3.3%). وعلى الرغم من دخول النساء الأردنيات ميدان العمل (معدل النشاط الاقتصادي الخام للإناث: 8.3 %، ومعدل البطالة للإناث: 20.7 %)، وارتفاع مستواهن التعليمي (أمية: 8.9 %، وأقل من ثانوي: 49.6 %، وثانوي: 17.1 %، ودبلوم متوسط: 9.0 %، وبكالوريوس فأعلى: 14.5 %) (دائرة الإحصاءات العامة، 2015).

وعلى الرغم من انخفاض معدل الخصوبة الطبيعية في الأردن من 7.4 % طفلاً للمرأة الواحدة عام 1976 إلى 3.7 % طفلاً عام 2002، إلا أن هذا المعدل يُعد من أعلى المعدلات في العالم. وهناك أيضاً ارتفاع في نسبة الأطفال الذين هم دون سن 15 سنة إلى 40.0 %، وإذا رفعنا هذا العمر إلى 25 سنة، فإننا سنكون أمام معدلات إعالة مرتفعة جداً تبلغ 75 فرداً لكل شخص في سن العمل، ووجود اختلال في توزيع السكان جغرافياً. (كرادشة، 2013 ب: 226) وقد يبدأ تفضيل إنجاب الذكور لدى النساء في المجتمع منذ تاريخ استقبال الطفل، مروراً بمستويات التغذية والرضاعة الطبيعية، وانتهاءً بالنظرة الدونية إلى المرأة التي لم تنجب الذكور. (كرادشة ومصاروة، 2005: 781-782) وعلى الرغم من ذلك، فإن مظاهر التحضر أو التحديث في الأردن مرتفعة جداً (نسبة الحضر: 82.6 %، ونسبة الريف: 17.4 %) إلا أن المعتقدات الشعبية ما زالت تدعم تفضيل إنجاب الأطفال الذكور، كما تتعرض المرأة التي أنجبت الإناث إلى ضغوطات الوصم الاجتماعي Social Pressers Stigma، وقد تتعرض في حالات أخرى إلى الطلاق أو الزواج عليها. (دائرة الإحصاءات العامة، 2005؛ أنظر: خمش، 1994: 23-24) فالسؤال، ما أسباب الانقطاع أو الاستمرار لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني؟ وكيف يمكن التخلص من ظاهرة التحيزات أو التفضيلات بين الذكور والإناث؟ وهذا ما سوف يتم الكشف عنه أو معرفته في هذه الدراسة الميدانية:

تساؤلات الدراسة:

السؤال الأول: هل تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني مقيد بضغوطات الوصم الاجتماعي؟

السؤال الثاني: هل تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني مقيد بمؤشرات المكانة الاجتماعية؟

السؤال الثالث: هل تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني مقيد بمؤشرات المكانة الاقتصادية؟

السؤال الرابع: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني تبعا لضغوطات الوصم الاجتماعي ومؤشرات المكانة الاجتماعية والمكانة الاقتصادية، وبين متغيرات: (عمر الزوجة، المستوى التعليمي للزوجة، المستوى التعليمي للزوج، الدخل الشهري للأسرة، عمل الزوجة، عمل الزوج، عدد الذكور لدى أهل الزوج، عدد الذكور لدى أهل الزوجة، نوع الزواج، عدد الإناث لدى الزوجة، استقبال الأنثى، تفضيل إنجاب الذكور، الخشية من إنجاب أنثى، درجة القرابة، وأخيرا اتباع الطرق لإنجاب طفل ذكر)؟

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة الراهنة أهميتها من محاولتها الكشف عن محددات الانقطاع أو الاستمرارية، لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني، حيث توجد دراسات وصفية تعد على أصابع اليد أجراها الباحثون الاجتماعيون في هذا الإطار. كما تستوحي الدراسة مقاربتها لنظرية الوصم الاجتماعي Social Stigma Theory، بما قد يظهر لهذا التفضيل كممارسات مقيدة بمؤشرات المكانة الاجتماعية Social Position، والمكانة الاقتصادية Economic Position، وضغوطات الوصم الاجتماعي Social Pressures Stigma عبر الزمان والمكان المحددين في المجتمع الأردني. كما تأتي أهمية الدراسة من محاولتها التركيز على محددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء الأردنيات اللواتي يقمن مع أزواجهن في المجتمعات المحلية المحيطة بمدينة إربد، ضمن الفئة العمرية التي تمتد بين (26-49) سنة، وهي مشروطة بالإناث اللواتي يمتلكن خبرة إنجاب الأطفال الإناث فقط.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مستويات ضغوطات الوصم الاجتماعي والمكانة الاجتماعية والاقتصادية، التي قد تفرض على النساء المتزوجات الأردنيات اللواتي أنجبن الإناث فقط، لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور، تحت مبررات تؤكد على أن الطفل الذكر هو المخلد لاسم أبيه، أو المحافظ على شرف العائلة، أو المسير للأمور المادية للعائلة في حال عجز الوالدين، وكذلك بيان مدى شعورهن (بسبب إنجاب الإناث) أن وجودهن في العائلة غير مرغوب فيه، أو إثارة الشفقة والعطف من محيطهن العائلي أو خارجه، أو اهتزاز مكانتهن الاجتماعية، أو أنهن مهددات بالطلاق، أو قرنهن (إشراكهن) بزوجة أخرى.

مفاهيم الدراسة:

- **إنجاب الأطفال:** المقدرة الطبيعية لدى النساء المتزوجات (26- 49) على الحمل بالجنين من وقت الإخصاب حتى الولادة بصورة طوعية أو غير طوعية، تحت ضغوطات ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية.
- **تفضيل إنجاب الذكور:** وصف الذكر بالزيادة وجعله مقدما على الأنثى، تحت ضغوطات ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية.
- **انقطاع الإنجاب:** ما ينبغي أن يتوقف عليه الحمل لدى النساء المتزوجات اللواتي لديهن خبرة إنجاب الإناث فقط، تبعا لاختلاف المتغيرات الديموغرافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.
- **استمرار الإنجاب:** ما ينبغي أن يستمر عليه الحمل لدى النساء المتزوجات اللواتي لديهن خبرة إنجاب الإناث فقط، تبعا لاختلاف المتغيرات الديموغرافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.
- **الوصم الاجتماعي:** إطلاق المسميات غير المرغوب فيه من الآخرين على النساء اللواتي أنجبن الإناث، بحيث يُحرمن من التقبل الاجتماعي، أو يعاملن معاملة الشفقة من محيطهن المجتمعي.
- **المكانة الاجتماعية:** الوضع التراتبي الذي تشغله النساء المتزوجات اللواتي أنجبن الإناث فقط، على سلم التدرج الاجتماعي، تبعا لمؤشرات تعكس نظرة الآخرين إلى الذكر بأنه المخلد لاسم أبيه، أو مصدر سعادة الوالدين وفخرهما.
- **المكانة الاقتصادية:** الوضع التراتبي الذي تشغله النساء المتزوجات اللواتي أنجبن الإناث فقط، على سلم التدرج الاجتماعي، تبعا لمؤشرات تعكس نظرة الآخرين إلى الذكر على أنه الوريث المحافظ على ثروة العائلة، أو يقوم بمهام الوالد المادية في حال الوفاة.

معالم تفضيل إنجاب الذكور في المجتمع الأردني:

تَخصُّ المجتمعات البشرية بالعديد من العادات والأعراف الشعبية، منها ما هو إيجابي، ومنها ما هو سلبي، ومن هذه الأعراف السلبية تفضيل إنجاب الأطفال الذكور، إذ يُفضل الآباء الذكور بالأعطيات أو الهدايا، وهناك من يتنازل لأبنائه الذكور عن أملاكه وهو على قيد الحياة، بحجج واهية يتذرع بها. فالسؤال من أين جاء هذا العُرف في المجتمع الأردني؟ وما الأسباب التي أدت إليه وكركسته في نفوس الناس؟

وإذا تتبعنا نظرة المجتمعات الإنسانية إلى الرجل والمرأة تاريخياً، نجد أنّ ثقافة تفضيل الطفل الذكر هي ثقافة مشتركة بين الجميع، فالليونانيون حرّموا المرأة من حقوقها، ونظروا إليها نظرة احتقار، وشاع عند الرومان شعار مفاده أن قيد المرأة لا يُنزع ونيرها لا يُخلع. وكذلك الحال عند اليهود والبابليين والآشوريين والفرس الذين حرّموا المرأة من حق الميراث وحرية اختيار شريك الحياة، وقد "وصم" البعض المرأة بلعنة الخطيئة. (العقاد، 1977: 27-32)

ولقد حطّ العرب في الجاهلية من شأن المرأة وجردوها من حقوقها الإنسانية، وكرهوا إنجاب الإناث لمكانتهنّ الدونية في أعرافهم، وبلغ الأمر حدّ القيام بوأد البنات وهنّ على قيد الحياة، حيث وثّق القرآن الكريم هذا السلوك المشين مستنكراً له بقوله تعالى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ". (القرآن الكريم، سورة النحل: 58-59) وقد كان القتال بين القبائل العربية قديماً لا يكاد ينتهي، وهي مهمة لا تقدر المرأة عليها، بل تبقى مقصورة في الخيام (البيوت) لا تكلف بالعمل، وتنام إلى الضحى لوجود من يقوم على تدبير شؤونها، بذلك قال الشاعر امرؤ القيس: "وَيُضْحِي فَتَيْتِ الْمَسِكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا... نَوْمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ". ولما كانت الحرب من اختصاص الرجال زادت الحاجة إليهم لتحمل هذا الواجب، وبذلك قال الشاعر زهير بن أبي سلمى: "وَمَنْ لَمْ يَزِدْ عَنِ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ... يَهْدِمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ". (الأنباري، 2003: 20)

وأصبحت المرأة تعيش تحت تهديد الطلاق أو الزواج الثاني، ليهرب الرجل من عار أن يكون "مُئَنَّثاً"، لا ينجب إلا البنات، وأطلقوا عليه اسم (الأبتر) مما جعله عرضة للتهكم أو السخرية. وقد وثّق القرآن الكريم هذا العرف البغيض، حين وجهه كفار قريش للرسول - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ". (القرآن الكريم، سورة الكوثر: 1-3)

وقد كرّس هذا العرف في المجتمع الأردني تفضيل الأطفال الذكور قديماً وحديثاً (زمانياً ومكانياً)، وإذا استثنينا بعض المتأثرين حديثاً بثقافات الغير من سكان المدن الذين طرأ على نظرتهم للأنثى بعض التغيير بسبب تغير أساليب الحياة، إذ أخذت النظرة السلبية تخفّ حدتها أو لا تظهر في سلوك الناس. ومع ذلك ما زالت الأردنيات (حتى اليوم) يُفضّلن إنجاب الأطفال الذكور تحت ضغوط عائلية أو مجتمعية بنسب كبيرة، وقد تشترط بعض الأمهات من أبنائهن أن لا يتزوجوا فتاة أكثر والدتها من إنجاب الإناث. وبسبب الأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة، فقد تضطر الفتاة في المجتمع الأردني أن تعتمد على الزواج، وبدونه قد تعد موضع سخرية أو شفقة أو كليهما، وهي في نظر التقاليد قد تعد أصل الغواية والفتنة والشر والتعاسة، إذ قد يتوقع

المجتمع منها أن تكون مطيعة، ومخلصة، وتدير شؤون بيتها، وتحترم أهل الزوج وأقربائه. (بركات، 2001: 188)

وقد يُنظر إلى الذكر في المجتمع الأردني على أنه كسب للعائلة، وقد تشعر الأنثى في العائلة منذ نعومة أظفارها بأنها غير ضرورية وعبء على العائلة، وبذلك تدل استعمال كلمة "رضيعة" للدلالة على الشقيقة، وكلمة "عضدي" للدلالة على الشقيق. وهذا مؤشر قد يدل على دونية الأنثى لدى العائلة أو المجتمع. (شرابي، 1991: 3-33) ومع ذلك، فإن المرأة الأردنية ليست ضعيفة بسبب تركيبها الجسماني، وليس لإرادة غيبية تخرج عن الإرادة الإنسانية، بل ربما بسبب تجريدها من حقوق الملكية ومسؤولية السعي والمشاركة في الإنتاج. (بركات، 2001: 18)

كما يُعدّ المجتمع الأردني مجتمعا ذكوريا أبويا تراتبيا، تستمد قيم الذكورة فيه (نسبة الذكور: 51.55%) طاقتها وحيويتها من نسق القيم أو المعتقدات الشعبية، وهناك الكثير من الأمثال الشعبية التي تدعم هذا التحيز لقيم الذكورة في الأردن منها: (همّ البنات للممات، والبنات مقاليع إبليس، ومكرهه وجابت بنت، وغيرها). (كرادشة، 2013: 156). وعليه فإذا كان معدل الإنجاب الكلي في الأردن عام 2009 حوالي 3.8%، فإن الإستراتيجية الوطنية للسكان (2000-2020) وضعت أولى أهدافها مواصلة انخفاض مستوى الإنجاب بصورة كبيرة لأقل من 2.5% مولود للمرأة الواحدة بحلول عام 2020. (المصاروة، 2013: 90) ولعل هذه النظرة الدونية إلى المرأة الأردنية قديما (منذ بدايات القرن العشرين)، التي أشرنا إليها في الاستعراض التاريخي المتقدم، هي السبب الرئيس ربما في تكريس مشاعر تفضيل الذكر على الأنثى؛ لتلمس آفاق هذه النظرة، وبيان بعض الأسباب أو الدواعي التي أكدتها أو أشاعتها، مجتهدين في استنباطها من أساليب الحياة الاجتماعية الأردنية (زمانيا ومكانيا)، وقد تتمثل فيما يلي:

1- نظرة المجتمع الأردني الدونية للمرأة: لقد حطت القبائل الأردنية مع بداية القرن العشرين من شأن المرأة، وكما أسلفنا، فقد جعلوها متاعا يورثه الأب لابنه الأكبر، وحرموها أو جرّدوها من حقوقها الإنسانية، مما كره إنجاب الإناث، ربما بسبب مكانتها المنحطة في أعرافهم الاجتماعية.

2- الحاجة إلى الرجال المحاربين: لقد كانت الحرب بين القبائل قبل تأسيس إمارة شرقي الأردن، تنشب لأتفه الأسباب، ربما بكلمة أو خلاف على موضع كلاً أو ماء، والغزو من أجل نهب ما يقيم حياتهم من وسائل العيش، فكان الرجال هم وقود هذه الحروب، وهي مهمة لا تقدر عليها المرأة. ولما كانت الحرب من اختصاص الرجال زادت الحاجة إلى تفضيل إنجاب الذكور، لمواجهة الأعداء، والحفاظ على هوية القبيلة، ومكانتها بين القبائل. (انظر: حداد، 1991: 54-59)

- 3- **دوافع اقتصادية:** بعد أن استقرت القبائل الأردنية في القرى والمدن (مع بدايات استقلال الأردن)، وتوجهوا إلى أعمال أخرى غير الرعي وتربية الماشية، كالزراعة والصناعة والمهن الخدمية، وهي مهنة جديدة تحتاج إلى التعليم والحماية على طريق الانتقال من مكان إلى آخر، مما قد أضاف إلى الرجال أعباء جديدة، وقد عزز ذلك عاطفة الميل إلى الذكور وتفضيل إنجابهم دون الإناث، لقدرتهم على العمل، وتفوقهم في تدبير شؤون الحياة. وفي المقابل، اعتبرت المرأة (الأنثى) حملاً جديداً زائداً يتحمله الرجال لكفاية مؤونة الأسرة، دون أن يكون للإناث إسهام مباشر في ذلك، وهذا قد يرجح كفة الذكور على الإناث في نظرهم.
- 4- **بعض الأعراف والتقاليد الاجتماعية الأردنية:** لقد تركزت في الثقافة الشعبية الأردنية بعض المفاهيم السلبية، تؤكد على أفضلية الذكر على الأنثى، إذ يعتقد لدى البعض أن المولود الذكر هو الذي سيخلد ذكر أبيه، ويحمل اسمه بعد موته، وهو الأحقُّ بوراثته تركة أبيه. أما الإناث، فهنّ سيتركن الأسرة أو القبيلة إلى الحياة مع قوم آخرين، فإعطاهنّ حقوقهنّ قد يعني نقل خيرات الأسرة أو القبيلة إلى قوم غرباء، يتمتعون بها دون أصحابها الذين تعبوا في جمعها لتأمين حاجاتهم وكفاية أنفسهم.
- 5- **تحميل المرأة مسؤولية إنجاب الإناث وتبعاتها:** إن الأعراف الأردنية ما زال بقية منها تفضل المولود الذكر على الأنثى، فقد جعلت المرأة السبب في إنجاب الإناث، وأصبحت تعيش تحت تهديد الطلاق أو الزواج الثاني والثالث، ليهرب الرجل من عار أن يكون مثنائاً (ليس لديه طفلاً ذكراً).
- 6- **ارتباط الأنثى بمضنة جلب العار:** كرس مفهوم تفضيل الذكر على الأنثى منذ بدايات القرن العشرين في الريف الأردني، إذ يعتقد أن المرأة هي مضنة جلب العار، إذا ما تعرضت لعدوان أو سبي في حرب أو غزو، وهذا ما لا يحتمل الريفيون عاره، فالريفي قد يفضل الموت أو القتل للمرأة على ذلك.
- 7- **قوامة الرجل على المرأة وقيادته للأسرة:** وهذا عزز مفهوم تفضيل الذكر على الأنثى في الريف الأردني؛ كون الرجل قواماً على الأسرة، وقائداً أو راعياً لها، بتحملة مسؤولية إنشائها، والعمل على تدبير شؤونها، حتى ولو كان فقيراً، وقد أعفيت المرأة من ذلك حتى لو كانت قادرة (انظر: خمش، 1994). وقد وضع هذا الدور الاجتماعي الرجل في مكانة أعلى من المرأة، ربما لامتلاكه الأهلية، والقدرة، والاستعداد الفطري والنفسي والعضوي دون المرأة بطبيعتها الضعيفة التي قد لا تتمكن من الضرب في الأرض، ومزاحمة الرجل في ميادين العمل، واقتصر دورها على الخدمة في البيت وطاعة الزوج، وتقدمت لذلك مكانة الذكر ودوره على الأنثى، وتبينت أفضليته.

نظرية الوصم الاجتماعي: المقدمات التفسيرية للمفاضلة الذكرية - الأنثوية

عندما يكون هناك تناقض بين الهوية الحقيقية للموصوم والهوية الافتراضية أو التقديرية، فمن الممكن أن تكون هذه الحقيقة معروفة لدينا قبل التواصل معه، وقد تكون واضحة عندما يقدم نفسه لنا ويكون مشوه السمعة أو مشكوكا فيه. وعندما نريد أن نعطي اعترافاً مقيداً حول ما يشوه السمعة عنده، فإن هذا الوضع يُصبح غير مؤكد لمن ساءت سمعته أو أصيب بوصمة العار Stigma، وقد يكون التعاون بين الفرد مشوه السمعة والعاديين كما لو أن اختلافه المعروف ليس له علاقة أو لا يهتم به، ويكون الشذوذ غير معروف أو قابلاً لتشويه السمعة أو العار عندما يكون غير مشوه السمعة أصلاً. (Goffman, 1986:41) إن هذه المسألة ليست في إدارة التوتر Tension Management المتولد أو المتشكل أثناء التواصل بين الموصوم (المرأة التي أنجبت الإناث) والعادي (المرأة التي أنجبت الذكور)، لكن المسألة في كيفية إدارة المعلومات من قبل الموصوم نفسه عن فشله في تحقيق ما يريده الآخر أو ما يتوقعه في ضوء الخبرات الاجتماعية وقواعد السلوك العامة، فالموضوع هو في إظهار هذا الشيء أو عدم إظهاره، أو الإبلاغ عنه أو عدم الإبلاغ، ولمن وكيف ومتى وأين؟ (Goffman, 1967:40-45)

وبما أن وصمة العار تكون واضحة لنا حسياً، فإن هذا الوضوح لا يكون مُضلاً أو مخادعاً، فالتتممة قد تكون واضحة، لكن بالصوت وليست بالرؤية، تجاه المرأة التي أنجبت الإناث. ولفهم هذه الرؤية أو الوضوح علينا: أولاً: أن نميز وضوح وصمة العار The Visibility of a Stigma بمجرد المعرفة عنها، فعندما تكون هذه الوصمة عن المرأة واضحة، فإن تواصل الآخرين معها تجعلهم يعرفون هذه الوصمة بشكل واضح، وتعتمد معرفة الآخرين حول هذه الوصمة على المعلومات المسبقة عن الموصوم (المرأة التي أنجبت الإناث) من خلال التحوار أو الممارسات السابقة معها. ثانياً: أن نميز الرؤية عن قواعدها، وبالضبط عن التطفل أو الفضول في التدخل في شؤون الغير. ثالثاً: أن نفصل رؤية الوصمة عن إمكانات ما يمكن تسميته بـ " التركيز المدرك " Perceived Focus، فنحن عادة ما نطور الإدراك أو الفهم بالاعتماد على أساس موضوعي بالنسبة للنشاط الحياتي الذي تقوم الوصمة فيه بتجريد الموصوم (المرأة التي أنجبت الإناث) من الأهلية أو الاعتبار الاجتماعي العالي. (Goffman, 1986:49-50)

ويعاني الموصوم (المرأة التي أنجبت الإناث) من الإهانة أو سوء المعاملة من خلال معرفتها بهذه الوصمة، بأن وصماتها ترافقها، وأن الآخرين يعرفون عنها ذلك. وفي هذه الحالة، تعد مسألة المبادئ الاجتماعية شيئاً مركزياً مهماً، وليس مفيداً ترتيب أو جدولة أعداد الناس الذين يعانون من مأزق أو أزمة إنسانية، وعندما يُضاف اللواتي لديهن وصمة الكياسة أو اللواتي مررن بتجربة هذا الوضع، فإن الموضوع لا يكون فيما إذا كان الموصوم (المرأة) لديه الجذور والتجربة مع

الوصمة الخاصة به. إن ملاحظة إدارة الوصمة Stigma Management هي صفة للمجتمع، وتحصل عند وجود قواعد للهوية، وعندما يكون الاختلاف بنفس الصفات موضع التساؤل أو الشك من النوع المعرف تقليديا كموصوم. ويمكن الشك في أن دور الموصومين أجزاء من نفس المركب، وبالطبع فإن الموصوم نفسياً يمكن أن يشير إلى النتيجة المرضية التي يعاني منها بسبب وجود خلل ما يعاني منه أو يشعر أنه غير قادر على تحقيقه في حياته اليومية، وهذا يترتب عليه نتائج متعددة قد تفضي إلى انتقاص من قيمة نفسه في أثناء حوار مع الآخرين في المجتمع، كما إن الظلم الواقع على المجموعة الموصومة يمكن أن يكون مرضاً أيضاً. ويمكن لشخص ما أن يفترض أن الموصوم بوصمات متعددة هو في وضع صعب، وقد يتجاوب بطريقة مشابهة أو مقدرة بحسب توقعات الآخرين. وربما يفترض آخر أن الموصومين والعاديين لديهم نفس التركيب العقلاني، وهذا بالضرورة هو المقياس في مجتمعنا، فالذي يستطيع أن يلعب أحد هذه الأدوار يكون لديه المعدات المطلوبة، لكي يلعب هذا الدور، وفقاً لتوقعات الآخرين. (Goffman,1986:126-130)

والأهم من ذلك، فإن فكرة "الغيب" أو العار stigma واختلافاتها أو فروقاتها تفترض تشابها بالنسبة للمعتقدات الحاسمة المتعلقة بالهوية الجنسية أو النوعية. فإذا أردنا تسمية الموصوم بأنه منحرف، فيجب تسميته بالمنحرف الطبيعي إلى حين تحليل حالته في إطار العمل المقدم هنا. وهناك دليل مباشر يتعلق بالوحدة الموصومة طبيعياً، كما هو الحال في المرأة التي ينظر إليها من قبل الآخرين نظرة دونية كونها لم تنجب الأطفال الذكور في المجتمعات المغلقة. (Helle,2005:123-125)

وبناء عليه، فإن التغير من حالة الفرد الموصوم إلى حالة الفرد الطبيعي هو اتجاه مرغوب فيه، ومن الصعب فهم كيف أن الأفراد الذين يظلون محافظين على التحول المفاجئ في حياتهم من وضع طبيعي إلى شخص موصوم يمكن المحافظة على هذا التغير نفسياً. (Rousseau,2002:209-215) وتمكن وسائل التدريب المتعددة الموصوم من تحمل أو معالجة جميع البدائل المطروحة، وعندما نتعلم هذه الاحتمالات فإن البقية وللأسف تأتي بسهولة، حيث إن الألم من الوصم المفاجئ لا يأتي من ارتباك الموصوم لهويته، بل يأتي من معرفته التامة لماذا أصبح على هذا الحال؟ (Goffman,1986:131-132)

إن الحقيقة الاجتماعية المستمرة من الفرد السهل من صنف الموصوم أو العادي مع إمكانية التحضر والمدنية، سيكون لها تاريخ واضح، وعندما تفقد الصفة قوتها كوصمة لازمة، فإن مشاهدة فترة ما عندما تكون الحالة قد هوجمت كثيراً على مسرح الهزل خلال التواصل مع الآخرين هي عادية وغير مؤثرة، وتتوقف في هذه الحالة عن السيطرة على ما يجب أن يبقى سرا أو مؤلماً لتلك الحالة. (عثمان، 2008: 136-142) والسؤال، هل لنا أن نقرر أن الوصمة لا

تشمل كثيراً من الأفراد الذين يمكن فصلهم إلى مجموعتين، العاديين الطبيعيين والموصومين غير الطبيعيين، وهما تتولدان في الأوضاع الاجتماعية أثناء امتزاج التواصل بينهما؟ وربما تسبب الصفات طيلة الحياة لفرد معين أن يلعب دور الموصوم في كل حالاته الاجتماعية، ويجعلها طبيعية. (Goffman,1986:135-136)

وبالقياس على ما سبق، فإن المفاضلة الذكورية- الأنوثة، تصور الخبرات الشخصية للرجال والنساء من العدسة النوعية المحددة عائلياً أو مجتمعياً، ويُعد تفكيرنا بأنفسنا (هوية النوع)، وكيفية عملنا (أدوار النوع)، ومكانتنا الاجتماعية (النظام الطبقي النوعي)، مُتجذرة في المعتقدات الشعبية الأردنية. ومن خلال نظرية الوصم الاجتماعي، يُمكن اشتقاق مجموعة من القضايا التطبيقية، التي سوف تُخضعها الدراسة الراهنة للقياس، كما يلي: أولاً: معرفة مدى وصف النساء في المجتمع الأردني الذكر بالزيادة وجعله مقدماً على الأنثى تحت ضغوطات اجتماعية أو اقتصادية أو ديموغرافية. ثانياً: الكشف عما إذا كان تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء يعكس مسميات غير مرغوب فيها، كالنظرة إليهن نظرة دونية. ثالثاً: الكشف عما إذا كان تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء يعكس توقعات الآخرين إلى الذكر بأنه المخلد لاسم أبيه، والمحافظ على شرف العائلة، ومصدر سعادة الوالدين. رابعاً: الكشف عما إذا كان تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء يعكس توقعات الآخرين إلى الذكر بأنه الوريث المحافظ على ثروة العائلة، ويسهم في تلبية بعض الحاجات المادية للعائلة.

الدراسات ذات الصلة:

تكشف مراجعة الأدبيات المحلية حول محددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني عن محدودية الإنتاج العلمي وندرته، وتظهر هذه الحقيقة الحاجة إلى ملء هذه المساحة المعرفية المهملة من المجتمع الأردني، مما يؤكد على ضرورة توفير رؤية محايدة حول هذه الظاهرة. وسوف يُعتمد طرح الدراسات طبقاً لتسلسلها المعرفي (العلمي)، وليس طبقاً لتسلسلها الزمني أو المكاني.

أولاً: ضغوطات الوصم الاجتماعي.

كشفت دراسة أيسري وزملائه (Iseri,etal,2012) عن تفضيل جنس الطفل الأول لدى التركيات اللواتي حملن لأول مرة، والتي طبقت على عينة قوامها (99) امرأة حامل. وأظهرت النتائج عدم وجود ضغوطات عائلية على المرأة لإنجاب الإناث بنسبة 49.5%، كما تفضل ما نسبته 25.3% إنجاب طفل ذكر بسبب شعورهن بالتهميش، كما وقد أشارت ما نسبته 25.2% من أفراد العينة بعدم وجود تفضيل محدد لذكر أو أنثى.

وكشفت دراسة فاريس وزملائه (Farris,etal,2009) أن تفضيل إنجاب الطفل الذكر لم يكن مقيداً بضغوطات الوصم الاجتماعي، ولم تشعر المرأة الأمريكية التي أنجبت الإناث أن وجودها في العائلة غير مرغوب فيه. وقامت دراسة كيم وفونغ (Kim and Fong,2014) باختبار محددات تفضيل إنجاب الطفل الذكر لدى النساء الصينيات على عينة قوامها (2273) امرأة حامل. وأظهرت النتائج أن هذا التفضيل كان مقيداً بتوقعات ضغوطات الوصم الاجتماعي.

وسعت دراسة فيديت وزملائه (Vidit,etal,2012) إلى معرفة محددات المفاضلة الذكرية الأنثوية لدى النساء الهنديات اللواتي يراجعن العيادات النسائية في منطقة يوجان، وطبقت على (400) امرأة حامل. وأظهرت النتائج أن ما نسبته 23.0% تفضل إنجاب الذكور، وتهتم ما نسبته (79) بتحديد نوع الجنين قبل الولادة، وتخشى ما نسبته 66.5% التخلص من الجنين بسبب ضغوطات الوصم الاجتماعي، وتشعر ما نسبته 40.0% من النساء بالشفقة أو السخرية من الأخريات لأنهن لم ينجبن طفلاً ذكراً.

وكشفت دراسة كينتلي (Kentil,2014) أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى التركيات كان مقيداً بتوقعات تعكس ضغوطات الوصم الاجتماعي. وطرحت دراسة أحمدي وزملائها (Ahmadi,etal,2015) مقطعاً عرضياً بمركز فيسينيا للإخصاب في إيران على عينة قوامها (100) امرأة لدى كلٍّ منهنّ طفل واحد، ويفضّلن اختيار النوع (ذكر- أنثى). وأظهرت النتائج أن تفضيل إنجاب الذكور بلغ ما نسبته 55.5%، وما نسبته 15.5% لصالح الإناث، وما نسبته 28.5% ليست لديهن ميول محددة لإنجاب طفل ذكر أو أنثى. وأظهرت أن الناس ينظرون إلى المرأة التي أنجبت الأنثى بعين الشفقة أو العطف، وقد كان تأثير المستوى التعليمي عليهنّ إيجابياً في تحديد جنس الذكر باستخدام التقنيات الطبية.

وجمعت دراسة أندرسون وزملائه (Andersson,etal,2006) بيانات إحصائية من السجلات الرسمية في الدنمارك وفنلندا والنرويج والسويد، لمعرفة المفاضلة الذكرية الأنثوية لدى الوالدين في العقود الثلاثة الماضية. وأظهرت النتائج أن تفضيل إنجاب الذكور لدى النساء لم يكن مرتبطاً بضغوطات الوصم الاجتماعي. وأجريت دراسة أديبوييل وزملائه (Adebawale,etal,2014) على عينة قوامها (2009) امرأة متزوجة من النيجيريات، حيث أظهرت النتائج أن تفضيل إنجاب الطفل الذكر ارتبط بمستوى الدخل الشهري المرتفع بنسبة 26.8%، وبمستوى التعليم الثانوي بنسبة 28.8%، وهناك علاقة بين تفضيل الطفل الذكر للمحوّثات ومتغيرات العمر، ومكان الإقامة، ونوع الزواج، والدخل، والمهنة، والتعليم. علماً أن نسبة تفضيل إنجاب الطفل الذكر لدى النساء النيجيريات بلغ 69.0% وبدرجة مرتفعة. كما بينت دراسة "إمولو" (Emolu,2008) أن تفضيل إنجاب الذكور لدى النساء التركيات ارتبط بالنظرة الدونية. وأظهرت دراسة بيدري وسولانكي

(Bedre & Solanki,2014) أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء الهنديات في المناطق المحلية كان مقيدا بضغطات الوصم الاجتماعي أكثر من المناطق الحضرية.

ثانياً: مؤشرات المكانة الاجتماعية.

كشفت دراسة الباحثين (كرادشة ومصاروة، 2005) محدّدات تفضيل إنجاب الذكور في المجتمع الأردني، والتي طبقت على عينة عشوائية ممثلة من الأسر على المستوى الوطني. وأظهرت النتائج أن هناك تفضيلاً لدى العائلة الأردنية لإنجاب الذكور خاصة لدى الأزواج، وهناك علاقة واضحة بين تفضيل إنجاب الطفل الذكر، ومتغيريّ مكان الإقامة ودرجة القرابة بين الزوجين. وأظهرت دراسة الباحثين (كرادشة وسهاونة، 2010) أن نسبة الزوجات اللواتي يلجأن إلى التفاهم أو الحوار لتحديد عدد الأطفال المرغوب فيه وصل إلى 57.5%، وهناك ما نسبته 81.1% يرغبن في التفاهم مع أزواجهن لاستخدام وسائل تنظيم النسل. وطبقت دراسة جفري وزملائه (Jeffrey,etal,2011) على عينة قوامها (416) امرأة متزوجة بين الفئة العمرية (16-25) سنة. وأظهرت الدراسة، أن النساء الهنديات يفضلن العائلة الصغيرة أقل من ثلاثة أطفال لدوافع ثقافية واجتماعية، وينظرن إلى الطفل الذكر على أنه مصدر سعادة العائلة، والمعيل لوالديه عند عجزهما أو مرضهما.

وقدمت دراسة ميترا (Mitra,2014) تفسيرات زيادة تفضيل الأطفال الذكور في المجتمع الهندي بحسب بيانات إحصائيات السكان لعام 2011، وأظهرت أن هناك تناقضاً في نسبة الإناث بسبب تفضيل الذكر في عدة ولايات هندية، على الرغم من تقدم التعليم والعناية الصحية وزيادة الدخل. كما جمع الباحث ليف (Leigh,2009) بيانات عن خمس إحصائيات سكانية في أستراليا، وأظهرت النتائج أن النساء اللواتي لديهن طفلتان أكثر تفضيلاً لإنجاب الذكور من النساء اللواتي لديهن طفل أو طفلة، بسبب حسابات الكلفة أو الفائدة.

وأظهرت دراسة كريدلاند وزملائها (Cridland,etal,2014) أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور في المجتمع الأسترالي كان مقيداً بضغطات المكانة الاجتماعية التي تنظر إلى الذكر على أنه مصدر سعادة الوالدين. وكشفت دراسة وييلي (Weible,2013) أن تفضيل إنجاب الذكور لدى المرأة الأمريكية كان مقيداً بالمتمايزات الجنسية أو النوعية بحسب معايير الكلفة والفائدة. وكشفت دراسة سومر وزملائه (Sommer,etal,2014) أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور كان مقيداً بالصيغ الذكورية في المجتمع التنزاني التي تنظر إلى الذكر على أنه مصدر سعادة الوالدين.

وأظهرت أيضاً دراسة بيكر وزملائه (Becker,etal,2013) أن تفضيل إنجاب الذكور لدى المرأة الأمريكية الحامل لم يرتبط بالعامل الثقافي والاجتماعي، كما أنّ متغيريّ التعليم والعمل لم يكونا كافيين لبحث التمايزات الجنسية أو النوعية في المجتمع الأمريكي. وكشفت دراسة بييري

وزملائه (Perry,etal,1999) تأثيرات الصيغ الذكورية على المرأة الأمريكية الحامل قبل الولادة، والتي طبقت على عينة (104) من الحوامل. وأظهرت النتائج أن مشاركة المرأة الحامل بالطفل الذكر في لعبة كرة السلة كانت أقل من المرأة الحامل بالأنثى.

ثالثاً: مؤشرات المكانة الاقتصادية.

أظهرت دراسة (عيسى المصاروة، 2013) أن استعمال وسائل تنظيم النسل لدى النساء الأردنيات لم يكن كافياً لتقليل معدلات الإنجاب بسبب استعمال وسائل قليلة الفعالية، كما أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور كان مرتبطاً بتوقعات تعكس المكانة الاقتصادية. وأظهرت دراسة كوريشي (kureishi,2011) أن تفضيل إنجاب الطفل الذكر لدى النساء اليابانيات كان منتشرًا لدى السيدات قديماً أكثر من النساء حديثاً، كما لوحظ أن هذا التفضيل للنساء اللواتي لديهن طفلان أقل من اللواتي لديهن طفل أو طفلة.

وكشفت دراسة نايت وزملائه (Knight,etal,2010) أن تفضيل إنجاب الطفل الذكر لدى النساء الصينيات كان مقيداً بتوقعات تعكس ارتفاع مستوى الدخل، وأن هذا التفضيل في المناطق الريفية كان أكثر من المناطق الحضرية. وهناك فروق دالة إحصائية بين ذاك التفضيل ومتغيري الدخل الشهري والرغبة في إنجاب الطفل الذكر. وكشفت دراسة كرونك (Cronk,2007) حول التطور البيولوجي للنوع بعد الولادة من خلال التركيز على فرضيات العالمين (تريفلر- ويلارد)، أن تفضيل الطفل الذكر لدى المرأة الأمريكية الحامل كان مقيداً بضغوطات الوضع الاقتصادي للأسرة. وأظهرت دراسة أرونديل (Arrondel,2013) عدم وجود علاقة بين تفضيل إنجاب الطفل الذكر لدى النساء الفرنسيات وبين متغير الدخل الشهري للأسرة. كما أن التحديث الاقتصادي أدّى إلى تلاشي ظاهرة تفضيل النوع على حساب الآخر.

وبالقياس على ما تقدم، نلاحظ أن غالبية الدراسات السابقة، أظهرت أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء هو نتاج السيطرة التقليدية (النقاش غير العقلاني)، إذ إن إخضاع المعلومات للنقاش العقلاني هو ركيزة أساسية لإخراج النساء من الحدود الجنسية أو النوعية المنغلقة إلى الحدود العقلانية المفتوحة. وعليه ركزت غالبية الدراسات على محاور مهمة منها، أولاً: أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور كان مقيداً بضغوطات الوصم الاجتماعي بالنظر إلى الأنثى نظرة دونية. ثانياً: أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء كان مقيداً بضغوطات المكانة الاجتماعية بالنظر إلى الذكر على أنه المحافظ على شرف العائلة، ومصدر سعادة الوالدين. ثالثاً: أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء كان مقيداً بضغوطات المكانة الاقتصادية بالنظر إلى الذكر أنه الوريث المحافظ على ثروة العائلة، ويسهم في تلبية بعض الحاجات المادية للعائلة.

منهجية الدراسة:

لقد استعانت الدراسة بأسلوب المسح الاجتماعي بالتركيز على الوضع الراهن، والاهتمام بالوصف التفصيلي لوحدة الدراسة، واستخدم لهذا الغرض صحيفة الاستبانة لجمع البيانات الكمية، إضافة إلى الأدوات الكيفية المتمثلة في دراسة الحالة، للمزاوجة بين البيانات الكمية والكيفية، والوصول إلى نتائج أكثر واقعية تعكس حقيقة المفاضلة الذكورية الأنثوية بالنسبة للنساء اللواتي لديهن خبرة إنجاب الإناث في المجتمع الأردني.

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من النساء الأردنيات المتزوجات اللواتي لديهن الإناث فقط، وتراوح أعمارهن بين (26- 49) عاماً، والمقيمات مع أزواجهن في المجتمعات المحلية (القرى) التابعة لمحافظة إربد، وممن يمتلكن الخبرة الإنجابية للأطفال الإناث.

عينة الدراسة:

تكونت وحدة عينة الدراسة من (419) امرأة متزوجة أنجبت الأطفال الإناث فقط، والمقيمات مع أزواجهن في المناطق المحلية المحيطة بمدينة إربد، وقد تم اختيارهن بطريقة قصدية من الفئات العمرية الممتدة بين (26- 49) عاماً. وهي عينة مشروطة، شرطها الأول: إناث فقط من المجتمعات المحلية (القرى) المحيطة بمدينة إربد، والشرط الثاني النساء اللواتي لديهن الخبرة في إنجاب الإناث فقط. وقد تم اختيارهن من المجتمعات المحلية لسببين: 1- سهولة الوصول إلى العينة، حيث إن السؤال يلقى إجابة سريعة بموجب معرفة الناس بعضهم ببعض، وهذا يكفي السؤال من العينة على أساس شرعية علمية واضحة. 2- المجتمعات المحلية ما تزال ترفع من قيم الذكورة، وتفاضل على أساس ذكوري، كما أن الثقافة المحلية تمارس ضغطاً ضمناً على كل من الذكور والإناث من الآباء لإنجاب الأطفال الذكور.

فضلاً عن ذلك، فقد مرت عملية اختيار العينة بخطوات منهجية متعددة كي تضمن في ذلك تمثيل العينة، وهي: أ- توخى عاملي الدقة والحدثة في جمع الإحصاءات التي تصدرها دائرة الإحصاءات العامة الأردنية. ب- روعي في اختيار العينة القصدية أن تكون ممثلة لمجتمع الدراسة، إذ تم اللجوء إلى كل مجتمع محلي على حدة، واختيار إحدى أحيائها بشكل قصدي دون معرفة سابقة، وقد تم تعبئة صحيفة الاستبانة من قبل النساء الأردنيات المتزوجات المقيمات مع أزواجهن بالتعاون مع المقيمين في المنطقة، لمدة زمنية استغرقت بين عشر دقائق وعشرين دقيقة لكل مفردة. لقد تم جمع العينة خلال ثلاثة أشهر ونصف الشهر، وقد استعان الباحث بمساعد بحث من الذكور والإناث، وتوقفت عملية جمع المعلومات أو البيانات بعد أن وصل العدد إلى (419)

وحدة، حيث أصبح الحصول على المزيد من المبحوثين وفق شرط العينة أكثر صعوبة، علما بأنه لم يتم إتلاف أية استبانة. كما تم اختيار (6) حالات للدراسة المتعمقة، بواقع ثلاث حالات من الذكور، وثلاث حالات من الإناث المقيمت في مجتمع الدراسة.

نوع الدراسة:

تعد الدراسة الراهنة وصفية تحليلية (كمية وكيفية) تعتمد على أسلوب المسح الاجتماعي، بهدف رصد ظاهرة المفاضلة الذكورية الأنثوية لدى النساء في المجتمع الأردني وتحليلها. وقد تمّ تحليلها طبقاً لمستويين: أولهما الرؤية الموضوعية من استخدام مقياس تفضيل إنجاب الذكور، وثانيهما الرؤية الذاتية للكشف عن الترتيب في مستويات ضغوطات تفضيل إنجاب الذكور وفقاً لرأي أفراد العينة.

مصادر جمع المعلومات:

اعتمدت الدراسة في جمع المعلومات على طريقتين: أ- صحيفة الاستبانة: وهي مكونة من جزئين: الأول، تضمن البيانات الأولية التي تعكس خصائص عينة الدراسة. الجزء الثاني، تضمن ثلاثة مجالات يجسد كل منها مؤشرات تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء. وهي: 1- ضغوطات الوصم الاجتماعي وتضمنت (9) تساؤلات. 2- مؤشرات المكانة الاجتماعية وتضمنت (9) تساؤلات. 3- مؤشرات المكانة الاقتصادية وتضمنت (9) تساؤلات. ب- الأدوات الكيفية: لقد استعانت الدراسة الراهنة، بأسلوب دراسة الحالة Case Study، لعدد محدود من النساء الأردنيات المتزوجات اللواتي أنجبن الإناث فقط، وللواتي يقمن مع أزواجهن في مجتمع الدراسة، وبواقع ست (6) حالات فقط، وقد تمّ اختيارهنّ قصدياً دون معرفة سابقة بهنّ. وكانت قضايا الدراسة الكيفية هي نفس قضايا الدراسة الكمية تقريباً، ليتضح من خلالها صدق البيانات ومدى مطابقتها للواقع المدرّوس. وقد تمّ تصميم دليل العمل الميداني من جزئين: الأول: البيانات الأولية: (العمر، وعدد الإناث، والمستوى التعليمي، والعمل). الجزء الثاني: ضغوطات الوصم الاجتماعي وتتضمن (9) تساؤلات، ومؤشرات المكانة الاجتماعية وتتضمن (9) تساؤلات، ومؤشرات المكانة الاقتصادية وتتضمن (9) تساؤلات.

وحدة التحليل:

تمّ اختيار النساء المتزوجات المقيمت مع أزواجهنّ في المناطق المحلية المحيطة بمدينة إربد، كوحدة تحليل أساسية في هذه الدراسة، واعتبار الفئة العمرية الممتدة بين (26- 49) عاماً هي وحدة التحليل الأساسية عند دراسة محددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني.

صدق الأداة:

تمّ الاعتماد على طريقة (اجتماع المحكمين) حيث عرضت الأداة على مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، ومن ثم تمّ التعديل تبعاً لملاحظاتهم، وبعد ذلك أضيفت مؤشرات، وحذفت مؤشرات، وأعيد صياغة مؤشرات أخرى.

ثبات الأداة:

بهدف التأكد من ثبات أداة الدراسة تمّ تطبيقها مرتين بفارق زمني مدته أسبوعان على عينة استطلاعية مكونة من (20) امرأة متزوجة، من النساء اللواتي لديهنّ الأطفال الإناث فقط، وتمّ اختيارهنّ من خارج العينة الأصلية، وتمّ حساب معامل ارتباط بيرسون بين التطبيقين لاستخراج ثبات الإعادة. كما تمّ تطبيق معادلة ثبات الأداة (كرونباخ ألفا) على جميع مجالات الدراسة والأداة، حيث تراوحت معاملات ثبات الإعادة لمجالات الأداة بين (0.91-0.93) كان أعلاها مجال ضغوطات الوصم الاجتماعي، وأدناها مجالي المكانة الاجتماعية والاقتصادية، وبلغ معامل ثبات الإعادة للأداة ككل (0.95)، حيث يعتبر معامل ثبات الإعادة مقبولا إذا زاد عن (0.70).

تصحيح المقياس:

تكونت الاستبانة في صورتها النهائية من (27) فقرة، حيث استخدم الباحث مقياس ليكرت للتدرج الرباعي، بهدف قياس سلوك أفراد عينة الدراسة، وتمّ إعطاء موافق بشدة (4)، موافق (3)، غير موافق (2)، غير موافق بشدة (1) بوضع إشارة (x) أمام الإجابة التي تعكس درجة الموافقة. كما تمّ الاعتماد على التصنيف التالي للحكم على المتوسطات الحسابية: (1) من 1.00 - 2.00 منخفضة. (2) من 2.01 - 3.00 متوسطة. (3) من 3.01 - 4.00 مرتفعة.

المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة، تمّ استخدام المعالجات الإحصائية من خلال برنامج الرزم الإحصائية (SPSS). وهي: (1) التكرارات والنسب المئوية للمتغيرات الشخصية والوظيفية لأفراد عينة الدراسة. (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن جميع فقرات أداة الدراسة. (3) تحليل التباين (ANOVA) لإظهار الفروق ودلالاتها الإحصائية تبعاً لاختلاف المتغيرات.

عرض النتائج ومناقشتها:

يتضمن هذا العرض نتائج الدراسة، حيث أظهرت النتائج خصائص أفراد العينة، كما في الجدول (1):

الجدول(1): توزيع أفراد العينة تبعاً لمتغيرات الدراسة

المتغيرات	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
عمر الزوجة	26-33 سنة	170	40.6
	34-41	176	42.0
	42-49	73	17.4
	المجموع	419	100.0
المستوى التعليمي للزوجة	أمي	10	2.4
	أقل من ثانوي	112	26.7
	ثانوي	97	23.2
	دبلوم متوسط	76	18.1
	بكالوريوس فأعلى	124	29.6
	المجموع	419	100.0
المستوى التعليمي للزوج	أمي	3	0.7
	أقل من ثانوي	74	17.7
	ثانوي	131	31.3
	دبلوم متوسط	61	14.6
	بكالوريوس فأعلى	150	35.8
	المجموع	419	100.0
الدخل الشهري للأسرة	منخفض (أقل من 500 دينار)	156	37.2
	متوسط (500 _ 1000)	192	45.8
	مرتفع (1000 _ فأكثر)	71	16.9
	المجموع	419	100.0
ما طبيعة عملك؟	قطاع عام	84	20.8
	قطاع خاص	36	8.6
	أعمال حرة	19	4.5
	متقاعدة	10	2.4
	لا أعمل/ ربة منزل	270	63.7
	المجموع	419	100.0

محددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني

المتغيرات	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
ما طبيعة عمل زوجك؟	قطاع عام	219	52.3
	قطاع خاص	87	20.8
	أعمال حرة	72	17.2
	متقاعد	36	8.6
	لا يعمل	5	1.2
	المجموع	419	100.0
عدد الذكور لدى أهل الزوج	أقل أو يساوي خمسة	338	80.7
	أكثر من خمسة	81	19.3
	المجموع	419	100.0
عدد الذكور لدى أهل الزوجة	أقل أو يساوي خمسة	362	86.4
	أكثر من خمسة	57	13.6
	المجموع	419	100.0
نوع الزواج	داخل العائلة	199	47.5
	خارج العائلة	220	52.5
	المجموع	419	100.0
ما عدد الإناث لديك؟	أقل أو يساوي خمسة	376	89.7
	أكثر من خمسة	43	10.3
	المجموع	419	100.0
هل استقبلت طفلك (الأنثى) بفرحة كبيرة؟	نعم	354	84.5
	لا	65	15.5
	المجموع	419	100.0
هل تفضلين إنجاب الذكور على الإناث؟	نعم	333	79.5
	لا	86	20.5
	المجموع	419	100.0
هل تخشين إنجاب طفلة أنثى في المرة القادمة؟	نعم	285	68.0
	لا	134	32.0
	المجموع	419	100.0

المتغيرات	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
هل هناك غيرك في العائلة ليس لديهن مواليد ذكور؟	نعم لا المجموع	236 183 419	56.3 43.7 100.0
ما درجة القرابة إذا كانت الإجابة نعم؟	أولى (الأخوة أو الأخوات) ثانية (العمومة أو الخؤولة) ثالثة (العائلة الكبرى) ليس هناك في العائلة غيري لديه الإناث المجموع	106 82 48 183 419	25.3 19.6 11.5 43.7 100.0
هل اتبعت طرقاً متعددة لإنجاب طفل ذكر؟	نعم لا المجموع	165 254 419	39.4 60.6 100.0

يُظهر الجدول (1) أن نسبة المبحوثات من الفئة العمرية (34-41) عاماً بلغت 42.0%، بينما بلغت المبحوثات من الفئة العمرية (42-49) عاماً ما نسبته 17.4%. وعلى الرغم من أن هذه الأعداد تُظهر تبايناً شاسعاً في التمثيل لمجتمع الدراسة على أساس العدد الكلي للنساء المتزوجات، إلا أن عدد المبحوثات من كل فئة كان محكوماً بإمكانية الوصول إلى العينة المطلوبة (النساء المتزوجات 26 - 49 سنة)، حيث إن تجمع النساء في المكان الجغرافي (المجتمع المحلي) وسهولة التواصل مع النساء المتزوجات اللواتي لديهن خبرة إنجاب الإناث فقط لعب دوراً مهماً في الوصول إلى العينة. ولكن بالمقابل تمت مراعاة تمثيل المستوى التعليمي للزوجة والزوج، حيث إن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لا يكون إلا من خلال تأثير الجنسين في آن معاً، ومن هذا المنطلق، جاءت نسب أفراد فئات التعليم للزوج والزوجة متجانسة أو متماثلة نوعاً ما، ضمن العينة الكلية، باستثناء أفراد فئة الأميين للزوجة بنسبة 2.4%، والزوج بنسبة 0.7%، مما يدل على أن التعليم لعب دوراً أساسياً في المفاضلة الذكورية الأنثوية في المجتمع الأردني.

وعلى الرغم من أن الدراسة الراهنة، هي وصفية في المقام الأول، إلا أنه يُمكن الاستنتاج بأن هناك مستوى متوسطاً من الدخل الشهري للأسرة (500-1000 دينار) بنسبة بلغت 45.8%، مع انخفاض نسبة الدخل المرتفع، لتصل إلى 16.9%، الأمر الذي عمق المستوى الطبقي الاقتصادي المتوسط لدى المبحوثات في ضوء هذه النتيجة. ويُظهر الجدول كذلك أن عمل الزوجة والزوجة وطبيعة عملهما قد شكلا ضغوطات طبقية على الزوجة لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور، حيث يُظهر

يبين المبحوثات ارتفاع في نسبة ربات البيوت، لتصل إلى 63.7%، مع ظهور نسبة 20.8% من المبحوثات يعملن في القطاع العام، كما تأثرت المفاضلة الذكورية الأنثوية بعمل الزوج بنسبة 98.8%، وعمله تحديداً في القطاع العام بنسبة 52.3%، الأمر الذي يُعمق التفاعل بكثافة مع العالم الخارجي بالنسبة للزوج، ومع بقاء الزوجة رهينة الأعمال المنزلية أو الإنجابية.

ويُظهر الجدول كذلك، أن نسبة الذكور لدى أهل الزوج (أقل أو يساوي خمسة) بلغت 80.7%، ونسبة الذكور لدى أهل الزوجة (أقل أو يساوي خمسة) بلغت 86.4%. وقد لعب متغير عدد الإناث لدى الزوجة (أقل أو يساوي خمسة) دوراً فاعلاً في المفاضلة الذكورية الأنثوية بنسبة 89.7%. فضلاً عن ذلك، فقد ضمن الزواج الداخلي لدى المبحوثات مستوى عالياً من التماسك الاجتماعي بنسبة مئوية 47.5%، على الرغم من أن النسبة كانت متقاربة مع الزواج الخارجي 52.5%. في حين كان استقبال المولود الأنثى بفرحة كبيرة مرتفعاً لدى المبحوثات بنسبة 84.5%، إلا أن المبحوثات يفضلن إنجاب الذكور على الإناث بنسبة 79.5%. ومما يدعم ذلك ويؤكد أن المبحوثات يخشين إنجاب طفلة أنثى في المرة القادمة بنسبة 68.0% تحت ضغوطات الوصم الاجتماعي. وهناك مستوى واضح من المبحوثات أجبن بأن هناك نساءً غيرهن في العائلة ليس لديهن أطفال ذكور بنسبة 56.3%، وكان معظم هؤلاء من درجة القرابة الأولى (الإخوة والأخوات). كما يُظهر الجدول أن المبحوثات اتبعن طرقاً متعددة لإنجاب الذكور بنسبة مئوية 39.4% تحت تأثير ضغوطات المكانة الاجتماعية والاقتصادية.

وعلى هذا الأساس، فإن نظرية الوصم الاجتماعي هي جزء من نظرية الدور Role Theory ؛ لأنها تعالج نظرة المجتمع نحو المرأة التي أنجبت الإناث، ومقارنتها مع النظرة التي يحملها المجتمع تجاه تلك المرأة التي لم تنجب الأطفال الذكور. ومن هنا يحدث التفاعل بين المرأة والمجتمع عن طريق الجماعة، بناءً على الانطباع الذي يحمله أفراد الجماعة أو المجتمع نحو المرأة التي أنجبت الإناث. وهذا الانطباع قد يكون انطباعاً إيجابياً أو سلبياً بناءً على السلوك الذي قامت به أثناء وجودها في الجماعة أو المجتمع. (الحسن، 2005: 231-233) وإذا أخذنا بعين الاعتبار كلاً من الدخل، والعمل، والتعليم (المتغيرات المتعلقة بالمستوى الطبقي)، فإنه يظهر لنا أن المبحوثات تتركز في الطبقة الوسطى، وهذا مؤشر على أن المبحوثات تحظى بمستوى اقتصادي - اجتماعي متوسط نسبياً في المجتمع الأردني.

وللإجابة عن "السؤال الأول" تمّ حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمواقف أفراد العينة، كما في الجدول (2):

الجدول(2): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمواقف أفراد عينة الدراسة، نحو تفضيل إنجاب الأطفال الذكور، تبعاً لضغوطات الوصم الاجتماعي

الدرجة	الرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	ضغوطات الوصم الاجتماعي
متوسطة	5	0.82	2.22	أفضل إنجاب طفل ذكر، لأن الأنثى تشعرني بين الناس بـ:
				1. أنني أقل شأناً أو أقل منزلة
متوسطة	6	0.81	2.14	2. أنني مهمشة عائلياً
متوسطة	7	0.82	2.09	3. أن وجودي في العائلة غير مرغوب فيه
متوسطة	4	0.87	2.25	4. إثارة الشفقة في المحيط العائلي
متوسطة	3	0.86	2.29	5. إثارة الاستهزاء والسخرية في المحيط العائلي
متوسطة	2	0.87	2.39	6. اهتزاز مكانتي الاجتماعية بين الناس
متوسطة	1	0.98	2.81	7. غياب من أعتد عليه أو أستند إليه
منخفضة	9	0.85	1.75	8. أن الأنثى هي مظنة (منبع) جلب العار
منخفضة	8	0.88	1.85	9. أنني مهددة بالطلاق أو قرني بزوجة أخرى
متوسطة	-	0.65	2.20	مجال ضغوطات الوصم الاجتماعي ككل

يُظهر الجدول (2) أن المتوسطات الحسابية لمواقف أفراد عينة الدراسة نحو تفضيل إنجاب الأطفال الذكور تبعاً لضغوطات الوصم الاجتماعي تراوحت بين (1.75-2.81)، حيث جاءت الفقرة (7): أفضل إنجاب طفل ذكر، لأن الأنثى تشعرني بين الناس بغياب من أعتد عليه أو أستند إليه، بالمرتبة الأولى وبمتوسط حسابي (2.81) وبدرجة متوسطة. وجاءت بالمرتبة الأخيرة الفقرة (8): أن الأنثى هي مظنة (منبع) جلب العار، بمتوسط حسابي (1.75) وبدرجة منخفضة، وبلغ المتوسط الحسابي لضغوطات الوصم الاجتماعي ككل (2.20) وبدرجة متوسطة. وتختلف هذه النتيجة مع نتيجة الحالة (4) وهي (عمرها 25 سنة، ولديها طفلتان، وحاصلة على الشهادة الجامعية، ولا تعمل)، والتي قالت: "إن وجود الأنثى لا يشعرني بين الناس أنني أقل شأناً من النساء اللواتي لديهن الذكور، غير أنني أفتقد من أعتد عليه أو أستند إليه في كبري، ولا أشعر أن زوجي مهدد بالطلاق لأنني لم أنجب له الأطفال الذكور". كما تتفق النتيجة مع الحالة (1)، وهي (عمرها 34 سنة، ولديها أربع إناث، وحاصلة على الشهادة الثانوية، ولا تعمل) والتي قالت: "إنني أفضل إنجاب طفل ذكر، لأن الأنثى تشعرني بين الناس بإثارة الشفقة في محيطي العائلي، وباهتزاز مكانتي الاجتماعية، وأن وجودي في العائلة سوف يكون غير مرغوب فيه من قبل والدة زوجي أو أخواته".

وتختلف هذه النتيجة مع دراسة (Iseri,etal,2012) بأن المفاضلة الذكورية الأنثوية للمرأة التركية جاءت لصالح إنجاب الإناث بدرجة متوسطة. كما أظهرت دراسة (Farris,etal,2009) أن إنجاب المرأة الأمريكية للإناث لم يُشعرهن بالدونية. في حين كشفت دراسة (Vidit,etal,2012) أن المفاضلة الذكورية الأنثوية لدى النساء الهنديات كانت بدرجة ضعيفة، كما أنهن يخشين التخلص من الجنين بسبب ضغوطات الوصم الاجتماعي. وأظهرت دراسة (Kentil,2014) أن تفضيل إنجاب الذكور لدى المرأة التركية كان مقيداً بضغوطات الوصم الاجتماعي. وأخيراً أظهرت دراسة (Andersson,etal,2009) عدم وجود تأثير لضغوطات للوصم الاجتماعي على تفضيل إنجاب الذكور على حساب الإناث في بلدان شمال أوروبا.

وعلى هذا الأساس، فإن السؤال حول النجاح في تحقيق الهدف لإنجاب الأطفال الذكور على حساب الإناث، أثار مسألة الوضوح أو الرؤية Visibility لوصمة العار، أي هل يتكيف الموصوم مع الوصمة لتوفير وسائل التواصل مع العاديين؟ وتعد الرؤية عاملاً حاسماً يمكن إبلاغها إلى النساء اللواتي أنجن الإناث في كل الأوقات خلال تجوالهن اليومي مع النساء اللواتي أنجن الذكور. ولهذا، فإن المعلومات المألوفة أو المتوفرة عن النساء اللواتي أنجن الأطفال الذكور هي الأساس الذي يجب أن تعتمد عليه الموصومات اللواتي أنجن الأطفال الإناث، عندما يقررن المسار الذي يسرن فيه بالنسبة لهذه الوصمة التي يعيشن فيها. (Goffman,2003:131-133) وعلى الرغم من أن إنجاب الإناث لدى النساء الأردنيات يُشعرهن بغياب من يعتمدن عليه أو يستندن إليه، إلا أن تأثير ضغوطات الوصم الاجتماعي لإنجاب الأطفال الذكور كان بدرجة متوسطة.

وللإجابة عن "السؤال الثاني" تمّ حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمواقف أفراد العينة، كما في الجدول (3):

الجدول(3): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمواقف أفراد عينة الدراسة، نحو تفضيل إنجاب الأطفال الذكور، تبعا لمؤشرات المكانة الاجتماعية

مؤشرات المكانة الاجتماعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
أفضل إنجاب طفل ذكر؛ لأنه:	3.19	0.72	1	مرتفعة
1. يُخلد اسم أبيه				
2. المحافظ على شرف العائلة	2.96	0.82	4	متوسطة
3. يرفع قيمه الوالدين مجتمعيا	2.99	0.77	3	متوسطة
4. مصدر سعادة الوالدين وفخرهما	3.01	0.76	2	مرتفعة
5. يمنع الكنية بأب "فلانة"	2.95	0.82	5	متوسطة
6. معتمد الوالدين في شيخوختهما	2.90	0.80	7	متوسطة
7. المعين لهيبة العائلة وعزوتها	2.95	0.74	5	متوسطة
8. الضامن لخدمة الوالدين عند مرضهما	2.79	0.80	8	متوسطة
9. المحافظ على حماية الزوجة من الطلاق	2.21	0.87	9	متوسطة
مجال المكانة الاجتماعية ككل	2.88	0.59	-	متوسطة

يُظهر الجدول (3) أن المتوسطات الحسابية لمواقف أفراد عينة الدراسة نحو تفضيل إنجاب الأطفال الذكور تبعا لمؤشرات المكانة الاجتماعية تراوحت بين (2.21- 3.19)، حيث جاءت الفقرة (1): أفضل إنجاب طفل ذكر لأنه يخلد اسم أبيه، بالمرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.19) وبدرجة مرتفعة. وبالمرتبة الأخيرة الفقرة (9): أفضل إنجاب طفل ذكر لأنه المحافظ على حماية الزوجة من الطلاق، بمتوسط حسابي (2.21) وبدرجة متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي لفقرات المكانة الاجتماعية ككل (2.88) وبدرجة متوسطة. وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة الحالة (3) وهي (عمرها 42 سنة، ولديها ست إناث، وحاصلة على شهادة الثانوية عامة، ولا تعمل) والتي قالت: "إنني أفضل إنجاب طفل ذكر لأنه يمنع من مناداتي بأب فلانة، وكونه هو المحافظ على هيبة العائلة أو عزوتها، وهو الضامن لخدمة الوالدين في حالة مرضهما أو عجزهما أو شيخوختهما". ولا تتفق مع الحالة (5) وهي (عمرها 33 سنة، ولديها ثلاث بنات، وأقل من ثانوي، ولا تعمل) والتي قالت: " إنني أفضل إنجاب الأطفال الإناث بغض النظر عن نظرة المحيطين إلى الذكر، فالأنثى يمكن أن ترفع من قيمتنا أكثر من الذكر، وقد يُعتمد عليها في مرضنا أو عجزنا أكثر من الذكر..

كما أنني أشعر عندما أنجب طفلة أنثى بالشماتة من حولي، وبعد أن تكبر طفلاتي وتتعلم أشعر أن من حولي يحسدوني عليها".

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (كرادشة وسهاونة، 2005؛ 2010) بأن المفاضلة الذكورية الأنثوية للنساء الأردنيات كانت مبنية على التفاهم بين الزوجين. كما بينت دراسة (Jeffrey, etal, 2011) أن النساء الهنديات ينظرن إلى الذكر كمصدر سعادة العائلة. وهذا ما أكدته دراسة (Weible, 2013) بأن المفاضلة الذكورية الأنثوية لدى النساء الأمريكيات ارتبط بمعايير الكلفة والفائدة. وأظهرت دراسة (Cridland, 2014) أن المفاضلة الذكورية الأنثوية لدى النساء الأستراليات ارتبطت بضغوطات المكانة الاجتماعية. كما كشفت دراسة (Sommer, etal, 2014) أن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء الترنانيات ارتبط بالصيغ الذكورية. وكشفت دراسة (Perry, etal, 1999) أن المشاركة الرياضية للمرأة الأمريكية الحامل بالذكر أقل من الحامل بالأنثى.

إن نظرية الوصم الاجتماعي، تُظهر لنا أهمية بالغة في السيطرة على الدور الموصوم (المرأة التي أنجبت الإناث) والدور العادي (المرأة التي أنجبت الذكور) من خلال تحليل السخرية القادمة من خلف المشاهد، وعادة ما يُقلد الموصوم في الظروف المشابهة العاديين، ويمثل الموصوم بطريقة فكاهية مشاهد الإهانات أو انتقاص القيمة من العاديين، في حين يؤثر الموصوم على الدور التكميلي لخطوة معينة ثم يثور في التمرد أو العصيان في بعض الحالات. ولا تُعد الفكاهة أو السخرية من الموصوم نوعاً من الحالات أو الأمراض أو السلوكيات أو المعرفة التي يمتلكها عن نفسه، بل إن الموصوم هو ذلك الشخص المنبوذ أو غير المرغوب فيه بحسب نظرة الآخرين إليه، كونه يختلف عنهم بأنه يمتلك سبباً خاصاً لمقاومة الوصمة أثناء وجودهم. (Farberman & Perinbanayagamm, 1985:253-256).

وللإجابة عن "السؤال الثالث"، تمّ حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمواقف أفراد العينة، كما في الجدول (4):

الجدول (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمواقف أفراد عينة الدراسة، نحو تفضيل إنجاب الأطفال الذكور، تبعا لمؤشرات المكانة الاقتصادية

مؤشرات المكانة الاقتصادية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
أفضل إنجاب طفل ذكر؛ لأنه:				
1. يعتمد على نفسه في تأمين بعض الحاجات المادية	2.90	0.69	4	متوسطة
2. الرافد المادي للأسرة في حال عجز ربها (معيّلها)	2.91	0.71	3	متوسطة
3. الوريث المحافظ على ثروة العائلة	2.90	0.75	4	متوسطة
4. يحمي اقتصاد العائلة في حال تعرضها لأية أزمة	2.87	0.75	7	متوسطة
5. يحافظ على ثروته العائلة من انسيابها لأزواج البنات	2.71	0.85	8	متوسطة
6. مسير الأمور المادية للعائلة في حال عجز الوالدين	2.88	0.73	6	متوسطة
7. يسهم في تلبية بعض الحاجات المادية للعائلة	2.94	0.73	1	متوسطة
8. يقوم بمهام الوالد المادية في حال الوفاة	2.93	0.75	2	متوسطة
9. المدبر الرئيس لأمور العائلة المادية	2.64	0.74	9	متوسطة
مجال المكانة الاقتصادية ككل	2.85	0.56	-	متوسطة

يُظهر الجدول (4) أن المتوسطات الحسابية لمواقف أفراد عينة الدراسة نحو تفضيل إنجاب الأطفال الذكور تبعا لمؤشرات المكانة الاقتصادية تراوحت بين (2.64-2.94)، حيث جاءت الفقرة (7): أن الذكر يُسهم في تلبية بعض الحاجات المادية للعائلة، بالمرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.94) وبدرجة متوسطة، وبالمرتبة الأخيرة الفقرة (9): أن الذكر هو المدير الرئيس لأمور العائلة المادية، بمتوسط حسابي (2.64)، وبدرجة متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي للمؤشرات المكانة الاقتصادية ككل (2.85) وبدرجة متوسطة. وتتفق هذه النتيجة مع ما قالته الحالة (2) وهي (عمرها 20 سنة، ولديها طفلتان، وحاصلة على شهادة الثانوية عامة، ولا تعمل): "إنني لا أفضل إنجاب طفل ذكر كونه المعين للأسرة، أو المؤمن لحاجاتها، أو المسير لأمورها المالية،

ولكن قد يكون المدبر الرئيس لأمر العائلة المادية الأنثى أكثر من الذكر، وهناك الكثير من الذكور غير مؤهلين للقيام بذلك". وتتفق مع الحالة (6)، وهي (عمرها 28 سنة، ولديها ثلاث بنات، وحاصلة على الشهادة الجامعية، وتعمل في القطاع العام)، التي قالت: "إنني أفضل إنجاب الذكر ليس لأسباب اقتصادية، بقدر ما هو شعور داخلي يدفعني إلى تفضيل الطفل الذكر على الأنثى، مع العلم أن الأنثى قادرة على توفير مستلزمات المنزل كما هو الحال بالنسبة للذكر، خصوصا مع خروج المرأة للعمل، أو حصولها على التعليم العالي الذي أعطاهما فرصة أكبر لاتخاذ القرارات الإنجابية بشكل مستقل عن سيطرة الرجل". وتختلف هذه النتيجة مع دراسة (المصاروة، 2013) بأن المفاضلة الذكرية الأنثوية لدى النساء الأردنيات كانت مقيدة بمؤشرات المكانة الاقتصادية بدرجة مرتفعة. علما أن دراسة (Kurishi, 2011) أظهرت أن المفاضلة الذكرية الأنثوية لدى المرأة اليابانية التي لديها طفلان ذكران أقل من المرأة التي لديها طفلة أو طفلتان؛ لدوافع اقتصادية. وأظهرت دراسة (Arrondel, 2013) أن عوامل التحضر والتحديث أسهمت في تلاشي ظاهرة المفاضلة الذكرية الأنثوية لدى النساء الفرنسيات.

وما يمكن الكشف عنه أن إدارة التوتر أو الارتباك Tension Management وإدارة المعلومات Information Management قد تمّ تأكيدها من حيث كيفية تقديم الموصوم (المرأة التي أنجبت الإناث) للآخرين (المحيطين) ذاتا مشكوكا فيها وموضوعا للإساءة أو سوء السمعة اجتماعيا كونها لم تنجب الطفل الذكر. فالموصوم والطبيعي The Stigmatized & The Normal هما مكمل أحدهما للآخر، فإذا كان أحدهما قابلا للجرح أو الانهيار فالآخر أيضا مثله، وهكذا أثناء انتساب الهويات للنساء سواء كنّ سيئات السمعة أو غير ذلك، فإن المحيط الاجتماعي الأوسع أو المقيمات فيه (المجتمع المحلي) سوف يَكُنْ قد توصلن إلى حل وسط فيما بينهنّ (Goffman, 1986:135-136) وعلى الرغم من أن الطفل الذكر يُسهم في تلبية بعض الحاجات المادية للعائلة، ويقوم بمهام الوالد المادية في حال الوفاة، إلا أن هذه الضغوطات لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى المبحوثات كانت بدرجة متوسطة.

وللإجابة عن "السؤال الرابع" تمّ تطبيق تحليل التباين (ANOVA)، لإيجاد الفروق ودلالاتها الإحصائية بين مواقف أفراد العينة نحو تفضيل إنجاب الذكور تبعا لاختلاف المتغيرات، كما في الجدول (5):

الجدول (5): الفروق ودلالاتها الإحصائية بين تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لأفراد العينة، وبين ضغوطات الوصم الاجتماعي، ومؤشرات المكانة الاجتماعية، والمكانة الاقتصادية، تبعا لاختلاف المتغيرات

المتغير	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "f"	دلالة "f" الإحصائية
عمر الزوجة	0.138	2	0.069	0.430	0.653
المستوى التعليمي للزوجة	0.486	4	0.121	0.755	0.558
المستوى التعليمي للزوج	0.617	3	0.206	1.279	0.289
الدخل الشهري للأسرة	0.382	2	0.191	1.189	0.311
عمل الزوجة	0.580	3	0.193	1.202	0.316
عمل الزوج	0.330	3	0.110	0.685	0.565
عدد الذكور لدى أهل الزوج	0.029	1	0.029	0.179	0.674
عدد الذكور لدى أهل الزوجة	1.012	1	1.012	6.292	0.015
نوع الزواج	0.066	1	0.066	0.407	0.526
عدد الإناث	0.215	1	0.215	1.339	0.252
استقبال الأنثى	0.053	1	0.053	0.332	0.567
تفضيل إنجاب الذكور	0.085	1	0.085	0.527	0.471
الخشية من إنجاب أنثى	0.008	1	0.008	1.052	0.821
درجة القرابة	0.055	2	0.027	0.170	0.844
اتباع الطرق لإنجاب طفل ذكر	1.256	1	1.256	7.811	0.007
الخطأ	10.133	64	0.161		
المجموع المصحح	19.218	90			

يُظهر الجدول (5) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين تفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى أفراد العينة. ومؤشرات الأداة ككل تعزى إلى تغيرات: (عمر الزوجة، المستوى التعليمي للزوجة، المستوى التعليمي للزوج، الدخل الشهري للأسرة،

طبيعة عمل الزوجة، طبيعة عمل الزوج، عدد الذكور لدى أهل الزوج، نوع الزواج، عدد الإناث لدى الزوجة، استقبال الأنثى، تفضيل إنجاب الذكور، الخشية من إنجاب أنثى، وأخيرا درجة القرابة، حيث لم تصل قيمة (f) إلى مستوى الدلالة الإحصائية. كما يبين الجدول السابق، وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تفضيل إنجاب الذكور لدى أفراد العينة ومؤشرات الأداة ككل تعزى أولا إلى متغير (عدد الذكور لدى أهل الزوجة)، حيث بلغت قيمة (f) (6.292) وبدلالة إحصائية (0.015)، لصالح عدد الذكور (أكثر من خمسة) حيث بلغ المتوسط الحسابي (2.81)، وتعزى ثانيا إلى متغير (اتباع الطرق لإنجاب طفل ذكر)، حيث بلغت قيمة (f) (7.811) وبدلالة إحصائية (0.007)، ولصالح الإجابة (نعم) حيث بلغ المتوسط الحسابي (2.91).

وتختلف هذه النتيجة مع دراسة (كرادشة ومصاروة، 2005) في أن هناك علاقة بين تفضيل إنجاب الذكور لدى النساء الأردنيات ومتغير مكان الإقامة ودرجة القرابة بين الزوجين. كما تختلف مع دراسة (Mitra,2014) بأن هناك علاقة بين تفضيل إنجاب الذكور لدى النساء الهنديات ومتغيرات التعليم والعناية الصحية وزيادة الدخل. وتختلف أيضا مع نتيجة دراسة (Knight,etal,2010) بأن المفاضلة الذكرية الأنثوية لدى النساء الصينيات كانت مقيدة بالدخل الشهري المرتفع. لكنها تتفق مع دراسة (Arronel,2003) بأن هناك علاقة بين المفاضلة الذكرية الأنثوية لدى النساء الفرنسيات وبين متغير الدخل الشهري الأسري. وتختلف مع دراسة (Adebowale,etal,2014) في أن هناك علاقة بين المفاضلة الذكرية الأنثوية ومتغيرات العمر ونوع الزواج والدخل والمهنة.

وتختلف النتيجة أيضا، مع دراسة (Ahmadi,etal,2015) في أن هناك علاقة بين المفاضلة الذكرية الأنثوية لدى النساء الإيرانيات ومتغير التعليم. وتأسيا بذلك، فإن تفضيل إنجاب الأطفال الذكور كان مقيدا بضغطات الوصم الاجتماعي بدرجة متوسطة، ربما بسبب نظام التودد الذي يمكن أن يقوم على نظرة الرجل إلى المرأة القوية، ونظام الكياسة الذي يمكن أن يقوم على نظرة الرجل إلى المرأة الضعيفة، كما أن الصيغ الذكرية والصيغ الأنثوية يمكن أن ترتبطا بتوقعات اجتماعية تعكس البنية المجتمعية المتأثرة بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الأردني، وتأثيرها على القرارات الإنجابية للنساء القيمات في المجتمعات القروية أو المحلية من المجتمع الأردني.

خاتمة واستنتاجات عامة:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن محددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني، وتفرع عن هذا الهدف العام أربعة تساؤلات فرعية، تمّ طرحها بعد مشكلة الدراسة. وقد اشتملت عينة الدراسة على (419) امرأة متزوجة، ممن أنجن

الإناث فقط، والمقيمات مع أزواجهن في المجتمعات القروية أو المحلية المحيطة بمدينة إربد، واللواتي تمتد أعمارهن بين (26-49) سنة، وهي عينة قصدية مشروطة، شرطها الأول أنها من الإناث فقط، والشرط الثاني أنها من النساء اللواتي لديهن الخبرة الإنجابية. وهن يُمثلن إطار عينة الدراسة في المناطق (المحلية) المحيطة بمدينة إربد.

وقد أظهرت النتائج (ذات الطبيعة الوصفية) أن أفراد العينة ما زلن يفضلن إنجاب الأطفال الذكور بدرجة متوسطة. وقد ارتبط أفراد العينة في تفضيل إنجاب الطفل الذكر بمؤشرات المكانة الاجتماعية بمتوسط حسابي (2,88) وبدرجة متوسطة، ومؤشرات المكانة الاقتصادية بمتوسط حسابي (2,85) وبدرجة متوسطة، تلتها ضغوطات الوصم الاجتماعي بمتوسط حسابي (2,20) وبدرجة متوسطة. وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية في تفضيل إنجاب الذكور لدى أفراد العينة تعزى إلى متغيري عدد الذكور لدى أهل الزوجة واتباع الطرق لإنجاب طفل ذكر، باستثناء المتغيرات الواردة في الدراسة. ويمكن تقديم "الاستنتاجات" الآتية:

أولاً: على الرغم من تعميم التعليم وخروج المرأة الأردنية للعمل إلا أنها ما زالت تعيش في مجتمع (محلي) ينظر إليها نظرة دونية تقريباً، في ظل الحاجة الماسة إلى الذكر (الرجل) لتأمين حاجات المنزل، وقد عزز هذا الوضع عاطفة الميل إلى الذكور، وتفضيل إنجابهم دون الإناث، لتفوقهم في تدبير شؤون الحياة، كما يعتقدون. فالأعراف الأردنية ما زالت تؤكد أفضلية الذكر على الأنثى بدرجة متوسطة (وفقاً للنتائج)، إذ إن تعميم العمل والتعليم قد حدّ من تحميل المرأة مسؤولية إنجاب الإناث وتبعاتها تقريباً. كما أن ارتباط المرأة الأردنية بمضنة جلب العار قد خفّت أو لم يعد لها وجودٌ مثلما كان سابقاً في المجتمع الريفي (طبقاً للنتائج). كما أن قوامة الرجل على المرأة وقيادته للأسرة لم تعد كما كانت منذ نهايات القرن الماضي تقريباً، إذ إن العولمة والإنترنت والتعليم والعمل (الوضع الطبقي)، قد حدّت من ظاهرة تفضيل إنجاب الأطفال الذكور دون أن يلغيها تماماً.

ثانياً: لقد أعطت السيطرة على التناسل أو التوالد في المجتمع الأردني النساء فرصاً أكثر في كيفية إدارة حياتها ومعيشتها، بعيداً عن ضغوطات المكانة الاجتماعية والاقتصادية والوصم الاجتماعي بدرجة متوسطة. وقد خففت العائلة تبعاً لذلك من أدوار الجنس التقليدية؛ لأنها أصبحت معتمدة أكثر على المؤهلات الفردية، وقد تضيّع الأدوار القاسية أو المنغلقة كمية كبيرة من المواهب النسائية، فالتغير ربما هو قادم ببطء لأن الجنس متجذر بعمق في الثقافة الأردنية. (أنظر: خمش، 1994)

ثالثاً: يمكن أن يُساعد الجنس على التكامل في المجتمع الأردني، لأنه يُنشئ مجموعة تكميلية من الأدوار التي تربط الذكور بالإناث لتشكيل وحدات عائلية فيما بعد، وقد تعطي كل

جنس مسؤولية تنفيذ واجبات مهمة داخل الجماعة. وقد أخذت العينة دور القيادة في إدارة الشؤون المنزلية أو تربية الأطفال، في حين ربط الرجال العائلة بالعالم الخارجي في قوة العمل.

رابعاً: إن الأنوثة في المجتمع الأردني هي نافذة للوضع الراهن، وقد تدفع بقوة نحو التغيير لاتجاه المساواة بين الرجال والنساء، إذ قد نلاحظ سيطرة النساء الأردنيات على حريتهن في الإنجاب أو الولادة بدرجة متوسطة، وقد يدعم ذلك بالنسبة إلى النساء فكرة تنظيم الحمل أو الإنجاب بحرية أكثر في المستقبل.

خامساً: يمكن أن يُلصق المجتمع الأردني كله رسمياً هذه الوصمة بالمرأة التي أنجبت الإناث عن طريق ما يمكن تسميته بـ "مراسيم الدونية". وعندما يُلصق الناس الوصمة بهذه المرأة، فإنهم قد يشتركون معاً فيما يمكن تسميته بـ "بالاستعادية" في تفسير ماضي هذه المرأة التي انحرفت عن إنجاب الأطفال الذكور. فالناس يمكن أن يشتركوا معاً فيما يمكن تسميته بـ "التعريف الإبرازي" للمرأة الموصومة، باستخدام هوية هذه المرأة التي لم تنجب الذكور للتنبؤ بأعمال أو أشياء مستقبلية. وقد تحرف هذه التسمية الاستعادية سيرة ما بأسلوب اختباري، وقد تعمق بطريقة نموذجية الهوية الجنسية أو النوعية في المجتمع الأردني.

سادساً: على الرغم من أن الدراسة الراهنة، تشتق المقدمات التفسيرية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور من "نظرية الوصم الاجتماعي" وتطبيقاتها، إلا أن النتائج التي تمخضت عنها يمكن أن تطرح تساؤلات بالغة الأهمية، حول محددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني، مما قد يجعل نظرية الوصم الاجتماعي أكثر مقدرة في تفسير التغيرات التي قد تطرأ على البنى الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وعلاقته بمحددات الانقطاع أو الاستمرارية لتفضيل إنجاب الأطفال الذكور لدى النساء في المجتمع الأردني.

The Determiners of Termination or Continuation Giving Birth to Male Babies among Women in Jordan

AbdelBaset A. Al-Azzam, *Sociology and Social Service Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims at finding out what determines stopping or continuing giving birth to male babies among women in Jordan.

The sample of the study consisted of (419) married women, aged 26-49 years old, who only gave birth to female babies and live in local communities surrounding Irbid. The result showed that preferring giving birth to male babies among the sample was moderately determined by the following: first, social class; second, economic situation; third, social pressure or stigma. The study has concluded that there are significant statistical differences for preferring male babies to female ones due to the number of boys among the wife's family and following certain ways to give birth to boys with the exception of other variables mentioned in the study.

Key words: Conceiving Children, Termination of Conceiving Children, Continuity of Conceiving Children.

المراجع العربية:

أبو بكر الانباري. (2003). *المعلقات السبع*، إعداد ومراجعة: محمد عبد العزيز جمعة، الكويت، مكتبة الكويت الوطنية: 2016 / 1/26:

(<http://www.albahrainlibrary.org.kw/new/main/publish/73.pdf>)

احسان، محمد الحسن. (2005). *النظريات الاجتماعية المتقدمة: دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة*، عمان، دار وائل للنشر.

بركات، حليم. (2001). *المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي*، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

حداد، مهنا. (1991). *تمأسس النظام وتشكيل المجتمع في الأردن بين الواقع والاتجاهات*، جامعة اليرموك، إربد.

خمش، مجدي الدين. (1994). *الأسرة والأقارب*، منشورات الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، عمان.

خمش، مجدي الدين. (1999). *علم الاجتماع، الموضوع، والمنهج*، مجلدي للنشر والتوزيع، عمان.

دائرة الإحصاءات العامة. (2015). *الأردن بالأرقام لعام 2014*، عمان.

شرابي، شرابي. (1991). *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، بيروت، دار الطليعة.

العقاد، عباس محمود. (1977). *المرأة في القرآن*، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

كرادشة، منير. (2013). *العنف الأسري: سوسيولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة*، إربد، عالم الكتب الحديث.

كرادشة، منير. (2013ب). *المدخل إلى علم السكان*، إربد، عالم الكتب الحديث.

كرادشة، منير، وعيسى مصاروة. (2005). *المتلازمات الديموغرافية لتفضيل إنجاب الذكور في الأردن*، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (3) ب، العدد (21): 775-809.

- كرادشة، منير، وفوزي سهاونة. (2010). قرارات الأزواج الإنجابية وعلاقتها بالخصوبة الزوجية في الأردن، *المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية*، المجلد (3)، العدد (1): 1-25.
- المصاروة، عيسى. (2013). المحددات المباشرة لاستقرار مستويات الإنجاب في الأردن، *المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية*، المجلد (6)، العدد (1): 89-90.

المراجع الإنجليزية:

- Adebowale S.A. Yusuf O.B, & Palmuleni E.A.(2014). Childs Gender Preferences: What is the Regional Situation Among Women in Nigeria? *Journal Gender and Behavior*,12,(3):5868-5884
- Ahmadi Seyedeh Fatemeh, Mahdi Shirzad, Koorosh Kamali, Fahimeh Ranjbar, Zohreh Behjati-Ardakani & mohammd Mehdi akhondi.(2015).Attitudes About Sex Selection and Sex Preference In Iranian Couples Referred For Sex Selection Technology, *Journal Repord Infertile*,16,(1):36-42
- Andersson Gunnar, Karsten Hank, Marit Ronsen, & andres Vikat.(2006). Gendering Family Composition: Sex Preferences for Children and Childbearing Behavior in the Nordic Countries, *Demography*,43,(2):255-267
- Arrondel Luc.(2013). Are" Daddy's Boys" Just As Rich as Daddy? The Transmission Of Values Between Generations0, *J Econ In Equal*, 11, (4): 439-471
- Becker Stephen P, Keith Mcburentt, Stephen P, Hinshaw & Linda J, Pfiffner.(2013).Negative Social Preference in Relation to Internalizing Symptoms Among Children with ADHD Predominantly Inattentive Type: Girls Fare Worse Than Boys, *Journal Of Clinical Child and Adolescent Psychology*, 42,(6):784-795
- Bedre Rahul & Harsha Solanki.(2014). A Cross Sectional Study on Awareness of Sex Determination Techniques and Gender Preference Among Married Women in an Urban Slum Of Maharashtra, *National Journal of Community Medicine*, Vol.5,(1):85-89
- Cridland Elizabeth K, Sandra C. Jones, Peter Caputi & Christopher A. Magee.(2014).Being A Girl in a Boys World: Investigating The Experiences of Girls With Autism Spectrum Disorders Adolesences, *J Autism Dev Disord*,44 (1):1261-1274.

- Cronk, Lee.(2007). Boy or Girl: Gender Preferences from a Darwinian Point of View, *Ethics. Bioscience and Life*,2,(3):3: 23-32
- Deegan. Mary & Michael Hill.(1987)."*Women and Symbolic Interaction*", Boston Allen and Unwin Inc. London.
- Emolu Esra.(2014). Play, Toys and Gender Socialization, *Journal Plus Education*, 1,(2):22-30
- Farberman. Harvey & R.S. Perinbanayagam. (1985)."*Studies in Symbolic Interaction: Foundation of Interpretive Sociology: Original Essays in Symbolic Interaction*", Jai Press Inc. London
- Farris Pamela J, Donna E. Werderich, Pamela A. Nelson & Carol Fuhler. (2009). Male Call: Fifth-Grade Boys Reading Preferences, *the Reading Teacher*, 63(3):180-188.
- Goffman. Erving.(1967). "*Interaction Rituals: Essays on Face-To-Face Behavior*", Pantheon Books, New York.
- Goffman Erving.(1974). "*An Essay on the Organization of Experience: Frame Analysis*", Northeastern University Press, Boston.
- Goffman Erving.(1986). "*Stigma: Notes on The Management of Spoiled Identity*", First Edition, A Touchstone Book, Published By Simon and Schuster, INC, New York
- Goffman Erving.(2003). "*Exploring the Interaction Order*", Polity Press, Cambridge,
- Helle. Horst,(2005). "*Studies in Sociology: Symbols, Theory and Sociology*", Symbolic Interaction and Verstehen, New York
- Hofstede, Geert.(2001). "*Cultures Consequences: Company Values. Behaviors, In Situations, and Organizations Across Nations*", 2nd edn, Thous and Oaks, California.
- Iseri Elvan, Nermin Gurhan, Azize Atli Ozbas & Burcu Akin Sari.(2012). Preferences for Sex of Firstborn Child Among Primiparous Turkish Women, *Psychological Reports: Sociocultural Issues In Psychology*, 111,(1):165-172
- Jeffrey Edmeads, Rohini Prabha Pande,Tina Falle & Suneeta Krishnan.(2011). Son Preference and Sterilisation Use Among Young Married Women In Two Slums In Bengaluru City, India, *Global Public Health*,6,(4):407-420
- Kentli Fulya Damla.(2014). Perceived Influences In Vocational Preferences of Turkish High School Students, *KEFAD*,15,(2):119-132.

- Kim Sung Won & Vanessa L. Fong.(2014). A Longitudinal Study of Son and Daughter Preference Among Chinese Only-Children From Adolescence to Adulthood, *The China Journal*.(71):1324-9347
- Knight John, Lishi & Deng Quheng.(2010). Son Preference and Household Income In Rural China, *Journal of Development Studies*,46,(10):1786-1805.
- Kureishi Wataru & Midori Wakabayashi.(2011). Son Preference in Japan, *J Popul Econ* ,(24):873-893
- Leigh, andrew.(2009). Does Child Gender Affect Marital Status? Evidence From Australia, *J Popul Econ*,(22):351-366
- Lokare Pushpa Omprakash, Vinod Deorao Karanjeker & Ajay Keshav Jawarkar.(2014). Determinants of Gender Preference and its Association with Reproductive Behavior Among Pregnant Women, *Indian Journal of Community Health*, Vo.26.(03),pp:268-272.
- Macionis, John J.(2012). *Sociology*, Fourteen Edition, Knyon College, Upper Saddle River, New Jersey .
- Mitra Aparna.(2014). Son Preference in India: Implications for Gender Development, *Journal of Economic Issues*, XLVIII,(4):1021-1029
- Perry Deborah, Janet Dipietro & Kathleen Costigan.(1999). Are Women Carrying Basketballs Really Having Boys? Testing Pregnancy Folklore, *Blackwell Science*, Inc,26,(3):172-182
- Rousseau. Nathan,(2002). “*Self, Symbols, and Society: Classic Readings In Social Psychology*”, Row man and Littlefield Publishers, Inc, New York.
- Sommer Marni, Samuel Likindikoki & Kaaya S.(2014). Tanzanian Adolescent Boys Transitions Through Puberty: The Importance of Context, *American Journal of Public Health*,104,(12):2290-2297
- Vidit Khandelwal, Chakole S.warupa, Gupta Harshal & Mehta Satish.(2012). Gender Preference, Attitude and Awareness Regarding Sex Determination Among Married Women Attending General OPD and Antenatal Clinic of RDGMC Ujjain, MP, India, *National Journal Of Community Medicine*, 3,(2):269-282.
- Weible Daniela.(2013).Gender-Driven Food Choice: Explaining School Milk Consumption of Boys and Girls, *J Consum Policy*,(36):403-423

التشكيل الصوتي لبنية الفعل في العربية

عبد القادر مرعي بني بكر*

تاريخ الاستلام 2016/4/27

تاريخ القبول 2016/7/11

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة البنية الصوتية للفعل في العربية وتحليلها، في ضوء القوانين الصوتية الحديثة، كالمماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية وقانون المزدوج الحركي والنظام المقطعي للبنية العربية. وكشفت الدراسة أن هذه القوانين شكلت بنية الفعل بطريقة يستسيغها الذوق العربي، وتتسجم مع النظام الصوتي للعربية، إذ أثر كل من قانوني المماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية في بنية الفعل الصحيح، بينما تأثر الفعل المعتل بالمزدوج الحركي.

التمهيد:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة البنية الصوتية للفعل في العربية، وبيان التغيرات الصوتية التي تطرأ على أبنيتها الأصلية حتى صارت إلى ما آلت إليه من أبنية وأوزان صرفية.

وقد درس الباحث هذه الأبنية والأوزان في ضوء النظام المقطعي الصوتي للعربية، وفي ضوء التخلص من المزدوج الحركي، الذي يعد مظهراً من مظاهر السهولة والتيسير، وفي ضوء قانوني المماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية.

فالمقطع الصوتي عبارة عن تتابعات صوتية من الصوامت والحركات تخرج دفعة واحدة مصحوبة بكمية من الهواء، أو هو تتابعات صوتية من الصوامت والحركات تخرج دفعة واحدة مصحوبة بكمية من الهواء، أو هو تتابعات مختلفة من السواكن والعلل⁽¹⁾، ويوجد في العربية ستة أنواع من المقاطع الصوتية على النحو التالي⁽²⁾:

1- مقطع قصير مفتوح، ويتكوّن من صوت صامت + حركة قصيرة، ورمزه (ص ح) نحو: (ق)، و(ع).

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

- 2- مقطع طويل مفتوح، ويتكوّن من صوت صامت + حركة طويلة، ورمزه (ص ح ح) نحو: با، بو، بي.
 - 3- مقطع قصير مغلق بصامت، ويتكوّن من صوت صامت + حركة قصيرة + صوت صامت، ورمزه (ص ح ص) نحو: مِن، وَعَن.
 - 4- مقطع طويل مغلق بصامت، ويتكوّن من صوت صامت + حركة طويلة + صوت صامت، ورمزه (ص ح ح ص) نحو: باب، ودار، في حالة الوقف.
 - 5- مقطع مديد، أو قصير مغلق بصامتين، ويتكوّن من صوت صامت + حركة قصيرة + صوت صامت + صوت صامت، ورمزه (ص ح ح ص) نحو: هِنْد، وَبَحْر، في حالة الوقف.
 - 6- مقطع متماد، أو طويل مغلق بصامتين، ويتكوّن من صوت صامت + حركة طويلة + صوت صامت + صوت صامت، ورمزه (ص ح ح ص ص) نحو: ضال، وشاد، في حالة الوقف⁽³⁾.
- فالمقاطع الثلاثة الأخيرة لا تستعمل في العربية إلا في حالة الوقف، بينما نجد المقاطع الثلاثة الأولى أكثر دوراناً واستعمالاً في العربية لخفتها.

وأما القانون الثاني الذي كان له الأثر الأكبر في تطور بنية الكلمة فهو قانون السهولة والتيسير، الذي يقضي بأن اللغة تسير في تطورها نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة النطق، وتستبدل بها أصواتاً أخرى لا تتطلب جهداً عضلياً كبيراً⁽⁴⁾.

ومن مظاهر هذا القانون ظاهرة التخلص من المزدوج الحركي، الذي يعدّ صوتاً مركباً من حركة وشبه حركة والعكس، وإذا كان المزدوج يبدأ بشبه الحركة فهو صاعد، وإذا كان يبدأ بالحركة فهو هابط.

والعربية تتضمن هذين النوعين حيث يوجد في العربية ستة مزدوجات صاعدة، هي: (wa، ya، wi، yi، wu، yu)، كما يوجد فيها ستة مزدوجات هابطة، هي: (aw، ay، iw، iy، uw، uy)⁽⁵⁾، ولم تبق العربية إلا على عدد محدود من هذه المزدوجات، مثل: (ya، wa)، وتخلصت من معظمها، إما عن طريق حذف شبه الحركة (y، w)، وإما عن طريق حذف المزدوج الحركي كاملاً، وسنرى ذلك واضحاً في أثناء تحليل هذه الدراسة.

البنية الصوتية للفاعل

• أبنية الأفعال الثلاثية

يأتي الفعل الثلاثي غير المزيد على ثلاثة أوزان:

(فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ)، مثل: ضَرَبَ، وَعَلِمَ، وَكَرُمَ؛ فأما (فَعَلَ) فمضارعه على وزن (يَفْعِلُ) (وَيَفْعُلُ)، نحو: كَفَفَ، يَعْكَفُ، وَيَعْكَفُ، وقد استعملت العرب الوجهين في بعضها، واقتصرت على وجه في بعضها الآخر⁽⁶⁾.

وأما ما كان ماضيه على (فَعَلَ) فمضارعه يأتي على (يَفْعُلُ) بالضم، نحو: كَرُمَ، يَكْرُمُ⁽⁷⁾.

وأما (فَعِلَ) فمضارعه يأتي على (يَفْعِلُ)، إلا أفعالا تسعة من السالم، وهي: حَسِبَ يَحْسِبُ، وَنَعِمَ يَنْعَمُ، وَفَضِلَ يَفْضِلُ، وَقَيِّظَ يَقِظُ، وَعَرَضَ يَعْزِضُ، وَضَلَلَ يَضِلُّ، وقد يفتح المضارع فيها كلها⁽⁸⁾.

ونرى من خلال التحليل الصوتي لبنية هذه الأفعال أن الأصل فيها في حالة الماضي هو (فَعَلَ)، وتتشكل الصيغتان (فَعِلَ، فَعُلَ) عن طريق المخالفة الصوتية بين حركتي فاء الفعل وعينه، ففي صيغة (فَعُلَ) تخالف حركة العين إلى الضم، وفي (فَعِلَ) تخالف حركة العين إلى الكسر. وكل صيغة من هذه الصيغ الثلاث تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة (ص ح). فلو أخذنا الفعل (ضَرَبَ daraba) فهو يتكون من المقاطع (da/ra/ba). وكل منها قصير مفتوح (ص ح).

وأما المضارع من هذه الأفعال فهو يأتي على وزن (يَفْعُلُ، أو يَفْعِلُ، أو يَفْعُلُ).

فالفعل (ضَرَبَ) مضارعه (يَضْرِبُ) على وزن (يَفْعِلُ)، حيث يضاف إلى أول الماضي صوت المضارعة مع حركته (ya) وتسكن فاء الفعل، حتى لا يتشكل أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة؛ لأن العربية تكره تتابع أكثر من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة في بنية الكلمة الواحدة، وعند تسكين فاء الفعل تنضم فاء الفعل إلى المقطع الأول، وتصبح الصيغة على النحو التالي: (يَضْرِبُ yad/ri/bu)، حيث تتشكل بنية الفعل من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مغلق بصامت، والمقطعان الثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح (ص ح).

والفعل (يَكْرُمُ) على وزن (يَفْعُلُ)؛ حيث يضاف إلى أول الماضي مقطع المضارعة (ya) وتسكن فاء الفعل، وعندها تضاف إلى المقطع الأول (yak)، فتصبح البنية (yak/ru/mu) مشكلة من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مغلق بصامت، والمقطعان الثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح (ص ح).

وأما ما كانت عين مضارعه مفتوحة، نحو شَرِبَ يَشْرَبُ، فيضاف إلى بداية الماضي مقطع المضارعة (ya)، ثم يحدث مخالفة صوتية بين حركة الفاء والعين، فتفتح عين المضارع، وتسكن فاء الفعل، وعندها تلحق بالمقطع الأول، فتصبح الصيغة (يَشْرَبُ yaš/ra/bu) مكونة من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مغلق بصامت، والمقطعان الثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح (ص ح).

ويصاغ فعل الأمر من الثلاثي الصحيح من مضارعه عن طريق حذف حرف المضارعة مع حركته، وبعد الحذف تبدأ الصيغة بساكن، وهذا ما لا يقبله النظام الصوتي في العربية، فتجلب همزة الوصل لنطق الساكن ثم يسكن آخر الفعل لبنائه على السكون، ويتم ذلك على النحو التالي: فالفعل (يَضْرِبُ yaḍ/ri/bu)، عند حذف حرف المضارعة مع حركته تصبح الصيغة (d/ri/bu)، ثم تجلب همزة الوصل مع تسكين آخر الفعل، فتصبح الصيغة (اضْرِبْ id/rib >)، مكونة من مقطعين صوتيين كل منهما قصير مغلق بصامت (ص ح ص).

وأما الفعل المبني للمجهول من الأفعال الثلاثية فلا يكون إلا على مثال واحد (فَعِلَ) نحو: (ضَرَبَ، وَقَتَلَ) وهذا أصله (فَعَلَ أو فَعِلَ) ثم فَعِلَ فَجَعِلَ بناءً للمفعول، فَضَرِبَ منقول عن ضَرَبَ، وَرَكِبَ نقل من رَكِبَ⁽⁹⁾. إذ يجري تحويل على صيغة (فَعَلَ) و(فَعِلَ) إلى (فَعِلَ) وذلك بضم فاء الفعل وكسر ما قبل آخره للدلالة على معنى المفعولية، وتبقى بنية الفعل مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة (ضَرِبَ du/ri/ba).

وأما المعتل من الثلاثي فإما أن يكون مثلاً يبدأ بواو أو ياء، أو أجوف وسطه ألف منقلبة عن واو أو ياء، أو ناقصاً آخره ألف منقلبة عن واو أو ياء، أو لفيفا مقروناً، أو لفيفا مفروقاً. فالمثال نحو: وَعَدَ على وزن (فَعَلَ) wa/<a/da، فهو يتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة والمضارع منه (يَعِدُ) والأصل فيه (يُوعِدُ i/du yaw/<i) حيث يتشكل مزدوج حركي هابط (aw) فتسقط شبه الحركة الواو لأنها صوت انزلاقي، فتصبح الصيغة (يَعِدُ) على وزن (يَعِلُ) مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة (ص ح). وعند بناء الأمر من (يَعِدُ) يحذف حرف المضارع مع حركته ويسكن آخر الفعل لبنائه على السكون، فتصبح الصيغة (عِدْ) على وزن (عِلْ) مكونة من مقطع صوتي واحد قصير مغلق بصامت (ص ح ص).

فالمثال الواوي لا يأتي إلا على وزن (فَعَلَ يَفْعِلُ) أو (فَعَلَ يَفْعَلُ) مثل: وَزَعَ يَزَعُ⁽¹⁰⁾ waza<a، yazi<u.

وكل فعل مثال أوله ياء مثل يَسِرُ يَيْسِرُ فَإِنَّ الياء تثبت ولا تسقط من مضارعه، لأنَّ الياء أخف من الواو، ولأنَّ الياء أخت الكسرة فتثبت مع الكسرة⁽¹¹⁾. فالفعل يَسِرَ ya/sa/ra على وزن (فَعَلَ) يتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة، وأما مضارعه yay/si/ru فيتشكل في أوله مزدوج حركي هابط (ay) فلا تسقط الياء لمناسبتها للكسرة، وحتى لا تلتبس هذه الصيغة بصيغة أخرى، وتكون بنية الفعل مكونة من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مغلق بصامت، والثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح (ص ح).

وفعل الأمر من يَيْسِرُ: ايسِرْ iy/sir >، ويكون ذلك بحذف حرف المضارعة مع حركته، ثم تجلب همزة الوصل للنطق بالساكن، وتثبت شبه الحركة الياء لمناسبتها للكسرة، ويسكن آخر

الفعل، لبنائه على السكون، ويصبح الفعل مكوناً من مقطعين، كل منهما قصير مغلق بصامت (ص ح ص).

وأما الأجوف فإما أن يكون واوياً أو يائياً، نحو قال وباع، فالأصل (قول ka/wa/la)، وبيع (ba/ya/<a) حيث يتشكل مزدوج حركي صاعد (wa) و (ya) فتتزلق شبه الحركة الواو والياء، ثم تندمج حركتهما مع الفتحة في المقطع السابق، فتصبح فتحة طويلة، قال (k̄ā/la) وباع (bā/<a) ووزنهما (فال) وكل منهما يتكون من مقطعين: الأول: طويل مفتوح (ص ح ح)، والثاني: قصير مفتوح (ص ح).

وأما المبني للمجهول منهما فهو: قيل وبيع، والأصل فيهما: قول ku/wi/la، وبيع bu/yi/<a؛ ففي (قول) تسقط شبه الحركة (الواو)، ثم يحدث تماثل بين الضمة والكسرة، فتتحول الضمة إلى كسرة، فتلتقي كسرتان قصيرتان، فتصبحان كسرة طويلة (k̄ī/la) على وزن (فيل) مكونة من مقطع طويل مفتوح (k̄ī) ومقطع قصير مفتوح (la).

وأما بيع (bu/yi/<a) فتسقط شبه الحركة (الياء)، ثم يحدث تماثل بين الكسرة والضمة، فتلتقي كسرتان قصيرتان، فتصبحان كسرة طويلة (bī/<a) مكونة من مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) ومقطع قصير مفتوح (ص ح).

ومن العرب من يلجأ إلى الإشمام، فيقول: قِيلَ، وبيِعَ، وفيه لغة ثالثة (قول، بُوع)⁽¹²⁾.

وأما المضارع من قال وباع فهو يقول وبييع، والأصل فيهما يقول (yak/wu/lu)، وبييع (yab/yi/<u)، فيتشكل مزدوج حركي (wu)، و (yi) فتسقط شبه الحركة الواو والياء، ويعوض عنهما بتطويل الضمة في يقول (ya/k̄ū/lu)، والكسرة في يبيع (ya/bī/<u)، على وزن (يفول) و(يفيل) يتكون كل منهما من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مفتوح، والثاني: طويل مفتوح، والثالث: قصير مفتوح.

وفعل الأمر منهما يشتق من المضارع، وذلك بحذف حرف المضارعة مع حركته فتبقى الصيغتان (قول) و(بيع)، فيتشكل مقطع طويل مغلق بصامت (k̄ūl) و (bī<) وهذا المقطع ثقيل فتقصر الحركة الطويلة، فتصير كل منهما قُلْ (kul) وبع (bi<) تتكون من مقطع قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، وهذا المقطع مقبول في العربية في حالة الوقف.

والفعل الناقص، مثل: دَعَا، ورَمَى، فالأصل فيهما دَعَوَ (da/<a/wa)، ورَمَى (ra/ma/ya)، فيتشكل في آخرهما مزدوج حركي صاعد (wa) و (ya)، فتتزلق شبه الحركة الواو والياء، فتلتقي حركتان قصيرتان مفتوحتان، فتندمجان فتصبحان فتحة طويلة (da/<ā)، و (ra/mā)، وكل منهما يتكون من مقطعين: قصير مفتوح (ص ح) ومقطع مفتوح (ص ح ح).

والمضارع منهما (يَدْعُو <yad/<u/wu)، و(يرمي <yar/mī) والأصل فيهما (يَدْعُو <yad/<u/wu)، و(يرمي <yar/mi/ya) فيتشكل في نهاية (يَدْعُو <yad/<u/wu) مزدوج حركي صاعد، فتتزلق شبه الحركة الواو (w)، فتلتقي صمتان قصيرتان فتندمجان فتصبحان ضمة طويلة (ū)، فتصبح الصيغة (يَدْعُو <yad/<u/wu)، على وزن (يَفْعُو)، مكونة من مقطعين: الأول: قصير مغلق بصامت، والثاني: طويل مفتوح، و(يرمي <yar/mi/ya) فيتشكل في نهايتها مزدوج حركي صاعد (yu) فتتزلق شبه الحركة الياء (y)، ثم يحدث مماثلة بين الكسرة والضمة، فتتحول الضمة إلى كسرة، فتلتقي كسرتان قصيرتان فتندمجان وتصبحان كسرة طويلة (ī)، فتصبح الصيغة (يرمي <yar/mī)، مكونة من مقطعين: الأول: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثاني: طويل مفتوح (ص ح ح).

وفعل الأمر من (يَدْعُو <yad/<u/wu) و(يرمي <yar/mī)، هو: (ادْعُ <ud/<u>) و(ارم <ir/mi>) حيث يحذف حرف المضارعة مع حركته، فتبدأ الصيغة بساكن، ثم تجلب همزة الوصل للنطق بالساكن، وتقصر الحركة الطويلة في آخر الفعلين لبناء الفعل، فتصبح كل منهما: (ادْعُ <ud/<u>) و(ارم <ir/mi>) على وزن (افْعُ)، و(افْعُ) فيتكونان من مقطعين: الأول: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثاني: قصير مفتوح (ص ح).

وأما الفعل المعتل اللفيف فهون نوعان: لفيف مقرون، ولفيف مفروق، فاللفيف المقرون مثل: حييَ يحيى، وعييَ يعيى، وعوى يعوي، وطوى يطوي⁽¹³⁾. فالفعل (حييَ) على وزن (فَعِلَ) ḥa/yi/ya، يتشكل في آخره مزدوجان حركيان صاعدان، فتثبت شبه الحركة الياء (y) فيهما؛ لأن سقوطها يخل ببنية الفعل، وقد تلتقي بنيته ببنية صيغة أخرى في حالة حذف الياء.

والمضارع منه (يحيى <yah/yā)، فالأصل منه (يحييُ <yah/ya/ya)، فيتشكل في آخر الفعل مزدوجان حركيان صاعدان، فتتزلق شبه الحركة من المزدوج الأخير، ثم يحدث مماثلة صوتية بين الضمة والفتحة، فتتحول الضمة إلى فتحة، فتلتقي فتحتان قصيرتان، فتندمجان، فتصبحان فتحة طويلة، فتصبح بنية الفعل (يحيى <yah/yā)، على وزن (يَفْعَا) مكونة من مقطعين: قصير مغلق بصامت، وطويل مفتوح.

وفعل الأمر منه يكون بحذف حرف المضارعة مع حركته، ثم تجلب همزة الوصل للنطق بالساكن، لأن العربية تكره البدء بساكن، وتقصر الفتحة الطويلة في آخره من أجل البناء بتقصير الحركة، فتصبح الصيغة (احيَ <ih/ya>) مكونة من مقطعين: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، وقصير مفتوح (ص ح).

وأما الفعلان (عوى، وطوى) فالأصل فيهما: عَوَى <a/wa/ya> وطَوَى <ta/wa/ya>، فيتشكل في آخرهما مزدوج صوتي صاعد (ya)، فتتزلق شبه الحركة (الياء) فتلتقي فتحتان

قصيرتان، فتندمجان، فتصبحان فتحة طويلة عَوَى (<a/wā) وَطَوَى (ta/wā)، على وزن (فعا) مكونة من مقطعين: الأول: قصير مفتوح (ص ح)، والثاني: طويل مفتوح (ص ح ح).

والمضارع منهما يعوي (ya</wī) ويَطوي (yat/wī)، والأصل فيهما: يَعْوِي (ya</wi/yu) ويَطْوِي (yat/wi/yu)، فيتشكل في الآخر مزدوج صوتي صاعد (yu)، فتتزلق شبه الحركة الياء (y)، ثم يحدث مماثلة صوتية بين الضمة والكسرة، فتتحول الضمة إلى كسرة، فتندمج الكسرتان، فتصبح كسرة طويلة، وعندها تصبح كل منهما يعوي (ya</wī) ويَطوي (yat/wī) على وزن (يفعي) وكل منهما يتكون من مقطعين: الأول: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثاني: طويل مفتوح (ص ح).

وفعل الأمر يكون بحذف حرف المضارعة مع حركته، وجلب همزة الوصل لنطق الساكن، وتقصير الحركة الطويلة في آخره لغرض البناء النحوي، وذلك بتقصير الحركة فتصبح صيغة الأمر منهما: اعو (>i</wi) واطو (>it/wi) مكونة من مقطعين: الأول: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثاني: قصير مفتوح (ص ح).

وأما الفعل اللفيف المفروق مثل: (وقى) فالأصل منه (وَقَى wa/ka/ya)، حيث يتشكل في آخره مزدوج حركي صاعد، فتتزلق شبه الحركة الياء (y)، فتلتقي حركتان قصيرتان مفتوحتان، فتندمجان وتصبحان فتحة طويلة، فيصبح الفعل (وقى wa/kā) على وزن (فعا) مكونة من مقطعين: الأول: قصير مفتوح (ص ح)، والثاني: طويل مفتوح (ص ح ح). والمضارع من (وقى) (يقي ya/kī) على وزن (يعي)، والأصل فيه (يَوَقِي yaw/ki/yu) فيتشكل في أوله مزدوج حركي هابط، فتتزلق شبه الحركة الياء، كما يتشكل في آخره مزدوج حركي صاعد (yu) فتتزلق شبه الحركة الياء (y)، ثم يحدث مماثلة صوتية بين الضمة والكسرة فتتحول الضمة إلى كسرة، فتصبح بنية الفعل (يقي ya/kī) مكونة من مقطعين: الأول: قصير مفتوح (ص ح)، والثاني: طويل مفتوح (ص ح ح).

وفعل الأمر منه ينتج بحذف حرف المضارعة مع حركته، وتقصير الحركة الطويلة في آخر من أجل بناء الفعل بتقصير الحركة فتبقى البنية الصوتية للفعل (ق ki) مكونة من مقطع صوتي واحد قصير مفتوح (ص ح).

• بنية الفعل الثنائي المضعف

وهو ما كانت عينه ولامه من جنس واحد، ثم أدغمت عينه في لامه، مثل: مَدَّ يَمْدُ، وفَرَّ يَفِرُّ، وعَضَّ يَعْضُّ⁽¹⁴⁾.

وأصل الماضي في هذه الأفعال (مَدَدَ) على وزن (فَعَلَ)، فسكنت عينه وأدغمت في اللام فصار (مَدَ mad/da) على وزن (فَلَّ) لأن العين هي التي أدغمت في اللام وليس العكس. ومضارع (مَدَّ يَمُدُّ) على وزن (يَفْعُلُ)، وأصله يَمُدُّ (yam/du/du) يَفْعُلُ فحذفت حركة الدال الأولى وأدغمت في الثانية، فصار (يَمُدُّ ya/mud/du) مكونا من ثلاثة مقاطع الأول: قصير مفتوح، والثاني: قصير مغلق، والثالث: قصير مفتوح. وفعل الأمر منه يأتي على صيغتين مختلفتين هما: (مُدَّ) و(امدُّ) وبما أن الأمر يشتق من المضارع، فيحذف حرف المضارع، فتصبح الصيغة الأولى (مُدَّ) على وزن (فَلَّ) أو تجلب همزة الوصل في حالة فك التضعيف فتصبح الصيغة (امدُّ) على وزن (أَفْعَلْ) مكونة من مقطعين قصيرين مغلقين بصامت (ص ح ص).

والفعل (فَرَّ) أصله (فَرَزَ) على وزن (فَعَلَ) مكون من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة (ص ح) (fa/ra/ra) ثم حذفت فتحة الراء الأولى وأدغمت في الثانية فصار (فَرَّ far/ra) مكونا من مقطعين: الأول: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثاني: قصير مفتوح (ص ح). والمضارع منه (يَفِرُّ ya/fir/ru) مكون من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مفتوح، والثاني: قصير مغلق بصامت، والثالث: قصير مفتوح. فوزن (يَفِرُّ) يَفْعُلُ، ثم تحذف حركة الراء الأولى وتدغم الراء في الراء الثانية، فتصبح الصيغة (يَفِرُّ ya/fir/ru) ووزنه (يَفِلُّ) وهو مكون من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مفتوح، والثاني: قصير مغلق بصامت، والثالث: قصير مفتوح.

وفعل الأمر من (يَفِرُّ) يأتي على صيغتين: (فِرَّ) و(افِرِّ)؛ فالصيغة الأولى تقوم على حذف حرف المضارع مع حركته وإدغام الراء الأولى في الراء الثانية، وفتح الراء الأخيرة، فصيغة (فِرَّ fir/ra) مكونة من مقطعين: الأول: قصير مغلق بصامت، والثاني: قصير مفتوح.

وأما صيغة (افِرِّ if/rir) > على وزن (أَفْعَلْ) فهي مكونة من مقطعين كل منهما قصير مغلق بصامت.

والفعل (عَضَّ) أصله (عَضَضَ <a/ḍi/ḍa) على وزن فَعَلَ، سلبت حركة عينه، وأدغمت في اللام، فصار (عَضَّ) على وزن (فَلَّ) مكونا من مقطعين: الأول: قصير مغلق بصامت (<ad)، والثاني: قصير مفتوح (da). ومضارعه (يَعَضُّ ya/<ad/ḍa) وأصله (يَعَضُّضُ ya/<du/du)، فتحذف حركة عين المضارع وتدغم في اللام فيصبح (يَعَضُّ ya/<ad/ḍa) مكونا من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مفتوح، والثاني: قصير مغلق بصامت، والثالث: قصير مفتوح.

وفعل الأمر منه يأتي على صيغتين (عَضَّ) و(اعضُّ)؛ فالصيغة الأولى تشكلت من خلال حذف حرف المضارع مع حركته، وإدغام العين مع اللام بعد حذف حركة العين، فتصبح الصيغة (عَضُّ <ud/ḍa) مكونة من مقطعين: الأول: قصير مغلق بصامت، والثاني: قصير مفتوح.

وأما (أَعْضَضَ) فهي مشتقة من المضارع بعد فك الإدغام، فيحذف حرف المضارع مع حركته، وتجلب همزة الوصل لنطق الساكن، وتسكن اللام لبناء الفعل على السكون، ووزن (أَعْضَضَ <u> </u> <du> </du>) هو (أَفْعَلَ) مُشْكَل من مقطعين صوتيين كل منهما قصير مغلق بصامت (ص ح ص).

• بنية الفعل الرباعي المجرد وملحقاته

إذا كان الفعل الرباعي مجرداً، فلا يكون إلا على مثال واحد (فَعَّلَ) والمضارع منه يكون على مثال (يُفَعِّلُ)⁽¹⁵⁾، ومثال ذلك (دَحَرَجَ (dah/ra/ga) يُدَحِّرُ (yu/dah/ri/gu) فيكون الماضي بتسكين العين حتى لا يتوالى أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة، فالمقطع الأول منه قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والمقطعان الثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح (ص ح) وأما مضارعه (يُدَحِّرُ) فيتشكل بزيادة حرف المضارعة وَضَمِّهِ وكسر عين الفعل، ويتكون من أربعة مقاطع: الأول: قصير مفتوح (ص ح)، والثاني: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثالث والرابع: كل منهما قصير مفتوح (ص ح).

وفعل الأمر من (يُدَحِّرُ) دَحَرَجَ (dah/rig)، بحذف حرف المضارع مع حركته، وتسكين آخر الفعل لبنائه على السكون. ويتشكل من مقطعين: كل واحد منهما قصير مغلق بصامت (ص ح ص).

وما ألحق بالرباعي فأوزانه:

1- فَيَعْلَ مثل يَبْقَرُ (bay/ka/ra)، يَبْقَرُ الرَّجُلُ، علا منكساً رأسه⁽¹⁶⁾، وذلك بزيادة شبه الحركة الياء، والفعل أصله (بَقَرَ) ثم حدث مخالفة صوتية بإبدال القاف الأول من (bak/ka/ra) ياء، فجاءت الياء حداً لإغلاق المقطع الأول، وبنية الفعل (يَبْقَرُ) مكونة من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح. وزيادة الياء بعد الفاء لإلحاقه بالرباعي.

2- فَوَعَلَ مثل حَوَقَلَ (haw/ka/la)، وذلك بزيادة شبه الحركة الواو بعد فاء الفعل، كما ذكر سيبويه، وصارت الزيادة بما هو بمنزلة الحرف⁽¹⁷⁾، وصيغة حوقل، مشكّلة من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح (ص ح).

3- فَعَوَلَ مثل جَهَوَرَ⁽¹⁸⁾، وبذلك بزيادة شبه الحركة (الواو) بعد العين، فالأصل عنده هو جَهَرَ ga/ha/ra، ثم زيدت الواو، وصار المزيد بمنزلة ما هو من نفس الحرف. وجَهَوَرَ gah/wa/ra، مشكلة من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح (ص ح).

- 4- فَعَّلَ مثل قَلَّسَ⁽¹⁹⁾، وذلك بزيادة النون بعد العين، وصار المزيد بمثابة ما هو من نفس الحرف، والأصل: قَلَّسَ ka/la/sa، ثم زيدت النون بعد العين وأصبحت بنية الفعل مكونة من ثلاثة مقاطع: الأول: قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، والثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح (ص ح).
- 5- تَمَفَّلَ وهو قليل، مثل: تَمَسَّكَ، وَتَمَدَّرَ⁽²⁰⁾، ويكون ذلك بزيادة سابقة التاء إلى مَسَكَنَ mas/ka/na، فيصبح عدد مقاطع الفعل أربعة: الأول قصير مفتوح، والثاني قصير مغلق بصامت، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

• بنية الفعل الثلاثي المزيد

أولاً: المزيد بحرف

يأتي المزيد بحرف من الفعل الثلاثي على ثلاثة أوزان: (أَفْعَلَ، وفَاعَلَ، وفَعَّلَ)؛ أما المزيد بالهمزة فتلحق أولاً ويكون على وزن (أَفْعَلَ)، والمضارع منه يكون على (يُفْعِلُ) وذلك نحو: أَخْرَجَ يُخْرِجُ، وأما المبني للمجهول فيكون على وزن (أَفْعِلَ)، والمضارع منه على وزن (يُفْعَلُ) نحو: أَخْرَجَ يُخْرَجُ⁽²¹⁾.

فصيغة (أَفْعَلَ) من الفعل الثلاثي (خَرَجَ ha/ra/ga) تكون بزيادة مقطع الهمزة (>a)، وتسكين فاء الفعل حتى لا يتشكل أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة (>ah/ra/ga)؛ لأن العربية تكره هذا النوع من التتابع المقطعي، فتكون بنية الفعل مشكلة من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح.

وأما المضارع من (أَخْرَجَ) فيكون على وزن (يُخْرِجُ yuh/ri/gu)، وذلك بحذف مقطع الهمزة، وكسر عين الفعل وضم لامه في حالة الرفع، وأما المبني للمجهول من (أَخْرَجَ) فيكون بضم أوله، وكسر ما قبل آخره (أَخْرَجَ >uh/ri/ga) والمضارع منه (يُخْرِجُ yuh/ra/gu) بضم أوله وفتح ما قبل آخره، والصيغتان في كل منهما مشكلة من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح.

وفعل الأمر من (أَخْرَجَ) يكون بحذف سابقة المضارع من الفعل (يُخْرِجُ)، ثم تجلب همزة الوصل لنطق الساكن، ويسكن آخر الفعل لبنائه على السكون (أَخْرَجَ >uh/rug)، فيتشكل مقطعان كل منهما قصير مغلق بصامت.

وأما صيغة (فاعَلَ)، نحو: كَاتَبَ (kā/ta/ba)، فتشكل بإطالة فتحة عين الفعل الثلاثي من (كَتَبَ ka/ta/ba) فتتحول نواة المقطع الأول من فتحة قصيرة إلى فتحة طويلة.

والمضارع يكون بزيادة سابقة المضارعة في أوله، نحو: يُكَاتِبُ (yu/kā/ti/bu)، وكسر عينه وضم آخره في حالة رفع الفعل، وبذلك يتشكل صيغة المضارع من أربعة مقاطع: الأول قصير مفتوح، والثاني طويل مفتوح، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

والمبني للمجهول منه يتكوّن بفتح ما قبل آخره نحو: يُكَاتِبُ (yu/kā/ta/bu)، فلا يحدث أي تغيير على النظام المقطعي للفعل. والأمر من (يُكَاتِبُ) يكون بحذف سابقة المضارع (yu)، وتسكين آخره لبنائه على السكون، فتكون صيغة (كَاتِبُ) (kā/tib) مشكلة من مقطعين: الأول طويل مفتوح، والثاني قصير مغلق بصامت.

وصيغة (فَعَلَ) بتضعيف العين نحو: جَرَبَ (gar/ru/ba) يُجَرَّبُ (yu/gar/ri/bu)، ويُجَرَّبُ (yu/gar/ra/bu)، فيجري في جميع الوجوه التي صُرِفَ فيها (فاعل) مجزأه، إلا أن الثاني من فاعل ألف، والثاني من فَعَلَ بتضعيف العين⁽²²⁾.

فصيغة الفعل (جَرَبَ) مشكلة من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثاني والثالث كل منهما قصير مفتوح. والمضارع من (جَرَبَ) يُجَرَّبُ يكون بزيادة سابقة المضارع (yu)، وكسر نواة المقطع الثالث، وتشكلت بنية الفعل من أربعة مقاطع: الأول قصير مفتوح، والثاني قصير مغلق بصامت، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

والأمر منه يكون بحذف سابقة المضارع (yu)، وتسكين آخره لبنائه على السكون، فتشكل بنيته من مقطعين (gar/tib) كل منهما قصير مغلق بصامت (ص ح ص).

ثانياً: المزيد بحرفين من الثلاثي:

يأتي المزيد بحرفين من الثلاثي على خمسة أوزان، هي: (انْفَعَلَ، تَفَعَّلَ، تَفَاعَلَ، افْتَعَلَ، افْعَلْ)⁽²³⁾.

1- فأما صيغة (انْفَعَلَ)، نحو: انْكَسَرَ (>in/ka/sa/ra) تتشكل بزيادة النون الساكنة وهمزة الوصل في الابتداء، فيكون الوزن على انْفَعَلَ يَنْفَعِلُ، وفَعِلَ على انْفَعَلَ، والمضارع منه على يَنْفَعِلُ⁽²⁴⁾.

فالفعل (انْكَسَرَ) يتشكل بزيادة المقطع (>in) المكوّن من همزة الوصل والنون الساكنة، فتكون الصيغة مشكلة من أربعة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثلاثة الأخرى كل منها قصير مفتوح. والمضارع منه (يَنْكَسِرُ) (yan/ka/si/ru)، وذلك بحذف همزة الوصل، وزيادة سابقة المضارع (ya) وتتحوّل نواة المقطع الثالث من الفتح إلى الكسر. والأمر منه يكون بحذف عنصر المضارع، وجلب همزة الوصل للابتداء بها وتسكين آخر الفعل لبنائه على السكون، فتصبح صيغة

الفعل: انْكَسِرَ (>in/ka/sir) مشكلة من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثاني قصير مفتوح، والثالث قصير مغلق بصامت.

والمبني للمجهول من انْكَسَرَ: انْكَسِرَ (>in/ku/si/ra) بضم فائه وكسر ما قبل آخره، والمضارع منه يُنْكَسِرُ (yun/ka/sa/ru) بضم أوله وفتح ما قبل آخره، ولا تختلف بنيته المقطعية في عدد المقاطع ونوعها عنها في حالة البناء للمعلوم. وإنما يحصل التغيير في نواة المقطع قبل الآخر.

2- وفي صيغة (افْتَعَلَ) نحو: اقْتَتَلَ (>ik/ta/ta/la) تلحق التاء ثانية، ويسكن أول حرف، وتجلب همزة الوصل في الابتداء، وتكون على افْتَعَلَ يَفْتَعِلُ، ولا تلحق التاء ثانية والذي قبلها من نفس الحرف إلا في افْتَعَلَ⁽²⁵⁾.

فالفعل (اقْتَتَلَ) المزيد بالالف والتاء من (قَتَلَ ka/ta/la)، يتشكل بزيادة مقطع همزة الوصل الذي يندمج مع القاف الساكنة (>ik)، وزيادة مقطع التاء المفتوحة (ta) فيكون الفعل مشكلاً من أربعة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثلاثة الأخرى كل منها قصير مفتوح، والمضارع من اقْتَتَلَ: يَقْتَتِلُ yak/ta/ti/lu، يتشكل بزيادة سابقة المضارع (ya) وحذف همزة الوصل، وكسر نواة المقطع قبل الأخير.

والفعل المبني للمجهول من (اقْتَتَلَ) يكون بضم أوله وكسر ما قبل آخره (اقْتَتِلُ >uk/tu/ti/la)، فلا يحدث أي تغيير في عدد المقاطع ونوعها.

والمضارع منه يكون (يَقْتَتِلُ yuk/ta/ta/lu) بضم أول مضارعه وفتح ما قبل الآخر، ولا يحدث أي تغيير في عدد المقاطع ونوعها أيضاً.

وفعل الأمر من اقْتَتَلَ يَقْتَتِلُ يكون بحذف سابقة المضارع، وجلب همزة الوصل للابتداء بالساكن وتسكين آخر الفعل لبنائه على السكون (اقْتَتِلُ >ik/ta/til) فتكون بنية الفعل مشكلة من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثاني قصير مفتوح، والثالث قصير مغلق بصامت.

1- تَفَعَّلَ: يَتَفَعَّلُ، تَفَعَّلْ؛ مثل: تَكَلَّمَ: يَتَكَلَّمُ، تَكَلَّمْ. وتكون هذه الصيغة بزيادة مقطع (ta) في بداية الفعل الثلاثي، وتضعيف صوت العين، فتكون صيغة الفعل: تَكَلَّمَ (ta/kal/la/ma) مشكلة من أربعة مقاطع: الأول قصير مفتوح، والثاني قصير مغلق بصامت، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح، والمضارع من تَكَلَّمَ: يَتَكَلَّمُ (ya/ta/kal/la/mu) وذلك بزيادة مقطع المضارع (ya) في بداية الفعل، وتكون بنية المضارع منه مشكلة من خمسة مقاطع: الأول قصير مفتوح، والثاني قصير مفتوح، والثالث قصير مغلق بصامت، والرابع والخامس كل منهما قصير مفتوح.

وفعل الأمر منه يكون بحذف مقطع المضارع، وتسكين آخر الفعل لبنائه على السكون (تَكَلَّمَ ta/kal/lam) وتكون بنيته مشكلة من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مفتوح، والثاني والثالث كل منهما قصير مغلق بصامت.

2- تفاعل مثل: تَقَاتَلَ، يَتَقَاتَلُ، تَقَاتَلُوا.

فصيغة (تَقَاتَلَ ta/kā/ta/la) تتكون بزيادة مقطع التاء (ta) في بداية الفعل، وإطالة فتحة فاء الفعل، وتتكون من أربعة مقاطع: الأول قصير مفتوح، والثاني طويل مفتوح، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

والمضارع منه (يَتَقَاتَلُ ya/ta/kā/ta/lu) يتشكل بزيادة مقطع المضارع (ya) في أول الفعل، ويتكون من خمسة مقاطع: الأول قصير مفتوح، والثاني قصير مفتوح، والثالث طويل مفتوح، والرابع والخامس كل منهما قصير مفتوح، وفعل الأمر منه يكون بحذف مقطع المضارع (ya)، وتسكين آخره لبنائه على السكون (تَقَاتَلُ ta/kā/tal) ويتكون من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مفتوح، والثاني طويل مفتوح، والثالث قصير مغلق بصامت.

3- أَفْعَلَ، نحو: أَحْمَرُ (ih/mar/ra) فيكون بزيادة همزة الوصل في بدايته، وتضعيف لامه، وأصله: (احمَرَّ ih/ma/ra/ra)، ثم أدغمت الراء الأولى بعد تسكينها في الراء الأخيرة، وتتكون بنية (احمَرُّ) من ثلاثة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث قصير مفتوح.

والمضارع منه (يَحْمَرُّ yah/mar/ru) يتكون بزيادة مقطع المضارع في بدايته بعد حذف همزة الوصل، ويتشكل من ثلاثة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث قصير مفتوح.

وفعل الأمر منه (احمَرِّ) بحذف مقطع المضارع، وجلب همزة الوصل في بدايته، ويحرك آخره بالفتح للتخلص من المقطع المغلق بصامتين (ص ح ص ص) (ih/marr)، فتصبح الفصيغة (احمَرُّ) (ih/mar/ra) مكونة من ثلاثة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث قصير مفتوح.

ثانياً: المزيد بثلاثة حروف

يأتي المزيد بثلاثة أحرف على أربعة أوزان، هي:

(اسْتَفْعَلَ، وَأَفْعَوْلَ، وَأَفْعُولَ، وَأَفْعَالٌ)⁽²⁶⁾.

فاستفعلَ نحو: استخرج (>is/tah/ra/ga) يكون بزيادة الألف والسين والتاء في بداية الفعل، وتتكون بنية الفعل من أربعة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

والمضارع منه يَسْتَخْرِجُ (yas/tah/ri/gu) يكون بحذف همزة الوصل وزيادة مقطع المضارع (ya) وكسر نواة المقطع الثالث، وتتشكل بنية الفعل من أربعة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

وفعل الأمر منه اسْتَخْرِجْ، يكون بحذف مقطع المضارع (ya) وزيادة همزة الوصل (>is/tah/rig)، حيث يتشكل من ثلاثة مقاطع كل منها قصير مغلق بصامت.

وأما افْعَوْعَلْ، مثل: اخشَوْشَنَ (>ih/šaw/ša/na) من خشن، فتتشكل بتسكين الخاء فاء الفعل وزيادة همزة الوصل في الابتداء، وزيادة شبه الحركة الواو بعد فاء الفعل، وتكرير صوت الشين (عين الفعل).

وتتكون بنيته من أربعة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

والمضارع منه يَخْشَوْشِنُ (yah/šaw/ši/nu) يتكون بزيادة مقطع المضارع (ya)، وكسر نواة المقطع الثالث، ويتشكل من أربعة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

وفعل الأمر منه اخشَوْشِنَ (>ih/šaw/šin) يتكون بحذف مقطع المضارع (ya)، وزيادة همزة الوصل لئلا يبدأ بساكن، وتسكين آخره لبنائه على السكون، ويتشكل من ثلاثة مقاطع: كل منها قصير مغلق بصامت.

وصيغة افْعُولْ، مثل: (اجْلَوذَ >ig/law/wa/da) من (جَلَذَ >ga/la/da)، تتكون بتسكين عين الفعل، وجلب همزة الوصل لئلا يبدأ بساكن، وزيادة واو مضعفة بعد عين الفعل، وتتشكل من أربعة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

والمضارع منه (يَجْلَوذُ >yag/law/wi/du) يتشكل بزيادة مقطع المضارع (ya)، وكسر نواة المقطع الثالث، وتتكون بنيته من أربعة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث والرابع كل منهما قصير مفتوح.

وفعل الأمر منه اجْلَوْذْ يتكوّن بحذف مقطع المضارع (ya)، وزيادة همزة الوصل وتسكين آخره لبنائه على السكون، ويتشكل من ثلاثة مقاطع (>ig/law/wid): كل واحد منها قصير مغلق بصامت.

وصيغة (أفعال)، مثل: (اقْطَارَ >ik/tār/ra) أي ولّى: قَطَرَ، تتكوّن بزيادة همزة وصل بعد تسكين فاء الفعل، وإطالة فتحة عين الفعل، وتضعيف لام الفعل، وتتشكل من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثاني طويل مغلق بصامت، والثالث: قصير مفتوح. والعربية تكره تشكل المقطع الطويل المغلق بصامت في هذه الصيغة، لذلك تلجأ إلى تقصير الفتحة وإقحام الهمزة في بعض أفعال هذا الوزن مثل: اشْمَازَ (>iš/māz/za)، فتتحول إلى اشْمَازُ (>iš/ma/>az/za)، فتصبح الصيغة مكونة من أربعة مقاطع مقبولة.

والمضارع من اقْطَارَ: يَقْطَارُ (yak/tār/ru) يتكوّن بزيادة مقطع المضارع (ya)، ويتشكل من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثاني طويل مغلق بصامت، والثالث قصير مفتوح.

وفعل الأمر منه يتكون بحذف مقطع المضارع، وزيادة همزة الوصل مكانه (>ik/tār/ra) حيث يتحرك آخر الفعل بالفتح لئلا يتشكل مقطع طويل مغلق بصامتين (tār).

ويجدر التنبيه هنا إلى أنّ ما يطرأ على مزيد الثلاثي المعتل من تغيرات يشبه تلك التغيرات التي تطرأ على مزيد الثلاثي الصحيح مصحوبة بالتغيرات التي تطرأ على الثلاثي المعتل؛ فالفعل (اتقى) على وزن (افتعل) من (وقى) الأصل فيه (اتقى >iw/ta/kā) تشكل مزدوج حركي هابط في بدايته (iw)، فتنزلق شبه الحركة (الواو) ثم تقحم تاء أخرى لإغلاق المقطع الصوتي (>i) وتندغم التاء في التاء، فتصبح التاء الأول حداً لإغلاق المقطع الأول (>it) والتاء الثانية تصبح بداية للمقطع الثاني (ta). والفعل (اتقى >it/ta/kā) يتكون من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثاني قصير مفتوح، والثالث طويل مفتوح.

والمضارع منه (يتقى yat/ta/kā) يكون بحذف همزة الوصل، وزيادة مقطع المضارع (ya)، ويتشكل من ثلاثة مقاطع: الأول قصير مغلق بصامت، والثاني قصير مفتوح، والثالث طويل مفتوح.

وفعل الأمر منه (اتق >it/ta/ki) بحذف مقطع المضارع، وإقحام همزة الوصل، وتقصير الحركة الطويلة؛ لأن فعل الأمر من المعتل الآخر يبني على تقصير الحركة الطويلة، حيث يحذف من آخره بقدر ما يحذف من آخر الفعل الصحيح، وكذلك يجزم مضارعه، وعلامة الجزم تقصير الحركة الطويلة، وليس حذف حرف العلة كما ذهب علماء العربية القدماء.

كذلك الفعل (اسْتَقْصَى >is/tak/ṣā) على وزن اسْتَفْعَلَ، من (قَصَى ka/ṣā)، تشكل بزيادة الألف والسين والتاء، يتكون من ثلاثة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث طويل مفتوح.

والمضارع منه (يَسْتَقْصِي yas/tak/ṣī) بحذف همزة الوصل، وزيادة مقطع المضارع (ya)، ويتكوّن من ثلاثة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث طويل مفتوح.

وفعل الأمر منه (اسْتَقْصِ >is/tak/ṣi) بحذف مقطع المضارع، وإحكام همزة الوصل، وتقصير نواة المقطع الأخير، ويتكون من ثلاثة مقاطع: الأول والثاني كل منهما قصير مغلق بصامت، والثالث قصير مفتوح.

الرموز الصوتية المستخدمة في الدراسة

F	ف	>	ء
ḳ	ق	b	ب
k	ك	t	ت
l	ل	ṭ	ث
m	م	g	ج
n	ن	ḥ	ح
h	ه	ḥ	خ
w	و	d	د
y	ي	ḍ	ذ
ā	فتحة طويلة	r	ر
a	فتحة قصيرة	z	ز
ī	كسرة طويلة	S	س
i	كسرة قصيرة	š	ش
ū	ضمة طويلة	ṣ	ص
u	ضمة قصيرة	ḍ	ض
ص	صامت	ṭ	ط
ح	حركة قصيرة	ẓ	ظ
ح ح	حركة طويلة	<	ع
		ḡ	غ

Phonological Structure of Arabic Verb

Abdalqader Bani Baker. *Arabic Language and Literature Department.*
Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Abstract

This paper aims to investigate the phonological structure of Arabic verbs given the modern phonological rules of assimilation and dissimilation as well diphthong and Arabic syllabic structures. This study reveals that the aforementioned rules shape the structure of verbs according to both taste of the Arabs and the phonological system of Arabic.

الهوامش

- (1) عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ط3، القاهرة: عالم الكتاب، 1985، ص242.
- (2) مرعي، عبد القادر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية بحوث ودراسات، ط1، الأردن: مطبعة البهجة، 2002، ص94.
- (3) التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص94.
- (4) مرعي، عبد القادر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، ط1، الاردن: منشورات عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة، 1993، ص175.
- (5) الشايب، فوزي: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2004، ص408.
- (6) الصقلي، ابن القطاع: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، تحقيق: أحمد محمد عبد الدايم، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1999، ص324.
- (7) الصقلي، ابن القطاع: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ص333.
- (8) الصقلي، ابن القطاع: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ص328.

(9) ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف لكتاب التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، ط1، القاهرة: دار إحياء التراث القديم، إدارة الثقافة العامة، 1954م، ص52.

(10) الصقلي، ابن القطاع: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ص328.

(11) الصقلي، ابن القطاع: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ص331.

(12) الصقلي، ابن القطاع: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ص335.

(13) المؤدب، القاسم بن محمد بن سعيد: دقائق التصريف، تحقيق: أحمد ناجي العيس، وحاتم الزامن، وحسين تورال، ط1، العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987م، ص336-337.

(14) الصقلي، ابن القطاع: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ص333.

(15) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ج4، ط1، بيروت: دار الجيل، 1991، ص299.

(16) ابن القطاع، علي بن جعفر السعدي: كتاب الأفعال، ج1، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1983، ص112.

(17) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، ص286.

(18) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، ص286.

(19) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، ص286.

(20) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، ص286.

(21) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، ص279.

(22) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، ص281.

(23) الحملاوي، أحمد: شذا العرف في فن الصرف، ط1، بيروت: مؤسسة البلاغ، 1991، ص25-26.

(24) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، ص282.

(25) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، ص283.

(26) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، ص70-76.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن القطاع، علي بن جعفر السعدي: كتاب الأفعال، ج1، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1983.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف لكتاب التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، وزارة المعارف العمومية، ط1، القاهرة: دار إحياء التراث القديم، إدارة الثقافة العامة، 1954م.
- الحملوي، أحمد: شذا العرف في فن الصرف، ط1، بيروت: مؤسسة البلاغ، 1991.
- سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ج4، ط1، بيروت: دار الجيل، 1991.
- الشايب، فوزي: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2004.
- عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ط3، القاهرة: عالم الكتاب، 1985.
- مرعي، عبد القادر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية بحوث ودراسات، ط1، الاردن: مطبعة البهجة، 2002.
- مرعي، عبد القادر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، ط1، الأردن: منشورات عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة، 1993.
- المؤدب، القاسم بن محمد بن سعيد: دقائق التصريف، تحقيق: أحمد ناجي العيسى، وحاتم الضامن، وحسين تورال، ط1، العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987م.

مقاربتان في نقد نظرية النحو العربيّ

قراءة تحليلية في أطروحتي ابن رشد وابن مضاء

أحمد محمد أبودلو *

تاريخ الاستلام 2016/6/23

تاريخ القبول 2016/8/10

ملخص

يبتغي هذا البحث عقد موازنة بين أطروحتي ابن مضاء وابن رشد في نقد نظرية النحو العربيّ، استناداً إلى أهمية الأطروحتين في مجال النقد النحوي، واختلافهما، غاية ومنهجاً، عن جميع محاولات النقد والتجديد في تاريخ النحو العربي، وغن كان الباحث واحداً هو الشكوى من ثقل الدرس النحوي ووعورته.

ومع أن مقارنة ابن مضاء تعد أكثر أطروحات النقد الرافضة لأسس النظرية النحوية العربية خطورة وشهرة، إذ أراد بها صاحبها هداية النحاة الذين -وفقاً لعبارته- "ضلوا وأضلوا الناس في وعشاء النحو وشعابه"؛ فإن اكتشاف كتاب ابن رشد يؤرخ لظهور منهج نقدي مختلف، يعالج، بعمق ومنهج علمي، مسألة بنية النحو العربي، ويرى أن صعوبة النحو ترجع إلى كون بنيته غير قائمة على الطريقة الصناعية (المنطقية)، فكانت غايته الرئيسية إعادة بناء مسائل النحو بطريقة علمية، وفق الترتيب الذي تشترك فيه جميع الألسنة.

وخلص البحث إلى أن مقاربتي ابن مضاء وابن رشد، تجمع بينهما الغاية الأساسية، ويفرق بينهما المنهج والمرجعية؛ فابن مضاء يتحرك داخل بنية النحو العربي وفقاً لمذهبه الظاهري، داعياً إلى "إسقاط كل ما لا يفيد نطقاً"، أما ابن رشد فلا يسعى إلى إلغاء أي من أسس النحو وأصوله أو الانفكاك منها، بل غايته تخليص النحو مما أصابه من عسر وتعقيد بمبالات النحاة واضطراب منهجهم وقصوره، بإعادة بناء النحو وفق المنهج العلمي المتبع في كل اللغات.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

"مِنْ أَشَقِّ الْأُمُور أَنْ يَرُودَ الْإِنْسَانُ طَرِيقاً لَمْ يَسِرْ فِيهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَيُشِيرُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتْرَكُوا مَا أَلْفَوْهُ وَيَتَّبِعُوهُ فِيهِ، فَرُبَّمَا اسْتَجَابَ لَهُ النَّاسُ، فَتَرَكُوا مَا أَلْفَوْهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْجَدِيدِ، وَهَذَا تَكُونُ الشَّهْرَةُ وَالْخُلُودُ، وَرُبَّمَا سَخَرُوا مِنْهُ وَمِنْ مَغَامَرَتِهِ، فَوَقَفُوا يَضْحَكُونَ مِنْهُ وَهُوَ يَقُومُ بِهَا، ثُمَّ نَسُوهُ وَأَغْفَلُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَا تَنَالُهُ الشَّهْرَةُ فِي حَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ يَبْقَى خَالِداً يَكْشِفُ خُلُودَهُ الزَّمَنُ"⁽¹⁾.

تمهيد

لا يملك الناظر، في نظرية النحو العربي وكتبه المؤسسة، أن يتجاهل الأزمة التي رافقت مسيرة النحو منذ بواكيره الأولى إلى عصرنا هذا، إذ اقترنت بالنحو، في كل مراحلها، اتهامات عديدة، ظهرت في أشكال متنوعة من النقد أو المهاجمة؛ فطُبع النحو، عند معظم المنتقدين، بالتعقيد والجمود، والجفاف، والاضطراب⁽²⁾، وغيرها من الصفات التي تشير بأصابع الاتهام إلى النحو والنحويين، ولا يسع المنصف إنكارها أو التهوين من خطرهما.

وباستقراء الدراسات المتصلة بالعربية ونحوها، نجدها تضج بمصطلحات نقدية متعددة ملوثة، تجمعها صلات قرى أو نسب، وتظهر متضامة مع مصطلح النحو، باعثها واحد هو الشكوى من ثقل الدرس النحوي، بمظاهره وتفصيلاته وفروعه المختلفة.

واللافت أنه رغم تنوع أشكال النقد التي اعتنت بعلوم العربية المختلفة؛ فإن المنجز النحوي استأثر، قبل غيره من علوم العربية، وأكثر منها، بعناية العلماء مناقشة ونقداً، وإن غلب، من بعد، اقتران مصطلح النقد بجوانب أخرى من علوم العربية؛ فشاع مصطلحا النقد الأدبي والنقد اللغوي إلى الحد الذي يُشعر بانتفاء وجود نوع آخر من النقد هو النقد النحوي.

وقد بدأت أصوات الشكوى والتذمر من وعورة النحو تظهر وترتفع تدريجياً منذ القرن الثاني الهجري، وتفرد النحو بتضامه مع مصطلحات أخرى متعددة تجمعها، كلها، مظلة النقد بوجهيه: المباشر وغير المباشر، وإن تستر بعضها بوجوه تفارق النقد في الظاهر، نحو: إصلاح النحو، وتيسير النحو، وتجديد النحو. بالإضافة إلى مصطلحات⁽³⁾ غيرها تدور في فلك تقريب النحو، أو توضيحه، أو تسهيله، أو تصفيته، ناهيك عن سلسلة طويلة من التأليف التي تبتغي معالجة مشكلات النحو، أو قصوره، وهي تأليف تنبئك أسماؤها المتغيرة بأن أمر صعوبة النحو، أو تعقیده، حقيقة ثابتة تستغني عن الاستكشاف، ولا ينقصها البيان.

أشكال النقد النحوي

قبل ظهور ما يمكن عدّه محاولات تجديدية أو إصلاحية في سياق نقد النحو في التراث اللغوي، كان ثمة إرهابات أو أفكار متناثرة، أسست لبناء منهج نقدي لنظرية النحو، وأزعم أن

نص الجاحظ (ت255هـ) التالي قد يكون أول النصوص النقدية التي تضمنت دعوة إلى اختصار النحو وتيسيره على المتعلمين من الناشئة؛ يقول في إحدى رسائله⁽⁴⁾: " أما النحو، فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أرد عليه، من رواية المثل والشاهد، والخبر الصادق، والتعبير البارع، وإنما يرغب في بلوغ غاية النحو، ومجاوزة الاقتصاد فيه، من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور، والاستنباط لغوامض التدبير لمصالح العباد والبلاد... ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه، وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر إليه شيء".

أما فيما يتصل بالتأليف في نقد النحو العربي؛ فتقودنا رحلة الاستكشاف في تاريخ حركة النحو، إلى رصد عدد كبير من التصنيفات⁽⁵⁾ التي كان باعثها الأول صعوبة النحو، وابتغى أصحابها تيسيره أو اختصاره لطالبه؛ منها كتاب خلف الأحمر⁽⁶⁾ (180هـ) الموسوم بـ: مقدمة في النحو، وكتاب المختصر في النحو للكسائي (198هـ). وألف ابن خياط (320هـ) كتابه: الموجز في النحو، وابن قتيبة (276 هـ) كتاب: تلقين المتعلم. ولابن النحاس (328هـ) كتاب التفاحة في النحو، ولابن خالويه (370هـ) كتاب المبتدئ، ولابن درستويه (347هـ) كتاب الإرشاد في النحو⁽⁷⁾. وتذكر كتب التراجم والفهارس لابن جني (392هـ) كتاب اللمع، وغيرها كثير من الكتب التي ظهرت في أوقات تزامنت مع ظهور الملامح الأولى لنظرية النحو العربي، ورافقت حركة التأليف في النحو، اعترافاً بأهميته من جهة، وصعوبته على المتلقين من جهة أخرى.

ونستشهد، على أن النحاة ابتغوا بهذه المؤلفات تيسير النحو واختصاره، بما افتتح به خلف الأحمر كتابه: "مقدمة في النحو"⁽⁸⁾: "لما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلغ في النحو من المختصر والطرق العربية، والمأخذ الذي يخف على المبتدئ حفظه، ويعمل فيه عقله، ويحيط به فهمه، فأمعنت النظر والفكر في كتاب أولفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق".

ويظهر جلياً من أسماء هذه التصانيف أن غايتها تعليمية، وهي لا تمثل النحو العلمي، وتتمثل وسائلها في صورة تيسير النحو واختصاره، استناداً إلى وقائع كثيرة تنبئ عن مشقة التعاطي مع الموضوعات النحوية، والشكوى من صعوبة فهم مفرداته والإحاطة بتفصيلاته. أما مضامين هذه الكتب، فتؤكد إدراك أصحابها أن بعض مصادر النحو دخلها الاضطراب في ترتيب الأبواب، تبعه اضطراب في توزيع فروع الباب الواحد وجزئياته، ينضاف إلى ذلك استعمال المصطلحات النحوية بصورة غير دقيقة أحياناً، والغموض الذي يحيط بعناوين الأبواب من جهة،

وانتفاء الانسجام بين العنوان وما تحته. ويكاد الباحثون يجمعون على أن كتاب سيبويه أقرب نموذج لهذه الأحكام⁽⁹⁾، مع كونه أنضح منجز نحوي في تاريخ النحو العربي، عند جُل الدارسين.

ولعلّه ضروريّ هنا إظهار أن من أهم ملامح عدم الرضا من الشكل الذي ظهر به النحو العربي، ما ورد من أخبار الخصومة بين الشعراء والنحويين، والمنافسات والمناظرات التي كانت تجري بين الفريقين، ومن أشهرها المناظرة أو المحاورة التي وقعت بين ابن أبي إسحاق (117هـ) والفرزدق (114هـ)⁽¹⁰⁾، ومنها ما حدث بين المتنبي (354هـ) وابن خالويه⁽¹¹⁾. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الألوان النقدية التي حفلت بها مجالس العلماء، سبقت ظهور صور النقد في مؤلفات النحو، ثم انتقلت المعارضات والمؤاخذات النقدية المباشرة إلى متون الكتب النحوية.

غير أن الاتجاه النقدي الذي ظهر في المؤلفات التي أشرنا إليها سابقاً، لم يقارب أصول التفكير العلمي أو النظرية النحوية التي وضعها القدماء، بل كانت غايته التطبيق، والتعليم، والاختصار، وتقريب الفهم. ولذلك خلت هذه المؤلفات من الإسراف في التفصيل والتفسير، ومن الولوع بالاستشهاد والاحتجاج والتعليل⁽¹²⁾.

وثمة اتجاه نقدي آخر مغاير في منهجه، وربما في أهدافه، لحركة التأليف هذه في مجال إصلاح مشكلات النحو وتيسيره واختصاره، أثر أصحابه اختيار المواجهة الصريحة مع النحو والنحويين، وتبنوا "الرفض التام لما في النحو من أوهام"⁽¹³⁾، وألفوا رسائل وكتباً كثيرة لنقض أقوال النحاة وتعليلاتهم، وقد ضمت كتب التراجم عدداً كبيراً من أسماء مؤلفات في النحو اتخذت من مواجهة النحويين منهجاً واضحاً، أشارت إليها كثير من الدراسات الحديثة، وجمع أحد الباحثين⁽¹⁴⁾ أكثر من خمسين عنواناً، في هذا الحقل، لكتب مفقودة، لم يصل إلينا منها سوى ذكرها في التراجم، اتسمت معظمها بالرد على النحاة أو واحد منهم، لذلك تجد معظم عناوين هذه الكتب لا تخلو من عبارة: "الرد على..."⁽¹⁵⁾ أو "النقض على..."⁽¹⁶⁾، وقد يتضمن العنوان إشارة إلى سهو النحاة، أو إغفالهم شيئاً من النحو⁽¹⁷⁾.

أما المصنفات التي سلمت نصوصها من الضياع، واعتمدت نهج النقد المباشر، فأهمها:

- كتاب "الرد على سيبويه"، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت285هـ).

وقد وردت نصوص هذا الكتاب مضمنة في كتاب آخر هو: "الانتصار لسيبويه على المبرّد"⁽¹⁸⁾ لابن ولّاد التميمي (ت332هـ) عارض فيه المبرّد، وحرص على إيراد عبارة المبرّد في رده على سيبويه مقرونة بمواضع النقد من كتاب سيبويه. وقد بلغ عدد المسائل التي أخذها المبرّد على كتاب سيبويه مئة وأربعاً وثلاثين مسألة، منها تسعون مسألة نحوية⁽¹⁹⁾.

وللباحث البرزنجي دراسة تناولت النظر في هذه المسائل⁽²⁰⁾، وخلص فيها إلى أن "الموضوعات التي تعرّض لها المبرّد في هذه المسائل متداخلة ومتنوعة؛ فقد تشتمل المسألة الواحدة على أكثر من خطأ في أكثر من جانب، وهي بالجملة: إما أخطاء شكلية تتعلق بتنظيم الكتاب وطريقة تبويبه⁽²¹⁾، وإما أخطاء أسلوبية تتعلق بأسلوب سيبويه⁽²²⁾، بما فيه من مصطلحات⁽²³⁾، وأمثلة⁽²⁴⁾، وعبارات⁽²⁵⁾، وإما أخطاء علمية تتعلق بأعاريب سيبويه وتوجيهاته⁽²⁶⁾، وما يتصل بحججه واستدلالاته النقلية⁽²⁷⁾، والعقلية⁽²⁸⁾ ولاسيما القياس وما ترتب عليه من أحكام ومادة منظرة⁽²⁹⁾".

- كتاب: الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل⁽³⁰⁾، لأبي عبد الله محمد بن السيّد البطلوسي (ت521هـ). وضعه ناقدًا به كتاب: "الجمل" للزجاجي (ت337هـ).

- رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح⁽³¹⁾، لأبي الحسين ابن الطراوة (ت528هـ)، وضعها ابن الطراوة ناقدًا بها كتاب: "الإيضاح"، لأبي علي الفارسي (ت377هـ).

- المسائل العشر المتعبة إلى الحشر⁽³²⁾، للحسن بن صافي المشهور بملك النحاة (ت568هـ)، وضعها ابن صافي ناقدًا بها النحاة في مسائل مختارة.

إن جميع المحاولات والكتب التي ذكرت في مجال نقد النحو، تندرج في المستوى التطبيقي من النقد النحوي، وهو ما يطلق عليه النحو التعليمي، أما على المستوى النظري، فإن ثمة علماء بارزين كان لأفكارهم تأثير واضح في مجال نقد النظرية النحوية العربية، وإن لم يكونوا نحاة متخصصين بالمفهوم الحقيقي لكلمة نحوي، إذ عدّت آراؤهم أسسا مهمة في بناء منهج نقدي في النحو، أسهم، من وجهة نظري، في خدمة النحو بصورة عامة؛ من هؤلاء العلماء: ابن حزم، وابن مضاء، وابن رشد، وابن الأثير، وابن خلدون.

فأفكار ابن حزم (ت456هـ) تعدّ الأساس الذي أقام عليه ابن مضاء مشروعه في نقد النحو العربي، كما ستظهر الدراسة لاحقاً⁽³³⁾.

وذهب ابن الأثير (ت606هـ) إلى أن إتقان معرفة النحو واجبة لكل ناطق باللسان العربي، إلا أن واضعه جعل الوضع عاما، ومعظم أقسامه لا يحتاج إليها في التواصل والإفهام؛ يقول في المثل السائر، في سياق كلامه على النحو: "وهو أول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي، ليأمن معرفة اللحن. ومع هذا فإنه، وإن احتيج إليه في بعض الكلام دون بعض لضرورة الإفهام، فإن الواضع لم يخص منه شيئا بالوضع، بل جعل الوضع عاما، وإلا فإذا نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدونة، وجدنا أكثرها غير محتاج إليه في إفهام المعاني"⁽³⁴⁾.

ثم يوضح رأيه بتقديم مجموعة من الأمثلة التي تؤكد أن عدم المعرفة النحوية لا تحول دون فهم المعنى وتحقق التواصل: " ألا ترى أنك لو أمرت رجلاً بالقيام فقلت له: "قوم"، بإثبات الواو ولم تجزم، لما اختلف من فهم ذلك شيء، وكذلك الشرط؛ لو قلت: "إن تقوم أقوم"، ولم تجزم، لكان المعنى مفهوماً. والفضلات كلها تجري هذا المجرى، كالحال والتمييز والاستثناء، فإذا قلت: جاء زيد راكباً، وما في السماء قدر راحة سحاب، وقام القوم إلا زيد، فلزمت السكون في ذلك كله، ولم تبين إعراباً، لما توقف الفهم على نصب الراكب والسحاب، ولا على نصب زيد، وهكذا يقال في المجزورات، وفي المفعول فيه، والمفعول له، والمفعول معه، وفي المبتدأ والخبر، وغير ذلك من أقسام أخر لا حاجة إلى ذكرها"⁽³⁵⁾.

أما ابن خلدون (ت808هـ)، فاسمه مرتبط غالباً، في الثقافة العربية، بإرساء قواعد فلسفة التاريخ، فضلاً عن اشتهاره بأنه منشئ علم الاجتماع العمراني، فغداً علماً مهماً ومؤثراً في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. غير أن له إسهاماً مميّزاً، يجله كثير من الناس، في الدرس اللساني النظري والتطبيقي؛ إذ نقف في مقدمته على استطرادات غنية في الفكر اللساني، تقارب ما بلغه البحث اللساني، واللساني التطبيقي، عند الغربيين⁽³⁶⁾.

وفيما يتصل بالنحو، بوصفه أحد مستويات التحليل اللساني، يقرر ابن خلدون أن المنهج الملائم في تقديم مسائل النحو يتطلب التدرج من البسيط إلى المعقد، ومن السهل إلى الصعب، ومن العام إلى الخاص⁽³⁷⁾، وهو المنهج الذي تقول به اللسانيات التطبيقية الحديثة.

ورغم تقديم ابن خلدون مرتبة علم النحو على مراتب علوم العربية الأخرى، فإنه يعيب على النحاة أنهم جعلوا النحو نفسه غاية لا أداة يتوصل بها إلى الملكة اللغوية؛ فأوسعوا، في صناعة النحو⁽³⁸⁾، دائرة الكلام " نقلاً واستدلالاً، وأكثروا من التفاريح والمسائل، بما أخرجها عن كونها آلة، وصيرها مقصودة لذاتها. وربما يقع فيها لذلك أنظار ومسائل لا حاجة بها في العلوم المقصودة بالذات، فتكون لأجل ذلك من نوع اللغو، وهي مضرة أيضاً بالمتعلمين على الإطلاق"⁽³⁹⁾.

إن ابن خلدون يعي بدقة افتراق مستوى ملكة اللغة عن مستوى صناعة اللغة؛ فصناعة العربية هي معرفة قوانين ملكة اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها⁽⁴⁰⁾، وإنما هي بمنزلة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً⁽⁴¹⁾. أما الملكة اللسانية، فهي غير صناعة العربية، " وإنما مستغنية عنها بالجملة"⁽⁴²⁾.

ويرى أن قصور النحو وجموده آت من تركيز النحاة على الجانب النظري، وجعل قوانين الإعراب تدرس لذاتها، ويكتفى بها عن التطبيق، ما دفعه إلى كشف مفارقة واقعة بين علم النحاة بقوانين الإعراب ولغتهم، فقال: " العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، وليس هو نفس

العمل، ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية إذا سُئِلَ في كتابه سطرين إلى أخيه أو ذي مودته... أخطأ فيها عن الصواب، وأكثر من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي"⁽⁴³⁾.

وهو أمر لا نحتاج إلى تصوره، لأننا قد نجد، في زماننا، فيمن يهتمون بنظرية النحو، من لا يجيد توظيف النحو في مواقف عملية؛ إذ يُخطئ مَنْ يظن أن في تعليم قواعد اللغة تعليماً للغة⁽⁴⁴⁾. المفارقة تكتمل في الصورة المقابلة كما يشير ابن خلدون؛ فإن من أدرك هذه القواعد تطبيقاً عملياً لا تنظيراً علمياً "يجيد الفَنِّين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئاً من قوانين صناعة الإعراب"⁽⁴⁵⁾.

أما أهم ما خالف فيه ابن خلدون النحاة، فيتمثل في رفضه كون الإعراب مقياساً وحيداً لصحة الكلام في النحو العربي، خاصة أن العرب يعناضون عن علامات الإعراب بالتقديم والتأخير، وبالقرائن الدالة على المقاصد، أو قرائن الحال، "لأن الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها، ويبقى ما تقتضيه الأحوال، ويسمى (بساط الحال)، محتاجاً إلى ما يدل عليه"⁽⁴⁶⁾.

إلا أن أشد ما يظهر فيه ابن خلدون منتقداً منهج النحاة، يتجلى في رده على زعم النحاة - وفقاً لعبارته- بأن البلاغة (في عهده) ذهبت لخلو اللغة من الإعراب، فيقول⁽⁴⁷⁾: "ولا تلتفتن في ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق، حين يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت، وأن اللسان العربي فسد، اعتماداً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يدرسون قوانينه، وهي مقالة ألقاها القصور في أفئدتهم".

المحاولات النقدية الناضجة

إن المحاولات النقدية التي ذكرناها اقتصرَت على آراء عامة، ولم تقدم تحليلاً شاملاً لأوجه النقد. أما المحاولات الناضجة في نقد النظرية النحوية فلا تكاد تتجاوز- في حدود ما وصلنا إليه- ثلاث محاولات؛ هي للجرجاني وابن مضاء وابن رشد.

أطروحة الجرجاني:

تعد أطروحة عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، التي اشتهرت بـ"نظرية النظم"، الأولى زمنياً بين مقاربات التجديد النحوي الناضجة، بل أكثرها أهمية في البنية المعرفية للنحو، وقد تكون أكثر أطروحات علوم العربية عبقرية وتميزاً.

ورغم أن عبد القاهر أقام مشروعه، في دلائل الإعجاز، على قضية الإعجاز القرآني، وهي قضية بلاغية أولاً، فقد أحكم الربط بين الإعجاز ومعاني النحو ربطاً لم يسبقه إليه أحد في مجال العلاقة بين الألفاظ والمعاني؛ فصاغ نظرية محكمة، تمثل الالتقاء الطبيعي بين تيارَي البحث

النحوي والدرس البلاغي؛ ليولد من هذا اللقاء "علم المعاني" الذي أرسى الجرجاني النحوي أصوله وقواعده، انتصاراً للمعنى في علم النحو، بعد أن "أجهز النحاة على كل هذا بتعليلاتهم وتحليلاتهم وحججهم الدائرة حول قضية الإعراب، فحولوه هدفاً أولاً وأخيراً"⁽⁴⁸⁾ على حدّ قوله.

إن عبد القاهر الجرجاني استطاع، بنظرية النظم، أن يصوغ المبادئ التي يتأسس عليها الربط التركيبي (النحوي) بين الجمل في النص⁽⁴⁹⁾؛ فقد جعل معاني البلاغة محمولة على قوانين النحو؛ إذ لم يكن النحو عنده هو العلم الذي يبحث في ضبط أواخر الكلمات، ولا هو منظومة القواعد المجردة، بل هو العلم الذي يكشف عن المعاني والدلالات المترتبة عن نظم الألفاظ في سياقها اللغوي الخاص، ولا أدلّ على هذا المفهوم من قوله: "ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيءٍ منها"⁽⁵⁰⁾، من هنا، أسس نظريته على أن سرّ الإبداع أو الإعجاز كائن في النظم الذي لا يتجاوز معاني النحو⁽⁵¹⁾.

على أن ما يلفت في أطروحة عبد القاهر المهمة، وهو ما يعيننا أكثر من غيره في دراستنا، أنه لم يقدم هذه الأطروحة في سياق نقض النظرية النحوية (التقليدية)، بل إنها لم تقاربها، رغم إعلانها، في النص الذي أوردناه، ضيقه من منهج النحويين الذين أجهزوا على الدلالات المتحصلة من التركيب وترتيب العناصر، بتعليلاتهم وتحليلاتهم حول الإعراب والشكل، فجعلوا من الإعراب هدفهم الأول والأخير. ويبدو أن انشغال عبد القاهر بتأسيس قواعد النظم في مستوى يتجاوز الحدود التي وقف عندها النحاة (حدود الجملة)، أدى إلى عدم وضعه مشروعه التجديدي في إطار نقض النحو أو نقده نقداً مباشراً، إذ كان مهتماً بالوقوف على الفروق الدلالية والبيانبة التابعة للتراكيب اللغوية المتباينة.

مقاربة ابن مضاء (ت592هـ) في نقد النظرية النحوية

كان المذهب الظاهري، الذي انتشر في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين، أعظم المذاهب الفقهية تأثيراً في النحو الأندلسي⁽⁵²⁾؛ ولم يكن في هذا المذهب، الذي وضع أصوله في الأندلس إمامه ابن حزم (ت456هـ)⁽⁵³⁾، دور للاجتهاد بالرأي، أو بالقياس، أو بالمصلحة، أو بالذرائع⁽⁵⁴⁾. وكان لعلم النحو عند ابن حزم منزلة مهمة؛ فهو يرى أن تعلم النحو في حكم الواجب على العلماء والفقهاء في عصره، وأن فهم القرآن وفهم الحديث مرتبطان بعلم النحو⁽⁵⁵⁾.

إلا أنه يعلن أن النحو، في معظمه، أخرجه أصحابه عن طريقه الطبيعي؛ فابتعدوا به عن غايته التطبيقية، لتأثر الدرس النحوي بتحليلات المتكلمين ومناقشات الأصوليين، فأتجه إلى التنظير والتأصيل والتفريع، ما نتج عنه اختلاط الجانب العملي فيه بالجانب النظري، وغدت "فلسفة

النحو" جزءاً من النحو؛ فكان طبيعياً توجه النقاش النظري فيه إلى القياس والتعليل ونظرية العامل، وهي أقرب إلى "فلسفة النحو".

لذلك جاءت آراؤه، في نقد النحو، امتداداً لأرائه الفقهية وفق مذهبه الظاهري؛ فكما أنه يرفض التعليل في الفقه، رفض ما يسمى العلل النحوية رفضاً كاملاً ووصفها بالفساد؛ إذ يقول: "ومثل هذا ما يستعمله النحويون في علمهم، فإنها كلها فاسدة لا يرجع منها شيء إلى الحقيقة البتة، وإنما الحق من ذلك أن هذا سمع من أهل اللغة الذين يرجع إليهم في ضبطها ونقلها، وما عدا هذا، مع أنه تحكم فاسد متناقض، فهو أيضاً كذب، لأن قولهم كان الأصل كذا فاستثقل فنقل إلى كذا (...) شيء يعلم كل ذي حس أنه كذب لم يكن قط، ولا كانت العرب عليه مدة ثم انتقلت إلى ما سمع منها بعد ذلك" (56).

وبناء على هذه الرؤية، طالب بالاعتصار من علم النحو على الضروري للمتعلم: " واللغة هي ألفاظ يُعبرُ بها عن المعاني، فيقتضِب من علم النحو كل ما يتصرف في مخاطبات الناس، وكتبهم المؤلفة، ويقتضِب من اللغة المستعمل الكثير التصرف.. وأما التعمق في علم النحو، ففضول لا منفعة به، بل هو مشغلة عن الأوكد، ومقطعة دون الأوجب والأهم؛ وإنما هي تكاذيب؛ فما وجه الشغل بما هذه صفته؟ " (57).

ومع أن ابن حزم لم يؤلف كتاباً في نقد النحو، فإن أتباعه وتلاميذه قد آمنوا برؤيته، وتبنوا أفكاره، ليخرج ابن مضاء القرطبي - وهو من أهم دعاة المذهب الظاهري - بعد أكثر من قرن (بعد سنة 581هـ) ليعيد إحياء فكرة إمام مذهبه في كتابه: " الرد على النحاة" الذي يمثل رؤية جديدة ظاهرية للنحو العربي، تندرج، بكيفية عامة، في الخط الفكري المؤسس للمشروع الثقافي لدولة الموحدين وقتند، وأنه منخرط بصفة مباشرة في حملة يعقوب المنصور الموحيدي (58) من أجل تكريس العمل ب"الظاهر" (59).

لا جرم أن ابن مضاء أسس مذهبه النحوي، في كتابه، على الأصول الفقهية للمذهب الظاهري، ومن أهمها الالتزام بظاهر النص دون الخوض في التفسير والتعليل، وأنه لا يقبل كل مسموع حتى يثبت نصه، فإذا ثبت نصه حكم عليه بظاهر النص. فترتب على هذا الأصل أن أصحاب هذا الاتجاه لا يقولون بالأقيسة، ولا يلجأون إلى التأويل أو التعليل ما دام النص قد ثبت ظاهراً (60).

هذه الأصول الفقهية الظاهرية يستند إليها ابن مضاء في الظواهر النحوية في اللغة، فدعا إلى إلغاء موضوعات النحو التي اعتمد في قواعدها أمثلة ليست من اللسان العربي؛ فإن "الناس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة، فكيف بهذا المظنون المستغنى عنه" (61). لذلك رفض الأمثلة المصنوعة، الخارجة عن الاستعمال اللغوي، وهي ما يسمّى التمارين غير العملية (62)، نحو

قولهم: أعلمت وأعلمني زيد عمراً منطلقاً، وأعلمني به زيداً عمراً منطلقاً⁽⁶³⁾؛ فقال: "إنها لا تجوز، لأنه لم يأت لها نظير في كلام العرب"⁽⁶⁴⁾، وهي "مما ينبغي أن يسقط من النحو"⁽⁶⁵⁾.

ولعلنا لا نحتاج إلى تأكيد أن مقارنة ابن مضاء تعد أكثر أطروحات النقد النحوي رفضاً لأسس النظرية النحوية العربية؛ فقد اتخذت منهج المواجهة المباشرة ضد قوانين النحو وتحليلاته وتعليقاته. ولعل عنوان كتابه: الرد على النحاة، يكفي الباحث مؤونة البحث عن الغاية من عقد هذه المقاربة؛ إذ تمثل مشروعاً لنقض صرح النحو الذي كان يمثل بناء راسخاً لا يقاربه، في صلابته، غيره من علوم العربية.

يقول شوقي ضيف محقق الكتاب: "إن من يرجع إلى نصوص "الرد على النحاة"، يلاحظ ملاحظة واضحة أن صاحبه ثائر على المشرق، وهي ثورة تعتبر امتداداً لثورة سيده عليه. كما أنه يلاحظ نزعة ظاهرية في ثنايا الكتاب، ما يؤكد صلة صاحبه بثورة الموحدين على كتب المذاهب، ومن يعرف؟ ربما كان ابن مضاء أحد المؤلّين والمحرّضين على هذه الثورة، إن لم يكن المؤلّب والمحرّض الأول، كما يقضي بذلك منصبه، والغريب أنه لم يعن بتأليف كتاب ضد فقه المشرق، وإن عني بالتأليف ضد النحو المشرقي، فقد صب عنايته كلها ضد النحو"⁽⁶⁶⁾. لذلك، فإنه "ليس عجيباً.. أن يتصدى ابن مضاء لنقد النحو العربي؛ فالحق أنه لم يكن يقصد هدم النحو لذاته، وإنما كان يهدف إلى هدمه باعتباره وسيلة لفهم الفقه المشرقي الذي اشترك هو في الثورة عليه"⁽⁶⁷⁾. لذا قيل إنه يدعو إلى نحو ظاهري، أو يمكن لأحد أن ينصبه إماماً للمدرسة الظاهرية في النحو⁽⁶⁸⁾، تأثراً بالمدرسة الظاهرية في الفقه.

ومن هنا، في رأبي، اكتسب مشروع ابن مضاء الأهمية والشهرة، لكونه مشروعاً اختار صاحبه الصعب بمحاولته مخالفة تيار النحو الذي كان يتسم، في ظاهره على الأقل، بالقوة والثبات والتميز، ثم اكتسب أهمية مضاعفة لأنه فتح باباً، كان مغلقاً، لكثيرين بعده ممن انتهجوا تيار نقد النحو، ليتناولوا النحو بالنقد والتمحيص، حتى إنه ليعدّ، عند بعض منتقدي النحو المعاصرين، رائداً ونموذجاً يقتدى؛ فكتبوا آراءه وبنوا عليها نقدهم أو شكواهم من النحو، رغم ما أثير حول الكتاب من آراء وانتقادات⁽⁶⁹⁾.

وهو، كما بين محقق الكتاب، يحاول في حملته أن يهدي النحاة إلى سواء السبيل، "وأن يعودوا إلى النهج المستقيم، إذ رآهم ضلوا وأضلوا الناس في وعثاء النحو وشعباه"⁽⁷⁰⁾. لذلك كانت غايته واضحة بيّنة في الكتاب؛ "فقد رأى ما زرى بالنحو من التفلسف على طريقة المتكلمين، فذهبت غايته، وصار أداة للجدل والمراء، يشرعها النحاة في وجوه بعضهم في مجالس المناظرة"⁽⁷¹⁾.

لذلك وجدناه لا يمضي في الكتاب قبل أن يصرح بالهدف المحدد من مشروعه؛ فيقول: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه"⁽⁷²⁾. فرفضه ما ألفه الناس من معهود النحو واضح معلن؛ بل إنه يُصرّح بمخالفته إجماع النحويين قبل أن يعرض فكرته أو يباشرهم النقد؛ إنه يجهر بثورة عنيفة، ضد النحاة، لم يتجرأ على إعلانها أحد، ويسعى إلى إزالة بناء كان يتعاضد ويقوى قرناً بعد قرن.

ويسارع ابن مضاء، في سياق تصريحه بمخالفة النحويين، إلى الاحتجاج برأي نحوي مهم ممن يعلن ثورته عليهم، ابن جني؛ فيقتنص رأيه ليحتج به⁽⁷³⁾: "وقد قال كبيرٌ من حذّاقهم، ومُقدّم في الصناعة من مقدّمِيهم، وهو أبو الفتح بن جني في خصائصه"⁽⁷⁴⁾: "اعلم أن إجماع أهل البلدين"⁽⁷⁵⁾ إنما يكون حجة، إذا أعطاك خصمك يده أن لا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص، فإذا لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه، وذلك أنه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآن ولا سنة، أنهم لا يجتمعون على الخطأ".

ولا يفتأ ابن مضاء يعلن مخالفته النحويين جميعاً بخطاب واحد لا يميز في ذلك بين مدرسة وأخرى، غير معتنٍ بانتماؤاتهم المذهبية؛ فهو ثائر على النحو كله، ومذهب النحاة كلهم عنده مذهب واحد، لذا يشير إليهم بقوله: "على مذهبهم"⁽⁷⁶⁾، أو يسميهم: "النحويون"⁽⁷⁷⁾، وأحياناً يذكرهم بقوله: "مذاهب النحويين"⁽⁷⁸⁾. والقصد من إشهاره الخلاف التنبيه على أنه يسلك نهجاً جديداً يغيّر منهجهم، بصريين وكوفيّين، فضلاً عما يحمله اعتراضه المعلن، على جماعة النحويين، من تعظيم شأن مشروعه إذ يجعل مشروعه، وفقاً لرؤيته، بديلاً عن النحو التقليدي قبله.

ومع أن ابن مضاء يشير إلى أن النحويين قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته من التغيير، فبلغوا من ذلك غاية كبرى، فإنهم "التزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا منها القدر الكافي فيما أرادوه منها، فتوعرت مسالكها، ووهنت مبانيها، وانحطت عن رتبة الإقناع حججها"⁽⁷⁹⁾.

وبعد جهره بغرض مشروعه، يسارع إلى بيان قصده بحذف ما يستغني النحوي عنه، فابتدأ بمهاجمة نظرية العامل، مطالباً بالغاءها من النحو، وحكم عليها بالبطلان، وعلى من يأخذ بها بالجهل؛ يقول: "وأما القول بأن الألفاظ يُحدّث بعضها بعضاً، فباطل عقلاً وشرعاً، لا يقول به أحدٌ من العقلاء، لمعانٍ يطول ذكرها فيما المقصد إيجازه؛ منها أن شرط الفاعل أن يكون موجوداً حينما يفعل فعله"⁽⁸⁰⁾.

وقد ارتأى ابن مضاء، في سبيل إعلان شأن فكرته، توجيه سهام ثورته على العامل، وهي أساس نظرية النحو، إلى سببويه الذي يعد كتابه الأساس الفعلي الأول لبناء النحو العربي؛ فقال

في استنكاره قول النحاة بالعوامل اللفظية والمعنوية: "فمن ذلك ادعائهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي"⁽⁸¹⁾، ثم اختص سيبويه بالذكر، فأورد تعليقه على هذه المسألة بأن الإعراب تبع للعوامل؛ فقال "... فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب وذلك بين الفساد"⁽⁸²⁾.

ورغم أن ابن مضاء يقرّر في مبتدأ كتابه أن دعوته إلى حذف نظرية العامل تستند إلى أن هذه النظرية مما يستغني عنه النحوي؛ فإنه يتجاوز ذلك إلى وصف التصور الذي بنيت عليه هذه النظرية، بأنه زعم خطأ أجمع عليه النحاة، ويرى أن قول سيبويه والنحاة، بأن العامل أحدث الإعراب، بين الفساد.

وفي سبيل تقوية حجته، لجأ ابن مضاء إلى الاستعانة برأي مهم لابن جني (392هـ) من كلامه على مسألة العمل النحوي، في قوله: "وإنما قال النحويون: عامل لفظي، وعامل معنوي، ليروك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه، كمررت بزيد، وليت عمراً قائم، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم؛ هذا ظاهر الأمر، وعليه صفحة القول. فأما في الحقيقة ومحصول الحديث؛ فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره. وإنما قالوا: لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ، أو باشتغال المعنى على اللفظ. وهذا واضح"⁽⁸³⁾.

وأرجح أن احتجاجة بأحد أبرز علماء النحو واللغة، يرمي إلى حمل مخالفه على إعادة النظر في مسألة العوامل، بعد تصريح علم من أعلامهم بمخالفته النحويين؛ فابن مضاء، وفق فهمه كلام ابن جني، وجد سنداً قوياً له في دعواه المعلنة. لكن المدقق في كلام ابن جني يخلص إلى أن ابن مضاء قد حمل كلام ابن جني على غير ما وضع له، إذ لا يقصد ابن جني في كلامه، ولا يتصور، بل لا يتصور أحد من النحاة، أن العوامل اللفظية، كالأدوات مثلاً، يمكن أن تحدث شيئاً بنفسها، وإنما أراد أنها تقتضي في التركيب اللغوي نوعاً معيناً من الإعراب، والمتكلم يجري ذلك تبعاً لقوانين اللغة المعهودة في كلام العرب لا من تلقاء نفسه.

وبمراجعة أقوال سيبويه وابن جني، للكشف عن مقصود كل منهما في الكلام الذي احتج به ابن مضاء، وللوقوف على مفهوم العمل النحوي عند كل منهما، وجدنا أن مصطلح العامل، عند النحويين، يشير إلى العلاقة بين عناصر التركيب، ثم ما ينشأ عن هذا التعالق من أثر⁽⁸⁴⁾؛ إذ العامل نظرية تتمثل بها طريقة النظم في الجملة العربية، وأساس هذه النظرية أنه إذا كان أحد أجزاء التركيب يطلب جزءاً آخر فيه، من حيث المعنى، فإنه يتشبّه به لفظاً.

والمهم أننا لم نجد تعارضاً بين مفهوم ابن جني للعامل وأثره، ومفهوم سيبويه وجمهور النحاة، ويبدو أن ابن مضاء أخذ من كلام ابن جني ظاهره فقط، وهذا مذهبه أو منهجه أساساً؛

فابن جني لم يخالف سيبويه كما فهم ابن مضاء، بل إنه يعزز مفهوم سيبويه⁽⁸⁵⁾ للعامل تأسيساً على العلاقات الخطية بين عناصر التركيب، بحيث يكون أحدها طالباً لآخر فيما يسمى العامل اللفظي اصطلاحاً، أما المسمى اصطلاحاً عاملاً معنوياً، نحو الابتداء، فيشيرون به إلى اللفظ المرفوع غير المطلوب من لفظ آخر في التركيب، فضلاً عما تتضمنه فكرة العوامل النحوية من إشارة إلى أن النحويين لا يعتقدون بأن الألفاظ هي التي تعمل.

فالابتداء بوصفه عاملاً معنوياً، يقصد به: أن تكون كلمة على حال لا تكون مطلوبة من كلمة أخرى قبلها أو بعدها، وحينئذ تأخذ حكم الرفع⁽⁸⁶⁾. ومن أفضل الأمثلة التي تظهر تصور القدماء لمفهوم العامل النحوي، ما أورده سيبويه في سياق كلامه على عامل الابتداء في باب الاستفهام؛ إن يقول: "هذا باب من الاستفهام يكون الاسم فيه رفعاً؛ لأنك تبتدئه لتنبّه المخاطب، ثم تستفهم بعد ذلك، وذلك قولك: زيدٌ كم مرة رأيته، وعبد الله هل لقيته، وعمرو هلا لقيته، وكذلك سائر حروف الاستفهام، فالعامل فيه الابتداء"⁽⁸⁷⁾، ثم أضاف معلقاً على جملة: أرايت زيداً هل لقيته؟: "كان (أرايت) هو العامل"⁽⁸⁸⁾.

ولعل النص الآتي الذي علق به الباحث البناء على نص سيبويه، يكشف لنا فهماً عميقاً لنظرية العامل النحوي، ويقرّب فهم الدارسين من مقصود النحاة بالعامل النحوي في نظريتهم⁽⁸⁹⁾: "وهذا من أبدع ما قاله سيبويه على أن هذه الكلمة غير مطلوبة لما بعدها، بل هي الطالبة له؛ وإذا كان الاسم المبتدأ به بهذه المثابة، فما بعده مبنياً عليه؛ وقد اصطالحوا على أن يقولوا: إن العامل فيه الابتداء. وهو عبارة عن أنه غير مطلوب، أو غير متعلق بشيء قبله أو بعده، وما كان سيبويه، أو من خلفه من النحاة، يعتقد أن شيئاً اسمه الابتداء يعمل! ولكنهم هكذا اصطالحوا، ولا مشاحة في الاصطلاح؛ وكان طالباً سأل في أول الأمر عن الذي عمل النصب في الاسم في نحو قوله تعالى: "إن الله بريء من المشركين ورسوله"⁽⁹⁰⁾، فقليل له: "إن"، وسأل آخر عن الذي رفع الاسم في قوله تعالى: "الله ولي الذين آمنوا"⁽⁹¹⁾ فقليل: "الابتداء"، ثم مضى النحاة على هذا مستسيغين لفظ العمل والعامل والمعمول، في بيان الارتباط والتعلق بين أجزاء التركيب؛ ولقد عرّف المتقدمون من النحاة أن في هذا المصطلح تسامحاً، كما كانوا يعرفون أن في كثير من مصطلحاتهم نحو ذلك"⁽⁹²⁾.

لقد قادنا البحث وتتبع أقوال العلماء في العامل النحوي، وتقييم آراء ابن مضاء بالنظر إلى تلك الأقوال، إلى استنتاج أن مفهوم ابن مضاء للعامل يخالف مفهوم النحويين الذين شن هجومه عليهم؛ فالعامل عنده إما أن يفعل بإرادة كالحیوان، وإما يفعل بالطبع كما تحرق النار ويبرد الماء⁽⁹³⁾، أما عوامل النحو؛ فإنها لا تعمل بإرادة ولا طبع⁽⁹⁴⁾.

وبذلك فإنه يلغي فكرة العوامل في النحو، استناداً إلى أن العوامل يجب أن تعمل إما بالطبع أو بالإرادة، وليس في عوامل النحو أي منهما، وهذا القياس الذي يطبقه ابن مضاء على مفهوم العامل، رغم موقفه من القياس، لا يستقيم لاختلاف طبيعة المقيس والمقيس عليه؛ فلا يُتَصَوَّر قياس تأثير عوامل النحو بتأثير الإحراق بالنار والتبريد بالماء، والراجح أن ابن مضاء لم يتتبع أقوال النحاة الأوائل بدقة، وإلا لما غاب عنه إدراك نظرتهم إلى مفهوم العامل المتجلية في قولهم⁽⁹⁵⁾: "إن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع للسيف، وإنما هي أمارات ودلالات؛ فالأمانة والدلالة تكون بعدم شيء، كما تكون موجودة بوجود شيء؛ ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان، وأردت أن تميز أحدهما من الآخر، فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر، لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر، فكذلك ههنا".

ولعمري لو أن ابن مضاء وقف أمام هذا النص المجلي مفهوم النحاة للعامل، لأدرك أنه لم يبلغ فهم مقصودهم الأساسي من العوامل، ولمّا قاس العامل النحوي، كالفعل أو حرف الجر مثلاً، على فعل النار وفعل الماء. ومع أننا لا ننكر أن النحاة خرجوا بالعامل النحوي، الذي أشرنا إليه آنفاً، عن الحدود التي رسموها له، فأكثرنا من التحليلات المنطقية والتفصيلات؛ فإن هذا لا يمنع من القول بأن ابن مضاء جانب الصواب في فهم مسألة العامل، بل جعل هذا الفهم، غير الدقيق، أساساً لثورته، فكان، وفقاً لعبارة أحد الباحثين⁽⁹⁶⁾، كمن "أساء فهماً فأساء رداً". ومرد هذا الرأي عند ابن مضاء، أنه خلط بين المفهومين النحوي والفلسفي، إذ أصر على فهم مصطلح العامل في إطار تصور المتكلمين، لا كما قدمه النحويون في إطار دراسة تركيب الجملة⁽⁹⁷⁾.

وثمة مسألة أخرى مهمة في إطار تقييم آراء ابن مضاء في العامل النحوي، تلکم هي اضطرابه في موضوع العامل، وعدم استقراره على رأي واحد فيه؛ فمرة يكون المتكلم هو العامل، نحو ماورد في كلامه على في باب الاشتغال: "إنما يرفع المتكلم وينصبه اتباعاً لكلام العرب"⁽⁹⁸⁾.

وفي مواضع أخرى يتخلّى ابن مضاء عن المنهج العلمي في تفسير العامل، فيلجأ إلى الفرضية التوقيفية في اللغة، فيكون الله، وفقاً لهذا النظر، هو العامل؛ من ذلك قوله: "وأما مذهب أهل الحق، فإن هذه الأصوات إنما في من فعل الله تعالى"⁽⁹⁹⁾. ثم يعود فيرى أنه عامل لفظي، نحو ما جاء في باب التنازع إذ اختار مذهب البصريين في إعمال العامل الثاني، لأنه أظهر وأسهل⁽¹⁰⁰⁾.

لكن اللافت أكثر من غيره، مما يظهر عدم استقراره على رأي دقيق في مسألة العامل، فهو إقراره بما يكشف أن مخالفته النحويين إنما هي واقعة في استعمالهم مصطلح الأعمال، بينما هو اختار مصطلح التعليق: "وأنا في هذا الباب لا أخالف النحويين إلا في أن أقول: علّقت، ولا أقول:

أعملت، والتعليق يستعمله النحويون في المجرورات، وأنا أستعمله في المجرورات والفاعلين والمفعولين" (101).

هذه الآراء مجتمعة تخلص بنا إلى تصور واضح يظهر فيه ابن مضاء مضطرباً غير مستقر على رأي، بل يبدو مناقضاً لأهم الأفكار التي بنى هو عليها كتابه. وقبل ذلك؛ فإن ابن مضاء يبدو، بالنظر إلى الصور المتعددة لمفهوم العامل عنده، غير منكر في الواقع لنظرية العامل، ناهيك عن أن آراءه المتصلة بمفهوم العامل من أنه قد يكون الله أو المتكلم أو اللفظي والمعنوي قد تداولها النحويون واللغويون الأوائل، ما يلغي فكرة السبق التي حققت للكتاب جانباً كبيراً من شهرته.

وفي سياق ثورته على أهم أسس نظرية النحو العربي، ورفضه فكرة العامل، وما تقتضيه من أحكام؛ نجده يخالف النحويين في أصل القياس⁽¹⁰²⁾، لتعارضه مع المسموع من كلام العرب الذي يؤخذ به ويقاس عليه؛ ف"إن الشيء لا يقاس على الشيء إلا إذا كان حكمه مجهولاً، والشيء المقيس عليه معلوم الحكم، وكانت العلة الموجبة للحكم في الأصل موجودة في الفرع. والعرب أمة حكيمة، فكيف تشبه شيئاً بشيء، وتحكم عليه بحكمه، وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع. وإذا فعل واحد من النحويين ذلك جهل، ولم يقبل قوله، فلم ينسبون إلى العرب ما يجهل به بعضهم بعضاً. وذلك أنهم لا يقيسون الشيء على الشيء، ويحكمون عليه بحكمه، إلا إذا كانت علة حكم الأصل موجودة في الفرع" (103).

كما أن موقفه من نظرية العامل النحوي قاده بالضرورة إلى رفض فكرة تقدير العوامل المحذوفة، ومتعلقات المجرورات، والضمان المستترة في المشتقات والأفعال⁽¹⁰⁴⁾، وطالب بإلغاء باب التنازع⁽¹⁰⁵⁾ وبإلغاء الاشتغال⁽¹⁰⁶⁾ وإلغاء ما يسمى العلل الثواني والثالث⁽¹⁰⁷⁾.

لقد شكل موقف ابن مضاء القائم على رفض فكرة العامل النحوي والمطالبة بإلغائه من النحو، الأساس الذي بنيت عليه مواقفه من الموضوعات الأخرى المتعلقة به، وهذا يعني أن دعوة ابن مضاء قد أصابت أهم أصول النحو ومعظم قضاياها، لارتباطها المباشر بفكرة العوامل النحوية التي تعد العمود الفقري لنظرية النحو، والمحور الأكثر تأثيراً في البحث النحوي بعامة عند القدماء؛ فالدعوة إلى إلغاء العامل، ومن بعده الأبواب المتصلة به، تتجاوز هدف تصحيح أصل من أصول النحو، أو إلغاء باب من أبوابه، لتصل إلى غاية بعيدة تشمل النحو كله، وتتضمن رفض منهج النحاة القدامى في بناء نظريتهم التي قادتهم إلى إهمال بعض أساليب العرب، ليجعلوا مكانها أساليب أخرى "سولتها لهم فكرة العامل، فوقعوا في تكلف شديد عقد الكلام وصعبه، وأحاله أفاضاً مستعصية" (108).

ولا يصلح الكلام في نقد مشروع ابن مضاء بمعزل عن آراء النقاد في أفكاره المتمردة على النحو الذي كان يُظن أن بناءه محكم لا يسهل هز ركن من أركانه، أو الاقتراب منها، فنظراً لأهمية الطرح المعارض الذي حملته أفكار ابن مضاء، ونتيجة للأسلوب غير المألوف في مهاجمة أصول النحو فضلاً عن أهمية النحو نفسه، تعددت آراء الباحثين والنقاد وتباينت، إلى حد التناقض أحياناً، في تقويم أطروحة ابن مضاء؛ فنظر عدد من النقاد إلى هذه الأطروحة بتصنيفها في محاولات هدم النحو العربي لا إصلاحه⁽¹⁰⁹⁾، بينما عدّها باحثون دعوة يخرج بها النحو من الضلالة إلى الهدى⁽¹¹⁰⁾، وركز بعض النقاد على أسبقية الفكرة في مجال النحو، وأن آراء ابن مضاء مبتكرة وجريئة، في حين قلل عدد من الباحثين من شأن أفكاره⁽¹¹¹⁾، فضلاً عن قولهم بعدم أصالة هذه الأفكار⁽¹¹²⁾.

مقاربة ابن رشد في نقد نظرية النحو

الاعتقاد السائد عن أبي الوليد ابن رشد⁽¹¹³⁾ (595هـ)، هو أنه فيلسوف محض، لذلك يعرف بابن رشد الفيلسوف، أو فيلسوف قرطبة، وقد ظهر في كل مؤلفاته نازعاً نحو التغيير والإصلاح والتجديد؛ فهو صاحب مشروع، أعلن عنه في هذه المؤلفات. ولا يحتاج ابن رشد إلى أن تظهر مكانته في الفلسفة، إذ هي ظاهرة ساطعة كالشمس، وكيفينا هنا الإشارة إلى ما وصفه به بعض مفكري الغرب المشهورين؛ يقول جورج سارتون: "إن ابن رشد كان من أكابر فلاسفة الإسلام، ولقد أثر بفلسفته أكثر من أرسطو نفسه، ودون ريب إن ابن رشد هو مؤسس الفكر الحر، فقد فتح أمام علماء أوروبا البحث والمناقشة على مصاريعها، وأخرجها من ظلمات التقليد إلى نور العقل والتفكير"⁽¹¹⁴⁾. ومثله شهادة رام لاندو: "إن الفلاسفة الغربيين لا يمكن أن يصلوا إلى مستواهم الذي نراه اليوم لو لم يحصلوا على نتائج بحوث ابن رشد في الفلسفة"⁽¹¹⁵⁾.

أمّا في مجال التأليف في النحو ونقده، فقد كان اسم ابن رشد غائبا عن خارطة المصنفات النحوية وكتب نقد النحو، ولولا الإشارات القليلة إلى كتابه "الضروري في صناعة النحو" في بعض كتب التراجم، لما عرف أحد أن ابن رشد ألف في النحو كتاباً، خاصة أن مخطوطة الكتاب لم تكتشف إلا في بداية القرن الواحد والعشرين الميلادي، وخرج الكتاب محققاً إلى النور في طبعته الأولى عام 2002م⁽¹¹⁶⁾؛ يقول محقق الكتاب: "لم أجد في كتب التراجم ذكراً لكتابه هذا إلا في كتب ثلاثة، إن غالب من يترجم لابن رشد يذكره بمؤلفاته الفلسفية والطبية لا غير"⁽¹¹⁷⁾. ثم يسمي هذه المصادر بادناً بأقدمها كتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار⁽¹¹⁸⁾. ثم يذكر إضراب المترجمين صفحاً عن ذكر الكتاب مرجعاً ذلك إلى عدم وقوعهم عليه لاختفائه، إلى أن يذكره صاحب "الذيل والتكملة"⁽¹¹⁹⁾، ثم يذكره أبو العباس يحيى حفيد ابن رشد في البرنامج الذي قيد فيه عناوين كتب جده⁽¹²⁰⁾.

واللافت في دراسة مشروع ابن رشد في سياق مقابلته بمشروع ابن مضاء أمران مهمان، أن كلا منهما كان معاصراً للآخر؛ وكان اتصالهما مباشراً بأمراء الموحدين، خاصة بالأمير يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور، وعملاً في عهدهما في القضاء وتوليا منصب قاضي القضاة، ثم يؤلف كل منهما كتاباً في نقد نظرية النحو العربي، ولا يشير أحدهما إلى الآخر⁽¹²¹⁾، وعندما أثيرت مسألة تيسير النحو العربي في العصر الحديث، واتسمت أفكار التيسير بالحدة في مهاجمة أسس النحو العربي، حظي ابن مضاء باهتمام خاص، لاسيما بعد تحقيق كتاب: "الرد على النحاة"، فانقسم الدارسون إلى مؤيدين لابن مضاء وإلى رافضين، كان ذلك وهم يجهلون كتاب ابن رشد في النحو، لأنه كان في حكم المفقود. وبعدما اكتشف الكتاب ونشر وجد القارئ نفسه بإزاء مذهب آخر، مذهب لا ينادي بثورة على نظرية العامل، بل يطرح بعقم مسألة بنية النحو العربي ذاتها، ويرى أن السبب فيما في النحو العربي من صعوبات إنما مرجعه إلى طريقة التأليف فيه⁽¹²²⁾.

ومع أن أسبقية الاكتشاف ثابتة لكتاب ابن مضاء الذي ظهر في منتصف القرن العشرين عندما حققه شوقي ضيف، في تأخر اكتشاف مخطوط كتاب ابن رشد إلى بداية القرن الواحد والعشرين إذ ظهر لأول مرة عام 2002م، فإن هذه الأسبقية لا علاقة لها بأسبقية الاكتشاف، وقد توصل عدد من الباحثين⁽¹²³⁾ إلى أنه ألف كتابه "الضروري في صناعة النحو" قبل ثلاثين سنة من تأليف ابن مضاء كتاب "الرد على النحاة". ولعل سكوت كل منهما عن صاحبه يمكن إرجاعه إلى كونهما "ينتميان، على صعيد كتابتهما على الأقل، إلى بعدين مختلفين في المشروع الثقافي الموحد: بعد يرتبط بظاهرة ابن حزم على مستوى العقيدة والشرعية....، وبعد يرتبط بفكر أرسطو على مستوى المنطق والعلوم العقلية"⁽¹²⁴⁾.

وفيما يتصل بجوهر كتاب ابن رشد، فإن أول ما يمكن استنتاجه، دون عناء، في سياق المقابلة بين مشروعه ومشروع ابن مضاء، أن كلا منهما يفارق الآخر في المنهج والرؤية والمرجعية، ما يجعل المقارنة بينهما غير مستقيمة. ومع أنهما يعلنان أن غايتهم تيسير النحو وإعادة بنائه؛ فإن دراسة كتاب ابن مضاء كشفت أن الهدف الأول عنده، من إنجاز كتابه، الثورة على نحاة الشرق، بنقض أهم دعائم نظريتهم في النحو، عن طريق الاستغناء والحذف، دون أن يطرح البديل، أما مع مشروع ابن رشد: "الضروري في صناعة النحو"، فإننا أمام منجز يعالج، بعقم ومنهج علمي، مسألة بنية النحو العربي، ويرى أن صعوبة النحو ترجع إلى كون بنيته غير قائمة على الطريقة الصناعية، أو المجري الصناعي⁽¹²⁵⁾، أي العلمي، ما يؤثر سلباً على تعلمه وتعليمه، لذا جعل غايته الرئيسية، في كتابه، إصلاح مشكلات النحو إصلاحاً جوهرياً، بطرح مشروع يعيد بناء مسائل النحو بطريقة علمية، وفق الترتيب الذي تشترك فيه جميع اللغات.

يفتح ابن رشد كتابه مفصلاً عن رؤيته وغايته فيقول: "الغرض من هذا القول أن نذكر، من علم النحو، ما هو كالضروري لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم، ويتحرى في ذلك ما

هو أقرب إلى الأمر الصناعي، وأسهل تعليماً وأشدّ تحصيلاً للمعاني⁽¹²⁶⁾، ثم بين أن تحقيق هذا الهدف يقتضي إعادة النظر في ترتيب مسائل النحو؛ فيقول: "وأما الترتيب الذي سلكناه نحن في هذا الكتاب؛ فإننا رأينا أن نقدم أولاً من أمر الألفاظ المفردة، ما الاهتمام بمعرفته مساوٍ للاهتمام بمعرفة الإعراب بل لعله أكبر، وهي كالأمر الضرورية في كل مخاطبة، وهو مشترك بجميع الألسنة"⁽¹²⁷⁾.

إنّ النحو العربي، وفق الأساس الذي وضعه النحاة، يمثل، في نظر ابن رشد، منجزاً مكتملاً لا ضرورة فيه للإضافة أو الاستدراك عليه، وليس محتاجاً، كما قرر ابن مضاء، إلى حذف أو إلغاء قصد تيسيره أو اختصاره؛ لذلك نجد ابن رشد يصرح في حديثه عن صناعة النحو وعن سبب وضع كتابه فيقول: "الصناعة الموجودة عند نحويي العرب في زماننا هذا قد استوفت جميع أجزاء هذه الصناعة"⁽¹²⁸⁾.

إنّ هذه النظرة الموضوعية إلى النحو، لا تتعارض مع مشروع ابن رشد النقدي الذي يهدف إلى نقل النحو العربي إلى منزلة العلوم التي استكملت معايير الصياغة العلمية، وذلك باقتراح بناء جديد له تتبع فيه الطريقة الصناعية (العلمية)؛ فالنحو الذي بني في عدة قرون، لم يكن، في نظر ابن رشد، قد حقق شروط الصناعة العلمية التي تجعل منه علماً، وفق هذا المعيار.

ولتقريب مراد ابن رشد من قوله إن تأليف النحويين لم تكن وفق الطريقة العلمية في التأليف، نورد تعليقه على ما سماه تقصير النحويين عن القسمة الصحيحة في أنواع الإعراب؛ إذ يرجعه إلى أن النحويين "لم يستعملوا في إحصاء أنواع الإعراب القسمة الصحيحة التي لا يعرض فيها تداخل. وكل صناعة لم تستعمل فيها بعد القسمة الحاضرة الغير⁽¹²⁹⁾ متداخلة فهي صناعة ناقصة، وهذا هو السبب الذي دعانا إلى وضع شيء في هذه الصناعة، مع توجه الأمر إلينا به، وإلا فما كنا نضعه"⁽¹³⁰⁾.

فمع تقدير ابن رشد جهود النحويين، فإنه يصرح بأن التداخل الواقع في كتبهم بين مستويات النحو وأبوابه المختلفة، يعدّ نقصاً ظاهراً في الصناعة، وأنه أحد موجبات بناء مشروعه التصحيحي.

والصحيح أنّ مسألة تداخل موضوعات النحو وأبوابه، في كتب النحو، من أهم المآخذ التي توجه إلى النحو الذي وضع له أعلامه، منذ سيبويه، تقسيماً صارماً بين أبواب لا يمكن فصلها عملياً، أو تجنب تداخلها. لذلك لا نملك، أمام هذه المسألة، غير موافقة ابن رشد في موقفه من تقسيم أبواب النحو؛ فاعتماداً على أشكال الكلمة، توزعت أبواب النحو في ثلاثة أبواب رئيسية: باب الاسم، وباب الفعل، وباب الحرف⁽¹³¹⁾. وهذا الفصل بين الأبواب غير مستقيم، لأنّ بحث الاسم يتطلب بالضرورة ذكر الفعل عند الحديث عن الفاعل أو المفعول مثلاً، إذ لا يمكن تمثيل

الفاعل أو المفعول دون إيراد الفعل، فضلاً عن أن الفعل هو عامل الرفع والنصب في الفاعل والمفعول، على الترتيب، وفق نظرية النحو العربي.

إن الأمر نفسه يحدث عند الحديث عن الفعل؛ إذ يصعب تصور كلام عن الفعل بمعزل عن الأسماء. ومع ثقتنا بأن النحويين لم تغب عنهم هذه المسألة، وأن غايتهم الأولى من الفصل النظري بين أبواب النحو كانت تعليمية؛ فإن هذا التداخل الإجباري أضعف من قيمة تقسيمهم وترتيبهم لهذه الأبواب، ناهيك عن غياب الحدود الفاصلة بين مسائل النحو ومسائل الصرف في معظم كتب النحو.

إن القراءة الصحيحة لمشروع ابن رشد، بوصفه مشروعاً لإعادة بناء النحو، لا تكون إلا باستحضار المبادئ الأساسية التي بني عليها صرح النحو العربي، ليسهل على الدارس، من بعد، تبين ملامح هذا المشروع ومكانه على خارطة النحو العربي، والوقوف على مدى اقترابه أو ابتعاده من نظرية النحو العربي.

وبما أن كتاب سيبويه، يمثل المرجعية الأساسية للنحو؛ فإن أطروحة ابن رشد تصلح أن تعد مشروعاً تجديدياً⁽¹³²⁾ يمكن النظر إليه بوصفه منهجاً موازياً لمنهج سيبويه والنحويين.

وهذه المقارنة، أو الموازنة، مع كتاب سيبويه، تقرب فهم المبادئ التي أقام عليها ابن رشد قراءته المقترحة للنحو العربي، إذ لا جدوى كبيرة نجنيها من مقارنة المشروع الذي أنجزه ابن رشد بدعوات التجديد أو التيسير الأخرى في مسيرة التأليف في النحو العربي، لأصالة الطرح الذي جاء به، ولتفرده في الرؤية والمنهج، فضلاً عن التباين بين الغاية الدقيقة المقصودة من مشروعه وهدف تلك الدعوات، بالإضافة إلى كون عمل ابن رشد يندرج في صلب النظرية النحوية، بينما تصنف الدعوات الأخرى في المستوى التطبيقي للنحو.

أما الدواعي التي دفعت ابن رشد إلى تأسيس مشروعه النحوي، فقد أعلنها بوضوح في مواضع متفرقة من كتابه، وهي دواعٍ تتصل بمنهج النحويين في عرض مسائل النحو وتحليلها، وأهمها:

أولاً: تكلف النحاة ومبالغتهم

يشير ابن رشد إلى أن النحاة أدخلوا في مؤلفاتهم من التفريعات والتعليقات ما لا يحتمله النحو، ولعله يقصد بذلك المتأخرين من النحاة أكثر من غيرهم؛ يقول ابن رشد: "وصار النحاة يتكلفون من إعطاء أسباب الكليات التي يضعونها في هذه الصناعة فوق ما تحتله الصناعة"⁽¹³³⁾، وهو السبب نفسه الذي جعل ابن مضاء - كما تبين لنا - يعلن ثورته على النحاة في كتابه: الرد على النحاة⁽¹³⁴⁾.

ثانياً: تقصير النحاة

فقد عرض ابن رشد لجوانب تقصير رئيسية ثلاثة داخلت النحاة في منهجهم؛ أولها أنهم لم يسلكوا المنهج الصناعي في قوانين الإعراب والمعربات، وميز في ذلك بين المتقدمين والمتأخرين؛ يقول ابن رشد⁽¹³⁵⁾: "أما علم التركيب، فإنهم جعلوا الكلام فيه مع الكلام في المعربات، ولم يجعلوه على حدة، ولم يسلكوا أيضاً في حصر قوانين الإعراب والمعربات طريقاً من الطرق، ولم يسلكوا في حصر قوانين الإعراب والمعربات طريقاً من الطرق الصناعية، ولا سيما قداموهم، وإنما المتأخرون فقد نجدهم سلكوا في ذلك بعض السلوك".

ثم يؤكد أنهم قصرُوا في سلوك منهج دقيق يحصر ضروب الإعراب وأشكال الجمل المختصة بكل ضرب، وأسباب ذلك، ما جعلهم يحدون عن المنهج الشامل الذي يخلص بهم إلى تقديم النحو على الوجه الصحيح؛ يقول ابن رشد⁽¹³⁶⁾: "والقصد في هذا الكتاب إنما هو إحصاء أنواع الإعراب وجهته ونوعه، وإعطاء الأسباب الفاعلة للإعراب في جملة جملة، وهو شيء لم تصنعه النحاة، ولا حصرت الإعراب من جهة الجمل المختصة بأصنافه وأسبابه الخاصة".

أما الجانب الثاني في تقصير النحاة - من وجهة نظره - فهو تقصيرهم في الوقوف على الحكمة في اختصاص المعربات بأحكام أعرابية معينة، فاكتفوا ببيان النوع والحكم، ولم يقدموا تفسيراً لاختيار الرفع للمبتدا، والخفض والنصب لبقية المعربات، مع أن الحكمة بينة كما يرى؛ يقول⁽¹³⁷⁾: "وأما لم خست الشكل المسمى ضمة بالاسم المستقيم⁽¹³⁸⁾؛ فالحكمة أيضاً فيه بينة،... وهذه الحكمة التي رام النحاة الوقوف عليها، فلم يوضحوها كل الإيضاح".

والمظهر الثالث من قصور منهج النحاة - وفق رؤيته - يتمثل في تقسيمهم أنواع الإعراب تقسيماً غير صحيح، وقد سبقت الإشارة في البحث إلى أن هذا التقصير دفعه إلى تأليف كتابه⁽¹³⁹⁾: "فهذا هو أحد التقصير الداخل عليهم في هذه الصناعة، والتقصير أنهم لم يستعملوا في إحصاء أنواع الإعراب القسمة الصحيحة التي لا يعرض فيها تداخل. وكل صناعة لم تستعمل فيها بعد القسمة الحاصرة الغير متداخلة فهي صناعة ناقصة".

ثالثاً: اضطراب منهج النحاة في تنظيم أبواب النحو

يحرص ابن رشد على تأكيد منهجه في ترتيب الأبواب والمسائل النحوية، وأن الترتيب الذي اختاره مشترك في جميع اللغات، وهو الذي يجب أن تكون عليه صناعة النحو؛ يقول⁽¹⁴⁰⁾: "وأما الترتيب الذي سلكنا في هذا الكتاب؛ فإننا رأينا أن تقدم أولاً من أمر الألفاظ المفردة ما الاهتمام به مساو للاهتمام بمعرفة الإعراب بل لعله أكبر،... وهو مشترك بجميع الألسنة". وهو، باقتراحه

منهجاً جديداً في ترتيب المواد العلمية، يخالف المعهود في مؤلفات النحويين، ويشير إلى أن ترتيب المواد العلمية، في كتب النحاة، لا يوافق المتبع- وفق المنهج العلمي- في اللغات الأخرى.

هذا الاهتمام من ابن رشد متأسس على إدراكه أهمية ترتيب الموضوعات في العلوم، ومنها النحو؛ إذ لا بدّ، لفهم الموضوعات فهماً تكاملياً شاملاً، من ترتيبها على أساس منهجي منطقي، كما أن تعليمها يتعسر ما لم تتسم القسمة فيها بالإحكام والترابط والتسلسل؛ فيفضي السابق منها إلى اللاحق ولا يتقدمه. والخروج على هذا الأساس في الترتيب يؤدي بالضرورة إلى الخلل والتداخل اللذين تؤثران في عمليتي الفهم والتعليم.

ولذلك نجد مواضع متعددة في الكتاب ينتقد فيها ابن رشد صراحة عدم دقة منهج النحاة في ترتيب المواد؛ فقد جعلوا الكلام في علم التركيب مع الكلام في المعربات، ولم يجعلوه على حدة⁽¹⁴¹⁾، كما أنهم: "لم يخلصوا أصناف الإعراب بحسب أصناف الكلام"⁽¹⁴²⁾، أما هو فيفصل بينهما في منهجه، ويقترح - بناء على رؤيته في ترتيب موضوعات العلوم- إعادة بناء مسائل النحو العربي وفق المبدأ المنهجي المتبع في سائر العلوم؛ إذ الأمثل في الترتيب العلمي الابتداء بالبسيط ثم المركب؛ يقول عن أساس منهجه في أجزاء صناعة النحو⁽¹⁴³⁾: "وأما الترتيب المستعمل في أجزائها؛ فلأن البسيط من كل شيء قبل المركب، كان الترتيب الصناعي يقتضي أن يبتدأ أولاً بالألفاظ المفردة، ثم بالمركبة ثانياً، ثم باللواحق ثالثاً".

لذلك جعل ابن رشد جزء كتابه الأول لدراسة أشكال الألفاظ أو صيغها، وفقاً للترتيب الذي قرره على قاعدة البسيط قبل المركب؛ فكانت الألفاظ المفردة أولاً، تلتها الجمل أو الألفاظ المركبة، وفقاً لعبارته، ثم اللواحق التي تلحق بالألفاظ في الجمل⁽¹⁴⁴⁾. أما الجزء الثاني؛ فقد خصصه للإعراب والمعربات، مبتدئاً بتصنيف المعربات وفق أصناف الكلام، مراعيًا كذلك مبدأه العلمي السابق: "البسيط من كل شيء قبل المركب"⁽¹⁴⁵⁾. غير أنه اختار أن يبدأ، قبل الجزأين الرئيسيين، بالمقدمات التي تضمنت -وفقاً لعبارته- ما الاهتمام بمعرفته مساوٍ للاهتمام بمعرفة الإعراب، بل لعله أكبر، ويقصد الموضوعات المتصلة بالعدد، والجنس، وأشكال الضمائر الثلاثة، وهي الأمور الضرورية في كل مخاطبة ومشتركة في جميع الألسنة⁽¹⁴⁶⁾.

رابعاً: عسر فهم قواعد النحاة وصعوبة تعلّم النحو

منذ البدء قرر ابن رشد أن الصعوبة في النحو آتية من كونه غير مبني على الطريقة الصناعية أو المجري الصناعي⁽¹⁴⁷⁾، ثم بين أن الغرض المقصود من مشروعه تقريب النحو إلى المتعلمين، وإدخاله إلى المجري الصناعي، ليكون أسهل تعليماً وأشدّ تحصيلاً للمعاني⁽¹⁴⁸⁾.

يؤكد ابن رشد، في عدة مواطن في كتاب الضروري، أن كثيراً من كتب النحاة لا تصلح إلا لمن أتقن العلم، لكنها لا تصلح للمتعلّم المبتدئ الذي أثقل النحاة كاهله بما "يتكلفون في ذلك من الألفات التي يسمونها إعراباً، ويأخذون الولدان بحفظها"⁽¹⁴⁹⁾.

ولذلك، كان لا بدّ من اقتراح مشروع يقوّي استحضار المتعلمين والولدان الناشئة قوانين النحو وفهمها، ويجنبهم كثيراً مما في قوانين النحاة من تشغييب وتفتّق راموا حصرها في صناعتهم⁽¹⁵⁰⁾، ويخلص قواعد النحو مما فيها من تطويل وصعوبة وتعدد وتفرّع... إلخ، ويستبدل بها ما سماه: القوانين، أي الأقاويل الكلية أو الجامعة⁽¹⁵¹⁾، فتحصر، بذلك، أشياء كثيرة في قوانين قليلة، وهذا أساس مهم من أسس العلم أو الصناعة.

ويكشف ابن رشد عن غايته في هذا الأمر بقوله⁽¹⁵²⁾: "وإنما كان الابتداء بهذه الأقاويل نافعا في الصنائع؛ لأن ترتيب التعلم يقتضي أن يصير من الأعرف إلى الأخفى، والكلّيات أعرف عندنا وأسهل من الجزئيات، وأيضا فإن الكلّيات نافعة للمتذكر، ونافعة للمبتدئ بالنظر في الصناعة، لأنه يسهل بذلك عليه علمها، وإن اقتصر عليها كفتّه، ولذلك كان الأفضل في تعليم الولدان أن يلقى إليهم أولاً الأقاويل الكلية ويؤخذوا بحفظها، فإذا شدوا وأرادوا الكمال في الصناعة أخذوا بتفاصيلها، وليس يصلح هذا بالولدان في تعلم الصنائع فقط، بل وفي كل ما يرام أن ينشؤوا عليه من الفضائل الجميلة".

خامساً: الخروج على الأصول المنهجية للعلوم

من أهمّ المواضع التي انتقد فيها ابن رشد مخالفة النحويين أصول المنهج العلمي قوله، في سياق كلامه على أصول النحو المعتمدة في وضع معظم قواعد النحاة: "فإنّ جُلّ ما أثبت وجوده في هذه الصناعة، إنما أثبت بطريق السماع والاستقراء، وقد يستعمل أهل الصناعة القياس فيما جهل سماعه؛ أنهم يقيسون المجهول على المعلوم، وهو ضعيف، وربما أفرطوا حتى يردون السماع بالقياس"⁽¹⁵³⁾.

إن رأي ابن رشد في هذا الموضوع يوافق ما قرره ابن مضاء في كلامه على أن العرب أمة حكيمة، لا تشبه شيئاً بشيء، وتحكم عليه بحكمه، وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع. فإذا "فعل واحد من النحويين ذلك جهل، ولم يقبل قوله"⁽¹⁵⁴⁾.

ولعلنا نتفق تماماً مع ما قرره ابن رشد في تضعيف قياس المجهول على المعلوم، واتفاقنا أكبر على عدم قبول رد السماع بالقياس؛ لأن المسموع أصيل والمقيس محدث، ولأن النحو في المقام الأول، كما عرفه النحاة المؤسسون أنفسهم، هو: "انتحاء سمت العرب في الكلام".

غير أن إنصاف النحاة يقتضي الإشارة إلى أن بعضهم جاء بما يناقض القول بتقديم القياس على السماع؛ فإذا تعارض السماع والقياس نطبق بالمسموع على ما جاء عليه⁽¹⁵⁵⁾. هذا القول يمثل مبدأ مهما عند ابن جني أكدّه في غير موضع في الخصائص، ويتجلى في قوله: "وأعلم أنك إذا أدرك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه"⁽¹⁵⁶⁾.

وهو لا يفتأ يؤكد هذه الفكرة ويغلب السماع على القياس قولاً واحداً، مهما تعددت جهات القياس للمسألة الواحدة؛ ففي تعليقه على إحدى المسائل يفصل في ذكر أدلة القياس، ويؤكد غلبة السماع على القياس، حتى لو كانت حجج القياس قوية ومتعددة؛ وجهة السماع واحدة؛ فيقول⁽¹⁵⁷⁾: "وإذا كان الأمر كذلك علمت قوة السماع وغلبته للقياس ألا ترى أن سماعاً واحداً غلب قياسين اثنين؟!"

ويحاول ابن رشد في منتهى كتابه تقييم عمله تقييماً موضوعياً متوازناً؛ فكما أنه أبرز في أول الكتاب قصده من تأليفه، وبين أسسه المعتمدة وأصوله المنهجية، عاد في آخر الكتاب ليقدم، بإيجاز، أهم ما خلص إليه مما تميز به عمله، أو انفرد به في مشروع صناعة النحو؛ مع إقراره بأن النحاة حققوا في مشروعاتهم جزءاً من هذه الصناعة، وهو الجزء الذي يشير إلى أنه لم يذكره كلياً أو جزئياً في كتابه؛ يقول ابن رشد⁽¹⁵⁸⁾: "ومن وقف على هذه القوانين، وفهم انحصار الكلام فيها، وكان من أهل صناعة النحو، أمكنه أن يأتي بتفاصيلها من كتب النحاة، وأن يحصر فيها ما افترق في كتبهم، ولذلك ما ترى أن تمام هذا الغرض قد تم لنا معظم ما كنا رمناه، وأما ما بقي من أجزاء هذه الصناعة مما لم نذكره لا ذكراً كلياً ولا ذكراً جزئياً؛ فإنه ليس فيه زيادة ترتيب وجودة تعليم على ما في كتب القوم إلا يسيراً، فإن أكثر ما بقي عليهم من جودة الترتيب وحسن النظام، واستعمال التقسيم الصحيح، إنما كان في هذا الجزء الذي هو معرفة المعربات".

كما أنه، في سياق تأكيده أنه لا يبتغي بمشروعه مخالفة النحاة، يحرص على اهتمامه بأنظار الآخرين، من أهل الإنصاف، في كتابه فيقول⁽¹⁵⁹⁾: "ومن وقف على ما كتبناه في ذلك، وكان من أهل الإنصاف، ظهر له أن المسلك الذي سلكناه في تقسيم هذا الجزء وحصر معانيه هو أدخل في الأمر الصناعي، وأضبط في باب المعاني مما جرت به عادة النحاة في ذلك مما شرطناه في أول الكتاب".

ولأن ابن رشد يدرك جيداً خطورة مغامرة الخروج على المعهود، ومناقضة ما ألفه الناس، فإنه لا يفتأ ينبه إلى أن المنهج القويم في العلم، لا يأبه بالمعهود والمألوف إذا خرج عن سكة المنهج الصحيح في العلوم، على الرغم من قداسة المؤلف والمشهور المتحصلة بمرور الزمن؛ يقول ابن رشد في سياق كلامه على منهجه في الكتاب: "وربما عابه قوم لمفارقة المعتاد، وأنكروه

لما في طبيعة الأقاويل المشهورة من الاستبعاد، وربما قالوا خلط صناعة المنطق بصناعة النحو، وهذا كله جهل بالطريق الصناعي"⁽¹⁶⁰⁾.

فهو يدرك خطر المجازفة في مناقضة ما ألفه الناس والخروج على ما عهدوه وارتضوه، لأنه يورث لنفسه بذلك الخصومة أو السخرية، حتى لو حرص صاحب الفكرة على أن يكون موضوعياً، لكن ذلك لم يثنه عن إظهار مشروعه، لإيمانه فيه، ولعلو غايته منه، ولذلك لم يتخذ طريق الهجوم المباشر على النحويين منهجاً كما فعل ابن مضاء، بل قرر أنهم حققوا أجزاءً مكتملة في صناعة النحو، فكان مشروعه أقرب إلى العلمية من مشروع ابن مضاء الذي كانت ثورته غاية لا طريقاً.

ولأن ابن رشد، الفيلسوف، يدرك تماماً أن مشروعه النحوي يسهل اتهامه بصلته بالمنطق وتأثره به؛ اختار أن يبنه هو إلى هذه المسألة، ليواجه الأفكار المسبقة التي قد تظلل كتابه فيعامل، توهماً، بوصفه مشروعاً فلسفياً للنحو، وليظهر أن القول بذلك وهم قائم على جهل بأصول العلم⁽¹⁶¹⁾؛ إذ لا يتصور أن يكون انتحاء منهج علمي مشترك بين عدة علوم خلطاً بين العلوم بالضرورة، ومن بعد؛ فلا يمكن أن تعد صياغة مسائل النحو، المكتملة في كتب النحاة، صياغةً منهجية كلية تعتمد تقديم أعمال العقل والمنطق على المشهور من قبيل الخلط بين النحو والمنطق. فالصناعة الصحيحة تقتضي جمع شتات الجزئيات في قوانين كلية باعتماد قسمة صحيحة غير متداخلة.

والقراءة الفاحصة لكتاب الضروري، تظهر قدرة ابن رشد، العالم الفيلسوف، على الفصل بين صناعة المنطق وصناعة النحو، وأنه لا مجال للخلط، في مشروعه، بين صياغة مسائل النحو صياغة تراعي القسمة المنطقية الصحيحة غير المتداخلة، ومسألة العلاقة بين النحو والمنطق المشهورة في تاريخ الثقافة العربية.

وهو لا يفتأ يؤكد أن القول بأنه في مشروعه قد خالف المشهور، وخلط النحو بغيره، قائم على الجهل أو الحسد أو عجز العوام عن الانتقال من المشهور إلى المعقول؛ يقول ابن رشد⁽¹⁶²⁾: "ولعل جاهلاً يقول إنك خرجت في هذا الكتاب، عن طريق النحاة، وخلطت هذا العلم بعلم ليس منه؛ فإن القائل بهذا القول إما أن يكون حمله الجهل وإفراط الحسد، على أن لم يفهم أن كل صناعة، تروم أن⁽¹⁶³⁾ تعرف الأشياء التي فيها، بأتم ما يمكن أن تعرفه بها، أو لم يقع له التصديق بما قلناه، من أنه يكون ممن لا يقدر أن ينتقل عما نشأ عليه من التقليد، وكان المشهور مغلباً عنده على المعقول؛ وهذه هي رتبة العوام، فيلحق هذا العلم بجنسه، ولا يتعرض لإدخال نفسه في الخواص، فإن عزله منهم واجب، وإلحاقه بصفه، هو القول فيه".

نتيجة

لا يمكن للدراسة أن تغفل النتيجة التي وصل إليها محمد الجابري الذي عقد مقارنة سريعة بين مشروع ابن مضاء ومشروع ابن رشد، لأهمية النتيجة أولاً، ولضرورة العلم التي تقتضي الإشارة إلى كل ما له اتصال بالبحث ثانياً؛ يقول الجابري: "الكتابان، كتاب ابن مضاء وكتاب ابن رشد، تجمع بينهما الغاية وهي تيسير النحو العربي، ولكن تفرق بينهما الطريقة والمرجعية: ابن مضاء يتحرك داخل بنية النحو العربي، كما كانت منذ سيبويه، مع "إسقاط كل ما لا يفيد نطقاً"، الشيء الذي يربطه بظاهرة ابن حزم. أما ابن رشد فيريد أن يعيد بناء النحو العربي وفق "الترتيب" الذي هو "مشترك لجميع الألسنة"⁽¹⁶⁴⁾.

لا ريب أن ما وصل إليه الجابري في تقييم العمليتين يختصر أهم فرق بينهما، ويكشف عن دراسة فاحصة لهما، رغم أن المساواة بينهما في الغاية قد لا يستقيم، فضلاً عن اختلافهما في سلوك المنهج العلمي للوصول إلى الغاية. ومع إشارة عدد من الدراسات⁽¹⁶⁵⁾ إلى أن محاولة ابن مضاء تقع في صدارة محاولات إصلاح النحو قبل العصر الحديث، فإن هذه النتيجة لا تنطبق على كتاب ابن رشد الذي كان مفقوداً، والذي يعدّ، وفقاً لهذه الدراسة، أكثر محاولات تجديد النحو ونقده اتصالاً بالمنهج العلمي، فضلاً عما نجده من موضوعية واضحة من ابن رشد في تقييم جهود النحويين، ولذلك لم يسلك نهج الثورة المباشرة على النظرية النحوية وأسسها كما فعل ابن مضاء.

وبالجملة، فإن الأطروحتين تمثلان صورة مهمة لعدم استسلام العلماء لأزمة النحو العربي، ولكن بشكل مختلف؛ إذ اختارت كل أطروحة منهاجاً مخالفاً للآخر؛ فمشروع ابن مضاء، يعدّ نظرية ردّية رافضة تنقّض أهم ما أسس عليه النحو العربي، أما ابن رشد فلم يقصد إلى إلغاء السابق أو الانفكاك من أسس نظرية النحو، بل قدم رؤية تنظيمية للنحو غايتها إعادة ترتيب أبواب النحو العربي ومساائله على الطريقة الصناعية التي تشترك بها جميع الألسنة.

Criticizing the Traditional Theory of Arabic Grammar: An Analytical Study into the Theses of 'Ibn-Maḍā' and 'Ibn Ruṣd

Ahmad M. Abu Dalu, *Department of Arabic Language and Literature, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The paper aims at holding a one-to-one comparison between two platforms of analysis of Arabic grammar (i.e. *naḥw*). These are the theses put forward by 'Ibn-maḍā' and 'Ibn Ruṣd. These two approaches differ significantly from probably all previous reformation accounts in terms of their goal, scope and methodology.

Although 'Ibn-maḍā's approach has been the most revolutionary to date, very little attention has been cast on the no less competing model of analysis of 'Ibn Ruṣd, who has, the argument goes, laid the foundation of a relatively unprecedented approach that criticizes the traditional theory of Arabic Grammar. His primary goal was to restructure the traditional theory of Arabic grammar on logical (analytical) bases, similar to those put forward for other languages (e.g. Greek and Latin).

The paper concludes that both approaches share the goal but differ in scope and methodology (or treatment). Whereas 'Ibn-maḍā's approach is form-driven (*zāhiriyy*), 'Ibn Ruṣd's is relatively more meaning-driven (*logic*). What this basically means is that whereas the former calls for skinning the text, the other calls only for a short trim.

الهوامش

- (1) عيد، محمد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 1989م، ص37.
- (2) ينظر: مبروك، عبد الوارث، في إصلاح النحو العربي: دراسة نقدية، دار القلم الكويت، ط1، 1985م، ص23-28.
- (3) من هذه المصطلحات: الإحياء، والإصلاح، والتبسيط، والتجديد، والتيسير، إضافة إلى مجموعة من المفاهيم التي ارتبطت بها، مثل: التحديث، والتحرير، والتحسين، والتسهيل، والتشذيب، والتطوير، والتقريب، والتهذيب. ينظر: عبد الكريم، خالد، محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي، مجلة الخطاب الثقافي، العدد الثالث، جمعية اللهجات والتراث الشعبي، جامعة الملك سعود، الرياض، خريف 2008م، ص: 57-84.
- (4) الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1964م، ج 3، ط1، ص38. وانظر: عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، ط2، دار المعارف، القاهرة، ص71 وانظر: في إصلاح النحو العربي، ص22.
- (5) هدف الإشارة، هنا، إلى كتب القدماء تأكيد أن حركة نقد النحو، بأسمائها المتلونة، من تجديد وإصلاح واختصار وغير ذلك، ظهرت مرافقة لنشأة النحو وتطوره، وليست، كما يظن البعض، حركة تجديدية معاصرة.
- (6) خَلَفَ الأحمر من البصريين الأوائل وإن لم يشتهر بالنحو، والكتاب عند معظم الباحثين مشكوك في نسبته إليه؛ انظر: مغالسة، محمود حسني، نفي كتاب مقدمة في النحو عن خلف الأحمر البصري، مجلة جامعة دمشق، المجلد 7، العددان 27، 28، الجزء الأول، 1991م، ص31.
- (7) من الكتب المطبوعة من هذه المجموعة: مقدمة في النحو، وتلقي المتعلم، والتفاحة، واللمع، أما بقية كتب المجموعة فيم من الكتب المفقودة.
- (8) انظر: الأنصاري، أحمد مكي، سيبويه في الميزان، مجلة المجمع اللغوي، القاهرة، الجزء (34)، تشرين الثاني، 1974م.
- (9) ينظر: الطنطاوي، محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تحقيق: إسماعيل، محمد عبد الرحمن، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 2005، ص60-61.
- (10) ينظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدياء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ص1033-1034، ومكرم، عبد العال سالم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، ط1، دار الشروق، بيروت، 1980م، ص24-25. وهناك نحويون غير ابن خالويه ناظروا المتنبي، منهم أبو علي الفارسي (377 هـ)، وتلميذه ابن جني (392 هـ)، مع أن المتنبي يعد، عند بعض الدارسين، من نحاة الكوفة.

- (12) صاري، محمد، تيسير النحو: موضة أم ضرورة؟، بحث منشور في أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠١ م، ص ١٩١.
- (13) العبارة مستعارة من عنوان فرعي لكتاب: "جناية سيبويه": "الرفض التام لما في النحو من أوهام" رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت، 2002م.
- (14) ينظر: البرزنجي، سيف الدين، النقد النحوي في فكر النحاة إلى القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة ديالى، حزيران 2006م، ص102-123.
- (15) من أمثلة هذه الكتب: "الرد على من زعم أن العرب تشتق الكلام بعضه من بعض" لنفطويه، انظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978م، ص121، ومعجم الأدباء: 1/122. ولابن درستويه مصنفات، منها: "الرد على ثعلب في اختلاف النحويين"، و"الرد على الفراء في المعاني"، و"الرد على ابن خالويه في الكل والبعض"، و"الرد على ابن زيد البلخي في النحو"، و"الرد على من قال بالزوائد وأن يكون في الكلام حرف زائد". الفهرست: ص92. ولأبي الحجاج يوسف بن معزوز القيسي: "الرد على الزمخشري في مفصله" وهو مشتهر بعنوان: "التنبيه على أغلاط الزمخشري في المفصل وما خالف فيه سيبويه"، انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، أيار 2002م، ج8 ص254. وانظر: نبهان، عبد الإله، ابن يعيش النحوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص144.
- (16) منها: نقض علل النحو: لأبي علي الحسن بن عبد الله الأصبهاني المعروف بلغة أولكدة، ينظر: معجم الأدباء: 2/509. و"النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي"، لعلي بن الحسين بن موسى، المعروف بنقيب العلويين. ينظر: معجم الأدباء: 4/1729.
- (17) شرح ما أغفل سيبويه شرحه: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد. و"الإغفال"، ويعرف بالمسائل المصلحة: لأبي علي الفارسي، يرد فيها على الزجاج، الفهرست: ص95، وكتاب: "تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسهو: لابن خروف الأندلسي (ت609هـ)، رد به على كتاب ابن مضاء. ينظر: الطنطاوي، محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط1، 2005م، ص186.
- (18) التميمي، ابن ولاد، الانتصار لسيبويه على المبرد، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.
- (19) انظر: النقد النحوي في فكر النحاة، ص110.
- (20) انظر: النقد النحوي في فكر النحاة، ص110-112.
- (21) ينظر: الانتصار لسيبويه على المبرد، تحقيق: ص90، 151.
- (22) ينظر: المصدر نفسه: ص135، 140، 189، 193.

- (23) ينظر: المصدر نفسه: ص43.
- (24) ينظر: المصدر نفسه: ص43، 48، 77، 90، 105، 109، 122، 158.
- (25) ينظر: المصدر نفسه: ص116، 134، 137، 138، 207.
- (26) ينظر: المصدر نفسه: ص48، 72، 120، 135، 161.
- (27) ينظر: المصدر نفسه: ص51، 52، 54، 57، 79، 121، 122، 125، 139، 189، 197، 198، 199، 205.
- (28) ينظر على سبيل المثال: المصدر نفسه: ص42، 53، 60، 64، 69، 73، 74، 75، 76، 77، 86، 87، 89، 92، 93، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 207، 208.
- (29) النقد النحوي في فكر النحاة، ص 111. تكتفي الدراسة بالإشارة إلى مواضع المسائل في الكتاب اعتماداً على أطروحة النقد النحوي في فكر النحاة: ص110-112، والمواضع المختارة هي التي رجعت إليها في كتاب الانتصار لسيبويه على المبرد.
- (30) ينظر: البطلوسي، ابن السيد، الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد للنشر، 1980م، ص301-337.
- (31) ينظر: رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح: ابن الطراوة، أبو الحسن سليمان بن محمد، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
- (32) ينظر: ملك النحاة حياته وشعره ومسائله العشر مع ردّ أبي محمد عبد الله بن بري عليها: تحقيق ودراسة د. حنا جميل حداد، جامعة اليرموك، 1982م.
- (33) نؤجل عرض آراء ابن حزم النقدية إلى الجزء المخصص لابن مضاء الذي تتبع ابن حزم في مذهبه وأظهر أفكاره في كتابه الرد على النحاة.
- (34) ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م، 29/1. وانظر: ضيف، شوقي، تيسير النحو التعليمي مع نهج تجديده، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص13.
- (35) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 29/1-30.
- (36) انظر: المسدي، عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار التونسية للكتاب، ط2، تونس 1986م، ص208 - 237.
- (37) ابن خلدون، المقدمة، ج2، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص695.
- (38) يستعمل ابن خلدون مصطلح "صناعة النحو" مع مصطلحين آخرين بالتناوب للدلالة على النحو، وهما: علم العربية، وعلم التحو.

- (39) ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج2، ص 700. عن الفكر اللساني التربوي في التراث العربي. الباب السادس من الكتاب الأول، الفصل الثامن والثلاثون: في أن العلوم الإلهية لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع المسائل.
- (40) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2004م، 1147/4-1148.
- (41) ابن خلدون، المقدمة، 1147/4-1148. وينظر: في إصلاح النحو، ص6-7.
- (42) ابن خلدون، المقدمة، 1083/3.
- (43) ابن خلدون، المقدمة، 1147/4.
- (44) عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1982م، ص 168.
- (45) ابن خلدون، المقدمة، 1147/4.
- (46) ابن خلدون، المقدمة، 1141/4-1142.
- (47) ابن خلدون، المقدمة، 1142/4.
- (48) الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة، العراق، 1982م، مج1، مقدمة المحقق، ص14.
- (49) أبودلو، أحمد، المبادئ المؤسسة لنحو العربية النصي: مقارنة في التراث اللغوي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للأدب، مج 5 ع 1، 2008، ص257.
- (50) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م، 77/1.
- (51) دلائل الإعجاز: ص78.
- (52) انظر: عسيده، فادي، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2006م، ص17-19.
- (53) انظر: أصول النحو العربي في نظر النحاة، ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، ص27.
- (54) أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقيدة والمذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة 1989م، ص 543-557.
- (55) ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي، الرد على ابن النغيلة، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960م، ص160. وابن حزم، أبو محمد، رسائل ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلماء، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد4، ط2، 1987م، ص66.
- (56) ابن حزم الأندلسي، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1900، ص168.

- (57) رسالة مراتب العلوم، ضمن رسائل ابن حزم، ج 4 ص 66.
- (58) يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (ت595هـ)، كان من أجل فقهاء عصره، وقد شهد الأندلس في إمارته ثورة عارمة من قبل الموحدين، قادها الأمير بنفسه، على أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة في المشرق، والحملة المشهورة على الفلسفة والفلاسفة التي توجت بمحاكمة ابن رشد وغيره من "المشتغلين بعلوم الأوائل"، وهذا الموقف من الفقه والفلسفة يندرج من الناحية الفكرية الإيديولوجية في سياق تأثره بالمذهب الظاهري. انظر سيرته في: المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الكتاب الثالث، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون المصرية، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1962م، الصفحات: 336-385.
- (59) استعرت هنا عبارة محمد الجابري، انظر: الجابري، محمد عابد، التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد، مجلة فكر ونقد، عدد 49، ايار 2002، ص 1.
- (60) انظر: شلبي، عبد الفتاح، مناهج البحث النحوي، بحث في كتاب: "الاتجاهات الحديثة في النحو"، دار المعارف بمصر، 1957م، ص 60. وانظر: النقد النحوي في فكر النحاة، ص 174.
- (61) ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1982م، ص 138.
- (62) ينظر: الرد على النحاة، ص 138. ومصطلح التمارين غير العملية مصطلح نحوي متداول.
- (63) الرد على النحاة، ص 98.
- (64) الرد على النحاة، ص 99.
- (65) الرد على النحاة: 138.
- (66) الرد على النحاة، ابن مضاء، مقدمة المحقق، ص 19-20.
- (67) الراجحي، عبده، دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية بيروت- 1975م، ص 218. وينظر كتابه: دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، 1988م، ص 218.
- (68) ينظر: العبيدي، شعبان، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا- 1989م، ص 437.
- (69) ينظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، مقدمة التحقيق. وينظر: أحمد عبد الستار الجواري، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م، ص 23، وينظر: نوري حمودي القيسي، مطالعات في كتاب نحو التيسير، مجلة المعلم الجديد، 1986م، ص 19.
- (70) الرد على النحاة، مقدمة المحقق، ص 17. وانظر: علوان، عائد كريم، ابن مضاء القرطبي في الميزان، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العدد السادس، حزيران، 2008، ص 39.

(71) عمار، ربيع، ابن مضاء القرطبي، ثورة في الفقه، ثورة في النحو، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع5، حزيران 2009م، بدون رقم، الصفحة الثامنة في البحث.

(72) الرد على النحاة، ص76.

(73) الرد على النحاة، ص82.

(74) ابن جني، أبو الفتح عثمان، ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م، 189 / 1.

(75) البصرة والكوفة.

(76) ينظر: الرد على النحاة: 85، 100، 101.

(77) ينظر: المصدر نفسه: 86، 87، 88، 90، 92، 93، 94، 99، 100، 101، 117.

(78) ينظر: المصدر نفسه: 119.

(79) الرد على النحاة، ص72.

(80) الرد على النحاة، ص77-78. تضمّن الفصل الأول دعوة ابن مضاء إلى إلغاء نظرية العامل: 76-93.

(81) الرد على النحاة، ص77.

(82) الرد على النحاة، ص77.

(83) الخصائص، ج1، ص109-110.

(84) ينظر: البناء، محمد إبراهيم، "أبو الحسين ابن الطراوة وأثره في النحو"، دار بو سلامة للنشر، تونس، ط1، 1980م، ص72، وانظر: رسالة النقد النحوي في فكر النحاة، ص183.

(85) انظر كلام سيبويه على الابتداء والرفع: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ط1، مصر، 1899م، 127 / 1.

(86) انظر: أبو الحسين ابن الطراوة وأثره في النحو والصرف: ص72، والنقد النحوي في فكر النحاة، ص183.

(87) انظر الكتاب، 1 / 127.

(88) انظر الكتاب، 1 / 127.

(89) آثرتُ إيراد نص التعليق كاملاً لأهميته في توضيح مفهوم العامل النحوي، فضلاً عن مطابقة مضمونه الرأي الذي تبنته هذه الدراسة.

(90) التوبة: من الآية: 3.

- (91) البقرة: من الآية: 257.
- (92) انظر: أبو الحسين ابن الطراوة وأثره في النحو والصرف: ص72، وانظر النقد النحوي في فكر النحاة، ص183-184.
- (93) الرد على النحاة، ص87.
- (94) المصدر السابق، ص88.
- (95) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، 31/1.
- (96) ابن مضاء القرطبي في الميزان، ص41. والقول المشهور هو: أساء فهماً فأساء إجابة، واختار الباحث في المقالة استبدال كلمة "رداً" بكلمة "إجابة" إشارة إلى كتاب ابن مضاء: الرد على النحاة.
- "
- (97) انظر: حاج يعقوب، صالحة، نظرية العمل في النحو العربي: دراسة تحليلية ونقدية، أطروحة دكتوراة في اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، أيلول 2005م، ص5.
- (98) الرد على النحاة: ص121. ويعلق عائد علوان بأن قول ابن مضاء بأن العامل هو المتكلم جاء مشايعة لابن جني. انظر: ابن مضاء القرطبي في الميزان، ص41.
- (99) ابن مضاء القرطبي في الميزان، ص41.
- (100) ابن مضاء القرطبي في الميزان، ص107.
- (101) ابن مضاء القرطبي في الميزان، ص90.
- (102) الرد على النحاة: 134 - 135.
- (103) المصدر السابق نفسه.
- (104) ينظر: المصدر السابق: 76 - 93.
- (105) ينظر: المصدر السابق: 94 - 102.
- (106) ينظر: المصدر السابق: 103 - 122.
- (107) ينظر: المصدر السابق: 130 - 141.
- (108) ناجي، هلال، في تفسير تعليم مباحث النحو، مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد: ٢، الجزء: 1، ص2.
- (109) انظر: ابن مضاء القرطبي في الميزان، ص39.
- (110) انظر المصدر السابق نفسه. وقد سبقت الإشارة إلى هذا الرأي الذي تبناه شوقي ضيف.
- (111) انظر المصدر السابق، ص39-43.

- (112) المصدر السابق نفسه، وانظر: مكي، أحمد، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، منشورات مجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، 1964م، ص243.
- (113) اشتهر أيضا بابن رشد الحفيد تمييزا له عن جده أبي الوليد ابن رشد الفقيه؛ الذي يلتقي معه في الاسم والكنية، وقد تناول محقق كتاب الضروري قضية إثبات الكتاب لابن رشد الحفيد، ينظر: ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق: منصور علي عبد السميع، الصحو للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، مقدمة المحقق، ص15-19.
- (114) السيد، محمود، ابن رشد والضروري في صناعة النحو، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج84، ج3، ص623. والقول مأخوذ من كتاب سارتون: تاريخ العلم والإنسية الجديدة.
- (115) المصدر السابق، ص624. وقد نقل هذا القول عن كتاب لاندو: "مآثر العرب في النهضة الأوربية".
- (116) تحقيق ودراسة: منصور علي عبد السميع، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002م.
- (117) ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق ودراسة: منصور علي عبد السميع، الصحو للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص19. وهذه الطبعة هي المعتمدة في هذه الدراسة.
- (118) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، عني بنشره وتصحيحه: عزت العطار الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة؛ الرباط، 1956م، ص554/2.
- (119) المراكشي، ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، تحقيق: إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، 1964-1966م، 274/5.
- (120) انظر: الضروري في صناعة النحو، ص20.
- (121) يعقد الجابري تحقيقا في هذه المسألة ويلمح إلى دور مهم لابن مضاء في نكبة ابن رشد؛ إذ كان (ابن مضاء) وقتها قاضي القضاة، وكان اتجاهه المذهبي مناهضا للفلاسفة. ينظر: التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد، ص1.
- (122) جلايلي، أحمد، وابن الصديق، سمية، آراء ابن رشد النحوية في كتابه: "الضروري في صناعة النحو"، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد السابع، أيار 2008، ص15.
- (123) ينظر: المصدر السابق، وينظر: التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد، ص1.
- (124) ينظر: التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد، ص1.
- (125) الضروري، ص97.
- (126) الضروري، ص97.
- (127) الضروري، ص103.
- (128) الضروري، ص151.

- (129) وردت في الكتاب هكذا: "الغير".
- (130) الضروري، ص 151.
- (131) ترد هذه الأبواب عادة وفق هذا الترتيب، ويرد ترتيب الفعل، أحياناً، قبل الاسم.
- (132) يرى الجابري أن كتاب الضروري لابن رشد أشبه ما يكون بالبدل عن المشروع الذي أنجزه سيبيويه في مؤلفه المعروف بـ"الكتاب"، انظر: التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد، مجلة فكر ونقد، عدد 49، أيار 2002، ص1.
- (133) الضروري في صناعة النحو، ص98-99. وص22. وانظر: ابن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة، مقدمة التحقيق، ص7.
- (134) انظر تعليق محقق كتاب الضروري في صناعة النحو، ص22.
- (135) الضروري في صناعة النحو، ص102.
- (136) الضروري في صناعة النحو، ص123. وانظر دراسة المحقق، الضروري ص23.
- (137) الضروري في صناعة النحو، ص147-148.
- (138) يستخدم ابن رشد مصطلح "الاسم المستقيم" غالباً للدلالة على المرفوع، وبذلك يطلق المصطلح على المبتدأ، والخبر، والفاعل، والتابع لواحد مما سبق. انظر الضروري في صناعة النحو، ص: 123، 146، 147، 219. وانظر دراسة محقق كتاب الضروري، ص72-73.
- (139) الضروري، ص 151.
- (140) الضروري في صناعة النحو، ص103.
- (141) الضروري في صناعة النحو، ص102.
- (142) الضروري في صناعة النحو، ص151.
- (143) الضروري في صناعة النحو، ص101.
- (144) الضروري في صناعة النحو، ص103.
- (145) الضروري في صناعة النحو، ص103.
- (146) انظر: الضروري في صناعة النحو، ص103. وهو يطلق على العدد أشكال التنثية وأشكال الجمع، وعلى الجنس أشكال التذكير والتأنيث، ويطلق على الضمائر أشكال الإخبار عن المتكلم والحاضر (المخاطب) والغائب.
- (147) الضروري ص 97.
- (148) الضروري ص97.
- (149) الضروري ص231.

- (150) الضروري ص231.
- (151) انظر: الضروري ص27.
- (152) الضروري ص152. وانظر: بن شريفة، محمد، حول كتاب "الضروري في النحو" لابن رشد الفيلسوف، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة/ع92، ص37.
- (153) الضروري ص101.
- (154) الرد على النحاة: 134-135.
- (155) انظر: ابن جني، الخصائص، 117/1.
- (156) ابن جني، الخصائص، 125/1.
- (157) ابن جني، الخصائص، 46/2.
- (158) الضروري ص232.
- (159) المصدر السابق نفسه.
- (160) الضروري ص232. نفسه
- (161) الضروري ص232. نفسه
- (162) الضروري ص124.
- (163) في الكتاب: تروم وأن تعرف.
- (164) التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد، فكر ونقد، عدد 49، ايار2002، ص1.
- (165) ينظر مثلاً: في إصلاح النحو العربي، ص48.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، عني بنشره وتصحيحه: عزت العطار الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة؛ الرباط، 1956م.

أبودلو، أحمد، المبادئ المؤسسة لنحو العربية النصي: مقاربة في التراث اللغوي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج 5، ع 1، 2008م.

ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م.

الأحمر، خلف، مقدمة في النحو، تحقيق: عز الدين التنوخي، وزارة الثقافة السورية، مديرية إحياء التراث القديم، سلسلة 3، دمشق 1961م.

ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، (د.ت).

الأنصاري، أحمد مكي، سيبويه في الميزان، مجلة المجمع اللغوي، القاهرة، الجزء (34)، تشرين الثاني، 1974م.

أوزون، زكريا، "جناية سيبويه": "الرفض التام لما في النحو من أوهام"، رياض الرئيس للكتب والنشر، ط 1، بيروت 2002م.

البرزنجي، سيف الدين، النقد النحوي في فكر النحاة إلى القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة ديالى، حزيران 2006م.

البطليوسي، عبدالله بن محمد بن السيد، الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد للنشر، 1980م.

البناء، محمد إبراهيم، أبو الحسين ابن الطراوة وأثره في النحو، دار بو سلامة للطباعة والنشر، ط 1، تونس، 1980م.

التميمي، ابن ولّاد، الانتصار لسيبويه على المبرد، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

الجابري، محمد عابد، التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد، مجلة فكر ونقد، عدد 50/49، 2002م.

الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1964م.
الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م.

الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة، العراق، 1982م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، ط3، 1983م، بيروت.

جلايلي، أحمد، وابن الصديق، سمية، آراء ابن رشد النحوية في كتابه: "الضروري في صناعة النحو"، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد السابع، أيار 2008م.

الجواري، أحمد عبد الستار، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م.

حاج يعقوب، صالحة، نظرية العمل في النحو العربي: دراسة تحليلية ونقدية، أطروحة دكتوراة في اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، أيلول 2005م.

حدّاد، حنا جميل، ملك النحاة: حياته وشعره ومسائله العشر، مع ردّ أبي محمد عبد الله بن بري عليها، منشورات جامعة اليرموك، 1982م.

ابن حزم، أبو محمد، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1900م.

ابن حزم، أبو محمد علي، الرد على ابن النغيلة، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960م.

ابن حزم، أبو محمد، رسائل ابن حزم الأندلسي، رسالة مراتب العلماء، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد 4، ط 2، 1987م.

حسن، عباس، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، ط 2، القاهرة، 1971م.

الحموي، ياقوت، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1993م.

ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2004م.

الراجحي، عبده، دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية بيروت- 1975م.

الراجحي، عبده، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، 1988م.

ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق: منصور علي عبد السميع، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2010م.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت، أيار 2002م.

أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقيدة والمذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ط 1، مصر، 1899م.

السيد، محمود، ابن رشد والضروري في صناعة النحو، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 84، ج 3.

بن شريفة، محمد، حول كتاب "الضروري في النحو"، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة/ع 92، 2000م.

شليبي، عبد الفتاح اسماعيل، مناهج البحث النحوي، منشور ضمن كتاب: الاتجاهات الحديثة في النحو، دار المعارف بمصر، 1957م.

صاري، محمد، تيسير النحو: موضة أم ضرورة؟، بحث منشور في أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠١ م.

- ضيف، شوقي، تيسير النحو التعليمي مع نهج تجديده، دار المعارف، القاهرة، 1986م.
- ابن الطراوة، أبو الحسن سليمان بن محمد، رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
- الطنطاوي، محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط1، 2005م.
- عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1982م.
- عبد الكريم، خالد، محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي، مجلة الخطاب الثقافي، العدد الثالث، جمعية اللهجات والتراث الشعبي، جامعة الملك سعود، الرياض، خريف 2008م.
- العبيدي، شعبان، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا، 1989م.
- عصيدة، فادي، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2006م.
- علوان، عائد كريم، ابن مضاء القرطبي في الميزان، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العدد السادس، حزيران 2008م.
- عمار، ربيع، ابن مضاء القرطبي، ثورة في الفقه، ثورة في النحو، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع5، حزيران 2009م.
- عيد، محمد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 1989م.
- القيسي، نوري حمودي، مطالعات في كتاب نحو التيسير، مجلة المعلم الجديد، 1986م.
- مبروك، عبد الوارث، في إصلاح النحو العربي: دراسة نقدية، دار القلم الكويت، ط1، 1985م.
- المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الكتاب الثالث، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون المصرية، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1962م.

المسدي، عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار التونسية للكتاب، ط2، تونس 1986م.

ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1982م.
مغالسة، محمود حسني، نفي كتاب مقدمة في النحو عن خلف الأحمر البصري، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٧، العددان ٢٧، ٢٨، الجزء الأول، 1991م.

مكرم، عبد العال سالم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، ط1، دار الشروق، بيروت، 1980م.

مكي، أحمد، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، 1964م.

ناجي، هلال، في تيسير تعليم مباحث النحو، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي سابقا).

نبهان، عبد الإله، ابن يعيش النحوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997م.

ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978م.

المصطلح النحوي في شرح المفصل لابن يعيش (دراسة في أثر النص)

أمجد طلافحة وخالد الكندي *

تاريخ الاستلام 2016/7/17

تاريخ القبول 2016/8/7

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة المصطلح النحوي في واحد من أهم كتب النحو، وهو شرح المفصل لابن يعيش. ودراسة المصطلح على أساس أنه جزء من نص يجعل الدارس يدرك قيمته ويفسر جوانب من سلوكه ما كانت لتفسر، بطريقة دقيقة، عند دراسة المصطلحات على شكل قوائم وفهارس بعيدة عن النص. فالمصطلح النحوي، وإن كان لفظاً خاصاً ينتمي إلى علم النحو، فإنه، أولاً وأخيراً، لفظ لغوي يتأثر بالسياق الذي يرد فيه وتظهر قيمته وإحالاته المفهومية بناءً على سلوكه وتصرفه داخل النص. وسنحاول في هذا البحث أن نقف على الأثر الذي يحدثه النص في المصطلح سواء على مستوى البنية أم على مستوى الدلالة.

الكلمات المفتاحية: المصطلح النحوي، النحو، شرح المفصل.

تمهيد:

العودة إلى المصطلح النحوي في هذا العصر تعني عودة إلى مرحلة مهمة من مراحل تطوره وربما استقراره؛ فالدرس النحوي العربي الذي نشأ في القرن الأول الهجري، وظهر بصورة متكاملة في القرن الثاني الهجري بظهور كتاب سيبويه، وهو أول كتاب في النحو العربي يصل إلينا، رافقه نشأة للمصطلح النحوي، وإذا كان من الصعب علينا الاتفاق بشأن تحديد البداية الحقيقية للتفكير النحوي عند العرب وشخصه الأوائل⁽¹⁾، فإن قضية التأريخ لنشأة المصطلح لا تقل صعوبة عنها، بل ربما يكون تتبع المصطلحات النحوية ودراساتها خير عون على دراسة النحو العربي وتطوره؛ لأن مفاتيح العلوم مصطلحاتها.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السلطان قابوس، عُمان.

فإذا كنا نطمئن إلى فكرة أن كتاب سيبويه يقدم النحو بشكل مستقر واضح المعالم، ويمثل مرحلة ناضجة من مراحل التفكير النحوي، فإننا نستطيع القول بأن قصة المصطلح مختلفة. ولعل من البداية القول بأن المصطلحات النحوية لم تنشأ كلها دفعة واحدة وفي زمن واحد، ولم يضعها عالم واحد من علماء العربية ولا جيل واحد. وإذا كان المصطلح النحوي في مرحلة نشأة النحو قد ظهر في أغلب الأحيان على شكل تعبيرات اصطلاحية، هي أقرب ما تكون إلى وصف المفاهيم منها إلى المصطلح، فإننا نرى أنه قد بدأ يأخذ حظه من النضج والاستقرار في القرون اللاحقة وبخاصة في القرنين الثالث والرابع، غير أن تطوره لم يتوقف عند هذين القرنين؛ وذلك لأن النشاط الفكري النحوي كان لا يزال فاعلا، وتطور المصطلح لا يتوقف إلا حين يتوقف هذا النشاط العلمي، وهذا لا يكون إلا باكمال العلم وبلوغ الغاية فيه، وإذا كنا نغلب الظن بأن سيبويه لم يكن قد وضع جميع مصطلحات كتابه، إذ نقل جزءا منها عن سابقه من العلماء الذين كان يستشهد بهم في المسائل النحوية، فإننا سندرك أن هذا الجهد كان موصولا منذ بداية التفكير بالنحو إلى أن وصل إلينا النحو بمصطلحاته التي نراها اليوم.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، فمدونتها كتاب من أهم كتب النحو التي لا يمكن تجاهلها في البحث اللغوي، وتعد الفترة الزمنية التي جاء فيها هذا الكتاب فترة متأخرة نسبيا عن مرحلة النشأة، إذ هو شرح لكتاب المفصل للزمخشري المتوفى سنة 538هـ، في حين أن الشارح قد توفي سنة 643هـ، وهذا يعني أن البحث في المصطلح النحوي في هذا الكتاب يعني بحثا فيه في فترة زمنية تمتد لنحو قرن ونصف.

كان الدور الرئيس لابن يعيش في كتابه هذا هو دور الشارح، والشارح بطبيعته يعتني بالمصطلحات التي ذكرها المؤلف، ويقدم لها تعريفاً، ويظهر ابن يعيش معرفة عميقة في قضايا المصطلح وتعريفه، فقد اتكأ على طريقة علم الحدود يقول في هذه: "اعلم أنهم إذا أرادوا الدلالة على حقيقة شيء وتمييزه من غيره تمييزاً ذاتياً حدوه بحد يُحصّل لهم الغرض المطلوب"⁽²⁾، ثم يضيف: "وهذه طريقة الحدود: أن يؤتى بالجنس القريب ثم يُقرّن به جميع الفصول، فالجنس يدل على جوهر المحدود دلالة عامة، والقريب منه أدل على حقيقة المحدود لأنه يتضمن ما فوقه من الذاتيات العامة، والفصل يدل على جوهر المحدود دلالة خاصة"⁽³⁾. ولما كانت الفترة، التي جاء فيها شرحه للمفصل، متأخرة نسبيا فإننا ننتظر أن تكون مصطلحاته قد جاءت بشكل مختلف عما كانت عليه عند سابقه وبخاصة علماء مرحلة نشأة النحو.

وقد اخترنا أن نبني دراستنا هذه على مسح للمصطلحات التي استعملها ابن يعيش في شرحه للمفصل وفي أجزائه العشرة، مدركين أن استخراج جميع المصطلحات ووضعها في فهرس خاص ومعالجتها يقتضي تمحيصا دقيقا لأجزاء الكتاب العشرة، ويحتاج إلى جهد يفوق بكثير هذا

البحث والغاية منه، ولعلّ جهدنا هذا يكون بادرة لرسالة أو أطروحة تدرس المصطلح عند ابن يعيش وتعالجه معالجة مستفيضة مفصلة.

المصطلح - قضاياها:

دراسة المصطلح النحوي في هذه الحقبة الزمنية تقتضي بداية، كما هو الحال في جميع الدراسات المتعلقة بالمصطلح، أن نبدأ بتعريف المصطلح، وأن نقدّم لبعض قضاياها. نجد في المعاجم العربية: "الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد"⁽⁴⁾، و"تصالح القوم أو اصطاحوا بمعنى واحد"⁽⁵⁾. والذي يظهر من هذين التعريفين أنّهما تعريفان للمعنى اللغوي العام للمصطلح، ويبدو أن المعجميين العرب لم يعرفوا تعريف المصطلح بالمعنى الاصطلاحي، إذ لا نجد أية إشارة إلى التعريف الاصطلاحي لـ "مصطلح" في المعاجم المعروفة مثل تاج العروس للزبيدي، ولسان العرب لابن منظور.

وبحسب جيرارد تروبو⁽⁶⁾، فإنّ المعنى الاصطلاحي لـ "مصطلح" قد ظهر أول مرة عند العرب في القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري)، في كتاب التعريفات للجرجاني، فقد جاء في التعريفات: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، يُنقل عن موضعه الأول"⁽⁷⁾.

ولعلنا نجد الفكرة نفسها عند بعض المحدثين العرب في تعريفهم المصطلح، إذ يعرفه غازي طليمات بقوله: "المصطلح العلمي: لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني... والاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها الأصلية"⁽⁸⁾.

ونجد عند بعض الغربيين فكرة "الاتفاق" في تعريفهم المصطلح⁽⁹⁾، في حين أنّ بعضهم يركز على فكرة أنّ المصطلح يأخذ قيمته من انتمائه إلى مجموعة من المفردات الخاصة التي تنتمي إلى مجال متخصص⁽¹⁰⁾، وبعضهم يركز على فكرة أحادية التسمية، عارداً إيها أهم خصائص المصطلح⁽¹¹⁾. ويقدم (جون دوبا) تعريفاً يجمع كل هذه الخصائص متحدثاً عن بنية المصطلح، فيرى أن المصطلح "وحدة دالة مكونة من كلمة واحدة (مصطلح بسيط) أو عدة كلمات (مصطلح مركب)، تدلّ على مفهوم واحد بطريقة أحادية داخل حقل معين"⁽¹²⁾. وتعني فكرة الأحادية في المصطلح أن المصطلح الواحد يسمّي مفهومًا واحدًا، وأنّ المفهوم الواحد لا يسميه إلا مصطلح واحد⁽¹³⁾.

هذه الفكرة تقودنا إلى الحديث عن مسألة المشترك بنوعيه: المشترك المعنوي الذي يعني الترادف، وهو "الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد"⁽¹⁴⁾، والمشارك اللفظي، وهو "اللفظ الواحد الدال على معنيين فأكثر"⁽¹⁵⁾.

ولا شك فى أن المقصود فى هذين التعريفين الألفاظ فى اللغة العامة، وإلى ذلك أشار سيبويه حين حدد العلاقة بين اللفظ والمعنى بقوله: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين...، فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو (جلس وزهب)، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: (ذهب وانطلق)، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: (وجدت عليه من المودة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة) وأشبه هذا كثير" (16).

وبعيدا عن الخلاف فى شأن وجود المشتركين فى اللغة العامة، فإننا نكتفى هنا بالقول بأن وجودهما على خلاف الأصل؛ لأنه يؤدي إلى اللبس. يقول ابن سيده فى هذا الشأن: "اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو وجه القياس الذى يجب أن يكون عليه الألفاظ؛ لأن كل معنى يختص فيه بلفظ لا يشركه فيه لفظ آخر؛ فتنفصل المعاني بألفاظها ولا تلتبس" (17).

فإذا كانت هذه هى حال النظرة إلى المشترك فى اللغة العامة، فإنها تصبح أشد صرامة إذا ما تعلق الأمر بالمصطلح؛ ذلك أن الوضوح والدقة فى التعبير عن المفاهيم من أهم سماته، ولا يكونان إلا إذا كانت العلاقة بين المصطلح والمفهوم علاقة أحادية التسمية وأحادية الدلالة. بل إن البعض قد ذهب إلى جعل سمة الأحادية هذه أهم ما يفرق الاستعمال الاصطلاحي عن الاستعمال اللغوي العام لكلمة ما (18).

المصطلح والنص:

شاع فى دراسات علم المصطلح التمييز بين الألفاظ العامة والمصطلحات على أساس أن الألفاظ العامة هى مجموعة الكلمات التى تتيحها لغة ما للناطقين بها، فى حين أن المصطلحات هى ألفاظ خاصة مستعملة فى حقل من حقول المعرفة، جاعلين بذلك لعلم المصطلح كيانا خاصا مستقلا، مقابلا لعلم المعجم (19). غير أن هذه الصرامة فى النظرة إلى استقلال علم المصطلح جعلت القائلين بهذه النظرية يهملون فكرة أن المصطلح، وإن كان لفظا خاصا ينتمى إلى حقل معرفي، وله من الخصائص ما يجعله متميزا عن المفردة العامة- فإنه فى النهاية يشترك مع ألفاظ المعجم العام فى الخصائص اللغوية العامة مثل الانتماء المقولي، والدلالة، والبنية الصرفية والمقطعية، والتأليف الصوتي. وكل ذلك يؤكد انتماء المصطلح إلى المعجم (20). كما أن وضع المصطلح فى مقابل اللفظ العام يوحي بانتماء المصطلح إلى لغة اختصاص فى مقابل انتماء اللفظ العام إلى لغة عامة.

ويبدو أن دراسة المصطلح على شكل فهرس بمعزل عن النص هى التى أدت إلى هذا الفهم، غير أننا بدأنا نلاحظ وجود تيار آخر فى السنوات الأخيرة، يختلف فى نظرته إلى المصطلح عن هذه النظرة التقليدية، ويكمن هذا الاختلاف فى إعطاء النص الدور الأكبر فى دراسة

المصطلح⁽²¹⁾؛ إذ إن دراسته على أساس أنه جزء من نص يجعل الدارس يدرك قيمته ويفسر جوانب من سلوكه ما كانت لتُفسر، بطريقة دقيقة، عند دراسة المصطلحات على شكل قوائم وفهارس بعيدة عن النص.

وإذا كان النص العلمي يمتاز عن النص الأدبي بوجود المصطلحات وبأسلوب، فإننا لا نستطيع القول بأن هناك نصاً علمياً مكوناً من المصطلحات فحسب؛ إذ إن النص العلمي أولاً وأخيراً نصٌ لغويٌ يَكُونُ نسيجه مجموعة من مصطلحات ذلك العلم، إضافة إلى ألفاظ اللغة العامة، بانتماؤها المقولية المختلفة.

وعلى هذا فإن مدونتنا نص علمي يتكون نسيجه من مصطلحات علم النحو إضافة إلى ألفاظ اللغة العامة، ووجود المصطلح مغروساً في تربة النص يجعله يظهر بشكل حيوي؛ فيتأثر بما حوله، وتظهر قيمته وإحالاته المفهومية بناءً على سلوكه وتصرفه داخل النص. وفي الصفحات التالية سنحاول أن نقف على بعض الجوانب من سلوك المصطلح، ونحدد دور النص فيه.

بنية المصطلح - التوليد المعجمي في العربية:

قبل دراسة المصطلح النحوي في كتاب شرح المفصل لابن يعيش، من المناسب أن نقدّم الوسائط التي تمتلكها العربية للتوليد المعجمي، ومن ثمّ لتوليد المصطلحات؛ ذلك أن المصطلح ما هو إلا وحدة معجمية استعملت استعمالاً خاصاً في حقل علمي.

تمتلك اللغة العربية أربعة مصادر لتلبي حاجاتها في التسمية، اثنان منهما ينتميان إلى نظام اللغة نفسها، وهما نظام التسمية ونظام الإعراب، وأما المصدران الآخران فهما التطور الدلالي والاقتراض (التعريب).

ولمّا كان الحديث هنا منصبا على المصطلحات النحوية، في فترة لم يكن النحو العربي ولا مصطلحاته قد تأثرا بلغاتٍ أخرى، فإن الحديث هنا سيكون عن المصدرين اللذين ينتميان إلى نظام اللغة نفسها، وهما نظام التسمية ونظام الإعراب، نظامان يشكلان توأماً يعتمد كل منهما على الآخر⁽²²⁾ في توليد مصطلحات جديدة. أمّا التطور الدلالي، فيتم فيه استغلال المفردات، التي تنتجها أنظمة اللغة نفسها، ذات الدلالة العامة، وذلك عن طريق تخصيص دلالتها أو تعميمها، تضيقاً أو توسيعاً، بطريق الاستعارة أو المجاز، بوجود قرائن أو علاقات تربط بين الدلالة العامة للمفردة والدلالة الجديدة (الاصطلاحية)؛ فهو على هذا انتقال دلالي يتم داخل نظام اللغة نفسها، ويكون مضبوطاً بالقواعد التي يسمح بها نظام التوليد المعجمي. ولمّا كان التطور الدلالي انتقالاً من الحقيقة إلى المجاز، بما يسمح به التوليد المعجمي، فإن ذلك يعيدنا إلى الحديث عن المصدرين اللذين ينتميان إلى نظام اللغة نفسها، وهما نظام التسمية ونظام الإعراب.

يشكل نظام التسمية حجر الزاوية في التوليد المعجمي والاصطلاحي، وهو الذي يسمح بتشكيل وحدات اصطلاحية بسيطة مكونة من كلمة واحدة⁽²³⁾، في حين أن نظام الإعراب يسمح بتشكيل وحدات اصطلاحية مركبة أو معقدة، مكونة من كلمتين فأكثر⁽²⁴⁾. ويكون اللجوء إليه في الغالب، عندما يعجز نظام التسمية عن توليد ألفاظ مفردة بسيطة تعبر عن المفاهيم المستحدثة، فيتم الاستعانة بعبارة مركبة من ألفاظ مفردة مرتبطة بواحدة أو أكثر من العلاقات التي يسمح بها نظام الإعراب، مثل الإضافة والعطف والنعت...، أو عندما تكون الحاجة ملحة لشرح المفهوم لتقريبه للأذهان، كما هو الحال في مصطلحات سيبويه التي تمثل مصطلحات مرحلة النشأ.

والحقيقة أن استقراء المصطلحات الواردة في كتاب شرح المفصل يفضي إلى ثلاثة أنواع من المصطلحات بحسب البنية وهذه الأنواع هي: المصطلحات البسيطة وهي المصطلحات التي تتكون من كلمة واحدة، والمصطلحات المركبة وهي التي تتكون من كلمتين والمصطلحات المعقدة وهي التي تتكون من ثلاث كلمات فأكثر.

أولاً: المصطلح البسيط:

لعل شيوع المصطلح البسيط في أي مجال علمي دليل استقرار للمصطلح؛ إذ يمثل مرحلة متطورة من مراحل تكوين المصطلح، وهو أسهلها تداولاً وأكثرها استعمالاً. والحديث عن المصطلحات البسيطة في مدونتنا يقتضي الحديث عن بنيتها من حيث انتمائها المقولي، وهذا يعني البدء بالكلام عن أقسام الكلمة، وما يصلح من هذه الأقسام أن يستخدم في تسمية المفاهيم، وبعبارة أخرى ما يصلح من هذه الأقسام ليكون مصطلحاً، ومقارنة ذلك مع ما نراه من واقع في مدونتنا.

تكاد تجمع كتب التراث النحوي العربي، بدءاً بسيبويه ومروراً بابن يعين، على القسمة الثلاثية للكلمة؛ فهي عندهم اسم وفعل وحرف⁽²⁵⁾، مُدركين أن هذه القسمة ينضوي تحتها أقسام فرعية، وبخاصة فيما يتعلق بمقولة الاسم. أما في الدراسات الحديثة، فقد اختلف في أقسام الكلمة، فمنهم من ذهب إلى أنها سبعة أقسام⁽²⁶⁾ هي: الاسم، والفعل، والصفة، والضمير، والخالفة، والظرف، والأداة، ومنهم من يراها خمسة أقسام⁽²⁷⁾ هي: الاسم، والفعل، والصفة، والأداة، والظرف.

ومهما يكن من أمر الاختلاف في أقسام الكلمة، فإن الذي يصلح أن تُسمّى به الأشياء، والمفاهيم، هي الكلمات التي تنتمي إلى مقولتي الاسم والصفة؛ ذلك أن فيهما من التنوع والتعدد والاستقلالية ما يجعلهما جديرين باستيعاب الأشياء والمفاهيم. غير أننا نلمح في التراث العربي استعمال الفعل المعزول عن التركيب أو غير المعزول عن التركيب في التسمية، فمن النمط الأول نجد أعلام أشخاص مثل (يزيد) و(أحمد) و(تَغْلِب) و(يَشْكُر)، ونجد (قَم) علماً لمدينة، ومن

النمط الثاني نجد (تأبطَ شراً)، و(شأبَ قرناها)، و(برق نحره) وغيرها⁽²⁸⁾. ونجد في العصر الحديث استعمال الضمائر والظروف والأدوات في تسمية المفاهيم، فمن الأول مصلح (أنا)، مأخوذاً من الضمير (أنا)، ومن الثاني مصطلح (اليينية)، مأخوذاً من الظرف (بين)، ومن الثالث مصطلح (الكمية)، مأخوذاً من الأداة (كم).

بالنظر إلى المصطلحات البسيطة التي وردت في مدونتنا نجد أن ابن يعيش قد استعمل الاسم والصفة في تسمية المفاهيم وتعيينها، وهذا أمر لا استهجان فيه ولا غرابة؛ إذ يجري على سمت العربية في التسمية، كما ذكرنا، فهما الأقدر على استيعاب المفاهيم؛ بسبب ما يتمتعان به من تنوع واستقلالية، ويبدو أن استعمال الاسم والصفة في تعيين المفاهيم يسهم في استقرار هذه المصطلحات، فمعظم المصطلحات التي تنتمي إلى مقولتي الاسم والصفة في مدونتنا من المصطلحات الموروثة عن الأجيال الأولى لعلماء النحو الذين اشتغلوا بالتأليف النحوي، وكثير منها ورد في كتاب سيبويه، فمن المصطلحات التي تنتمي إلى مقولة الاسم: الفعل (1/7)، والاسم (51/1)، والحرف (46/1)، والضمير (205/1)، والخبر (195/1)، والإسناد (47/1)، والجمع (46/5)، والتذكير (46/5)، ومن المصطلحات التي تنتمي إلى مقولة الصفة: الفاعل (144/5)، والمفعول (144/5)، والمعتل (75/5) والمؤنث (59/5)، والمذكر (59/5) والمتصل (185/3)، والمنفصل (185/3)، والمضاف (47/3)، والمضمر (192/9)، والظاهر (192/9) والناصب (41/7) والمنسوب (37/7)، وبعضها لم يستعمله سيبويه في كتابه، على أن غيابها من كتاب سيبويه لا يعني غياب المفهوم، وإنما يعني أن سيبويه قد عبر عن تلك المفاهيم بمصطلحات أخرى لم يكتب لها الاستقرار، أو عبارات شارحة آلت إلى هذه المصطلحات البسيطة في القرون اللاحقة؛ نتيجة التطور الذي حدث في هذا الجانب من الدراسات اللغوية، وإن كان يصعب علينا تحديد مبتكرها الأول بسبب غياب معجم تاريخي للمصطلح النحوي العربي.

وتجدر الإشارة إلى أن بعضاً من المصطلحات البسيطة التي تنتمي إلى مقولة الاسم تعد مصطلحات مؤلدة لمصطلحات أخرى، تلعب فيها هذه المصطلحات دور القاعدة لمصطلح مركب، ولعل أهم هذه المصطلحات المؤلدة في مدونتنا هي مصطلحات (الاسم والفعل والحرف والضمير)، وسنتحدث عن هذه المصطلحات ودورها في توليد مصطلحات مركبة عند حديثنا عن المصطلح المركب.

وأما المصطلحات التي تنتمي إلى مقولة الصفة في مدونتنا فإنها قد اكتسبت خاصية الاسمية بانتقالها من مقولة الصفة إلى مقولة الاسم، فوجود هذه المصطلحات في جملها يقتضي موصوفاً محذوفاً، ويكون المصطلح (الصفة) قد ناب عن ظهور الموصوف لظهور معناه فيه. وإنابة الصفة عن الموصوف أمر معهود في العربية، ذكره ابن يعيش في كتابه، إذ يقول في شرحه عبارة الزمخشري (والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى): "اعلم أن الكلام عند

النحويين عبارة عن لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه يُسمى الجملة... وهذا معنى قول صاحب الكتاب (المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى)، فالمراد بالمركب اللفظ المركب، فحذق الموصوف لظهور معناه." (29)

فكثير من المصطلحات البسيطة التي تنتمي إلى مقولة الصفة في مدونتنا، والتي ذكرنا بعضاً منها أعلاه، يقتضي وجودها وجود اسم موصوف، وغالباً ما يكون هذا الموصوف من المصطلحات المؤلفة التي ذكرناها آنفاً، وقد صرح ابن يعيش بهذا الموصوف في غير موقع منها: الحرف الناصب (22/7)، والفعل المنسوب (31/7)، والاسم المضاف (58/3) والضمير المتصل (186/3)، والضمير المنفصل (76/3).

المصطلح البسيط: (الاشتقاق والبدائل):

لعل أكثر ما يلفت النظر في استعمال ابن يعيش هذه المصطلحات البسيطة ظهور عدد من الألفاظ التي تشترك مع المصطلحات في جذورها، وتظهر هذه الألفاظ على شكل أسماء وصفات وأفعال، وهذه مسألة تجعلنا نتساءل عن دور هذه الألفاظ في تسمية المفاهيم النحوية، والعلاقة الدلالية التي تربطها بالمصطلح، وبخاصة أننا قد عرفنا سابقاً العلاقة بين المصطلح والمفهوم على أنها علاقة أحادية الدلالة وأحادية التسمية.

وسنأخذ الألفاظ التي تنتمي إلى جذر (ن. ص. ب) مثلاً للتحليل، على أن ما سنخلص إليه من نتائج بهذا الخصوص يطرد ليعمم على الألفاظ المشتقة من الجذور الأخرى.

فالألفاظ التي تعود إلى الجذر (ن. ص. ب) في مدونتنا تنحصر فيما يأتي:

النصب (23/7)، الناصب (25/7)، الناصبة (36/7)، النواصب (25/7)، نصَبَ (25/7)، منصوب (26/7)، منصوبة (62/7)، انتصب (23/7)، انتصاب (29/7)، المنتصب (40/7).

وكان يمكن لدراسة هذه الألفاظ بالطريقة التقليدية، بمعنى دراستها على شكل قوائم وفهارس بمعزل عن السياق الذي ترد فيه، أن تفضي إلى نتيجة مفادها أن هذه الألفاظ تشكل نوعاً من المشترك المعنوي أو المترادفات، الأمر الذي يتنافى مع مثالية المصطلح التي تقتضي أحادية الدلالة وأحادية التسمية؛ لأن النظرة التقليدية للمصطلح تنصب على الشكل والبنية دون الخوض في أعماق النص لحسم فكرة حمله المفاهيم الاصطلاحية، وبدون أن نقدم سبباً مقنعاً يفسر هذا السلوك للمصطلح.

غير أن دراسة هذه الألفاظ في سياقاتها يجعلنا ننحو منحى آخر في تفسير ظهورها المتنوع من حيث البنية والانتماء المقولي، ولعل دراسة نماذج من السياقات التي وردت فيها يعطي فكرة عن دور النص في انتقاء البدائل والدور الذي تقوم فيه هذه البدائل في بلورة المفهوم.

فمن هذه السياقات التي وردت فيها هذه الألفاظ:

- "الرفع فيه [يعني المضارع] بعامل، وهو وقوعه موقع الاسم، والنصب بالنواصب والجزم بالجوازم" (23/7)
- "وزعم الفراء من الكوفيين أن العامل فيه [يعني المضارع] إنما هو تجرده من النواصب والجوازم" (25/7)
- "وفي معرض ردّه على قول الكسائي بأنّ حروف المضارعة هي العاملة يقول: "... ووجه ثانٍ أنّ الناصب يدخل عليه فينصبه... وحروف المضارعة موجودة فيه، فلو كانت هي العاملة الرفع لم يجز أن يدخل عليه عامل آخر..." (25/7)
- " فأما النصب فيه [يعني المضارع] فبعوامل لفظية وهي (أن) و(لن) و(كي) و(إن)، هذه الأربعة تنصب الفعل بأنفسها" (29/7)
- "والأصل في هذه الأربعة (أن) وسائر النواصب محمولة عليها" (29/7)
- "وأما عمل النصب خاصة فله شبه (أن) الخفيفة بـ(أن) الثقيلة الناصبة للاسم" (29/7)
- "وأما (لن) فحرف ناصب عند سيبويه" (30/7)
- "ويجوز أن يتقدم عليها [يعني لن] ما عملت فيه من الفعل المنصوب نحو قولك: زيدا لن أضرب" (31/7)
- "... على أنه حكى عن الخليل أنه لا ينتصب بشيء إلا بأن" (35/7)
- "اعلم أن الفعل ينتصب بعد هذه الأحرف... وهي خمسة منها اثنتان من حروف الجر وثلاثة من حروف العطف" (36/7)
- "وأما (حتى) فإذا نصبت الفعل بعدها فهي فيه حرف جر....، فإذا قلت: سرت حتى أدخلها، فالفعل منتصب بأن مضمرة" (38/7)
- "وأما حروف العطف فأو والواو والفاء، فهذه الحروف أيضا ينتصب الفعل بعدها بإضمار (أن)، وليست هي الناصبة عند سيبويه" (39/7)

- فأما (أو) فأصلها العطف حيث كانت، وتستعمل في النصب على وجهين: أحدهما أن يتقدم فعل منصوب بناصب من الحروف ثم يُعطف عليه بـ(أو) كما يُعطف في سائر الحروف " (41/7)
- "وأما الفاء فينتصب الفعل بعدها على تقدير أن أيضا" (47/7)
- "... لأن المعاني لا تعمل في الأفعال النصب، إنما المعنى يعمل فيها الرفع" (50/7)
- "فأما اللام فإن الفعل ينتصب بعدها بإضمار (أن) أيضا" (51/7)
- "... انتصابه [يعني المضارع] بـ (أن) وأخواته كقولك: أرجو أن يغفر الله لي" (29/7)
- "وقال الكوفيون: لام الجحد هي العاملة بنفسها، وأجازوا تقديم المفعول على الفعل المنتصب بعد اللام نحو قولك: ما كنت زيدا لأضرب" (53/7)

فالظاهر من هذه النصوص أن ابن يعيش قد استعمل عددا من الصيغ المشتقة من الجذر (ن. ص. ب.)، منها ما ينتمي إلى مقولة الاسم: (النصب، والانتصاب)، وبعضها ينتمي إلى مقولة الصفة: (المنصوب/المنصوبة، والناصب/الناصفة/النواصب، والمنتصب)، ومنها ما ينتمي إلى مقولة الفعل: (نصب/ينصب، وانتصب/ينتصب).

وإذا كنا قد أقررنا سابقا أن المصطلحات تنتمي إلى مقولتي الاسم والصفة، فإن ظهورها في النص بالشكل الذي نراه يجعلنا نطرح تساؤلين: الأول خاص بالألفاظ التي تنتمي إلى مقولة الفعل (نصب/ينصب، وانتصب/ينتصب) وصلتها بالمفاهيم النحوية، والثاني خاص بالألفاظ التي تنتمي إلى مقولة الاسم (النصب والانتصاب) والألفاظ التي تنتمي إلى مقولة الصفة، وهي إما صفات فاعلين (ناصب/ناصفة/نواصب، منتصب)، أو صفات مفعولين (منصوب/منصوبة)، وتناوبها وصلاتها بالمفاهيم النحوية.

والذي نراه في محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات أن ظهور هذه الألفاظ ذات العلاقات الصرفية الاشتقاقية يسببه دخول المصطلح في نسيج نص علمي يشتمل على المصطلحات إضافة إلى الألفاظ العامة، وأن طبيعة النص التي تقوم على الوصف والتحليل والتمثيل قد جعلت ابن يعيش يختار بنية أو صيغة دون أخرى، بمعنى أن السياقات التي ترد فيها هذه الألفاظ تؤثر في بنيتها وبالتالي دلالتها. على أن هذا التبادل في الاستعمال بين الأشكال الصرفية المتعددة يوحي بنوع من التآرجح بين التعميم والتخصيص، أو بعبارة أخرى بين الاستعمال العام والاستعمال الخاص لهذه الألفاظ، حتى كأن القارئ لهذه الصيغ داخل سياقاتها النصية لا يكاد يميز بين الاستعمالين.

ولعل تحليل النصوص التي وردت فيها هذه الألفاظ يوضح ذلك، وفي سعينا نحو هذا الهدف سنقسم هذه الألفاظ إلى مجموعتين اثنتين:

المجموعة الأولى وهي اشتقاقات الجذر المجردة (نصب، والنصب، وناصب، ومنصوب).

والمجموعة الثانية وهي اشتقاقات الجذر المزيدة (انتصب، وانتصاب، ومُنْتَصِب).

فالملاحظ في المجموعة الأولى تكونها من الفعل (نصب) والاسم/المصدر (النصب) وصفة الفاعل (ناصب) وصفة المفعول (منصوب). أما الاسم (النصب) والصفة فيمكن الاطمئنان إلى أن ابن يعيش قد استعملهما استعمالاً تقنياً اصطلاحياً، فالنصب هو الحالة الإعرابية، واستعمال المصطلح على شكل مصدر يوحي باستقراره وتداوله. وكذا استعمال الصفة، فصفة الفاعل (الناصب) مصطلح يُعين العامل الذي يعمل النصب، يقول ابن يعيش: "الرفع فيه [يعني المضارع] بعامل، وهو وقوعه موقع الاسم. والنصب بالنواصب..." (23/7)، وفي مكان آخر يذكر رأي الفراء في نصب المضارع فيقول: "وزعم الفراء من الكوفيين أن العامل فيه إنما هو تجرّده من النواصب والجوازم" (25/7)، وفي موقع ثالث يقول: "والأصل في هذه الأربعة [يعني الحروف الناصبة للمضارع] (أن) وسائر النواصب محمولة عليها" (29/7)

فالنصوص المذكورة، وغيرها كثير، تؤكد على أن الحديث هنا عن مصطلح مستقر واضح المفهوم، فهو من المصطلحات المتداولة منذ بداية التأليف النحوي، نجده عند سيبويه واللاحقين حتى وصل إلينا بهذه الصورة.

وصفة المفعول (منصوب) مصطلح يعين اللفظ الذي وقع عليه النصب، يقول ابن يعيش: "فأما اللام وحتى فهما حرفاً جرّ،...، فإذا وُجد الفعل بعدهما منصوباً كان بغيرهما" (36/7)، وفي موضع آخر ينقل ابن يعيش رأي ثعلب في نصب الفعل المضارع بـ (كي وحتى) فيقول: "وقال ثعلب قولاً خالف فيه أصحابه والبصريين، وذلك أنه قال في جئت لأكرمك وسرت حتى أدخل المدينة: إن المستقبل منصوب باللام وحتى لقيامهما مقام أن" (37/7). وهو أيضاً من المصطلحات التي استقرت في فترة التأليف النحوي المبكرة، نجده عند سيبويه وغيره من اللاحقين.

وتجدر الإشارة إلى أننا قد نلمح في استعمال صفتي الفاعل (الناصب) والمفعول (المنصوب) في النص تداخلاً بين الدلالة الاصطلاحية والدلالة العامة، فتتصرفان في النص وتطوعان بحسب السياق الذي تردان فيه، فيؤتى بهما بصيغة التأنيث "الناصب" (36/7)، و"المنصوبة" (37/7)، وبصيغة الجمع "النواصب" (25/7)، فضلاً عن مجيئهما نكرتين أو معرفتين. فكأن النصب الذي هو مفهوم نحوي قد أصبح معنى عاماً يتصرف بحسب مقتضيات السياق، وكأنه إن يقول (الناصب)

فإنه إنما يعني (ما يعمل النصب)، وإن يقول (المنصوب) فإنه إنما يعني (ما يعمل فيه النصب). وبذلك تصبح هذه الألفاظ نوعاً من الاختصار أو التنوع في أساليب الشرح والتحليل. ولعل ورود نماذج من هذه النصوص على هذا الأصل الذي نفترضه دليل آخر، إذ يقول: "ذهب الكسائي منهم أيضاً إلى أن العامل فيه الرفع ما في أوله..." (25/7)، وفي موضع آخر يقول: "... فلو كانت هي العاملة الرفع لم يجز أن يدخل عليها عامل آخر" (25/7). ويذكر رأي جماعة من البصريين في رفع الفعل المضارع فيقول: "وذهب جماعة من البصريين إلى أن العامل في الفعل المضارع الرفع إنما هو تعريه من العوامل" (25/7). وإذا ما قسنا النصب على الرفع فإنه سيقول بدلاً من الناصب (العامل فيه النصب)، وبدلاً من المنصوب (المعمول فيه النصب)، وقد صرح بهذا الاستعمال في بعض المواضع إذ يقول: "وأما عمل النصب خاصة فلشبهه (أن) الخفيفة بأن الثقيلة الناصبة للاسم" (29/7)، وفي موضع آخر يذكر رفض سيبويه لفكرة تركيب (لن) من (لا) و(أن) فيقول: "ورد سيبويه هذه المقالة بجواز تقديم معموله عليه" (31/7) وكان يمكن أن يقول (بجواز تقديم منصوبها عليها أو الفعل المنصوب بها).

وكونهما صفتين، فإن استعمالهما يقتضي موصوفاً كما ذكرنا سابقاً، وقد يصرح ابن يعيش بهذا الموصوف تارة ويتركه تارة أخرى لوضوح المعنى، فمما صرح فيه ابن يعيش بهذا الموصوف قوله: "وأما لن فحرف ناصب عند سيبويه،...، ويجوز أن يتقدم عليها ما عملت فيه من الفعل المنصوب نحو قولك: زيداً لن أضرب" (31/7). وعلى هذا الاستعمال، فإن صفتي الفاعل والمفعول يدخلان من الناحية الافتراضية في باب المصطلح المركب، وهو ما سنتحدث عنه لاحقاً.

وأما استعمال الفعل مصطلحاً، فإننا نستطيع أن نحسمه مسبقاً من الناحية النظرية بعدم جوازه؛ لأن الفعل عاجز عن حمل المفاهيم لاحتياجه إلى الاسم (المسند إليه) لتمام معناه، وبوجود الاسم (المسند إليه) يصبح الحديث عن جملة، وهذا أمر غير جائز في وضع المصطلحات. غير أننا نلاحظ ورود الأفعال المشتقة من المصطلحات في التحليل والشرح والتمثيل، فقد أكثر ابن يعيش من استعمال الفعل (نصب) المشتق من المصطلح (النصب) في سياقات مختلفة، إذ يقول: "فأما النصب فيه [يعني المضارع] فبعوامل لفظية وهي (أن) و(لن) و(كي) و(إن)، هذه الأربعة تنصب الفعل بأنفسها" (29/7)، وفي موضع آخر يقول: "وأما حتى فإذا نصبت الفعل بعدها فهي حرف جر..." (38/7)، وفي موضع ثالث يقول: "وأما الواو فتنصب الأفعال المستقبلية إذا كانت بمعنى الجمع نحو قولهم: لا تأكل السمك وتشرب اللبن،...، والنصب في ذلك كله بإضمار أن بعد الواو" (44-45/7).

إزاء هذه الكثرة في تواتر استعمال الفعل (نصب) في السياقات المختلفة يحق للمرء أن يتساءل عن الدور الذي يؤديه الفعل (نصب)، وغيره من الأفعال المشتقة من المصطلحات، في

حمل المفاهيم النحوية، والحقيقة أن استعمال الفعل المشتق من المصطلح محكوم بالسياقات التي يرد فيها، وظهوره في الغالب يكون في إطار التحليل والشرح والتمثيل، وكأن وجود المصطلح داخل نسيج نص مكون من ألفاظ عامة ومصطلحات يؤثر في بنيته بحسب العلاقة التي تربطه بالمكونات الأخرى للنص، فيطوِّع للنص والسياق الذي يرد فيه، فيظهره بالشكل الذي تظهر فيه الألفاظ العامة، ويتسم بسماتها الاشتقاقية، فيشتقُّ منه الفعل، ونرى الفعل المشتق يتصرف تصرف الأفعال التي تنتمي إلى ألفاظ اللغة العامة، فالفعل على هذا الأساس قد أصبح جزءاً من اللغة العامة لا الخاصة.

فالفعل (نصب) يعني في النصوص (عملُ النصب)، والمضارع منه (ينصب) يعني (يعمل النصب)، وقد وردت نصوص عند ابن يعيش على هذا المعنى الذي ذكرناه، إن يقول: "...لأن المعاني لا تعمل في الأفعال النصب، وإنما المعنى يعمل فيها الرفع" (50/7). فهذا النص وربما غيره كثير يعبر عن فكرتنا السابقة، وكان يمكن لابن يعيش أن يستعمل الفعلين (نصب ورفع) فيقول: (لأن المعاني لا تنصب الأفعال، وإنما المعنى يرفعها)، وكان يمكن له أن يعبر في كل النصوص التي ورد فيها الفعل (نصب أو ينصب) بقوله (عمل النصب أو يعمل النصب)، غير أنه اشتق من المصطلح فعلاً يعبر عن الفكرة السابقة نفسها، وعامله معاملة ألفاظ اللغة العامة، فصرفه كما تتصرف الأفعال في اللغة العامة، فجاء به مبنياً للفاعل ومبنياً للمفعول، بصيغة الماضي أو بصيغة المضارع، بحسب مقتضات السياق، ولعل في ذلك إشارة إلى أن في المصطلح من الخواص ما لا تظهرها صيغة المصطلح، فيؤتى بالفعل المشتق منه عنصراً مساعداً في سياق التمثيل والشرح والتحليل ليزيده وضوحاً، ويساعد في بلورة المفهوم، وبالتالي فإن وظيفة الفعل هنا تعبيرية تحليلية، إذ يقوم بدور وسيلة يستعملها الكاتب للتوصل إلى التعبير عن سمات المفاهيم وليس لتعيين المفاهيم، وربما ساعد هذا الأمر في اندراج المصطلح في النص وإعطائه خاصية المفردات العامة في سلوكها وتصرفها.

ويمكن لنا أن ندعم فكرتنا هذه بألفاظ المجموعة الأخرى التي ذكرناها سابقاً وهي (انتصاب، ومنصب، وانتصب)، فكلها مشتقات بنية المطاوعة لألفاظ المجموعة الأولى (نصب/انتصب، النصب/الانتصاب، منصوب/منتصب)، ولا يمكن لنا أن ننظر إليها على أنها مرادفات لها، وإنما نراها بدائل يستعملها المؤلف في النص لتساعد على وضوح المصطلحات وبلورة مفاهيمها، فهذا التنوع في الصيغ يؤدي إلى تطويع المصطلحات، وعدم جمودها، ويزيد من حيويتها وييسر ظهورها في النص، وتناوبها يقرب المصطلح من ألفاظ اللغة العامة، فلا يكاد يشعر القارئ أنه بإزاء نص علمي معقد له دلالاته الدقيقة.

وإضافة إلى استعمال ابن يعيش آلية الاشتقاق من المصطلح وتطويعه داخل النص، نجده قد اعتمد آليات أخرى في سعيه نحو توضيح المفاهيم النحوية وضبطها، إذ قد يذكر المصطلح ومقابله، سواء أكان ذلك المقابل ذا دلالة اصطلاحية أو من الألفاظ ذات الدلالة العامة، أو قد يذكره ويذكر المقابل له بصيغة النفي، مراوحاً بذلك بين الدالتين الاصلاحية والعامة في معرض الشرح والتحليل أو التعريف، فمن الأول نمثل بحديثه عن (إيّا) في (إيّاك وأخواتها) إذ يقول: "وإنما قلنا أن (إيّا) اسم مضمّر وليس بظاهر لأنه في جميع الأحوال منصوب"⁽³⁰⁾، وفي موضع آخر يكرر كلمة بعبارة أخرى فيقول: "فلما خالف هذا الاسم فيما ذكرنا الأسماء الظاهرة، ووافق المضمّرات دلّ على أنه مضمّر وليس بظاهر"⁽³¹⁾. ومن الثاني قوله: "فإذا أردت أن تعدي ما كان لازماً غير متعدّ إلى مفعول كان ذلك بزيادة أحد هذه الأشياء الثلاثة، وهي الهمزة وتضعيف العين وحرف الجر"⁽³²⁾. وفي موضع آخر يقول: "فكل ما أنبأ لفظه عن حلوله في حيّز الفاعل، فهو متعدّ، نحو ضرب وقتل... وما لم يُنبئ لفظه عن ذلك فهو لازم غير متعدّ، نحو قام وذهب."⁽³³⁾

ونراه في سعيه هذا نحو تقريب المفاهيم وتوضيح الأفكار، ينتقل من لغة الاختصاص إلى اللغة العامة، بمعنى أن يذكر المصطلح متبوعاً بشرح مفهومه وأمثله، فمن ذلك قوله: "والتعدي: التجاوز، يُقال عدا طوره أي تجاوز حدّه، أي أن الفعل تجاوز الفاعل إلى محل غيره، وذلك المحل هو المفعول به"⁽³⁴⁾، وفي موضع آخر يقول: "... فالتعدي ما يفترق وجوده إلى محل غير الفاعل"⁽³⁵⁾.

غير أن الأسلوب الشائع عند ابن يعيش في هذا المقام هو أن يسلك الاتجاه المعاكس، بمعنى أنه يتجه من اللغة العامة لينتهي إلى اللغة الخاصة، فيبدأ بشرح المفهوم، ذاكرة خصائصه وسماته، أو بالتعريف، لينتهي إلى المصطلح. ومن ذلك قوله: "اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة"⁽³⁶⁾، وفي موضع آخر يقول: "الأفعال على ضربين: منها ما هو لازم للفاعل غير متجاوز له إلى مفعول ويُقال له: غير المتعدي. ومنها ما يتجاوز الفاعل إلى مفعول به، ويقال له المتعدي"⁽³⁷⁾. ويقول في تقسيم الفعل: "الأفعال انقسمت ثلاثة أقسام: قسم ضارع الأسماء مضارعة تامة فاستحق بها أن يكون معرباً، وهو الفعل المضارع الذي في أوله الزوائد الأربعة... والضرب الثاني من الأفعال ما ضارع الأسماء مضارعة ناقصة وهو الفعل الماضي. والضرب الثالث ما لم يضارع الأفعال بوجه من الوجوه، وهو فعل الأمر"⁽³⁸⁾.

ثانياً، المصطلح المركب:

حين يعجز اللفظ المفرد (المصطلح البسيط) عن التعبير عن المفهوم تعبيراً دقيقاً، يتم اللجوء إلى نظام الإعراب لتكوين مصطلحات مركبة من كلمتين مرتبطتين بعلاقة من العلاقات التي يتيحها هذا النظام، وتنحصر المصطلحات المركبة في مدونتنا في نوعين من علاقات التركيب هما: التركيب بواسطة علاقة الإضافة، وسنسميه التركيب الإضافي، والتركيب بواسطة علاقة الوصف، وسنسميه التركيب الوصفي.

فأما المصطلحات المركبة تركيبياً إضافياً، فتتكوّن في مدونتنا إما من اسمين، ومن أمثلته: "حروف الجر" (39/7)، و"فعل الأمر" (7/7)، و"حرف المضارعة" (10/7)، و"جمع السلامة" (46/5)، و"جمع التصحيح" (5/5)، و"جمع التفسير" (5/5)، و"بنات الثلاثة" (279/9)، و"بنات الأربعة" (278/9)، و"حروف الجزاء" (90/2)، أو من اسم وصفة، مثل: "ضمير المتكلم" (7/7)، و"اسم الفاعل" (88/3)، و"اسم المفعول" (88/3)، و"غير متعدٍ" (110/7)، و"غير مصروف" (147/1)، و"غير منصرف" (158/1)، و"فعل الفاعل" (135/7)، و"فعل المفعول" (135/7).

وأما المصطلحات المركبة تركيباً وصفيًا فتتكوّن إما من اسم وصفة، مثل: "الفعل المضارع" (10/7)، و"الفعل الماضي" (9/7)، و"الفعل المتعدي" (110/7)، و"الاسم المضاف" (58/3)، و"الضمير المستتر" (197/3)، و"الضمير المتصل" (186/3)، و"الضمير المنفصل" (76/3)، و"الأسماء المتمكنة" (147/3)، و"الأسماء المركبة" (178/4)، و"الضمير المستكن" (139/3)، أو من صفة وصفة، مثل: "المضمر المتصل" (138/3)، و"المضمر المنفصل" (76/3)، و"المضمر المستكن" (139/3)، و"المضمر المخفوض" (143/3)، و"المضمر المرفوع" (76/3)، و"المضمر البارز" (198/3).

والحقيقة أن هذين النمطين شائعان في المصطلحات النحوية في مدونتنا وغيرها من كتب الدرس النحوي التقليدي السابقة واللاحقة. ويصرف النظر عن نوع التركيب، فإن هذه المصطلحات المركبة تقوم أساساً على عنصرين، الأول منهما هو قاعدة المصطلح أو (المُحدّد)، وهو اللفظ المركزي، والثاني هو التوسعة أو (المُحدّد). ولا يكتسب المصطلح دلالاته من أحد هذين العنصرين، وإنما من وجودهما معاً. فمصطلح "اسم الفاعل" مثلاً، لا يكتسب دلالاته من دلالة العنصر الأول "اسم"، ولا من دلالة العنصر الثاني "الفاعل"، فلكلٍ منهما دلالاته الخاصة في علم النحو، وإنما يكتسب دلالاته من وجودهما معاً، فهو اسم على صيغة فاعل.

وغالباً ما يكون العنصر الأول أو اللفظ المركزي (المُحدّد) واحداً من المصطلحات التي أشرنا إليها سابقاً، بأنها من المصطلحات المؤدّة التي تعيّن مفاهيم نحوية عامة، كتلك التي تعيّن

أقسام الكلام، مثل (اسم وفعل وحرف وضمير)، غير أننا نراها تلعب أدواراً في تعيين المفاهيم النحوية بوصفها قاعدة لمصطلح آخر مركب، ويتم تخصيص دلالتها وتضييقها بإدراج العنصر الثاني إلى العنصر الأول بعلاقة الإضافة أو الوصف، وهذا يعني أن توسع بنية المصطلح وتركيبها من مُحدّد ومُحدّد يؤدي إلى تضييق الدلالة وتخصيصها⁽³⁹⁾، وعلى هذا فالمصطلح المركب أقدر من المصطلح البسيط في التعبير بدقة عن المفاهيم⁽⁴⁰⁾ لما فيه من تحديد في الدلالة وتضييق يبعده عن التعدد أو الغموض. فالمصطلح المركب لا يكتسب دلالة من أحد المكونين، ولا تكون دلالاته متعددة بتعدد مكوناته، وإنما دلالاته مكتسبة من المكونين مرتبطين بعلاقة تركيبية نسقة للتعبير عن مفهوم واحد.

وقد يُحذف المضاف، على قلة، من بعض المصطلحات المركبة تركيباً إضافياً لتؤول إلى مصطلحات بسيطة تحمل المفهوم نفسه، فقد استعمل ابن يعيش مصطلح الأمر (105/7) للدلالة على فعل الأمر، والفاعل (144/5) للدلالة على مفهوم اسم الفاعل، ومصطلح المفعول (144/5) للدلالة على مفهوم اسم المفعول، ومصطلح التكسير (69/5) للدلالة على مفهوم جمع التكسير.

أمّا المصطلحات المركبة تركيباً وصفيّاً، فيُكثر ابن يعيش من اختصارها بحذف الموصوف واستعمال الوصف للدلالة على المفهوم نفسه؛ فمن ذلك: الماضي (10/7)، والمضارع (10/7)، والمنفصل (185/3)، والمتصل (185/3)، والمضاف (47/3)، والمتعدي (116/7)، والمركب (178/4).

ثالثاً، المصطلح المعقد:

يكثر في مدونتنا بشكل لافت للنظر نمط ثالث من المصطلحات بحسب بنيتها، وهي تلك المصطلحات التي تتكون من ثلاثة ألفاظ فأكثر، ويمكن للدارس أن يميّز نوعين من المصطلحات المعقدة:

النوع الأول: المصطلحات المعقدة بالعلاقات النحوية (الضمان)، وهي مصطلحات تكونت بآلية تكون المصطلحات المركبة عن طريق العلاقات التي يتيحها نظام الإعراب، كعلاقة الإضافة أو الوصف، وينضاف إليهما تركيبان آخران هما تركيب العطف، والتركيب شبه الإسنادي الذي يكون من مكوناته أحد حروف الجر. وقد تتداخل هذه العلاقات التركيبية كلها أو بعضها في تكوين هذه المصطلحات.

النوع الثاني: المصطلحات التي تتشكل بطريق واحد من الأسماء الموصولة، وهي ما يمكن أن نطلق عليها اسم العبارات المصطلحية.

1- المصطلحات المعقدة بالعلاقات النحوية: "الضمائم"

بحسب ما ورد في مدونتنا من مصطلحات تنتمي إلى هذا النوع، نستطيع أن نميز التشكيلات الآتية من العلاقات النحوية التي تدخل في تكوينها:

1. مصطلحات تكونت بعلاقة الإضافة وحدها: نحو "ضمير جماعة المؤنث" (7/7)، و"نون جماعة المؤنث" (15/7)، و"أم حروف الشرط" (75/7).
2. مصطلحات تكونت بعلاقة الوصف وحدها: نحو "الاسم المعرب المنصرف" (131/1) و"الضمير المنصوب المنفصل" (177/3)، و"الأسماء الثلاثية المجردة" (25/5)، و"الجمع المؤنث السالم" (247/4)، و"الاسم المضمر المنفصل" (183/3)، و"الضمير المنصوب المتصل" (162/3).
3. مصطلحات تكونت بعلاقة الإضافة وعلاقة الوصف: نحو "ضمير المؤنثة المخاطبة" (7/7) و"ألف التأنيث الممدودة" (137/1)، و"ألف التأنيث المقصورة" (137/1)، و"تاء التأنيث العارضة" (134/1)، و"تاء التأنيث الساكنة" (53/9).
4. مصطلحات تكونت بعلاقتي إضافة وعلاقة وصف: نحو "ضمير جماعة الفاعلين المذكرين" (12/7).
5. مصطلحات تكونت بعلاقة العطف: نحو "كان واخواتها" (229/2) ومصطلح "إن وأخواتها" (236/1).
6. مصطلحات تكونت بعلاقة شبه الإسناد: "المفعول به" (110/7، 116، 131)، و"المفعول له" (124/7، 125، 126)، و"المفعول معه" (124/7، 125، 126)، و"المتعدي إلى مفعول واحد" (110/7).
7. مصطلحات تكونت بعلاقتي الوصف وشبه الإسناد: نحو "الفعل المبني للفاعل" (135/7)، و"الفعل المبني للمفعول" (126/7)، و"الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفعولين" (113/7)، و"الأفعال المتعدية إلى مفعولين" (123/7)، و"الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد" (233/9)، و"التاء اللاحقة للفعل" (156/9).
8. مصطلحات تكونت بعلاقتي شبه الإسناد والعطف: نحو "الجمع بالواو والنون والألف والتاء" (19/5).

ولعل أكثر ما يلاحظ في هذه المصطلحات مقدرتها على ضبط الدلالة، والدقة في تحديد المفهوم الذي تعبر عنه. وحسبنا أن نحلل واحدا من هذه المصطلحات، بالنظر إلى عناصره المكوّنة، لنرى وضوح هذه السمة فيه. فمصطلح "الضمير" مصطلح عام يعبر عن أي عنصر

ينتمي إلى مقولة الضمائر، غير أن سمة العموم هذه تتقلص حين يدخل في علاقات مع بعض عناصر أخرى مكونة مصطلحا مركباً أو معقداً، وذلك كما يأتي:

- ضمير.
- ضمير الجماعة.
- ضمير جماعة الفاعلين.
- ضمير جماعة الفاعلين المذكرين.

فاللفظ الأول "ضمير" مصطلح عام شامل، يعبر عن مفهوم الضمائر بأنواعها، متصلة ومنفصلة، للمذكر كانت أم للمؤنث، بصرف النظر عن الحالة الإعرابية رفعا ونصبا وجراً. وعند إضافة العنصر الثاني "الجماعة" تتقلص هذه الشمولية ويصبح المفهوم أكثر خصوصية، وهو مفهوم الضمائر التي تكون مرجعيتها الجماعة فقط، ولكنه يبقى حاملاً لشمولية الجماعة؛ فلا يُحدّد الجنس ولا الحالة الإعرابية، ولا نوع الضمير من حيث كونه متصلاً أو منفصلاً. وبإضافة العنصر الثالث المكوّن للمصطلح، تتقلص الدلالة وتعزل مفهومها عن مفاهيم أخرى مشاركة لهذا المفهوم، فتصبح لا تعبر إلا عن مفهوم الضمائر المتصلة بالأفعال للفاعلية، لكنها لا تميّز الجنس. فيأتي اللفظ الرابع "المذكّرين" ليرفع الغموض عن المفهوم بخصوص الجنس ويحدد قيمته الدلالية في مفهومه.

وعلى هذا الأساس فإننا نستطيع أن نربط بنية المصطلح أطراداً بدقة تعبيره عن المفاهيم ووضوحها؛ لذلك كانت المصطلحات المركبة أو المعقدة أكثر قدرة في إعطاء الدلالات الاصطلاحية المحددة. وبالرغم من مقدرة المصطلحات المعقدة على التعبير عن المفاهيم بدقة؛ نظراً لما تقدمه عناصرها المكونة من سمات تزيد في وضوح المفاهيم، فإن طول بنيتها يشكل عائقاً في حركتها داخل النص، ويبدو أن ابن يعيش كان واعياً لهذا الأمر، وأثر وعيه هذا في استعماله لها، وبخاصة المصطلحات ذات العناصر المتعددة، فجاءت أقل عدداً من المصطلحات البسيطة والمركبة، وكثير منها لا يكاد يتخطى عدد مرات تواترها المرة أو المراتين.

2- العبارات الاصطلاحية:

يقف المرء حائراً أمام نوع آخر من المصطلحات التي استعملها بكثرة ابن يعيش في شرحه للمفصل، واستعملها قبله علماء مرحلة التأليف النحوي الأولى، إنها ذات نمط تركيبى مختلف عما عرفناه في المصطلحات المركبة والمصطلحات المعقدة، وهي ما يمكن أن نسميها بالعبارات الاصطلاحية، التي تقوم على التوسع في العناصر المكونة للمصطلح، باستعمال أدوات رابطة كالموصلات الاسمية وحروف العطف والجر؛ سعياً نحو توضيح المفهوم وتقريبه. والحيرة تأتي

من كون هذه العبارات من السمات التي تميز مصطلحات العلوم في بداية نشأتها، ونحن إن كنا نتفق مع من يسوِّغ كثرة ظهورها في نصوص مرحلة نشأة علم النحو، عند سيبويه ومن بعده المبرد وغيره، بغياب المصطلح الذي يعبر عن المفهوم بدقة، فإننا لا نستطيع أن نعتمد التسويغ نفسه لظهورها في نص متأخر بخمسة قرون عن تلك المرحلة، كُتب في فترة بلغ علم النحو فيها مستوى عاليًا من النضج، ونستطيع أن نطمئن إلى القول بأن المصطلح قد بلغ فيها مستوى مشابهًا من النضج والاستقرار، وبخاصة أن ظهور هذه العبارات عند ابن يعيش جاء جنبًا إلى جنب مع مصطلحات مستقرة، بسيطة أو مركبة، حاملة المفهوم الذي تعبر عنه هذه العبارات.

بالنظر في مدونتنا نستطيع أن نميز نموذجين نمطيين لهذه العبارات الاصطلاحية، هما:

1- العبارة الاصطلاحية المبدوءة بالموصول الاسمي "ما"، وهي عبارة قابلة للتوسع أو الاختزال، بحسب العناصر التي تدخل في تركيبها، وبحسب السمات المفهومية التي يرغب الكاتب في التعبير عنها. ومن أمثلتها: "ما لا يتعدى" (123/7)، و"ما كان متعديا" (293/1)، و"ما يتعدى إلى مفعول واحد" (112/7)، و"ما يتعدى إلى مفعولين" (113/7)، و"ما يتعدى إلى ثلاثة" (115/7)، و"ما كان من الأفعال متعديا إلى مفعولين" (122/7)، و"ما يتعدى إلى مفعولين ويكون الثاني هو الأول في المعنى" (114/7)، و"ما يتعدى إلى مفعولين ويكون المفعول الأول منهما غير الثاني" (113/7)، و"ما لم يسم فاعله" (105/7)، و"ما ليس للفاعل" (107/7)، "ما سمي فاعله" (128/7)، و"ما لا ينصرف" (135/1)، و"ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره" (71/2)، "ما جاء منصوبا بإضمار فعل لم يستعمل إظهاره" (68/2)، وغيرها كثير.

فالصورة النمطية لهذا النوع من العبارات الاصطلاحية أنها تأتي مصدرًا بالموصول الاسمي العام "ما" الذي يكون قاعدة للعبارة فهو (المُحدَّد)، وتأتي صلتها، وهي لا تكون إلا فعلا، مثبتا أو منفيا، مبنيا للفاعل أو للمفعول، لتلعب دور التوسعة، فهي (المُحدَّد). ونلاحظ في هذا النمط من العبارات مقدرتها على التوسع عن طريق إضافة عناصر أخرى ذات سمات مفهومية تزيد في توضيح المفهوم وتفسيره، وباستعمال عناصر لغوية رابطة كحروف العطف وحروف الجر. والمثال الآتي يوضح دور هذه السمات المفهومية في توضيح المفهوم وتخصيصه عند إضافتها لتوسيع العبارة:

"ما كان متعديا" ← "ما يتعدى إلى مفعول واحد" ← "ما يتعدى إلى مفعولين" ← "ما يتعدى إلى مفعولين ويكون الثاني هو الأول في المعنى" ← "ما يتعدى إلى مفعولين ويكون المفعول الأول منهما غير الثاني" ← "ما يتعدى إلى ثلاثة". فالمفهوم الرئيس فيها جميعا واحد وإن توسع التركيب، وهو فكرة التعدي، وجاءت العناصر المضافة لتسهم في تحديد نوعه.

ويلاحظ فيها أيضا أن ابن يعيش قد اعتمد أسلوب إعادة الصياغة، فبدل في عناصرها، وغير من مواقعها، دون أن يؤثر ذلك في تغيير المفهوم الذي تعبّر عنه، ودون أن يزيد في وضوحه؛ إذ قد يُصدّر هذه العبارة باسم أو فعل أو بتركيب اسمي، ويربطه بالموصول الاسمي "ما" برابط أو بعلاقة تركيبية، ومن أمثلة ذلك: "ما ليس للفاعل" (105/7) ← "ما لم يُسم فاعله" (75/2) ← فعل ما لم يُسم فاعله (219/5) ← "بنيته [الفعل] لما لم يُسم فاعله" (133/7) ← "بناء الفعل لما لم يُسم فاعله" (131/7) ← "بناء ما لم يُسم فاعله" (139/1).

2- العبارة الاصلحية القائمة على واحد من الموصولات الاسمية الخاصة (الذي والتي): وهذا النمط من العبارات الاصطلاحية أقل شيوعا عند ابن يعيش، على الرغم من كونها تعدّ ظاهرة في مؤلفات الجيل الأول من النحاة وخصوصا عند سيبويه⁽⁴¹⁾. وتختلف هذه العبارات الاصطلاحية عن النوع السابق في كون الاسم الموصول هنا يلعب دور المحدّد لاسم قبله، إن تكاد تتشكل بطريق واحدة، من اسم (محدّد) متلو بالموصول الاسمي وصلته (المحدّد). ومن أمثلة هذا النوع في مدونتنا: "الأفعال التي سُمي فاعلوها" (129/7)، و"المفعول الذي لم يُسم فاعله" (126/7)، و"الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين" (141/7)، و"الأفعال التي لا تتعدى" (164/7)، و"الفعل الذي لا يتعدى الفاعل" (123/7)، و"أفعل الذي يراد به التفضيل" (8/3)، و"أفعل الذي بمعنى التفضيل" (155/3)، و"الجملة التي تقع صفة" (96/3)، و"الواو التي هي ضمير الجماعة" (173/9)، و"الواو التي هي ضمير" (155/9)، و"الاسم الذي لا ينصرف" (135/1).

فالملاحظ في هذه الأمثلة أن جلّها قد جاء حاملا للمفاهيم التي تعبّر عنها بعض العبارات الاصطلاحية التي تنتمي إلى النمط الأول، وهذا يعني أن هذه العبارات تدخل في نطاق إعادة الصياغة في سياق الشرح والتحليل، التي تحدثنا عنها سابقا. فمن ذلك مثلا: عبارة "المفعول الذي لم يُسم فاعله" مقابل عبارة "ما لم يُسم فاعله"، وعبارة "الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين" مقابل عبارة "ما يتعدى إلى مفعولين"، وعبارة "الاسم الذي لا ينصرف" مقابل عبارة "ما لا ينصرف".

ويبدو لنا أن هذا التنوع في العبارات الاصطلاحية، توسيعا أو تضييقا أو بإعادة الصياغة واستعمال البدائل، يكون محكوما بالسياق الذي تدرج فيه، والذي يستدعي عبارة دون غيرها، بهدف شرح المفهوم وتوضيحه، وفي سياق توضيح الأفكار والتمثيل، وبخاصة إذا ما عرفنا أن هذه العبارات قد تختزل، في أغلب الأحيان، بحذف جميع العناصر ذات السمات التوضيحية، والروابط الأخرى، لتؤول إلى مصطلحات معقدة أو مركبة أو بسيطة، فابن يعيش قد استعمل

مصطلحات مستقرة للتعبير عن المفاهيم نفسها التي تُعبّر عنها هذه العبارات الاصطلاحية؛ فمن النط الأول استعمل مصطلح "الفعل المتعدي" (74/7) واستعمله محذوف الموصوف "المتعدي" (110/7) مقابلين لعبارة "ما يتعدى من الأفعال"، واستعمل مصطلح "الفعل المتعدي إلى مفعول واحد" (110/7) مقابلاً لعبارة "ما يتعدى إلى مفعول واحد"، ومصطلح "الفعل المبني للمفعول" (126/7) مقابلاً للعبارات "ما ليس للفاعل" و"ما لم يُسم فاعله" و"بناء الفعل لما لم يُسم فاعله" و"بناء ما لم يُسم فاعله".

ومن النمط الثاني استعمل ابن يعيش مصطلح "أفعل التفضيل" (8/3) مقابلاً للعبارتين "أفعل الذي يراد به التفضيل" و"أفعل الذي بمعنى التفضيل"، واستعمل مصطلح "الجملة الصفة" (95/3) مقابلاً للعبارة "الجملة التي تقع صفة"، والمصطلح "غير المنصرف" (158/1) مقابلاً للعبارة "الاسم الذي لا ينصرف"، والمصطلح "واو الضمير" (263/9) مقابلاً للعبارتين "الواو التي هي ضمير" و"الواو التي هي ضمير الجماعة".

ملحوظات ختامية:

دار الكلام في الصفحات السابقة حول المصطلح النحوي في كتاب شرح المفصل لابن يعيش، وقد تبين لنا أن أكثر المصطلحات شيوعاً في الاستعمال هي تلك المكونة من لفظ واحد منتبهاً إلى مقولتي الاسم والصفة، وتلك التي تتكون من لفظين مرتبطين بإحدى علاقتي الإضافة أو الوصف. وكان أقلها شيوعاً هي المصطلحات التي تتكون من ثلاثة ألفاظ فأكثر، مما ارتبطت فيما بينها بالعلاقات النحوية المختلفة، الإضافة والوصف والعطف وشبه الإسناد، ويبدو أن ذلك يرجع إلى وعي ابن يعيش بأن المصطلحين البسيط والمركب أقدر على تلبية معياري التردد والشيوع⁽⁴²⁾ من المصطلح المعقد وذلك بفضل نضجهما من حيث البنية واستقرارهما. أما المصطلح المعقد، فبالرغم من كونه أكثر قدرة على حصر المفهوم وعزله فلا يلتبس بغيره؛ نظراً للسمات المفهومية التي تضيفها العناصر المكونة له، فإن بنيته تشكل عائقاً في حركته داخل النص.

وقد لاحظنا كيف كان المصطلح يُطوّر في النص، فيدخل في علاقات انتلافية مع مشتقات تنتمي إلى نفس الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح، سواء أكانت أفعالا أم أسماء أم صفات، بحسب ما يستدعيه النص من بنى، حتى كأن النص يكاد يغرق بال تكرار، كل ذلك بهدف توضيح المفهوم وتقريبه من الأذهان ومنع الالتباس عنه، وما ذلك إلا دليل على صعوبة ضبط المصطلح، وعلى أن إدراك مفهومه ليس أمراً بديهياً، وإنما يحتاج إلى أن يُسخر العالم كل ما تتيحه اللغة من معطيات تساعد في فهمه، فرأيناه يراوح بين لغة الاختصاص واللغة العامة، فينتقل من المصطلح إلى الشرح والتمثيل، أو ينتقل من التمثيل والشرح إلى المصطلح.

وجاءت العبارات الاصطلاحية بأشكالها المختلفة، وصياغاتها المتنوعة، بما فيها من توسيع وتنضيق وبدائل، وبما فيها من استعادة للشرح بألفاظ أخرى، رغم وجود مصطلحات مقابلة لها مستقرة، لتؤكد حقيقة الغرض الذي يرمي إليه ابن يعيش وهو تقريب المفهوم وتبسيط تعابير الخطاب، فيغدو المصطلح في متناول القارئ العادي؛ لأنه يقربه من اللغة العامة المتداولة، ولا يبقى على جموده في لغة الاختصاص. فقيمة المصطلح لا تظهر إلا من خلال تفاعله في النص، وما ينتج هذا التفاعل من بدائل يستدعيها السياق الذي ترد فيه.

The Grammatical Terminology in *Sharh al Mufasssal* by IbnYa'eesh: A Study in Text's Effects

AmjadTalfheh and Khalid S. Alkindi, *Department of Arabic Language and Literature, Sultan Qaboos University, Oman.*

Abstract

This research aims to study the grammatical terminology in one of the most important grammar books, *Sharh al Mufasssal* by ibnYa'eesh. Studying terminology as a part of a text makes scholars who study the text aware of the terminology's value and accurately explain some aspects of its functions especially studying the terminology in forms and indices away from the text. The grammatical terminology, even though it is a special concept belonging to the study of grammar, is a linguistic concept that is influenced by the context in which it appears and it shows its value and its meanings based on its function in the text. In this article, we will try to explore how the text influences the terminology at both levels: structure and meaning.

Key words: The grammatical terminology, Arabic Grammar, *Sharh al Mufasssal*.

الهوامش

- (1) تكثر الروايات التي تتحدث عن نشأة النحو العربي، ويصعب الاتفاق على فكرة بداية التفكير النحوي، غير أن ظهور كتاب بحجم كتاب سيبويه، دليل على نشاط علمي هائل قبله؛ إذ لا يمكن أن نتصور أن كتاباً يقدم هذا النضج من التفكير النحوي قد نشأ من فراغ، والإحالات التي نجدها في الكتاب نفسه إلى علماء متقدمين على سيبويه دليل آخر.
- (2) ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، القاهرة، مكتبة العلوم والآداب للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ج1، ص43.
- (3) ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص43.
- (4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1999، مادة (صلح)، ص. 303.
- (5) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ومحمد علي النجار، القاهرة، دار القومية العربية، ط1، 1964، مادة (صلح)، ص. 243.
- (6) انظر: Troupeau, Gérard, La terminologie grammaticale, in La formation du vocabulaire scientifique et intellectuel, France, Prepols, 1994, pp. 15-16.
- (7) الجرجاني، التعريفات، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص. 28.
- (8) طليمات، غازي، المفهوم النحوي في كليات الكفوي بين المصطلح والتعريف، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد 9، 1995، ص 236.
- (9) انظر Felber, Hulmet, quelques questions fondamentales au sujet de la terminologie, Vienne, INFOTERM, 1981, pp. 1-50.
- (10) انظر: كلود لوم، ماري، علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ترجمة: ريما بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012، ص42.
- (11) انظر Auger, P. et Rousseau, J.L. Méthodologie de la Recherche Terminologique, Québec, Office de la langue française, 1978, p. 31.
- (12) Dubois, Jean, Dictionnaire de la Linguistique et des Sciences du Langage, Paris, Larousse, 1994, p. 480.
- (13) انظر Rondeau, G., Introduction à la terminologie, Montréal, Québec, Gaétan Morin, 2ème éd. 1991, p. 19.
- (14) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل، بيروت، المكتبة العصرية، 1986، ج1، ص402.

- (15) السىوطى، المزهري، ج1، ص369.
- (16) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 3، 1988، ج1، ص24.
- (17) ابن سيدة، المخصص، بيروت، دار إحياء التراث العربى، بدون تاريخ، ج13، ص258.
- (18) انظر: Jean Dubois, Dictionnaire de Linguistique générale, 1ère édition, Paris, Librairie Larousse, 1973, p.327.
- (19) يمثل هذه النظرة ما يُطلق عليه اسم "المدرسة النمساوية". انظر: Felber, H., Terminology manual, UNESCO-INFOTERM, Paris, 1979. And Rey A., La Terminologie: noms et notions, Paris, PUF, 2ème édition, 1979.
- (20) انظر تفصيل ذلك: ابن مراد، إبراهيم، المصطلحية وعلم المعجم، في مجلة المعجمية، عدد8، 1992، ص. 5-16
- (21) انظر: Slodzian, M., L'émergence d'une terminologie textuelle et le retour du sens ; in Le sens en terminologie, Lyon, Travaux du CRTT, PUL, 2000, p. 61.
- (22) انظر Roman, A., L'origine et l'organisation de la langue arabe d'après le sahibi d'bn Faris, in Arabica, Tome XXXV, 1991, pp. 3-4.
- (23) انظر Roman, A., La création lexicale en arabe, Lyon, PUL, 1999, p. 179
- (24) انظر Roman, A., Les combinatoires fondatrices de la langue arabe, in Autour de la nomination, Lyon, PUL, 1997, pp. 13-19, André, La création lexicale en arabe, 1999, p. 180.
- (25) انظر سيبويه، الكتاب، مرجع سابق، ج1، ص21، وابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص46.
- (26) انظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، عالم الكتب، ط 3، 1988، ص 90-132.
- (27) انظر: ابن مراد، إبراهيم، مسائل في المعجم، بيروت، دار الغرب الإسلامى، 1997، ص 32-33.
- (28) انظر تفصيل ذلك، ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص65
- (29) ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص46
- (30) ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، ص 178.
- (31) ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، ص 178.

- (32) ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص116.
- (33) ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص110.
- (34) ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص110.
- (35) ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص110.
- (36) ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص46.
- (37) ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص116.
- (38) ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص10.
- (39) انظر: Guiraud, P., La sémantique, Que Sais-je ? Paris, PUF, N° 655, 8ème éd. 1975, p.89
- (40) انظر: ابن طالب، عثمان، علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة: الإشكاليات النظرية والمنهجية، في دراسة تأسيس القضية الاصطلاحية، عبد السلام المسدي وآخرون، قرطاج، بيت الحكمة، 1989، ص. 82.
- (41) انظر: Talafheh, Amjad, La Terminologie Grammaticale Complexe dans le kitab de Sibawahi, Lille, ANTR, France.
- (42) التردد هو تواتر المصطلح في النص، والشيوخ هو تواتره في نصوص أخرى، انظر: كلود لوم، ماري، علم المصطلح مبادئ وتقنيات، مرجع سابق، ص 41-64.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً، المصدر:

ابن يعىش، شرح المفصل، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، القاهرة، مكتبة العلوم والآداب للنشر والتوزيع، ط1، 2013.

ثانياً، المراجع:

أ. بالعربية:

الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ومحمد على النجار، القاهرة، دار القومية العربية، ط1، 1964.

الجرانى، التعريفات، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1988.

سبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجى، ط3، 1988.

ابن سيدة، المخصص، بيروت، دار إحياء التراث العربى، بدون تاريخ.

السيوطى، المزهرفى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل، بيروت، المكتبة العصرية، 1986.

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1999.

ابن طالب، عثمان، علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة: الإشكاليات النظرية والمنهجية، فى دراسة تأسيس القضية الاصطلاحية، عبد السلام المسدى وآخرون، قرطاج، بيت الحكمة، 1989.

طليمات، غازى، المفهوم النحوى فى كليات الكفوى بين المصطلح والتعريف، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دى، العدد 9، ص ص 233-269، 1995.

كلود لوم، مارى، علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ترجمة: ريماء بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012.

ابن مراد، إبراهيم، المصطلحية وعلم المعجم، مجلة المعجمية، تونس، العدد 8، ص ص 5-16، 1992.

ابن مراد، إبراهيم، مسائل في المعجم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997.

ب. بغير العربية:

- Auger, P. et Rousseau, JL. *Méthodologie de la Recherche Terminologique*, Québec, Office de la langue française, 1978.
- Dubois, J., *Dictionnaire de Linguistique générale*, Paris, 1ère édition, Librairie Larousse, 1973.
- Dubois, J., *Dictionnaire de la Linguistique et des Sciences du Langage*, Paris, Larousse, 1994.
- Felber, H., quelques questions fondamentales au sujet de la terminologie, *Infoterm*, Vienne, 1981, pp. 1-50.
- Felber, H., Terminology manual, Paris, *Unesco-Infoterm*, 1979.
- Guiraud, P., *La sémantique, Que Sais-je ?* Paris, PUF, N° 655, 8ème éd., 1975.
- Rey, A., *La Terminologie: noms et notions*, Paris, PUF, 2ème édition, 1979.
- Rondeau, G., *Introduction à la terminologie* Rondeau, G., Introduction à la terminologie, Montréal, Québec, Gaétan Morin, 2ème éd. 1991.
- Roman, A., *L'origine et l'organisation de la langue arabe d'après le sahihi d'bn Faris*, in *Arabica*, Tome XXXV, 1991.
- Roman, A., *La création lexicale en arabe*, Lyon, PUL, 1999.
- Roman, A., "Les combinatoires fondatrices de la langue arabe", in *Autour de la nomination*, Lyon, PUL, 1997.
- Slodzian, Monique, *L'émergence d'une terminologie textuelle et le retour du sens*; in *Le sens en terminologie*, Travaux du CRTT, Lyon, PUL, 2000.
- Talafheh, Amjad, *La Terminologie Grammaticale Complexe dans le kitab de Sibawahi*, Lille, France, ANTR, 2005.
- Troupeau, Gérard, *La terminologie grammaticale*, in *La formation du vocabulaire scientifique et intellectuel*, France, Prepols, 1994.

- Widdowson, H. G. (1994). The ownership of English. *TESOL Quarterly*, 28(2), 377-389.
- Woon YHJ (2007). Code-mixing: Linguistic Form and Socio-Cultural Meaning. *Int. J. Lang. Society Culture*. 1327- 774x. 21: 1-8.
- Ying CHK (2005). The Social Distinctiveness of two code-mixing Styles in Hong Kong. *ISB4: Proceedings of the 4th International Symposium on Bilingualism*, ed James Cohen, Kra T. McAlister, Kellie Rolstad, and Jeff MacSwan,. Somerville, MA: Cascadilla Press. pp. 527-541.

- Maley, A. 2005. Review of Extensive Reading Activities for the Second Language Classroom. *ELT Journal*, 59(4), 354–355.
- Mckay, S. (2002). Teaching English as an international language. Oxford, England: Oxford University Press.
- Muysken, Pieter (2000). Bilingual Speech: A Typology of Code-Mixing. Cambridge: CUP.
- Myers-Scotton, C. (2006). An introduction to bilingualism. United Kingdom: Blackwell Publishing.
- Nazary, M. (2008). The Role of L1 in L2 Acquisition: Attitudes of Iranian University Students. *Novitas Royal*, 2 (2), 138- 153.
- Poplack, S., & Meechan, M. (1998). Introduction: How languages fit together in codemixing. *International Journal of Bilingualism*, (2)2, 127-138.
- Romaine, S. (1995). Bilingualism (2nd ed.). Oxford: Blackwell Pulication.
- Schweers, C.W. (1999). Using L1 in the L2 Classroom. *English Teaching Forum*, 37(2), 6-13.
- Simon, D.-L., 2001. Towards a new understanding of code switching in the foreign language classroom. In R. Jacobson (Ed.) Code switching Worldwide II, pp: 311-342. Berlin: Mouton de Gruyter.
- Skiba, R. (1997). Code Switching as a Countenance of Language Interference. *The Internet TESL Journal*, 3 (10). Retrieved from [tp://iteslj.org/Articles/Skiba-CodeSwitching.html](http://iteslj.org/Articles/Skiba-CodeSwitching.html).
- Spardlin K, Licerias J, Fuertes RF (2003). Functional-Lexical Code Mixing Patterns as Evidence for Language Dominance in Young Bilingual Children: A Minimalist Approach. Proceedings of the 6th Generative Approaches to Second Language Acquisition Conference. Ed. Juana M. Licerias et al., Somerville, MA: Cascadilla Proceedings Project. pp. 298-307.
- Spolsky, B. (1998). Sociolinguistics. Oxford: Oxford University Press.
- Sridhar & Kamal Sridhar. (1980). The Syntax and Psycholinguistics of Bilingual code-mixing. *Canadian Journal of Psychology* 34, 407-416
- Stockwell, Peter. (2002). Sociolinguistics: A Resource Book for Students. London: Rutledge.
- Wardaugh, Ronald. (1998). An Introduction to sociolinguistics, 3 rd Edition. Malden, MA: Blackwell.

- Damra, Heba Mohammad and Qudah, Mahmoud Al (2012). The Effect of Using Native Language on Grammar Achievement and Attitudes toward Learning of Basic Stages EFL Students in Jordan. Retrieved May 2, 2015. http://ijbssnet.com/journals/Vol_3_No_1_May_2015/34.pdf
- EhsanRezvani (2011). Code-switching in Iranian Elementary EFL Classrooms: An Exploratory Investigation. *English Language Teaching*, 2011, Volume 4, No, 1.
- Fishman, J. A (1977). Knowing, using and liking English as an additional language. Rowley, Massachusetts. Newberry House Publishers.
- Fishman, J.A. (1971). National languages and language of wider communication in developing countries. London: Oxford University Press.
- Gardner-Chloros, P. (2009). *Code-switching*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Grosjean (2010). *Bilingual: Life and Reality*. Harvard University Press.
- Grosjean, F. (1982). *Life with two Languages: An Introduction to Bilingualism*. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.
- Gumperz, John (1 982) *Discourse Strategies*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Hazaymeh, O. (2004). The Impact of Bilingualism on ELT in Jordan. *South Asian Language Review*, Vol. XIV,(2004, January-June) Nos.1 & 2. Al-Balqa' Applied University, Jordan. Available from <http://www.salr.net/Documents/Omar.pd>.
- Hidayati, I. S. (2012). Evaluating the role of L1 in teaching receptive skills and grammar in EFL classes. *Indonesian Journal of Applied Linguistics*, Vol. 1(2)17-32.
- Huang, H. Y. (2006). CYUT Students' attitudes and motivation toward native language and foreign language as a medium of instruction in English Writing Classes. Unpublished Master's thesis. Chaoyang University of Technology, Taichung.
- Jisa H (2000). Language mixing in the weak language: Evidence from two children. *J. Pragmat.*, 32: 1363-1386.
- Kailani, T. Z. 1994. English loanwords in Jordanian colloquial Arabic: a study of language and culture. *Dirasat (the Humanities)*, 21(6): 39-80
- Koucka, A. (2007). The Role of Mother Tongue in English Language Teaching. Unpublished Master's thesis University of Pardubice, Czech Republic.

References

- Al Abbadi, A. (2010). The Congruence between Supervisors', Teachers', and Students' Perceptions about and Actual Use of Arabic in the Upper Basic Stage EFL Classrooms in Amman Fourth Directorate of Education. A PhD dissertation. Yarmouk University. Irbid, Jordan.
- Al Absi, I. (1991). The Effect of Using the Native Language as a Method in Teaching English as a Foreign Language on Developing Learners' Lexical Proficiency. M.A. Thesis. University of Jordan. Amman. Jordan.
- Al-Khatib, M. & Sabbah, E. (2008). Language Choice in Mobile Text Messages among Jordanian University Students. *SKY Journal of Linguistics*, 21: 1-27.
- Apple & Muysken (2005). Language contact and bilingualism. Amsterdam University Press. *Amsterdam Academic Archive*, 2005.
- Aqel, F. (2006), Using the mother tongue (Arabic language) in EFL. University of Qatar. *Journal of Educational Sciences*: 9(3), 63-81.
- Auer, J. C. P. (1984). Bilingualism Conversation. Amsterdam: John Benjamins.
- Ayeomoni, M.O. (2006). Code-switching and Code-mixing: Style of language use in childhood in Yoruba speech community. *Nordic Journal of African Studies*, 15(1), 90-99.
- Baker, M.C. (1988). Incorporation: A Theory of Grammatical Function Changing. Chicago: University of Chicago Press.
- Baynham, M. (1985). Bilingual folk stories in the ESL classroom. *ELT Journal* 40, (2), 113-120.
- Bhatia, T.K. & Ritchie, W.C. (2004) Bilingualism in the global media and advertising. In T.K. Bhatia & W.C. Ritchie (Eds.), *The Handbook of Bilingualism* (pp. 513- 546). Blackwell Publishing Ltd.
- Bokamba, E. (1989). Are there syntactic constraints on code-mixing?. *World Englishes* 8(3).
- Celik M (2003). Teaching Vocabulary through Code-Mixing. *ELT J.*, 54(7): 361-369.
- Cook, V. (2001). *Second language learning and teaching*. New York: Oxford University Press.
- Creese, A., and A. J. Blackledge (2012) Voice and meaning-making in team ethnography. *Anthropology & Education Quarterly* 43.3:306–324.

Recommendations

Since to the best of the researchers' knowledge this study is the first to examine EFL instructors' code mixing based on the differences in their qualifications, years of experience and university of graduation. The researchers recommend the following:

- More studies of this kind need to be conducted to explore the phenomenon of code mixing in other universities in Jordan to investigate domains other than the ones included in this study.
- Teachers should be aware of the phenomenon and its appropriate uses so as to facilitate but not hinder students' learning.

The faculties of Education need to establish certain training programs in cooperation with the departments of English in the Jordanian universities so as to prepare the graduates for the appropriate uses of L1 in L2 classes.

أثر بعض خصائص أعضاء هيئة التدريس في جامعة البترا على خلطهم اللغوي في صفوف اللغة الإنجليزية

جهينه الموسى وعقله صمادي، قسم المناهج والتدريس، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخص

حاولت الدراسة الإجابة على سؤال يتعلق بمدى تأثير كل من مؤهلات المدرسين، سنوات الخبرة، والجامعة التي تخرجوا فيها على استخدامهم للخلط اللغوي في صفوف اللغة الإنجليزية. من أجل الإجابة عن سؤال الدراسة، أعد الباحثان مقابلة شبه موجهة من أجل جمع المعلومات المتعلقة بالبحث وتحليلها نوعياً. أشارت النتائج إلى أن المدرسين قد أبدوا مستوىً عالياً من الدراية باستخدامات هذا الخلط اللغوي في ممارساتهم الصفية. كما أظهرت الدراسة أنه لم يكن هناك فروقات ملحوظة يمكن أن تعزى إلى مؤهلات المدرسين، أو سنوات خبرتهم، أو حتى الجامعات التي قد تخرجوا فيها. واعتماداً على النتائج، فإن الدراسة توصي بإجراء عدد آخر من الدراسات التي تتناول أبعاداً أخرى غير التي تم التطرق إليها في هذه الدراسة. كما وجهت الدراسة توصية إلى كليات التربية في الجامعات الأردنية بأهمية إيجاد برنامج تدريبي بالتنسيق مع أقسام اللغة الإنجليزية في كليات الآداب، من أجل إعداد خريجين على معرفة كافية بالاستخدامات المناسبة للغة الأم في تدريس اللغة الأجنبية.

Chart 3 shows that four instructors with less than ten years' experience as well as six with more than ten years' experience said they would code mix when introducing vocabulary. Two of the instructors with less than ten years' experience said they would code mix to guarantee students' comprehension. As for grammar one instructor with less experience said she might use it for grammar besides two in the other group. On the other hand, only two instructors with less than ten years' experience said they would use it for classroom management. Finally for the use of code mixing in discussing the content, three of the more experienced instructors said they would but none of the other group.

The analysis of the results show that the instructors, with less than or above ten years of experience, would use code mixing in presenting vocabulary. They agreed on using code mixing in introducing grammar as well. This does not agree with Al Abbadi (2010) who noticed that the experienced teachers with more than 10 years' experience had made use of Arabic more than the teachers with less experience. The results here revealed that experienced instructors along with less experienced ones would use code mixing in introducing grammar and vocabulary. The instructors with less than 10 years' experience said they would use code mixing to check comprehension and for class organization. The content was the part that only instructors with long experience would consider when teaching.

Conclusions

The conclusions that originated from the findings of the present study can be summarized in that the instructors' use code mixing in their teaching and a fairly complete agreement on its aspects resulted. Above all, the instructors' qualifications, years of experience and university of graduation revealed no significant differences.

The researchers believe that code mixing cannot be eliminated from students or instructors minds for that they equally share it as the milieu of this study was instructors whose mother tongue is Arabic. Although varied methodologies were called for to be implemented in the field of teaching English as a foreign language in Jordan with more focus on the communicative approach, but none of them was proven completely beneficial yet in this area. The researchers think that the instructors have to decide on the best practices to follow in the English classroom and vary their techniques in order to help their students learn better. They might consider when using code mixing the students' levels and needs. If they use code mixing in introducing grammar, vocabulary, or checking comprehension they need to be concise and selective and decide on which comparisons they can make between the two languages to help students learn better.

Chart 2 presents the instructors' responses according to their university of graduation.

Both groups supported the use of code mixing in introducing vocabulary where six instructors with international degrees and three with national degrees said they would code mix when introducing vocabulary. As for grammar, the two groups seconded on that use with one instructor with an international degree and two with national degrees. Content was also a field that both of the groups admitted they use code mixing in with two holders of international degrees and one with a national degree. The instructors who said they would code mix when discussing comprehension were two with international degrees, while one instructor with an international degree as well as one with a national degree said they would code mix for classroom organization.

The results revealed that all the instructors agreed on that they use code mixing in introducing vocabulary, grammar, in discussing the content and in class organization. The only difference was that two instructors with international degrees said they would use code mixing to check students' comprehension. The researchers think that not having vast variances stemmed from the fact that the instructors were from relatively similar backgrounds and they teach students with similar abilities so the circumstances that govern the whole situation and their attitudes and practices are very much alike.

Chart 3 presents the instructors' responses according to their years of experience whether less or more than ten years.

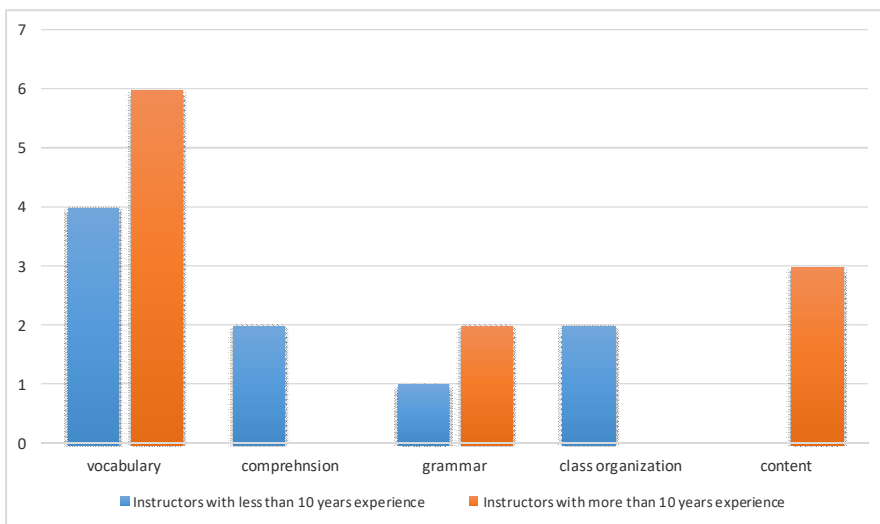


Chart 3. The instructors' responses according to their years of experience.

Chart 1 introduces the instructors' responses according to their qualifications.

The chart shows that both groups agreed on that they use code mixing when introducing vocabulary with 7 PhD holders and three MA holders. While for code mixing in discussing grammar it shows that one instructor with a PhD degree said he would use it in addition to two MA holders. The instructors who said it might be used to guarantee students' comprehension were two PhD holders and one MA holder. Now for the content it was only advocated by three PhD holders and none of the other group. Finally, the two instructors with MA said they would use it in classroom management.

The results show that both the PhD and the MA instructors agreed on that they would use code mixing when introducing vocabulary, grammar and comprehension. This agrees with EhsanRezvani (2011) and Hidayati(2012). On the other hand, the difference was that the PhD instructors would use it for introducing and discussing the content while MA instructors said they would use it for organizing the classroom. The researchers think that the difference might have resulted from the fact that most of the MA instructors teach primary and mostly non specialized courses where they deal with junior students, who need to be reminded of the class organization and instruction. On the contrary, PhD instructors teach senior students who do not need to be reminded of class rules and disciplines, but to discuss more difficult topics in their specialization.

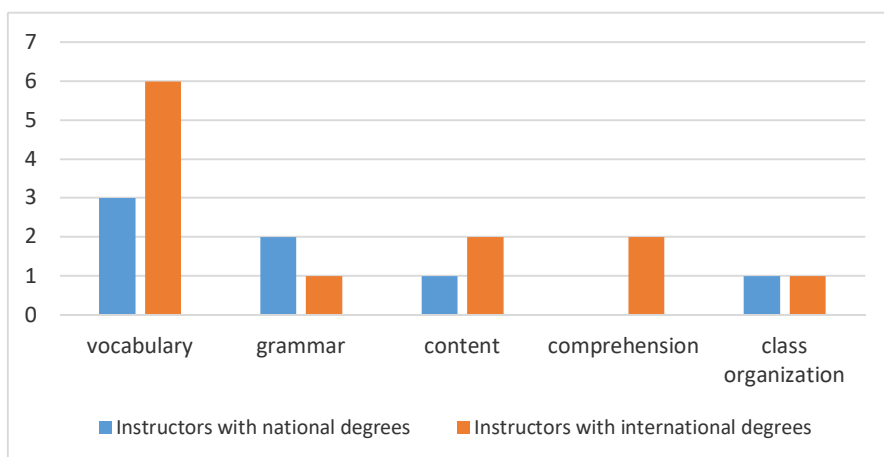


Chart 2. The instructors' responses according to their university of graduation.

5. Do you think that switching to Arabic frequently will facilitate students' fluency? Any examples?
6. Do you think that your students feel more comfortable when switching to Arabic? Please specify?

Data analysis

To reach the inferences of the study the instructors' responses to the questions of the interview were analyzed, the results were reported in terms of percentages, and the different reflections of the instructors were described in details in order to answer the question of the study.

Findings and discussion of the study

To answer the question of the study; the instructors were grouped into three groups according to their qualifications, years of experience and university of graduation. Table 2 presents the figures in this respect.

Table 2: Distribution of instructors according to their university of graduation, qualifications and years of experience.

University of graduation		Qualification		Years of experience	
National	International	PhD	MA	Less than 10	Above 10
5	7	7	5	6	6

Table 2 shows that 7 instructors graduated from an international university, in the USA or UK as displayed in Table 1 previously, and 5 graduated from national universities. As for the qualifications, the table shows that 5 instructors were holders of MA degrees, whereas, the other 7 were holders of PhD degrees. The last variable was, the years of experience, where 6 of the instructors had less than 10 years of experience and the other 6 had been in the field for more than 10 years.

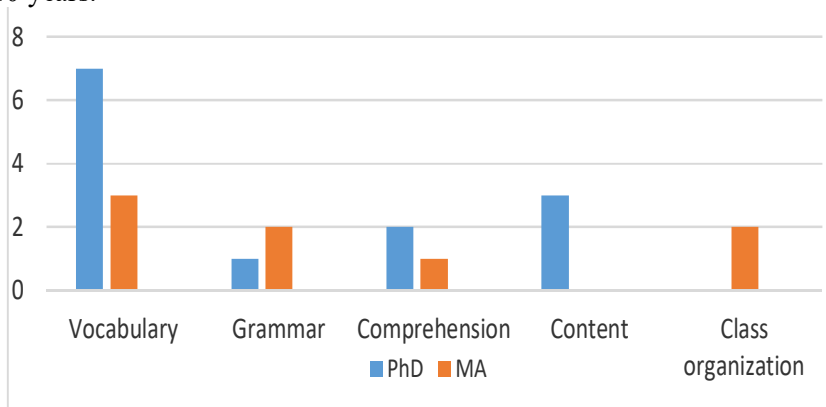


Chart 1.

A comparison between the instructors' responses according to their qualifications.

mixing in the Department of English as a whole. The instructors interviewed were all native speakers of Arabic.

Table 1: Instructors' qualifications, years of experience and universities of graduation

Instructor	qualification	Years of experience	University/ Country
1	PhD	28	Edinburgh/ UK
2	PhD	20	Georgetown/ USA
3	PhD	45	Toledo/ USA
4	PhD	40	Lancaster/ UK
5	PhD	4	Sanford/ UK
6	PhD	15	University of Jordan/Jordan
7	PhD	7	University of North Texas/ USA
8	MA	6	Petra/ Jordan
9	MA	5	University of Jordan/Jordan
10	MA	4	Coventry/UK
11	MA	10	University of Jordan/Jordan
12	MA	24	University of Jordan/Jordan

Instrument of the study

A semi-structured interview was prepared to inspect the use of code mixing in EFL classrooms to find out how much they were aware of it and what are the reasons behind using it. It also inspected if the use of code mixing was helpful in enhancing the student/ teacher interaction and henceforth reinforced their language competence at large. The interview was made up of two parts: the first invited the instructors to provide their biographical data such as qualification, field of specialization, teaching experience and university of graduation. The second part comprised six open questions on the instructors' awareness and of their use of code mixing; they are the following:

1. What areas make you use code mixing while in class; grammar, vocabulary, comprehension of passages, content of the lesson or to organize the classroom? Any other?
2. Do you think that using Arabic helps students' comprehension of the content of the lesson in English? In what sense?
3. Do you consider code mixing, helpful to increase your classroom interaction with your students? Explain.
4. Do you think that using English only in the language classroom helps students learn the subject matter better and interact fluently? Could you illustrate that? Any examples?

In his research, Hidayati also found that when the teachers used a higher amount of the first language, the degree of the students' interaction was higher than when the teachers used less of the first language. Students claimed that their interaction was higher when the first language was used because they felt less lost during class, and that with a familiar language, they were better able to understand, communicate, and participate during class. The situations in which the teachers used the first language were similar to the situations in the previous studies. The teachers used the first language to explain difficult vocabulary, grammar points, classroom instructions, and social interaction among teachers and students on topics not connected to classroom activities. However, the study indicated that there were some instances of first language overuse among teachers when English was a better choice than the first language such as when giving instructions for activities and for warm-up activities.

Damra and Qudah (2012) pointed in their study, using a prepared grammar achievement test and a questionnaire, on ninth grade EFL students in one of the model schools in Amman, Jordan, that there should be a careful use of L1 when teaching grammar in L2 classes as one of the tools to be used by the teacher. They also found that it can be used to raise the students' awareness about the similarities and differences between the two languages.

The previous studies can be seen as a reflection of the situation in the EFL classroom, in the sense that no definite stance is obtainable yet either by teachers or students concerning the use of L1 in FL/L2 classes. Despite the various contradictory findings on code mixing in EFL classroom from different backgrounds, more can be learned about instructors' use of code mixing. With this in mind, since there is no consensus on code mixing's benefits or deterrents, this study aims to investigate the effect of a number of variables: the instructors' specializations, years of experience, and the University of Graduation on their code mixing in EFL classrooms. The study investigates this phenomenon in the context of the English department at the University of Petra, the targeted group are 12 instructors.

Methods and Procedures

Participants of the study

The research was conducted in the Department of English at the University of Petra during the first semester of the academic year 2015/2016. The participants of the study consisted of 12 English language university instructors, among who were two associate professors of literature, one associate professor of linguistics, four professors of linguistics, three MA holders in linguistics, and two MA holders in literature. This variety meant to show the situation of code

the distribution of the switched elements by syntactic category. The corpus was collected from 46 male and female undergraduate and post-graduate students studying at different Jordanian universities: Jordan University, Yarmouk University, University of Science and Technology and Petra University. The data was collected using both a self-report questionnaire and key informant interviews. The main results of the study showed that there was a number of technical elements that caused the wide use of English or switching between English and Arabic "with Arabic Roman scripts" in mobile text messaging. The results indicated that code switching could be affected and formed by the dynamics of the relationship of the speaker-addressee and by cultural features rooted in the Arabic language. Furthermore, the results showed that code switching could function as a communicative strategy for facilitating communication by lowering language barriers as well as by consolidating cultural identity. Moreover, it was noticed that the process appears to be conditioned, among other factors, by the gender of the text writer.

Al-Abbadi (2010) in his study of 6 EFL supervisors, 130 EFL teachers and 390 students showed that teachers used Arabic in explaining meanings of new words, checking comprehension and in giving instructions. No congruence was found between the participants which was related to the absence of self-assessment. The study also found that the teachers were not aware of when and why Arabic can be used in an efficient manner in EFL classrooms. Teachers were of two groups: one used Arabic excessively and the other did not use it, it favored the reasonable use of Arabic in EFL classrooms.

Ehsan Rezvani (2011) investigated code-switching of 4 Iranian English language teachers in elementary EFL classrooms in Isfahan, Iran, through classroom observation. The results determined that code switching was a commonly used strategy and an essential source for bilingual teachers in foreign language classrooms and it, moreover, concluded that "skillful use of code switching can lead to better teacher-student classroom communication that enhances the quality of teaching, helps students' comprehension, and fosters a healthier friendlier teacher-student relationship, especially for the lower levels" (p.23).

Hidayati (2012) study aimed at finding out whether or not using the first language to teach receptive skills would enhance students' participation and understanding in the English classroom. The teachers who were observed in this study used about 30 percent to 49 percent of total class time using the first language and between 2 percent to 8 percent of class time using both first and target languages. However, about 36 percent of the students thought that the first language should be used for about 30 percent of class time.

who were taught English vocabulary and grammatical structures bilingually out performed their counter parts who were taught without any use of Arabic." (Al-Abbas, 1996: iv)

Schweers (1999) examined the use of L1 in L2 classrooms, he inspected the rate as well as the reasons for its use, in addition to the teachers' and students' attitudes towards such a use. Four English teachers were observed and their lessons were recorded at the beginning, middle and end of the term. A questionnaire was distributed to investigate the attitudes of the four teachers and other nineteen university teachers and students towards the use of Spanish during teaching and learning English. The study ended up to show a high percentage of both teachers' and students' positive attitude towards a reasonable use of Spanish in English language classrooms.

In his study on using L1 in EFL classrooms, Aqel (2006) investigated the instructors' and students' reactions to using Arabic language in teaching EFL in the Department of English and Modern European languages at the University of Qatar. According to the questionnaires prepared for this purpose, it was found that all of the instructors felt that it was acceptable to use Arabic in EFL teaching. As for students' reactions, it was found that students favored the use of Arabic. The paper recommended a sensible use of Arabic in EFL teaching and when it is the shortest possible way to make learners understand the required points.

Andrea Koucka (2007) looked into the use of the mother tongue in EFL classrooms in the Czech Republic. She considered the number of times and reasons why trainee teachers used the first language in English classrooms. She found that some of the thirty trainee teachers involved in the study overused the first language in their classes. The amount of first language use ranged from no utterances to 79 per class. The teachers used the first language in a total of 14 situations in the classroom. The first language was used for introducing the objective of the lesson, for evaluating and giving feedback, etc., which showed that the first language was used all through class time. The study also showed that the highest amounts of first language use were when giving instructions and translating vocabulary and new words. Asking questions as well as introducing activities also caused a high frequency of first language use. Furthermore, the results of this study stated that about 64 percent of the total use of the first language was not done efficiently and that other teaching techniques could have been used instead of the first language.

Al-Khatib and Sabbah (2008) examined the linguistic structure and sociolinguistic functions of Arabic English code-switching in mobile text messages used by a group of Jordanian university students. It also investigated

Contrary to views on code mixing as some an unaccepted act in classrooms, Cook (2001) contended that teacher's capability of using both the mother tongue and the target language generates an authentic learning atmosphere. Cook also proposed that this is a natural phenomenon in a situation where the speakers share two languages, so the teachers should not discourage it in the classroom. Cook suggested constructive methods of using the mother tongue in the classroom. Firstly, teachers can use it positively in explaining meanings of words or sentences, explaining grammar, and organizing the classroom. Secondly, students can use the mother tongue as part of the learning action and in classroom activities.

It can be clearly noticed that no agreement has been reached on the benefits of using or avoiding code mixing, especially in the language classrooms. Investigating the related literature indicates that, there are diverse attitudes towards code-mixing.

A group of linguists and researchers have presented a number of advantages of code-mixing. One of which is teaching vocabulary, where Celik (2003) indicated that code mixing shortens the time needed for the application of that particular task. Ying (2005) said that people with negative thoughts on code mixing call for the total avoidance of its occurrences.

Review of related studies

Research that has been run so far on code mixing, had different views for and against the phenomenon, so the researchers have looked into various empirical studies concerning this topic, some of them ended up to results that support the use of code mixing while others resulted to a constrained use of code mixing, a very limited number of studies the researchers could find ended up to totally oppose its use. The researchers selected some of the recent studies and reported them in these pages.

Al-Absi (1991) inspected the effect of integrating the mother tongue (Arabic) in the teaching of the target language (English) to Jordanian students. The findings of his study indicated that this strategy was more favorable than solely using the target language.

One last Arab scholar who is in favor of the use of Arabic in an English class is Dr. Suleiman Awad Musa Al-Abbas (1996) whose PhD focused on the use of Arabic as a mother tongue in teaching English as a foreign language in the Schools of Jordan. He collected the data for his research from 400 students and 100 teachers. He came up with some realistic results such as: "most of English teachers use Arabic in their English classroom to explain new and difficult items, and to lesser degrees for other purposes. First year university students

The interaction between Jordan and English speaking countries has introduced many domains of English culture and loanwords into Arabic in the Jordanian society (Hazaymeh, 2004). In Jordan, people from different backgrounds and ages tend to code mix using English terms and expressions in their daily interactions as a sign of social prestige and knowledge of the language.

Code mixing in classroom

Code mixing in the language classrooms was and is still considered a controversial issue. For some it is helpful for both students and teachers, while others see that it hinders the learning process. Baynham (1985) noted that bilingual usage of languages functions as a communicative resource in the ESL teaching in UK, and mother tongue is considered as a useful tool to classroom teaching and learning. Creese and Blackledge (2010) argued that flexible blend of languages is used by teachers as an instructional strategy to make links for classroom participants between the social, cultural, community, and linguistic domains of their lives. Pedagogy in these schools appears to emphasize the overlapping of languages between students and teachers rather than enforcing the separation of languages for learning and teaching.

Bilinguals' ability to code mix and switch while having a conversation can be clearly noticed. They use words or phrases from their first language in speech acts that are held in the second language and vice versa. The phenomenon of code mixing can be noticed, as well, among Arab bilinguals who tend to use English loanwords and expressions in their speech acts. Code mixing has been the focus of many researchers in different countries, but with fewer attention in the Arabic context, therefore the literature in this area is not as rich as it is expected to be. This research is meant to shed light on the use of code mixing among instructors and students in the university setting in addition to their attitudes towards this mixing.

Simon (2001, p. 312), explained that code mixing which is a common act in a bilingual or multilingual language classroom interaction has been thought of as a banned practice, if not banned it should be totally avoided. She added that teachers who had code switched felt embarrassed of doing so as that was not considered as a good act. Simon (2001, pgs. 314-315) suggested that foreign language classrooms are specific code mixing settings as, first, they can be considered as a multilingual group in the sense that the members share the same first language with all its rules and uses. Second, the students' knowledge of the foreign language is shallow while the teacher knows it very well. Third, teacher and the students have fixed roles: teacher-status is related to the usage of foreign language and learner-status is related to the imbedded obligation of using it (Simon 2001, pgs. 316 and 317)

mixture of two languages which involves one word from one language in the syntax of another, with the majority of words coming from the second language.

In bilingual and multilingual communities, code mixing replicates a consistently systematic pattern of speech in the verbal repertoire of the bilinguals and multi-linguals who “make use of both the languages with the same speakers, in the same domains and within the same conversational topic” (Poplack and Meechan, 1998, p. 128). Muysken (2000, p.1) advocated that code mixing entitles “all cases where lexical items and grammatical features of two languages appear in one sentence.” In other words, code mixing is “that appearance of bilingual collaboration where the lexical and grammatical properties of one language are unified into the speech of another language” (Appel and Muysken, 2005, p. 117).

Spardlin et al. (2003) defined functional-lexical codemixing as an element made by a functional morpheme from one language and a lexical morpheme from the other. Jisa (2000) proclaimed that, intersentential codemixing involves the use of sentential constituents from two languages in the same discourse. Each sentential constituent keeps the grammar of its own language. Intrasentential code mixing happens within a single sentence or clause.

Causes and reasons for code mixing

It has been a while since the research on bilingualism started to boom. More and more linguists and researchers expressed interest in discussing and analyzing its different aspects, among which is the phenomenon of code mixing. Researchers have been trying to find out the reasons that cause code mixing. Gumperz (1982) and Auer (1984) defined code mixing as a speech indicator that leads to understanding the speakers' intentions.

When bilinguals lean towards code mixing there might be causes and reasons for such an act. Grosjean (1982) proposed some reasons for that. For example, some bilinguals mix two languages when they cannot find appropriate words or terminologies or when there is no suitable translation for the used language. They can also code mix for many other reasons: to quote what someone has said, to stipulate the addressee, to second on what has been said, or to talk about past events. Bathia and Richie (2004) believed that bilinguals make their language choice in reference to the situation they are experiencing, when, where and whom they are addressing at that time.

In Jordan, bilingualism can be noticed through the use of hundreds of English loanwords and expressions (Hazaymeh, 2004; Kailani, 1994). Jordanians code mix in different domains such as work, education, travel, tourism, technology, trade, sports, media, and even in everyday conversations.

bilingualism or multilingualism. Spolsky (1998, p. 45) defined a bilingual as “a person who has some functional ability in the second language.” This may differ from an imperfect ability in one or more areas, to a very strong one of both languages. For Grosjean(2010, p.4) “bilinguals are those who use two or more languages (or dialects) in their everyday lives”.

Code mixing

Code is a tenure that signifies languages, vernaculars and language diversities. Code is widely used to represent or exemplify different facets of languages and their practices. To Romaine (1995, p.121) code refers “not only to different languages, but also to varieties of the same language as well as styles within a language”. Myers-Scotton (2006, p.17) introduced code by stating that it “is just one of the cover terms for ways of speaking, so it can refer to separate languages, dialects, or styles.”

In normal contact, people generally pick codes that differ according to the situation they are experiencing. They may choose a certain code to discuss a specific subject about work, school, everyday life or any other topic. A code is a system people use to interconnect. When people talk to each other, they choose a specific code that differs according to the topic they are dealing with. According to Stockwell (2002, pgs.8 and 9) a code is “a symbol of nationalism that is used by people to speak or communicate in a particular language, or dialect, or register, or accent, or style on different occasions.”

Ronald Wardaugh (1986, p.101) also articulated that a code can be defined as “a system used for communication between two or more parties used on any occasion.” When two or more people talk to each other, the system of communication they use is called a code. Accordingly we conclude that the code is a system of the language difference that is used by a society to make communication with other people. Ayeomoni (2006, p.95) defined the code as “a verbal component, that can be as small as a morpheme or as broad and complex as the entire system of language”.

Code mixing takes place when a speaker uses some constituents of one language while speaking another. Sridhar et al. (1980) elucidated code mixing as a type of alteration of elements of one language and using those of another within a single sentence.

Woon (2007, p.1)) introduced code-mixing as “change of one language to another within the same utterance or in the same oral/written text”. Poplack and Meechan (1998, p. 127) stated that code mixing is “any use of two or more languages in the same discourse”. Celik (2003) said that code-mixing is the

This research is concerned with code mixing which occurs between two languages, English and Arabic and what might stand behind this mixing in an attempt to find out how crucial or beneficial it might be considered. It also tends to investigate the instructors' attitudes towards the use of code mixing in the EFL classroom whether it is a conscious or an unconscious act, or if it is done intentionally or unintentionally, and if variables such as instructors' qualifications, years of experience, or universities of graduation have any effect on its occurrence.

Statement of the problem

During the researchers' careers in teaching English as a foreign language, they have always been through situations where code mixing strongly existed in different classrooms no matter what the levels of students were. Students tended to code mix when they were not able to express themselves in English, they also code mixed when they were interested in the topic but lacked the right vocabulary, and when they worked in pairs or groups.

As for the researchers, they had, sometimes, to code mix when the students showed no interest in the topic, where they might raise a question in Arabic or throw a joke or comment on a situation in the class and on other occasions they had to code mix to give some instructions or to put class into control.

The researchers are interested in the existences of code mixing in EFL classrooms; when, how and why the instructors use it, in addition to the instructors' awareness of this phenomenon.

Purposes of the study

The present study aims at finding the effect of some variables such as the qualifications of the instructors on the use of code mixing in their classrooms. It will also consider their years of experience and the university they graduated at e.g. local / abroad, on the instructor's use of code mixing.

Questions of the study

The study intends to answer the following question:

1. To what extent do the instructors' qualifications, years of experience and university of graduation affect his/her code mixing in the FL class?

Review of Related Literature

As a result of globalization and the openness the world is experiencing nowadays, more and more people are using more than one code when they speak to each other. The spectacle of people having two codes or more is called

international, it becomes less 'English' (Maley, 2005). English no longer belongs to the English-speaking peoples when it is spoken as a second or foreign language by a majority of people in the world.

In the Jordanian context, English is now part of most of the Jordanians' daily life. English is not only a subject that they study at school or university, it is the language they face in the street. It seems that globalization has made a wide change in the Jordanians' acceptance of English. People used to have a negative attitude towards English and students hated being forced to learn it (Fishman, 1971). They could not see any point of learning English. Later on people started to have a different attitude towards English, it started to be thought of as a classy symbol (Fishman, 1977). This positive attitude towards English became stronger in the post-colonialism era, people became more eager to learn it and accept the fact that it is the *lingua franca* through which they can reach up to their goals.

As for the educational situation in Jordan, English is introduced and taught to students as a foreign language in most public schools. Students in Jordan learn English as an obligatory subject for twelve years at school. They are exposed to English wherever they are. Despite all that, it can be noticed that students still resort to Arabic in certain occasions even when the situation needs all to be run in English. Arabic being the mother tongue of both the teacher and the students, it is very likely that there will be times during the class when the teacher or students tend to use Arabic instead of English; this sociolinguistic phenomenon is an example on code mixing.

Bokamba (1989) defined code-mixing as the insertion of different linguistic units such as affixes, words, phrases and clauses where the interlocutors, in order to realize what is said, have to relate what they hear to what they understand. Muysken (2000) described code-mixing as all cases where lexical items and grammatical features from two languages appear in one sentence. Although such definitions exist in the related literature on bilingualism, some researchers find it difficult to distinguish between code mixing and code switching. Code mixing transfers elements of all linguistic levels and units ranging from a lexical item to a sentence, so that it is not always easy to distinguish code-switching from code mixing (Grosjean, 1982). Code switching is defined as the alternation of two languages within a single discourse, sentence, or constituent. Intersentential alternations occur when the switch is made across sentence boundaries (Grosjean, 1982). It is interesting to note that most of code-mixing takes place automatically and unconsciously (Skiba, 1997). Code mixing also happens between bilingual or multilingual speakers to create linguistic solidarity especially between those who share the same ethno-cultural identity (Skiba, 1997).

The Effect of Some of the University of Petra Instructors' Qualities on their Use of Code Mixing in their English Classes

Juhaina Al Musa and Oqlah Smadi *

Received Date: May 31, 2016

Accepted Date: July 3, 2016

Abstract

The study tried to answer a question about the extent of the instructors' qualifications, years of experience and university of graduation affect their code mixing in the EFL classrooms. In order to answer the study question, a semi structured interview was prepared by the researchers so as to collect the needed data which was qualitatively analyzed. The findings indicated that the instructors showed high level of awareness of the uses of code mixing in their classroom practices. The results also showed that no differences were noticed that can be related to either the instructors' qualifications, experience, or university of graduation. Based on the findings, the study recommended more studies to be conducted so as to investigate domains other than the ones included in this study, and the faculties of Education were addressed to establish training programs in cooperation with the departments of English in the Jordanian universities so as to prepare the graduates for the appropriate uses of L1 in L2 classes.

Keywords: code mixing, EFL university instructors

Introduction

The challenges of globalization and its impact on nations and people first started as an economic juvenile, but it outreached different domains of life amongst which is education, where the effect of globalization can be noticed in terms of languages and technology. Linguistic colonialism symbolized by American English and British English came to an end. A diversity of Englishes in today's world can be detected. English is now considered as an International Language that belongs to no particular culture, but rather provides the basis for promoting cross-cultural understanding in an increasingly global village (McKay, 2001).

The very fact that English is an international language means that no nation can have custody over it (Widdowson, 1994). As English becomes more

<p>Association of Arab Universities Journal for Arts A Biannual Refereed Academic Journal Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.</p>	<p>مجلة اتحاد الجامعات العربية للأدب مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر في جامعة اليرموك، إربد، الأردن، عن خدمة كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.</p>				
<p>Subscription Form</p> <p>Name: الاسم Address: العنوان P.O. Box: ص.ب. City & Postal Code: المدينة والبريد Country: الدولة Phone: هاتف Fax: فاكس E-mail: البريد الإلكتروني No. of Copies: عدد النسخ Payment: طريقة الدفع Signature: التوقيع تمثل الشبكات التصريفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب جامعة اليرموك، إربد، الأردن".</p> <p>Cheques should be paid to: The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.</p>	<p>I would like to subscribe to the Journal For <input type="checkbox"/> One Year <input type="checkbox"/> Two Years <input type="checkbox"/> Three Years</p> <p>أريد الاشتراك بالمجلة لعدة <input type="checkbox"/> سنة واحدة <input type="checkbox"/> سنتين <input type="checkbox"/> ثلاث سنوات</p> <table border="1"> <tr> <th data-bbox="561 668 615 1005"> سعر الاشتراك السنوي One Year Subscription Rates </th> <th data-bbox="561 283 615 668"> سعر القسط الواحد (إصدار إربد) One Issue Price </th> </tr> <tr> <td data-bbox="615 668 753 1005"> داخل الأردن Inside Jordan خارج الأردن Outside Jordan 10-15 دولارات أمريكية US \$ 10 15 دولار أمريكي US \$ 15 </td> <td data-bbox="615 283 753 668"> Standard Price JD 4 Students JD 2,000 سعر البيع العادي 4 سعر البيع لطلبة 2,000 دينار سعر البيع للشبكات ومرتقو البيع 40% Discount for Bookshops and Libraries </td> </tr> </table>	سعر الاشتراك السنوي One Year Subscription Rates	سعر القسط الواحد (إصدار إربد) One Issue Price	داخل الأردن Inside Jordan خارج الأردن Outside Jordan 10-15 دولارات أمريكية US \$ 10 15 دولار أمريكي US \$ 15	Standard Price JD 4 Students JD 2,000 سعر البيع العادي 4 سعر البيع لطلبة 2,000 دينار سعر البيع للشبكات ومرتقو البيع 40% Discount for Bookshops and Libraries
سعر الاشتراك السنوي One Year Subscription Rates	سعر القسط الواحد (إصدار إربد) One Issue Price				
داخل الأردن Inside Jordan خارج الأردن Outside Jordan 10-15 دولارات أمريكية US \$ 10 15 دولار أمريكي US \$ 15	Standard Price JD 4 Students JD 2,000 سعر البيع العادي 4 سعر البيع لطلبة 2,000 دينار سعر البيع للشبكات ومرتقو البيع 40% Discount for Bookshops and Libraries				
<p>Correspondence</p> <p>Secretary General The Society of Arab Universities Faculties of Arts Editor-in-Chief Dean of the Faculty of Arts Yarmouk University - Irbid, Jordan. Tel. 00962 2 7211111 Ext. 3555 or 2900 Fax. 00962 2 7211137 Email: artsarabuni@gmail.com artsarabuni@yu.edu.jo</p>	<p>مراسلات البيع والاشتراكات:</p> <p>الأستاذ الدكتور أسير عام جمعية كليات الآداب رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للأدب" عميد كلية الآداب جامعة اليرموك، إربد، الأردن هاتف : 00962 2 7211111 فوري 3555، 2900 فاكس : 00962 2 7211137 البريد الإلكتروني : artsarabuni@gmail.com artsarabuni@yu.edu.jo</p>				

Table of Contents

Article in English

*	The Effect of Some of the University of Petra Instructors' Qualities on their Use of Code Mixing in their English Classes Juhaina Al Musa and Oqlah Smadi	439
---	---	-----

Abstracts in English of Arabic Articles

*	Harmony Performance Assimilation in Arabic Language Sounds Read Quran Model Fawziyah Ali Al-Qudah and Mariam Jabr Freihat	15
*	Using Journalism to Teach Arabic for Speakers of Other Languages (ASOL) Hala Beedes and Muna Al-Ajrami	41
*	Mohammad Subhi Abu-Ghaneimeh and the Art of Essay Ahlam Masad	71
*	The Manifestations of Color Language in Forming the Space of the Novel "El Aswad Yalikou Biki" of Ahlam Mosteghanemi: A Critical Study Muntaha T. Alharahsheh	102
*	The Imperative Verbs into Declinable or Indeclinable New Reading in the Structure and Semanticfunction of These Verbs Ahmad Bsharat	121
*	The Positions of International and Regional Powers Towards Arab Spring Revolts: The Impact on the Middle Eastern Regional System 2010-2015 Omar Y. Khudierat	157
*	Geographic Pattern of Malls and Commercial Complexes in Greater Amman Qasem Dweikat, Reem Al Kharoof and Bayan Al Rabee	198
*	Multilingualism in the Arabic novel (issues and models) Manal El-Essa	215
*	The Pragmatics General Introduction Khalfallah Benali	234
*	Phenomenon of Grief in Sabt Ibn Al-Taa'weethi's Poetry about his Experience of Blindness Salameh H. Al-Gareeb	255
*	Linguistic Discourse Strategies in "La tusaleh" Poem of Amal Dunqul Hanan Al-Amaierreh	279
*	Jordanian's News Websites Coverage of the Israeli Aggression on Gaza Strip in 2014 Azzam A. Ananzeh	307
*	The Determiners of Termination or Continuation in Preferring Giving Birth to Male Children among Women in Jordan Society Abde Basit Azzam	344
*	Phonological Structure of Arabic Verb Abdalqader Bani Baker	366
*	Criticizing the Traditional Theory of Arabic Grammar: An Analytical Study into the Theses of 'Ibn-Maḍā' and 'Ibn Rušd Ahmad M. Abu Dalu	394
*	The Grammatical Terminology in <i>Sharh al Mufasssal</i> by IbnYa'eesh: A Study in Text's Effects AmjadTalafeh and Khalid S. Alkindi	432

14. Authors are responsible for financial expenses when deciding to withdraw the manuscript.
15. Authors amend their manuscripts according to the referees' suggestions within a month of being notified of the acceptance.
16. Submissions are compiled according to technical criteria set forth by the Editorial Board.
17. Published manuscripts reflect their authors' perspectives and are neither representative of Association of Arab Universities Journal for Arts nor the Editorial Board.
18. Works Cited:
 1. References in the texts are serially numbered between brackets.
 2. References in the works cited are in the following order:

The author's full name: reference, part, number, publisher, place of publication, year, page(s).

Example: Dayf, Shawqi: *The First Abbasid Period*, Dar al-Maarif, Egypt, 1966m p. 24.
 3. In case a periodical or a journal is used, the author's name is run first, and is followed by the periodical and/or journal title, volume, number, year, and page(s). Single pages take p., multiple pages take pp.

Example: Sa'aydan, Ahmad Saleem: "On Arabicization of Sciences".
Jordanian Arabic Language Academy Journal, Volume 1. No 2 July 1978, p. 101.
 4. Reference list entries should be alphabetized by the last name of the first author of each work, beginning with Arabic references and is followed by the foreign works.
19. Subscription Information:

Annual subscription rates in Jordan: Individuals (JD 5.00), institutions (JD 10.00)

Outside Jordan: Individuals (\$ 15), institutions (\$ 15.00)
20. Manuscripts are mailed to:

Secretary General
The Scientific Society of Arab Universities

Editor-in-Chief
Dean of the Faculty of Arts
Yarmouk University, Irbid, Jordan
Tel. 00962 2 7211111 Ext: 3555 or 2900
Fax.00962 2 7211137
Email: artsarabuni@gmail.com
Website: <http://artsarabuni.yu.edu.jo>

Association of Arab Universities Journal for Arts,

A Refereed, Biannual, Scholarly Journal,

Published by The Scientific Society of Arab Universities, Faculties of Arts

Terms and Conditions of Manuscript Submission:

1. Manuscripts are published in Arabic, English, and French. However, submission in other foreign languages is acceptable with the Editorial Board approval.
2. The Journal publishes manuscripts in the categories of review articles and reports on international conferences and refereed academic seminars.
3. Abstracts of no more than 150 words are submitted in both languages, Arabic and English, and followed by the key words in the manuscript.
4. All submitted manuscripts should be original, comprehensive, logically organized, and thoroughly investigated. The manuscript should be written in simple language and should also be precise.
5. Manuscripts should not have been previously accepted for publication or published somewhere else.
6. All submitted manuscripts are subject to peer review and editorial review.
7. When accepted for publication, submissions become a property of the journal and cannot be reclaimed without the journal's approval.
8. Authors cannot republish their academic works without a written approval from the Editorial Board. In addition, the journal should be notified of the republication .
9. The manuscript is to be sent to artsarabuni@gmail.com. The format of the submitted manuscript must be:
 - A. In a word processing format (i.e. MS Word).
 - B. Serially numbered.
 - C. Double-spaced throughout
 - D. Font: Ariel; Font Size: 14-point.
 - E. Margins: 2.5 cm. (1 inch).
10. A typical manuscript should not exceed 30 pages including figures, drawings, tables, and appendixes.
11. All authors of a manuscript should include their full names, academic status, and affiliation on the cover page of the manuscript.
12. The Journal preserves its right not to publish any submission and the journal's decisions are decisive.
13. If not accepted, submissions are not returned to their authors.

Prof . Abdulla Iqdeim, Sidi Mohammad University, Morroco.

Prof . Shukri Al- Mabkhoat, Manuba University, Tunesia.

Prof . Izz Ad-dien Omar Musa, Naif Arab University for Security Sciences, Saudi Arabia.

Prof. Yousef Abdulla, Sana University, Yemen.

Prof. Fuoad Shihab, Bahrain University, Al-Bahrain.

Prof. Abd Al- Aziz Al- Mani, King Saud University, Saudi Arabia.

Prof . Eid Dahiyat- Jordan.

Prof. Mousa Jawad Al –Mousawi, Baghdad University, Iraq.

Prof. Adnan Al-Sayyed, President of Lebanon University, Lebanon.

Prof. Abdessalam al – Mseddi, Tunisia.

Prof. Salah Fadl, Ain Shams University, Egypt.

Prof. Gamal Shakra, Ain Shams University, Egypt.

Prof. Sa'ed Masluh, Kuwait University, Kuwait.

Prof. Omar Marrakchi, Morocco.

Prof. Abdelhakim Hosban, Dean of the Faculty of Archaeology and Anthropology, Yarmouk University.

Prof. Abdullah Shorman, Dean of the Faculty of Tourism and Hotel Management, Yarmouk University.

Dr. Hatim Alawneh, Dean of the Faculty of Mass Communication, Yarmouk University,

Prof. Nihad Al-Mousa, The Jordan University, Jordan.

Prof. Mousa Samha, The Jordan University, Jordan.

Prof. Hasan Sammour, The Jordan University, Jordan.

Editorial Board

Editor-in-Chief:

Prof. Ziyad S. Al-Zu'bi, *Secretary General of The Scientific Society of Arab Universities
Faculties of Arts, Dean of the Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Members:

Prof. Suzanne Pinckney Stetkevych, *Georgetown University, Washington, U.S.A.*

Prof. Tilman Seidensticker, *Faculty Deputy Dean, Faculty of Arts, University of Jena, Germany.*

Prof. Suaad AbdelWahab, *Dean of the Faculty of Arts, Kuwait University, Kuwait.*

Prof. Badawi al-Tahir, *Red Sea University, Sudan.*

Prof. Hasan Al –Malkh, *Dean of the Faculty of Arts, Al Al-bayt University, Mafrq, Jordan.*

Prof. Ghaida Adel “Khazneh Katebi”, *Dean of the Faculty of Arts, the University of Jordan, Amman, Jordan.*

Prof. Mohammad Rabie, *Dean of the Faculty of Arts, Jerash Private University, Jerash, Jordan.*

Prof. Mohammad Al Anani, *Dean of the Faculty of Arts, Petra Private University, Amman, Jordan.*

Secretariat: Reema Qazaq and Nidaa Baniissa.

Editorial Secretary: Dr. Mohammad Al- Mazawdah

Language Editor: Dr. Khalid Q. Bani Domi

Editor of English Abstracts: Dr. Abdullah M. Dagamseh

Advisory Committee:

Prof. Barbara Michalak – Pikulska, *The Jagiellonian University, Krakow, Poland.*

Prof. Muhammad Khan, *National Defence University, Islamabad, Pakistan.*

Prof. Philippe Lane, *University of Rouen, France.*

Prof. Jinling Wang, *University of New South Wales, Australia.*

Prof. Olga Galatanu, *Université de Nantes, France.*

Prof. Maymona Khalifa Al-Subah, *Kuwait University, Kuwait.*

Prof. Iman Mustafawi, *Qatar University, Qatar.*

Prof. Fahmi Al- Ghazwi, *Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Prof. Wafa Berri, *Lebanon University, Lebanon.*

Prof. Mohammad Ahmed Ghonaym, *Al-Mansura University, Egypt.*

© Copyright 2017 by The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts
All rights reserved.

No part of this publication may be reproduced without the prior written
permission of the Editor-in-Chief.

Opinions expressed in this journal are solely those of their authors and do not
necessarily reflect the opinions of the Editorial Board or the policy of The Scientific
Society of Arab Universities Faculties of Arts

Typesetting and Layout
Majdi Al-Shannaq



Association of Arab Universities



*The Scientific Society of Arab
Universities Faculties of Arts*

Association of Arab Universities
Journal for Arts
A Biannual Refereed Academic Journal

**Published by The Scientific Society of Arab Universities Faculties
of Arts at Universities Members of AAU**